

العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

”التكامل أساس المعرفة“

تنسيق د. بحري صابر

العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة “التكامل أساس المعرفة“
Human and Social Sciences Contemporary Issues

Human and Social Sciences Contemporary Issues

Coordinated by: Dr. BAHRI Saber



Democratic Arab Center
For Strategic, Political & Economic Studies
Deutschland – Gensinger Str. 112 , 10315 Berlin
<https://democraticac.de>

أعمال المؤتمر الدولي
العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة
التكامل أساس المعرفة
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019
ألمانيا- برلين
الجزء الخامس(05)

المؤتمر الدولي العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا
معاصرة التكامل أساس المعرفة
المنظم من طرف
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين
بالتنسيق مع
مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة لونيبي
علي البلدية- الجزائر
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019
ألمانيا- برلين

تنسيق: بحري صابر
كتاب: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة
رقم تسجيل الكتاب :
VR.3373.6348.B
الطبعة الأولى
نوفمبر 2019
الجزء الخامس

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
ألمانيا- برلين
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه ه في نطاق إستعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر .
جميع حقوق الطبع محفوظة: للمركز الديمقراطي العربي
برلين- ألمانيا.

2018

All rights reserved No part of this book may by reproduced.
Stored in a retrieval System or tansmitted in any form or by
any meas without prior Permission in writing of the publishe
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

Germany:

Berlin 10315 GensingerStr: 112

Tel: 0049-Code Germany

54884375 -030

91499898 -030

86450098 -030

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail: book@democraticac.de

العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

التكامل أساس المعرفة

رئيس المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين

أ.عمار شرعان

مدير مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة

لونيسي علي البليدة2- الجزائر

أ.د لورسي عبد القادر

تنسيق:

د.بحري صابر

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

رئيس اللجنة العلمية

د.خرموش منى

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

الرقم	العنوان	الصفحة
	تقديم: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة د.بحري صابر جامعة محمد لهين دباغين سطيف 2- الجزائر	
01	الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة ومدى كفايتها وجودتها بجهة سوس ماسة بالمملكة المغربية أ.علي أيت عبوا جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير- المغرب	9
02	التقويم التربوي المكيف في تطوير المهارات الأكاديمية للتلاميذ الديسليكسيين المستوى الرابع ابتدائي نموذجاً. أ.محمد الشتاوي مفتش بوزارة التربية الوطنية المغربية د. محمد ليسيكى كلية الآداب والعلوم الإنسانية/جامعة ابن زهر – أكادير- المغرب	28
03	ألعاب شبه رياضية لتطوير الجانب الحركي لطفل المدرسة د. حجاج سعد د. بركات حسين جامعة عنابة- الجزائر	43
04	"فاعلية السياحة القروية من خلال مؤسسات الإيواء السياحي بأحواز المدين الكبرى "الدار البيضاء" حالة إقليم بن سليمان" سميرة لحرش: طالبة باحثة بسلك الدكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني – الدار البيضاء-المغرب أسماء بوعوينات: أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني – المحمدية مامون عمراني مراكشي: أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني – الدار البيضاء.- المغرب	55
05	تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعة الجزائرية وعلاقتها بجودة التعليم العالي دراسة ميدانية مقارنة بين جامعة سطيف 02 وجامعة تيزي وزو وجامعة السعيدة د. طارق بوحفص، جامعة مولاي الطاهر –سعيدة- الجزائر د.فروق يعلى، جامعة محمد لهين دباغين – سطيف 2- الجزائر د.سمير يوسف خوجة، جامعة مولود معمري - تيزي وزو- الجزائر	66
06	التطور الكرونولوجي للمنهج في العلوم الإنسانية أ. هاشمي سيدي حسن، جامعة سيدي محمد بن عبد الله –فاس المغرب	80
07	اللغة والهوية: اشكالات تاريخية في المدرسة المغربية أ.نضال العسري كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس بالرباط- المغرب	87

93	الإنقاء والتوظيف في المؤسسة ط د. بوشو علاء الدين ط د. رحمانى خليفة د. سليمى ساسية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر	08
106	حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة د. حنان عبد الرحمن طه، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية- العراق د. ثورة خطاب علي، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية- العراق	09
117	التنوع الثقافي: طريق نحو تحقيق التنمية خديجة التوزاني -المغرب جامعة محمد الأول- المغرب	10
125	التراث الثقافي اللامادي كمنشط أنثروبولوجي للسياحة الحموية: - حمة مولاي يعقوب نموذجا- بروحو نبيلة: طالبة باحثة في سلك الدكتوراه، مختبر: التراث الثقافي: التاريخ والذاكرة والإنسان والمجال واستراتيجيات التنمية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب	11
137	الخبر الزائف ... رؤية مفاهيمية أ. حيدر أحمد حسين إشراف: م. د. سعد أبراهيم باحث مستقل كلية الإعلام جامعة ذي قار- العراق	12
153	منطقة " تيفاست " الأرض والهوية - مقارنة انثروبولوجية. أ. عصام براهيم، جامعة - ابي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر	13
166	تطور الأمن الأوروبي 1648 - 1945 (الانتقال من مبدأ توازن القوى إلى نظام الأمن الجماعي) د. بركة محمد، كلية الحقوق و العلوم السياسية - جامعة سيدي بلعباس - الجزائر	14
174	آليات مكافحة الجريمة السيبرانية في التشريع الجزائري د. النحوي سليمان أ. طاهري عبد المطلب كلية الحقوق جامعة الأغواط -الجزائر	15
187	الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي دراسة ميدانية لحالتين عياديتين بمؤسسة الطفولة المسعفة بمدينة - ورقلة ط د. مـونه زهور، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر د. بن مجاهد فاطمة الزهراء، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر	16
210	شارل بودلير بين التحديث الشعري والأصالة د. زهية سويسي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة- الجزائر	17

220	الإدارة الإستراتيجية للرأسمال البشري ودورها في تعزيز أداء و حكامه القطاع العام بالمغرب د. اخلفو محمد المدرسة الوطنية للتجارة والتسيير بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي-المغرب	18
227	التكيف المدرسي لدى التلاميذ المراهقين ذوي وصم الرسوب دراسة ميدانية لدى بعض التلاميذ بولاية قالمة أ.د بوفولة بوخميس، جامعة الحاج لخضر باتنة 1-الجزائر ط د. موبيان علي، جامعة 08 ماي 1945 قالمة -الجزائر	19
235	القطب المبنائي طنجة المتوسطي واستراتيجية إعادة التمويع في مضيق جبل طارقاً د:عليبو لريح كلية الاداب والعلوم الإنسانية، تطوان-المغرب ذ: الرواص بدرالدين طالب باحث في سلك الدكتوراه. كلية الاداب والعلوم الإنسانية، تطوان-المغرب	20
248	دور السياسة النقدية في ضبط معدلات التضخم في الجزائر خلال الفترة 1990-2016 أ. كديدة امال، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر د. سبير بوختالة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر	21
264	التراث الإنساني أهم مصادر تنمية السياحة بمختلف أشكالها بالجزائر " السياحة الثقافية و الرياضية في ولاية سوق أهراس أنموذجا " د. منماني نادية، جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس- الجزائر د. بوغالية فايزة، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر ط.د. دلهوم عماد، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر	22
280	" دور السياحة الدينية في نشر وترسيخ ثقافة الحوار " أ. محمد أزارو جامعة عبد المالك السعدي كلية أصول الدين وحوار الحضارات تطوان-المغرب	23
290	التعليم العالي في الجزائر: بين طموحات الجودة وقنوات الفساد د. أمال ينون كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير- جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل- الجزائر	24
306	المقاولاتية عند خريجي الجامعة ما بين التكوين وواقع الممارسة (دراسة ميدانية بهدينة وهران). د.لوسداد زين الشرف، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC بوهران- الجزائر	25

316	أخلفة العمل في الصحافة وتحقيق الأمن المجتمعي قراءة في البيئة الإعلامية الجزائرية بين الواقع والمأمول د. بغداد باي عبد القادر، المركز الجامعي غليزان- الجزائر د. رايح هوادف، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر	26
326	المخيل التكنولوجي وإعادة بناء الهوية الفرد. د.خن جمال د. بن علي محمد د. يحيياوي زهير. المركز الجامعي أحمد زبانه غليزان-الجزائر	27
333	آفة المخدرات واستغلال وقت الفراغ كآلية للوقاية منها أ.لعروسي حميد، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر د.الماحي ليلي، جامعة ابن خلدون تيارت- الجزائر	28

الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة ومدى كفايتها وجودتها بجهة سوس ماسة

بالمملكة المغربية

أ.علي أيت عبوا

جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير-المغرب

يشير التقرير العالمي للإعاقة إلى أن نحو 15% من سكان العالم يتعايش مع شكل ما من أشكال العجز ، كما تشير الإحصاءات العالمية إلى أن أكثر من مليار شخص في العالم لديهم شكل من أشكال الإعاقة ، ويعانون من إعاقة. وتعد هذه الحقائق مقلقة لجميع دول العالم.

وتمثل فئة الأشخاص في وضعية إعاقة بالمملكة المغربية ، نسبة هامة من الساكنة. فنتائج البحث الوطني الثاني حول الإعاقة لسنة 2014م، الذي أنجز من طرف كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين ، بينت أن نسبة انتشار الإعاقة على المستوى الوطني وصلت إلى 8,6% ، أي أن هناك 2.264.672 شخصا يصرحون بأن لديهم إعاقات تختلف أنواعها ودرجاتها. ولا يتوفر 45,5% منهم على أي مستوى دراسي ، وتردد 4,6% منهم فقط على التعليم الأولي بينما حصل 3,6% منهم على التعليم الابتدائي ، و2,5% على التعليم الثانوي ، وبلغ مستوى التعليم العالي 1,8% منهم فقط. كما أن النسبة الوطنية للتلميذ ضمن شريحة الأطفال في وضعية إعاقة الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و17 سنة هي 41,8%. وأن كل أسرة من بين أربعة أسر لديها على الأقل شخص في وضعية إعاقة مما يمثل 24,5% من مجموع الأسر المغربية البالغ عددها 7.193.542 أسرة. أما نسبة انتشار الإعاقة بالنسبة للفئة العمرية أقل من 15 سنة فلم تتجاوز 1,8%.

وتشير معطيات تقارير الدراسة الوطنية حول الإعاقة لسنتي 2004 و2014 ، إلى تطور نسبة تلميذ الأطفال في وضعية إعاقة من 4 إلى 15 سنة ، خلال السنوات الماضية ، حيث انتقلت من 32,4% عام 2004 لتصل إلى 55,1% في عام 2014.

لقد اعترفت المملكة المغربية بحق جميع الأطفال في التربية. وذلك بفضل المصادقة على الاتفاقيات الدولية ذات الصلة ، وإصدار العديد من النصوص التشريعية والقانونية والتنظيمية ، كما أنها تولي اهتماما وانشغالا دائما بفئات الأطفال في وضعية إعاقة ، وأصبحت مواضيع الإعاقة تمثل موقعا ملوسا في سلم الأولويات ، سواء من طرف السلطات العمومية ، أو منظمات وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة ، والتي وضعت سياسات وإجراءات لتلبية حاجاتها المختلفة والمتزايدة ، وخصوصا التربوية والتعليمية منها. كما تسعى وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي ، إلى تطوير المنظومة التربوية ، بما يواكب التطورات والمستجدات العالمية في هذا الاتجاه. ويتجلى ذلك في التوجه إلى دمج الأطفال ذوي الإعاقات الخفيفة والمتوسطة في التعليم النظامي الإلزامي والمجاني ، وتصميم المناهج والبرامج التربوية الملائمة والمكيفة التي تلبي احتياجاتهم وقدراتهم ومواهبهم ، والابتعاد قدر الإمكان عن مؤسسات التربية الخاصة (العزل) ، وتوفير الخدمات المساندة والمناسبة والداعمة للأطفال وأسرتهم ، والحرص على تقديم

البرامج الطبية والشبه الطبية والاجتماعية والتأهيلية، بالإضافة إلى الاهتمام بدور الأسرة، وتقوية أدوار جمعيات المجتمع المدني الفاعلة في مجال الإعاقة.

لقد اهتمت الدراسات الحديثة بموضوع الحاجات التربوية والتعليمية للطفل في وضعية إعاقة، وذلك لأولوياتها وأهميتها في مساعدته على تنمية قدراته وإمكانياته ومواهبه ليقوم بالدور المنوط به والمتمثل في المساهمة في بناء مجتمعه وتنميته، وكذلك لملازمتها له مدى الحياة، ومن هذا المنطلق فإن توفير هذه الحاجات وتعميمها سواء في المؤسسات التعليمية العمومية أو الخصوصية أو في المراكز المتخصصة التي تسيروها هيئات وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة في مجال الإعاقة في سن التمدرس، وبفرض متساوية لجميع الأطفال، باعتبارها حقاً للطفل، وواجباً على الدولة والأسرة، إذ أضحت أمراً ملحا وضرورة اجتماعية، إلا أنه بالنظر إلى واقع حال الحاجات التربوية والتعليمية وتعميمها على جميع الأطفال الذين هم في سن التمدرس. و رغم وجود إطار تشريعي مشجع، ووجود استراتيجيات وطنية تتطور بشكل إيجابي لا يزال يصطدم بمجموعة من الصعوبات والحوادث التي تحد من استفادتهم منها. وذلك نتيجة لزيادة أعداد هذه الفئة وقلة المؤسسات التعليمية والمراكز التي تستقبلهم، واختلاف أنواع الإعاقات ودرجاتها من فرد لآخر، ومن حيث حجم ونوعية تلك الحاجات كما وكيفا. إضافة إلى كفايتها وجودتها. الأمر الذي يستدعي وجود أشخاص مهنيين، لديهم القدرة والكفاءة في مجال تلبية هذه الحاجات بالطرق المناسبة وحسن التعامل مع هذه الفئة. وتجدر الإشارة إلى ضرورة تطوير سياسة قطاعية تنموي اتجاه توفير الحاجات التربوية والتعليمية. وذلك من خلال تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار، وتكييف المناهج وتطويرها لتستجيب لحاجيات المتعلمين في وضعية إعاقة، ودعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي، والتعبئة الشاملة والتنسيق الفعال والتفاعل والتعاون والتشارك بين كافة المتدخلين من قطاعات حكومية وجماعات ترابية ومنظمات وجمعيات المجتمع المدني المعنية والآباء والأولياء والفاعلين والخبراء والمهتمين، وخلق جسور للتواصل بينها، وضمان التعليم الجيد المنصف والدامج للجميع، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة، وجودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للمتعلمين في وضعية إعاقة. علما بأن الحاجات التربوية والتعليمية ترتبط بالنمو الشامل للطفل، وقد يخلف عدم إشباعها، آثارا تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية سلبية لدى الطفل والأسرة والمجتمع.

وسوف تتناول الدراسة كلا من الإعاقات الذهنية والحركية والسمعية والبصرية وصعوبات التعلم والتوحد ومتعددي الإعاقات، حيث أنها الأكثر في المجتمع المغربي.

إن موضوع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة ومدى كفايتها وجودتها، قد حظي باهتمام لا بأس به من الباحثين في مجال الإعاقة، وأجريت بعض الدراسات للكشف عنها، وتشخيصها، ومن ثم إصدار توصيات لتحسينها، ومن هذه الدراسات (مرتبة زمنيا من الأقدم إلى الأحدث):

الدراسات السابقة:

ولاً: الدراسات العربية: أجرى الصمادي والسرطاوي (2001) دراسة هدفت إلى التعرف على مدى فاعلية مراكز التربية الخاصة، أشارت نتائجها إلى أن هناك فروق في فاعلية مراكز التربية الخاصة من حيث الجو التربوي، الإدارة، وخصائص المركز والمجتمع المحلي.

قام طيوب ودرويش وحسين (2011) بدراسة هدفت إلى التعرف على نظام إدارة الجودة وأثره على أداء مدارس التعليم الأساسي (الحلقة الثانية) في محافظة اللاذقية ، وتكونت عينة الدراسة من 23 مديرا ، و592 معلما ، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي ، ولتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث ببناء استبانة تكونت من 35 بنداً موزعة على خمسة محاور وهي: (تحسين أساليب وطرق العمل ، واستخدام فرق العمل ، وتحقيق رضا المستفيدين ، وإكساب العاملين مهارات الأداء الجيد في العمل ، وخدمة المجتمع المحلي) ، وأظهرت النتائج وجود درجة عالية من الوعي لدى المديرين ، ودرجة مقبولة لدى المعلمين حول مدى تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة وأثره على أداء المدارس .

وأشار الخطيب(2004) أنه من الضروري تشكيل فريق في المدرسة يعرف بفريق الدمج ويضم هذا الفريق كافة الأشخاص المسؤولين عن برامج الدمج في المدرسة ، ويجب على هذا الفريق أن يتحلى بروح التعاون والعمل بروح الفريق . فاحتياجات الطفل عديدة ومتنوعة وهي تفرص على المديرين ومعلمي الصفوف العادية ومعلمي التربية الخاصة وغيرهم من أعضاء فريق الدمج أن يعملوا ويتعاونوا معا .

حاولت دراسة عادل عبد الله محمد (2005) الكشف عن المتطلبات الرئيسة للدمج الشامل للأطفال غير العاديين في مدارس التعليم العام كمحور أساسي في سياسات التنمية البشرية بقطاع ذوي الاحتياجات الخاصة . وتوصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من المتطلبات اللازمة لنجاح تجربة الدمج منها خفض أعداد التلاميذ بالفصل ، إنشاء غرف للمصادر بكل مدرسة تتبع نسق التعليم العام ، التركيز في إعداد المعلم العام بكليات التربية على ضرورة إجادته للتعامل مع الأطفال غير العاديين من فئة واحدة فقط على أن يعمل بعد تخرجه من الكلية في تلك المدارس التي يتم فيها دمج الأطفال الذين يعانون من تلك الإعاقة توفير الأجهزة الحديثة والوسائل التكنولوجية المختلفة التي نحتاجها في سبيل التعامل والعمل مع هؤلاء التلاميذ وتوفير المعلمين والأخصائيين المطلوبين لذلك . وأوصت أن تكون هناك خطة قومية محددة المعالم للتنمية البشرية في قطاع ذوي الاحتياجات الخاصة ليتم الدمج الشامل في إطارها .

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

يؤكد هاس (Hass, 1999) أنه من واجب المختصين الاهتمام باستراتيجيات التدريس وأساليبه الحديثة ، مع مراعاة الفروق الفردية ، ما بين المتعلمين وتحديد الأهداف التعليمية والسلوكية والوجدانية مع ضرورة وضع معايير لتطبيق تقويم تدريس التربية الرياضية ، وبأساليب علمية حديثة .

دراسة تود (Todd,1995) هدفت الدراسة لمعرفة الاتجاهات السائدة لدى المديرين والمعلمين وأولياء الأمور عن دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في الصفوف العادية . وقد أشارت النتائج إلى أهمية تقديم التعليم للطلبة الذين يعانون من صعوبات تعلم على نطاق أوسع وفي أماكن مناسبة . مع تعديل في المناهج التعليمية ، والمهام التعليمية ، وتوفير غرف مصادر ومعلمين مختصين للتعامل مع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة وتدريب معلّمي الصفوف العادية ، وذوي العلاقة مع تلك الفئة من الطلبة لمعرفة كيفية التعامل معهم .

دراسة مالمسكوج وماكدونال (Malmskog, McDonnel,1999) التي هدفت إلى التعرف على الدور الحاسم الذي يلعبه المعلم في تهيئة بيئة صافية تحفز التفاعل الاجتماعي بين الأقران العاديين وغير العاديين ، وقد

أظهرت النتائج أن أساليب التدخل المناسبة لزيادة مستوى التفاعل الاجتماعي لدى العديد من الأطفال الذين قد لا ينزعون بطبعهم للتفاعل مع الغير .

دراسة مايلور (1993) Maylor، هدفت الدراسة إلى معرفة رأي معلمي غرف المصادر في الخدمات التي قدمت للطلبة المعاقين ، وما يواجههم من مشكلات في التعامل مع هؤلاء الطلبة ، ومن بين هذه المشكلات: نقص المناهج المخصصة لمثل هذه الفئة من الطلبة ، الأمر الذي يقلل من فاعلية الخدمات ، وقلة التمويل ، والدعم المالي المخصص لهذه الفئة من الطلبة ، وقلة المساندة التي يتلقاها المعلم من أصحاب القرار مما يعرض معلمي الطلبة المعاقين لكثير من الضغوطات ، هذا فضلا عن أهمية التواصل مع أولياء أمور الطلاب المعاقين ، وشملت عينة الدراسة مئة معلم من معلمي غرف المصادر ، وتوصلت الدراسة إلى بعض العوامل التي تسهم في تحسين تعليم الطلبة المعاقين ، والخدمات التي تقدم إليهم ومنها: ضرورة تقليل حجم طلبة الصف في غرف المصادر ، وتحسين ظروف العمل وتطوير أساليب واستراتيجيات التعليم ، وزيادة الوقت المخصص لتعاون معلم الطلبة المعاقين مع زملائه المعلمين العاديين.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بالنظر للدراسات السابقة، يتضح أن الدراسة الحالية تتفق مع الدراسات السابقة من حيث الموضوع والمجالات، فهي تناول الأطفال في وضعية إعاقة، والخدمات التربوية المقدمة لهم. فمعظم الدراسات السابقة أوصت بضرورة الاهتمام بالخدمات التربوية المقدمة للأطفال في وضعية إعاقة في المدارس العادية مع أقرانهم الآخرين أو بالمراكز المتخصصة من حيث: تهيئة البيئة الصفية، و فاعلية المراكز المتخصصة، و الدمج، و المناهج، و التكوين والتأهيل و التدريب، و مصادر التعلم، و التقييم التربوي، و توفير الفريق المتعدد الاختصاصات، و تطبيق نظام إدارة الجودة وأثره. وكذلك اتجاهات الفاعلين والمتعلمين وأولياء الأمور من الدمج. وجاءت هذه الدراسة استكمالاً للدراسات السابقة، و متميزة بموضوعها الذي يهدف إلى التعرف إلى واقع الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للأطفال في وضعية إعاقة ومدى كفايتها وجودتها في المجالات الآتية:

-تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار ؛

-تكييف المناهج وتطويرها ؛

-دعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي ؛

-تنظيم وتنسيق تدخلات مختلف الفاعلين في المجال ؛

-ضمان التعليم الجيد المنصف والدامج للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة ؛

-جودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة.

وكذلك تميزت هذه الدراسة بمجتمع وعينة الدراسة لأنها(بحسب علم الباحث)الدراسة الأولى في هذا الموضوع والتي تجرى ببعض المؤسسات التربوية بجهة سوس ماسة. كما أن معظم الدراسات السابقة وظفت أداة الاستبيان في الدراسة، أما هذه الدراسة فلم نكتف بالاستبيان، بل تم إجراء مقابلات مع ذوي الاختصاص ممن لهم علاقة بالموضوع.

مشكلة الدراسة:

رغم الاهتمام المتواصل الذي تشهده تربية وتعليم الأطفال في وضعية إعاقة من طرف مختلف الأوساط التربوية المغربية ، سواء في المؤسسات التعليمية أو المراكز المتخصصة أو في مختلف الأسلاك التعليمية ، إلا أنها لا تزال تواجه تمييزا وإقصاء وحواجزا تحول دون تلبية تلك الحاجات ، أهمها:
- قصور في تلبية الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للأطفال في وضعية إعاقة ، وعدم تغطيتها لجمع من يستحقونها ؛

- لا ترقى الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة سواء من الأسرة أو القطاعات الحكومية أو الهيئات أو جمعيات المجتمع المدني الفاعلة في مجال الإعاقة الى المستوى المطلوب ؛

- تقتصر الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة لفئات من الإعاقة دون غيرها ، وتتمركز في المدن ؛
- ضآلة دور الهيئات و جمعيات المجتمع المدني في تقديم الحاجات السابقة الذكر لفئة المتعلمين في وضعية إعاقة ؛

- صعوبة قدرة الحاجات التربوية والتعليمية على تحقيق الأهداف التي وضعت من أجلها ، بأقل جهد ووقت وكلفة وجودتها.

ومن هنا تتبلور مشكلة الدراسة الحالية في السؤال الرئيس التالي: " ما واقع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة وما مدى كفايتها وجودتها ببعض المؤسسات التربوية والتعليمية بجهة سوس بالمملكة المغربية ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس السؤالين التاليين :

- ما واقع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة بجهة سوس ماسة ومدى كفايتها ؟

- ما مدى جودة الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة بجهة سوس ماسة ؟

أهمية الدراسة: تتبلور أهمية الدراسة في تركيزها على شريحة من الأطفال في وضعية إعاقة باعتبارهم شريحة هامة في المجتمع ، كما تسهم الدراسة في التعرف على واقع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة ومدى كفايتها وجودتها ، ومحاولة التوصل إلى نتائج وتوصيات لتذليل العقبات. ومن المؤمل أن تكون أساسا ترتكز عليه الدراسات اللاحقة.

أهداف الدراسة:

- محاولة الوقوف على واقع الحاجات التربوية والتعليمية للطفل في وضعية إعاقة في المغرب.

- التوصل إلى مدى كفاية تلك الحاجات المقدمة من طرف الجهات المعنية.

- التوصل إلى تصور مقترح من أجل توفير وتطوير وتحسين مختلف الحاجات التربوية والتعليمية وجعلها ذات جودة.

- محاولة التوصل إلى نتائج وتوصيات من شأنها أن تسهم وتفيد في تطوير سياسة تربوية جديدة.

- الحاجة لمثل هذه الدراسات لكي تسد فجوة في الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالموضوع.

- تطوير وعي إيجابي للمجتمع والأسرة بقضايا الإعاقة.

حدود الدراسة:

الحد الموضوعي: دراسة واقع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة بعض المؤسسات التربوية والتعليمية بجهة سوس ماسة بالمملكة المغربية.

الحد المكاني: تم إجراء الدراسة في بعض المؤسسات التعليمية والمراكز المتخصصة بالجهة.

الحد الزمني: تم إجراء الدراسة خلال شهر مايو من السنة الدراسية 2018-2019م.

الحد البشري: عينة من الأطر الادارية والتربوية والمربين والأطر الشبه الطبية وأولياء وآباء الأطفال في وضعية إعاقة المسجلين بأقسام التربية الدامجة وأقسام عادية ومراكز متخصصة وممثلين عن جمعيات المجتمع المدني الفاعلة.

مصطلحات الدراسة الإجرائية:

الحاجات التربوية و التعليمية: تعددت تعريفات التربية وأثارت العديد من المناقشات. فهي مفهوم أوسع وأشمل بكثير من مفهوم التمدريس أو التعلم. فهي تشمل التعليم وطرائق التدريس والوسائل التعليمية والديالكتيكية في المؤسسات التعليمية العمومية والخصوصية، ومختلف الأنشطة التي تقام خارج المؤسسات. وكذلك مستوى كل أنواع التعلم التي يتلقاها الفرد طيلة حياته داخل الأسرة، ومع الأصدقاء، وفي المجتمع.

و أما إجرائياً فهي مجموعة المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم التي ينبغي للأستاذ أو المربي والمنهاج إشباعها لدى الطفل في وضعية إعاقة سواء في المؤسسات التعليمية أو في المراكز المتخصصة. وذلك لتعديل سلوكه، وتحقيق قدراته الكاملة ونموه الصحيح.

الطفل في وضعية إعاقة: جاء في وثيقة حقوق الطفل المادة الأولى "أن الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه".

وأما إجرائياً فهو طفل من بين فئات الأطفال في وضعية إعاقة و الذين يتراوح سنهم ما بين سن الولادة و 18 سنة، والذي هم في سن التمدريس، وشخصت حالتهم من طرف أطباء ومهنيين ومربين متخصصين أنهم في وضعية إعاقة.

كفاية الحاجات التربوية و التعليمية: يقصد بها إجرائياً الوقوف على مدى تلبية الحاجات التربوية والتعليمية لجميع الأطفال في وضعية إعاقة من خلال الوقوف على مستوى الخدمات المتعلقة بتوفير المؤسسات المستقطبة و البيئة التربوية والتعليمية و المناهج الدراسية المكيفة والوسائل والأساليب المناسبة والتقنيات المساندة وخدمات تعديل السلوك و برامج تنمية المهارات والقدرات والخدمات الترفيهية وتكوين الأطر الإدارية والتربوية وإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الممارسات الصفية وتوفير الولوجيات ومشاركة الأسرة والتوزيع الجغرافي وغيرها.

جودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة: يقصد إجرائياً بجودة الخدمات التربوية والتعليمية على أنها معيار لدرجة تطابق الأداء الفعلي لتلك الخدمات مع توقعات المستفيدين لهذه الخدمات. وتقاس على أساس كونها تمثل قدرة المؤسسات التربوية والتعليمية على تلبية الحاجات التربوية والتعليمية وإشباعها بشكل أفضل، واهتمامها بقضايا المستفيدين وأسرها و اقتراحاتهم وانطباعاتهم، ومدى رضا أو عدم رضاهم بالحاجات المقدمة.

المنهجية وإجراءات الدراسة:

منهج الدراسة: اعتمد الباحث في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بتوفير الوصف الدقيق للظاهرة المراد دراستها ، عن طريق جمع البيانات .

مجتمع الدراسة: شملت عينة الدراسة الأطر الادارية والتربوية والمربين والأطر الشبه الطبية ومراكز متخصصة وأولياء وآباء الأطفال في وضعية إعاقة وممثلين عن جمعيات المجتمع المدني الفاعلة بجهة سوس ماسة. بلغ عدد أفراد العينة الأساسية في الدراسة الحالية 50 (13 ذكور ، 37 إناث).

أداة الدراسة: تمثلت أدوات الدراسة الميدانية في أداة رئيسيه هي الاستمارة. حيث تكونت في شكلها النهائي من (74) عبارة موزعة على (6) محاور وهي:

الأول: تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار. و تكون من 14 عبارة.
الثاني: تكييف المناهج وتطويرها لتستجيب لحاجيات المتعلمين في وضعية إعاقة. و تكون من 13 عبارة.
الثالث: دعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي. و تكون من 8 عبارات.
الرابع: تنظيم وتنسيق تدخلات مختلف الفاعلين في مجال تربية وتكوين الأطفال في وضعية إعاقة. و تكون من 13 عبارة.

الخامس: ضمان التعليم الجيد المنصف والدامج للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة. و تكون من 12 عبارة.

السادس: جودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للمتعلمين في وضعية إعاقة. و تكون من 14 عبارة.

التحقق من صدق أداة الدراسة (الاستمارة) وثباتها:

صدق الاستمارة: تم التحقق من صدق الاستمارة من خلال عدة طرق ومنها: اعتمدت الدراسة صدق الأداة على صدق المحكمين حيث تم عرض استمارات الدراسة في صورتها الأولية على الدكتور المشرف على البحث للتحقق من مدى فعالية الاستمارة وتحقيقها الهدف من الدراسة ولدقة قياسها لها وضعت من أجله. وعلى 7 محكمين من أعضاء الأطر التربوية وأخصائيتين نفسائيتين ، وتم حذف بعض العبارات غير الملائمة ، كما تم تعديل بعضها ، وبلغ صدق المحكمين 98% ، مما يجعل الأداة مناسبة لقياس ما وضعت من أجله.

ثبات الاستمارة: لحساب ثبات الاستمارة تم استخدام معامل "الفا كرو نباخ" لحساب الثبات ، وأوضحت النتائج أن جميع معاملات ثبات الأبعاد مرتفعة وتراوحت قيم الثبات ما بين 0.771 حتى 0.969 مما يدل على أن الأداة لها ثبات مرتفع وصالحة للتطبيق.

الصورة النهائية للاستمارة: بعد حساب معاملي الصدق والثبات للاستمارة وإجراء التعديلات اللازمة ، بناء على اقتراحات السادة المحكمين تم التوصل إلى الصورة النهائية للاستمارة ، حيث تضمنت 6 محاور مختلفة يدور كل محور منها حول عدة عبارات تعبر عن هذا المحور.

التطبيق النهائي للاستمارة: تم تطبيق الاستمارة المستخدمة في الدراسة الميدانية بطريقة "الاتصال المباشر بأفراد العينة". حيث تم توزيع عدد 50 نسخة من الاستمارات ، واستردها الباحث كلها.

المعالجة الإحصائية: تم حساب المتوسطات الحسابية والمتوسطات الوزنية ، الانحراف المعياري ، الفروق بين المتوسطات باستخدام اختبار " ت " وتحليل التباين والنسب المئوية ، معاملات الارتباط .

عرض النتائج و تفسيرها:

سيتم عرض نتائج الدراسة بناء على تسلسل محاور الدراسة وأسئلتها. وفيما يلي توضيح لهذه النتائج.

أولاً: الإجابة عن السؤال الأول:والذي ينص على " ما واقع الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة بالمؤسسات التعليمية والمراكز المتخصصة ومدى كفايتها؟

بالنسبة للمحور الأول: تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار: من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور الأول (تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار)، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (3.512)، وانحصر بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (3.8) بنسبة (76.4) وبين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.15) بنسبة (63.16).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقاً للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً، وذلك على النحو التالي:

إن عبارة رقم 10 يشارك المتعلمون في البرامج والأنشطة الثقافية والفنية والرياضية والترفيهية بمتوسط حسابي بلغ 3.802 وبنسبة 76.04. ويعزو ذلك إلى مساهمة جمعيات المجتمع المدني في برمجة وإنجاز تلك الأنشطة.

والعبارة رقم 13 تفتح المؤسسة التربوية والتعليمية على محيطها الخارجي بمتوسط حسابي بلغ 3.784 و بنسبة 75.68. ويعود ذلك إلى عقد شراكات مع جمعيات المجتمع المدني ومؤسسات مختلفة باعتبار المؤسسات التربوية فضاء عمومياً منفتحاً على الجميع.

والعبارة رقم 9 توفر الجمعيات الفاعلة وسائل النقل للمتعلمين بمتوسط حسابي بلغ 3.734 و بنسبة 74.68. ويعزو الباحث ذلك إلى انخراط بعض الجماعات الترابية، وجمعيات المجتمع المدني في تربية وتعليم الأطفال في وضعية إعاقة. كما أن هذه الجمعيات تستفيد من الدعم المادي لصندوق دعم صندوق التماسك الاجتماعي التابع لوزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية في إطار تدخلاتها في مجال الإعاقة.

والعبارة رقم 7 يتم توسيع العرض التربوي ليغطي مجموع تراب العمالة الجبهة بمتوسط حسابي بلغ 3.734 و بنسبة 74.68. ويعود ذلك إلى زيادة إقبال آباء وأولياء الأطفال في وضعية إعاقة على التسجيل في المؤسسات التعليمية العمومية والمراكز المتخصصة. إذ بلغت لائحة الانتظار في بعض المراكز المتخصصة المئات. مما يحرم هذه الفئة من حقها في التربية والتعليم.

والعبارة رقم 6 تستخدم المؤسسات التربوية والجمعيات الفاعلة القياس والتشخيص والتصنيف لأنواع الإعاقات ودرجاتها بمتوسط حسابي بلغ 3.707 و بنسبة 74.14. وقد يعزى ذلك إلى قلة الأطر المتخصصة. رغم توفر بعض هذه التخصصات لدى بعض جمعيات المجتمع المدني، إلا أنها قليلة مقارنة مع كثرة عدد المستفيدين منها. إضافة إلى ضعف استخدام المقاييس الحديثة في عمليات القياس والتشخيص.

والعبارة رقم 12 تتوفر شروط السلامة والأمن والوقاية داخل المؤسسة بمتوسط حسابي بلغ 3.581 و بنسبة 71.621. ويرجع ذلك إلى التعاون والتنسيق الفعال بين جميع الفاعلين والمتدخلين المؤسساتيين والجمعويين.

والعبارة رقم 8 تتواجد بالأقسام والمراكز المستقبلية للأطفال في وضعية سمعية وبصرية مترجم لغة الإشارة وطريقة "برايل". بمتوسط حسايي بلغ 3.469 وبنسبة 69.38. ويعزو الباحث ذلك إلى دور المنظمات والجمعيات الفاعلة في المجال ، والتي توفر هذه الخدمات.

والعبارة رقم 4 يشارك آباء وأولياء الأمور أحيانا في برامج و أنشطة المؤسسة بمتوسط حسايي بلغ 3.459 و بنسبة 69.18. ويعود ذلك إلى وعي بعض آباء وأولياء أمور الأطفال بأهمية المشاركة في تنفيذ تلك الأنشطة خصوصا المناسباتية.

والعبارة رقم 5 تحسن المؤسسات التربوية المستقبلية شروط الاستقبال (حق التربية) بمتوسط حسايي بلغ 3.414 وبنسبة 68.28. ويرجع ذلك إلى تفعيل الترسنة القانونية والتنظيمية والإدارية الخاصة بالأطفال في وضعية إعاقة. وتوفير اللوجيات المعمارية. وإن كانت بوتيرة بطيئة.

والعبارة رقم 11 تدرج أقسام التربية الدامجة بمشروع المؤسسة ، و تفعل مجالس المؤسسة بمتوسط حسايي بلغ 3.374 و بنسبة 67.48. ويعزو الباحث ذلك إلى أن بعض المؤسسات التعليمية العمومية تدرج أقسام التربية الدامجة بمشروع المؤسسة ، رغم عدم تفعيله في أحيان كثيرة. أما في المراكز المتخصصة فتفعيل مشروع المؤسسة في مرحلة الإنجاز. وذلك من طرف وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية ، باعتبارها القطاع الوصي.

والعبارة رقم 14 يتم تنفيذ التشريعات والقوانين التنظيمية ذات الصلة بالتربية بمتوسط حسايي بلغ 3.365 و بنسبة 67.30. ويعود ذلك إلى التزامات المملكة المغربية التي تحددها تلك التشريعات والقوانين. إضافة إلى الترافع الذي تقوم به تحالفات وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة في مجال الإعاقة.

والعبارة رقم 3 يتم تأهيل المؤسسات التربوية والتعليمية بالولوجيات المادية والتواصلية ، وتجهيزها بالوسائل الضرورية بمتوسط حسايي بلغ 3.297 و بنسبة 65.94. ويعود ذلك إلى تنفيذ قانون اللوجيات ، الذي يتضمن مقتضيات خاصة بالولوجيات خاصة بضوابط البناء العامة وتصاميم التهيئة المنصوص عليها في القانون رقم 90 12 المتعلق بالتعمير الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1. 92. 31 المؤرخ في 17 يونيو 1992. وقيام وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بتجهيز تلك المؤسسات بالوسائل الضرورية. إلا أنها غير كافية. أما المراكز المتخصصة فتتوفر على لوجيات معمارية وتواصلية (لغة الإشارة وطريقة البرايل) ، إلا أن الوسائل الضرورية فلا تتوفر بشكل كاف. وضعف استخدام الوسائل الحديثة.

والعبارة رقم 1 يقوم الفريق المتعدد الاختصاصات بهمامه بمتوسط حسايي بلغ 3.297 و بنسبة 65.94. ويعزو الباحث ذلك إلى غياب هذا الفريق أصلا في المؤسسات التعليمية العمومية أو الخصوصية اللهم ما توفره بعض الجمعيات الشريكة. وفي المراكز المتخصصة والجمعيات الفاعلة ، يقوم هذا الفريق بهمامه اتجاه المستفيدين من مختلف الخدمات. إلا أن هذا الفريق ينقصه التنظيم والتنسيق والتعاون والتكامل.

والعبارة رقم 2 توضع جسور بين المراكز المتخصصة و المدارس بمتوسط حسايي بلغ 3.158 وبنسبة 63.16. ويعود ذلك إلى غياب التنسيق بين الجهات المؤسساتية والجمعية المعنية بتربية وتعليم الأطفال في وضعية إعاقة.

و الجدير بالذكر أن تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية وخصوصا البيئة المعمارية المادية (الفضاءات والمرافق والتجهيزات) لأقسام التربية الدمجة والمراكز المتخصصة وبالمؤسسات التعليمية الخصوصية. وكذلك البيئة التواصلية والتفاعلية تكتسي أهمية قصوى لتكون محفزة ومبدعة وتميز بالابتكار. **المحور الثاني:** تكييف المناهج وتطويرها لتستجيب لحاجيات المتعلمين في وضعية إعاقة.

من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور الثالث تكييف المناهج وتطويرها لتستجيب لحاجيات المتعلمين في وضعية إعاقة، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (3.612)، محصور بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (4.144) بنسبة (82.88) و بين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.239) بنسبة (64.78).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقا للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً، وذلك على النحو التالي: العبارة رقم (6) يتم تدبر الفضاءات داخل المؤسسات التربوية والتعليمية بطريقة ملائمة بمتوسط حسابي بلغ 4.144 و بنسبة 82.88. ويرجع ذلك إلى تجربة الأطر الإدارية والتربوية وجمعيات المجتمع المدني في المجال.

والعبارة رقم (12) تعتمد الاستقلالية وتغيير أو تعديل السلوك في العملية التربوية بمتوسط حسابي بلغ 3.892 و بنسبة 77.84. ويعزو الباحث ذلك إلى توفر جل جمعيات المجتمع المدني على أخصائيين نفسانيين وأخصائيين في التقييم النفسي الحركي، تقدم خدماتها للأطفال سواء في المؤسسات التعليمية العمومية أو في المراكز المتخصصة.

والعبارة رقم (5) يدبر الزمن المدرسي بالمؤسسات التربوية بشكل مناسب بمتوسط حسابي بلغ 3.770 و بنسبة 75.40. ويعود ذلك إلى تنفيذ النصوص التشريعية المتعلقة بتدبير الزمن المدرسي بالمؤسسات التعليمية العمومية، وفي المؤسسات التعليمية الخصوصية فيطبق الزمن المدرسي العادي. أما في المراكز المتخصصة فيخضع لتكييف ملائم.

والعبارة رقم (10) يعتمد أسلوب التحفيز والتعزيز الفوري من حين لآخر بمتوسط حسابي بلغ 3.752 و بنسبة 75.04. ويعزو ذلك إلى استخدام بعض الجمعيات الفاعلة لطريق (ABA) مع أطفال التوحد. كما يتم اعتماد أسلوب التحفيز المعنوي. وكذلك يشارك المتفوقون من الأطفال في وضعية إعاقة في حفل التميز السنوي، وتمنح لهم جوائز.

والعبارة رقم (8) تراعى الفروق الفردية بين الأطفال بمتوسط حسابي بلغ 3.676 و بنسبة 73.52. ويرجع ذلك إلى تقيي الأطفال إلى مجموعات حسب نوع ودرجة الإعاقة.

والعبارة رقم (9) يفعل المشروع البيداغوجي الفردي والمشروع التربوي الفردي بمتوسط حسابي بلغ 3.662 و بنسبة 73.24. ويعزو ذلك إلى تفعيل المشروع التربوي الفردي في بعض المراكز المتخصصة. والمشروع البيداغوجي التربوي ببعض المؤسسات التعليمية (أقسام التربية الدامجة) وإن كان بشكل مختصر. وغياب تام لهذا المشروع بالمؤسسات التعليمية الخصوصية.

والعبارة رقم (13) يكسب الأطفال معلومات جنسية صحيحة وكافية بمتوسط حسابي بلغ 3.613 و بنسبة 72.26. ويعود ذلك إلى تنفيذ مضامين المنهاج الدراسي الذي يتضمن بشكل ضمني بعض المعلومات حول

التربية الجنسية. فيما يخص المراكز المتخصصة، فتقام ورشات تكوينية من حين لآخر للمربين حول الموضوع. وتغيب الورشات التحسيسية والتوعوية للآباء وأولياء الأمور حول كيفية التعامل مع الأطفال المراهقين علما بأنهم يمرون من نفس مراحل نمو الآخرين.

والعبارة رقم (11) يتم استخدام تقنيات تربوية مناسبة، ويستعمل التعلم عن طريق اللعب والممارسة بمتوسط حسابي بلغ 3.586 و بنسبة 71.72. ويعود ذلك إلى ضعف التكوين الأساس والتكوين المستمر. وضعف في استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة.

والعبارة رقم(1) تتوفر الحاجات التربوية بما يتناسب واحتياجات المتعلمين ويعزز قدراتهم وينمي مواهبهم بمتوسط حسابي بلغ 3.455 و بنسبة 69.10. ويعود ذلك إلى اعتماد معلومات ومهارات واتجاهات وقيم بشكل عام لا تراعي الفروق الفردية ولا تقيس القدرات والمواهب. إضافة إلى ضعف الاشتغال بالمشروع التربوي الفردي والمشروع البيداغوجي الفردي، الذين يراعيان الفروق الفردية.

والعبارة رقم (4) يتم ضبط وملاءمة وتكييف المنهاج الدراسي وأساليب التربية والتعليم والمراقبة المستمرة والامتحانات الإشهادية بمتوسط حسابي بلغ 3.423 و بنسبة 68.46. ويعزو ذلك إلى ضعف التكوين المستمر والتأطير والمواكبة التربوية للفاعلين المباشرين. وتبقى نسبة المتعلمين المستفيدين من تكييف المراقبة المستمرة والامتحانات الإشهادية قليلة. بالرغم من تواجد مذكرات وزارية في هذا الشأن. أما في بعض المراكز المتخصصة فتكتفي ببعض التقارير البسيطة في انتقال الأطفال بين القاعات أو الأفواج ولا توظف الطرق العلمية.

والعبارة رقم (3) تجهز المؤسسات التربوية والتعليمية بالمعينات الديدانكتيكية الملائمة لحاجات المتعلمين بمتوسط حسابي بلغ 3.374 و بنسبة 68.48. ويرجع ذلك إلى التفاوت ما بين المؤسسات، فبعضها يتوفر على معينات ديدانكتيكية حديثة وملائمة، وأخرى لا تتوفر عليها. إضافة إلى ضعف استعمال التكنولوجيا الحديثة. والعبارة رقم (2) تستعمل طرق نشطة في التربية والتعليم بمتوسط حسابي بلغ 3.374 و بنسبة 67.48. ويعزو ذلك إلى استعمال طرق تقليدية. إضافة إلى ضعف التكوين المستمر.

والعبارة رقم (7) تستخدم تقنية التكنولوجيا الحديثة في إعداد و تنفيذ البرامج التربوية والتدريس بمتوسط حسابي بلغ 3.239 و بنسبة 64.78. ويعود ذلك إلى ضعف التمويل، وعدم تملك تقنيات الاستخدام عند بعض الفاعلين. وكذلك إلى طغيان التقنيات التقليدية.

المحور الثالث: بالنسبة للمحور الثالث دعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي. من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور الثالث دعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (3.708)، محصور بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (3.919) بنسبة (78.38%)، و بين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.5) بنسبة (70%).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقاً للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً، وذلك على النحو التالي: العبارة رقم3 تعدل المسميات من لفظ معاقين إلى لفظ ذوي الإعاقة إلى عبارة ذوي الاحتياجات الخاصة وأخيراً الطفل في وضعية إعاقة بالمؤسسات التعليمية. بمتوسط حسابي بلغ 3.919 و بنسبة 78.381. ويعزو

الباحث ذلك إلى الحملات التحسيسية والتوعوية التي تقام من حين لآخر بالمؤسسات التربوية والتعليمية. ويتم توحيد استعمال لفظة "الأطفال في وضعية إعاقة" من طرف القطاعات الوصية على الإعاقة الذي يرتبط بالمقاربة الاجتماعية للإعاقة.

والعبارة رقم 4 تحارب التمثيلات والصور النمطية والمواقف والاتجاهات السلبية عن الإعاقة بالمؤسسات وخارجها. بمتوسط حسابي بلغ 3.851 و بنسبة 77.021. ويعود ذلك إلى دور بعض المنظمات والجمعيات الفاعلة في القيام بحملات توعوية ، تساهم في تغيير والاتجاهات والمواقف السلبية. وإن كانت مواقف بعض الآباء والمسؤولين لاتزال سلبية.

والعبارة رقم1 تدرج مواضيع الإعاقة في الجامعات ، وتشجع البحوث والدراسات حول الإعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 3.698 و بنسبة 73.96. ويرجع الباحث ذلك إلى ارتباطها بشعبة علم الاجتماع دون غيرها. ويطلق عليها الطابع النظري.

والعبارة رقم7 يخضع المتدخلون الأساسيون في الفعل البيداغوجي للتكوين على مستوى المؤسسات التربوية والتعليمية. بمتوسط حسابي بلغ 3.698 و بنسبة 73.96. ويعزو الباحث ذلك إلى قلة الدورات التكوينية التي ترمجها القطاعات الوصية.

والعبارة رقم2 يتم التأطير والمواكبة للمؤسسات التعليمية في مجال التربية الدامجة بمتوسط حسابي بلغ 3.739 و بنسبة 74.78. ويعود ذلك إلى غياب مؤطرين متخصصين في مجال الإعاقة وضعف التأطير التربوي.

العبارة رقم8 يتم توفير الأطر التربوية لجميع المؤسسات المحتضنة لأقسام التربية الدامجة بشكل كاف. بمتوسط حسابي بلغ 3.613 و بنسبة 72.26. ويعزو الباحث ذلك إلى الخصائص المسجل في الأطر التربوية. إضافة إلى إعطاء بعض المسؤولين الأولوية للأقسام الأخرى.

العبارة رقم 5 تدرج وحدات الإعاقة بمركز تكوين المفتشين ومراكز مهن التربية و التكوين بمتوسط حسابي بلغ 3.653 و بنسبة 73.06. ويرجع ذلك إلى ضعف إدراج المجزوءات الخاصة بالإعاقة بتلك المراكز. بل لم يعد برمجتها بمراكز مهن التربية و التكوين مؤخرا.

العبارة رقم 6 يتم تقييم أداء الفاعلين بشكل منتظم بمتوسط حسابي بلغ 3.500 و بنسبة 70.00. ويعود ذلك إلى قلة المؤطرين المتخصصين. وغياب أهداف واضحة من عملية التقييم.

المحور الرابع: بالنسبة للمحور الرابع تنظيم وتنسيق تدخلات مختلف الفاعلين في مجال تربية وتكوين الأطفال في وضعية إعاقة.

من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور الرابع تنظيم وتنسيق تدخلات مختلف الفاعلين في مجال تربية وتكوين الأطفال في وضعية إعاقة ، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (3.948)، محصور بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (4.26) بنسبة (85.22) و بين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.64) بنسبة (72.98).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقا للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً ، وذلك على النحو التالي:

العبارة رقم 3 تساهم الجمعيات الفاعلة والقطاع الخاص في تحسين بيئات التعلم واستيعاب الأطفال في التعليم الأولي و باقي الأسلاك التعليمية. بمتوسط حسابي بلغ 4.261 و بنسبة 85.22. ويعزو الباحث ذلك إلى اتفاقيات الشراكة المبرمة في المجال. إضافة الى دينامية الجمعيات وتجربتها. إلا أن تجربة التعليم الأولي لم تراوح مكانتها بعد ، رغم نضج الفكرة.

والعبارة رقم 7 تدعم المؤسسات التربوية من طرف الشركاء لسد جوانب النقص بمتوسط حسابي بلغ 4.243 و بنسبة 84.86. ويرجع ذلك إلى دور الشركاء كالجماعات الترابية والجمعيات الفاعلة التي توفر وسائل النقل للأطفال ذهابا وايابا. وتوفير المرشدين والمساعدين والفريق المتعدد الاختصاصات. وقيامها بأنشطة وبرامج اجتماعية وثقافية وترفيهية.

والعبارة رقم 6 تقام الحملات التحسيسية الخاصة بالإعاقة بمتوسط حسابي بلغ 4.099 و بنسبة 81.98. ويرجع ذلك إلى دور بعض المنظمات والجمعيات الفاعلة. رغم قلتها وضعف جودتها.

والعبارة رقم 12 تساهم جمعيات المجتمع المدني الفاعلة في تطوير برامج الوقاية والتدخل المبكر للحد من الإعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 4.090 و بنسبة 81.80. ويعزى ذلك إلى قلة المتخصصين في مجال برامج الوقاية والتدخل المبكر. وكثرة مهامهم.

والعبارة رقم 13 يوجد ضعف في دور وسائل الإعلام في تنمية وعي المجتمع وتشجيع التعليم للأطفال في وضعية إعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 4.086 و بنسبة 81.72. ويعود ذلك إلى طغيان البرامج ذات الطابع المنسباتي (اليوم العالمي للأشخاص المعاقين واليوم الوطني للأشخاص المعاقين). إضافة إلى عدم استعمال أحيانا المفاهيم الحديثة حول الإعاقة.

والعبارة رقم 10 تستثمر الجهات الفاعلة في مشاريع تربوية ملائمة وذات طابع محلي بمتوسط حسابي بلغ 3.951 و بنسبة 79.02. ويرجع ذلك إلى وعي تلك الجهات بأهمية الاستثمار في المجال. إضافة إلى تنزيل الالتزامات الخاصة بالتشريعات والقوانين ذات الصلة.

والعبارة رقم 4 تقدم برامج الدعم التربوية والاجتماعية. بمتوسط حسابي بلغ 3.905 و بنسبة 78.10. ويعزى ذلك إلى مساهمة بعض الجمعيات الفاعلة في تقديم الدعم التربوي للمتعلمين. كما تقدم أيضا مختلف أنواع الدعم الاجتماعي كالنقل والتغذية والأنشطة الاجتماعية. ويقدم القطاع الوصي المنح الخاصة بالمبيت والتغذية واللوازم المدرسية.

والعبارة رقم 5 يتم المطالبة بإعمال حق الأطفال في التربية من طرف جمعيات المجتمع المدني. بمتوسط حسابي بلغ 3.892 و بنسبة 77.84. ويعود ذلك إلى اهتمام بعض الجمعيات بمواكبة بعض حالات الأطفال غير الممدرسين أو المنقطعين عن الدراسة. والتدخل لدى الجهات المهنية.

و العبارة رقم 2 يعبأ الفاعلون على كل المستويات من أجل ضمان تربية و تكوين جيدين للأطفال في وضعية إعاقة بمتوسط حسابي بلغ 3.878 و بنسبة 77.56. ويعزى ذلك إلى ضعف تعبئة بعض الفاعلين. إضافة إلى ضعف الآليات والإمكانيات.

والعبارة رقم 1 يتم التنسيق والتواصل والتعاون والشراكة مع مختلف المتدخلين والمعنيين لتلبية مختلف الحاجات التربوية والتعليمية بمتوسط حسابي بلغ 3.860 و بنسبة 77.20. يعود ذلك إلى ضعف التنسيق وعدم تحيين بعض الشراكات. وغياب أطر خاصة بالتواصل لدى الجمعيات.

والعبارة رقم 8 تعالج جل القضايا المرتبطة بتربية الأطفال في وضعية إعاقة من طرف المسؤولين بمتوسط حسابي بلغ 3.761 و بنسبة 75.22. ويعزى ذلك إلى تعدد القضايا. وغياب إرادة سياسية لدى البعض. إضافة إلى ضعف الإمكانيات.

والعبارة رقم 9 يتم توفير الإحصائيات اللازمة المتعلقة بالإعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 3.649 و بنسبة 72.98. يعود ذلك إلى غياب آليات إحصائية ومتخصصين في المجال. إضافة إلى غياب معايير تحديد الإعاقات ودرجاتها.

والعبارة رقم 11 يضعف الدور التطوعي المجتمعي في مجال تلبية الحاجات التربوية بمتوسط حسابي 3.649 بلغ و بنسبة 72.98. يرجع ذلك إلى عدم الوعي بأهمية التطوع في المجال. إضافة إلى غياب قوانين توطر عملية التطوع بمختلف المؤسسات التربوية والتعليمية.

المحور الخامس: بالنسبة للمحور الخامس ضمان التعليم الجيد المنصف والدامج للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة: جدول (8) متوسط الاستجابة لكل عبارة والانحراف والنسبة المئوية بالنسبة للمحور الرابع: من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور ، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (4.164)، محصور بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (4.396) بنسبة (87.92) و بين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.97) بنسبة (79.46).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقاً للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً ، وذلك على النحو التالي: العبارة رقم 2 تهتمش المراكز المتخصصة للأطفال وتقوم بعزلهم. بمتوسط حسابي بلغ 4.396 و بنسبة 87.92. يعزو الباحث ذلك إلى انغلاق المراكز المتخصصة على نفسها ، واستقبالها لأطفال في وضعية إعاقة باختلاف إعاقاتهم ودرجاتها. مما يؤدي إلى حرمانهم من الدمج الأكاديمي والاجتماعي رفقة الآخرين.

والعبارة رقم 8 تفعل المؤسسات التعليمية مفهوم التربية الدامجة. بمتوسط حسابي بلغ 4.257 و بنسبة 85.14. يعود ذلك إلى كون التربية الدامجة مفهوماً حديثاً في المنظومة التربوية. ويعمل القطاع الوصي على التربية جاهداً على تفعيله.

والعبارة رقم 11 يحرص الأطر الإدارية والتربوية في المؤسسات التعليمية والمراكز المتخصصة على معاملة الأطفال في وضعية إعاقة بعيداً عن الشفقة والعطف. بمتوسط حسابي بلغ 4.252 و بنسبة 85.04. والعبارة رقم 1 يقيم الأطفال في وضعية إعاقة علاقات صداقة مع زملائهم الآخرين. بمتوسط حسابي بلغ 4.252 و بنسبة 86.40. ويرجع ذلك إلى مشاركة الأطفال في وضعية إعاقة مع بعضهم البعض في القيام بأنشطة مشتركة داخل المراكز المتخصصة أو خارجها.

والعبارة رقم 3 توسع الخدمات الاجتماعية مثل النقل وبرنامج "تيسير" والمنح بمتوسط حسابي بلغ 4.221 و بنسبة 83.16. ويعزى ذلك إلى انخراط الجمعيات في توفير تلك الخدمات مقابل استفادتها من صندوق دعم التماسك الاجتماعي. إضافة الى توفير وزارة التربية الوطنية لمنح (الداخلي) للمتعلمين ذوي الاعاقة السمعية. والعبارة رقم 10 ترتفع نسبة ولوج الفتيات إلى الأسلاك التعليمية باستمرار. بمتوسط حسابي بلغ 4.158 و بنسبة 83.16. يعزى ذلك إلى وعي الآباء والأولياء بضرورة تلمس الفتيات أسوة بباقي الأطفال الآخرين. إضافة الى توفير وسائل النقل التي تحد من مخاوفهم.

والعبارة رقم 12 تراعى الفروق الفردية في التعلم والاكساب. بمتوسط حسابي بلغ 4.149 و بنسبة 82.98. يعود ذلك إلى ضعف تفعيل المشروع الفردي والبيداغوجي والمشروع التربوي الفردي اللذين يراعيان الفروق الفردية.

والعبارة رقم 7 يتم خفض نسبة الهدر المدرسي في صفوف الأطفال في وضعية إعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 4.126 و بنسبة 82.52. ويعود ذلك إلى توسيع العرض التربوي، ومتابعة الأطفال في وضعية إعاقة في جميع الاسلاك التعليمية، وتوفير الدعم الاجتماعي (وسائل النقل)، والمنح.

والعبارة رقم 6 تستوعب المؤسسات التربوية والتعليمية جميع الأطفال الذين هم في سن التلمس بمتوسط حسابي بلغ 4.099 و بنسبة 81.98. يرجع ذلك إلى دور الجمعيات التي تعمل على توفير وسيلة النقل. إضافة إلى توسيع بنية أقسام التربية الدامجة في المؤسسات التعليمية. إلا أن المراكز المتخصصة لاتزال عاجزة عن استقطاب جميع الأطفال نظرا لمحدودية طاقتها الاستيعابية، وزيادة الطلبات.

والعبارة رقم 4 يقاس أداء المؤسسات التربوية باستمرار. بمتوسط حسابي بلغ 4.068 و بنسبة 81.36. يرجع ذلك إلى غياب متخصصين ووسائل القياس. وإلى عدم استثمار نتائج القياس.

والعبارة رقم 5 توفر وزارة الصحة الفريق المتعدد التخصصات. بمتوسط حسابي بلغ 4.027 و بنسبة 80.54. يعزى ذلك إلى ضعف انخراط وزارة الصحة في توفير مختلف التخصصات.

والعبارة رقم 9 يساهم الشركاء في توفير التعليم الأولي. بمتوسط حسابي بلغ 3.973 و بنسبة 79.46. يعود ذلك إلى كون تجربة توطين أقسام التعليم الأولي للأطفال في وضعية إعاقة لاتزال قيد الدراسة.

ثانياً: الإجابة عن السؤال الثاني والذي ينص على "ما مدى جودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للمتعلمين في وضعية إعاقة؟"

المحور السادس جودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للمتعلمين في وضعية إعاقة:

من خلال المعطيات والبيانات الواردة اتضح ما يلي:

إن نتائج تحليل المحور السادس جودة الحاجات التربوية والتعليمية للأطفال في وضعية إعاقة، قد حصل على متوسط عام بلغ قيمته (3.512)، محصور بين متوسط حسابي مرتفع بلغ (3.8) بنسبة (76.4) وبين متوسط حسابي منخفض بلغ (3.15) بنسبة (63.16).

إن العبارات التي حصلت على أعلى وفقاً للمتوسط الحسابي لها جاءت مرتبة تنازلياً، وذلك على النحو التالي:

إن العبارة رقم 10 يرضى المتعلمون وأبائهم وأولياء أمورهم عن الخدمات التربوية المقدمة ويثقون في المؤسسات التربوية بمتوسط حسابي بلغ 3.802 و بنسبة 76.04. ويعزو الباحث ذلك إلى ملاساتهم للنتائج المحققة ، إن على مستوى الدمج المدرسي أو الاستقلالية أو المهارات الحياتية أو التواصل وتعديل السلوك. والعبارة رقم 9 ترمز الشراكة ويتم التعاون بين المؤسسة التربوية والمنظمات وجمعيات المجتمع المدني والأسرة بمتوسط حسابي بلغ 3.784 و بنسبة 75.68. ويعود ذلك إلى تواجد جمعيات متخصصة وفاعلة وذات تجربة. إضافة إلى تواجد منسقين إقليميين لملف التربية الدامجة بجميع المديرات الإقليمية للوزارة يقومون بالتدبير الإداري والتربوي لذلك الملف.

والعبارة رقم 6 يتم توسيع الطاقة الاستيعابية لاستقبال الأطفال بمتوسط حسابي بلغ 3.734 و بنسبة 74.68. ويعزى ذلك إلى التزامات المملكة المغربية الخاصة بالتشريعات والقوانين المتعلقة بتربية الأطفال في وضعية إعاقة. وكذلك إلى حملات التوعية والتحسيس والترافع الذي تقوم بها تحالفات وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة.

والعبارة رقم 7 يتم حماية المتعلمين من كل إساءة بمتوسط حسابي بلغ 3.734 و بنسبة 74.68. ويرجع ذلك تحسيس الفاعلين بخطورة الإساءة باعتبارها جريمة يعاقب عليها القانون. إضافة إلى تكثيف عمليات المراقبة خصوصا في المراكز المتخصصة.

والعبارة رقم 5 يتابع المتعلمون مساهمهم الدراسي في جميع الأسلاك التعليمية بمتوسط حسابي بلغ 3.707 و بنسبة 74.14. ويعود ذلك إلى متابعة جل الأطفال في وضعية إعاقة تربيتهم ودراساتهم سواء في المؤسسات التعليمية بالنسبة لذوي الإعاقات الذهنية والحركية والسمعية والبصرية والصعوبات التعلم والتوحد. وبالمراكز المتخصصة بالنسبة لمتعددي الإعاقات.

والعبارة رقم 11 يتم تقوية كفاءة الأطر الإدارية وتطوير الممارسات المهنية باستمرار بمتوسط حسابي بلغ 581.3 و بنسبة 71.621. ويعزى ذلك إلى قيام الجهات الوصية بورشات تكوينية من حين لآخر. إلا أنها لم تستطع تغطية جميع الفاعلين. إضافة إلى غياب مؤطرين متخصصين في مجال تربية الأطفال في وضعية إعاقة. والعبارة رقم 12 تقدم البرامج الطبية والشبه الطبية والتأهيلية للمتعلمين. بمتوسط حسابي بلغ 3.469 و بنسبة 69.38. ويرجع ذلك إلى فئة عريضة من المتعلمين الذين يستفيدون من خدمات الجمعيات الفاعلة والتي تستفيد من صندوق دعم التماسك الاجتماعي سواء في أقسام التربية الدامجة أو المراكز المتخصصة. لكن تلك البرامج تحتاج إلى قياس مدى جودتها.

والعبارة رقم 8 يتم إنصاف وتكافؤ فرص الأطفال في وضعية إعاقة في التربية مع الآخرين بمتوسط حسابي بلغ 3.459 و بنسبة 69.18. ويعود ذلك إلى تفعيل التشريعات والقوانين الخاصة بتربية الأطفال في وضعية إعاقة. إضافة إلى التغيير الملحوظ على مستوى تغيير المواقف والاتجاهات اتجاه قضايا الإعاقة.

والعبارة رقم 2 تستخدم التكنولوجيا والاتصال داخل المنظومة التربوية بمتوسط حسابي بلغ 3.414 و بنسبة 68.28. ويرجع ذلك إلى ضعف التمويل واستخدام الوسائل التقليدية.

والعبارة رقم 13 يتم تكييف المناهج والبرامج والمحتوى وطرائق وأساليب التدريس والتقويمات والامتحانات بمتوسط حسابي بلغ 3.374 و بنسبة 67.48. ويعزى ذلك إلى ضعف التأطير وقلة تجربة بعض الأطر التربوية في

مجال تدريس هذه الفئة. إضافة إلى غياب مراجع مكيفة وجاهزة. كما أن جميع طلبات تكييف الامتحانات المقدمة للجهات المختصة، يتم الاستجابة لها بشكل إيجابي.

والعبارة رقم 1 يتم ملائمة البنية التحتية للمؤسسات التعليمية. بمتوسط حسابي بلغ 3.365 و بنسبة 67.30. ويرجع ذلك إلى ضعف في التصميم المعمارية التي لا تأخذ بعين الاعتبار احتياجات الأطفال في وضعية إعاقة، والمرافق الصحية اللازمة، وضعف الوسائل التعليمية، والمناهج الدراسية غير الملائمة والمكيفة. وكذلك ضعف استخدام التكنولوجيا والأنترنت، وضعف توفير بيئة عمل سليمة ومشجعة تركز على الطفل ورغباته واحتياجاته.

والعبارة رقم 4 يلبى النظام التربوي الاحتياجات التربوية والتعليمية الفردية والمتنوعة لمختلف فئات الإعاقة ويزيد الإحساس بالرضا لدى جميع العاملين في المؤسسات بمتوسط حسابي بلغ 3.297 و بنسبة 65.94. ويعزى ذلك إلى ضعف ضبط وملاءمة وتكييف المناهج الدراسية. إضافة إلى ضعف القياس والتشخيص لفئات ودرجات الإعاقات.

والعبارة رقم 14 تنجز الدراسات و البحوث الأكاديمية والتطبيقية عن الإعاقة. بمتوسط حسابي بلغ 3.297 و بنسبة 65.94. ويعود ذلك إلى ضعف التأطير. إضافة إلى أن الدراسات والبحوث المنجزة يطفى عليها الطابع النظري.

والعبارة رقم 3 تهتم المؤسسات التعليمية والمراكز المتخصصة والمنظمات وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة بمفهوم التخطيط الاستراتيجي للارتقاء بالجودة وتعتبرها أساسية بمتوسط حسابي بلغ 3.158 و بنسبة 63.16. ويعزى ذلك إلى أن غياب التخطيط الاستراتيجي، والأطر المؤهلة في مجال التخطيط الاستراتيجي خصوصا في المراكز المتخصصة.

النتائج العام للدراسة الميدانية:

أشارت الدراسة إلى أن هناك عددا كبيرا من نقاط القوة في المنظومة التربوية للأطفال في وضعية إعاقة بجهة سوس ماسة يجب تعزيزها ودعمها، وقد جاءت تلك النقاط في المراتب المتقدمة لاستجابات أفراد العينة. إلا أن هناك نقط سلبية في واقع وكفاية وجودة الحاجات المقدمة لتلك الشريحة جاءت مرتبة في المراتب المتأخرة.

وبصورة إجمالية، وفي ضوء النتائج التي سبقت الإشارة إليها، ومسح الواقع، يتضح أن جميع المتوسطات للمحاور المتضمنة في أداة الدراسة وهي تحسين البيئة التحتية للمؤسسات التربوية والتعليمية المحفزة للإبداع والابتكار، وتكييف المناهج وتطويرها لتستجيب لحاجيات المتعلمين في وضعية إعاقة، ودعم قدرات الموارد البشرية الفاعلة والمتدخلة في المجال التربوي، وتنظيم وتنسيق تدخلات مختلف الفاعلين في مجال تربية وتكوين الأطفال في وضعية إعاقة، وضمان التعليم الجيد المنصف والدامج للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة، وجودة الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للمتعلمين في وضعية إعاقة. قد تراوحت (3.742)، وهي قيمة تتعدى متوسط (3) التي تم اعتمادها نقطة قطع للدلالة على واقع الحاجات التربوية والتعليمية المقدمة للأطفال في وضعية إعاقة بجهة سوس ماسة ومدى كفايتها وجودتها.

إن السعي نحو توفير البرامج والخدمات التربوية والتعليمية المقدمة للأطفال في وضعية إعاقة وتطويرها وتحسين جودتها ضرورة ملحة، وحق في ضوء ما أقرته التشريعات والقوانين الدولية والوطنية الخاصة بالأشخاص في وضعية إعاقة. كما أنها أضحت ضرورة لتلبية احتياجات هذه الفئات. وكذلك العمل على تطويرها لتحقيق خدمة نوعية ذات جودة.

توصيات: في ضوء الدراسة الحالية، يوصي الباحث بما يلي:

-مأسسة الفريق المتعدد التخصصات بمعية كافة الشركاء وتمكينه من القيام بمهامه؛

-وضع جسور واضحة بين المراكز المتخصصة والمدارس؛

-تصميم وإنتاج طرق نشطة في التربية والتعليم؛

-توظيف تقنية التكنولوجيا الحديثة في إعداد و تنفيذ البرامج التربوية والتدريس؛

-ضرورة إدراج وحدات الإعاقة بمرکز تكوين المفتشين ومراكز مهن التربية والتكوين؛

-أهمية تأهيل الفاعلين وإجراء تقييم لأدائهم بشكل منتظم؛

-توفير الإحصائيات اللازمة المتعلقة بالإعاقة؛

-تقوية الدور التطوعي المجتمعي في مجال تلبية الحاجات التربوية؛

-أهمية مساهمة الشركاء في توفير التعليم الأولي؛

-ضرورة تكييف النظام التربوي وتأهيله ليلبي الاحتياجات التربوية والتعليمية الفردية والمتنوعة لمختلف

فئات الإعاقة؛

-أهمية زيادة الإحساس بالرضا لدى جميع العاملين في المؤسسات والآباء، اتجاه عملية تربية وتعليم الأطفال

في وضعية إعاقة؛

-إنجاز الدراسات والبحوث الأكاديمية والتطبيقية عن الإعاقة.

قائمة المراجع:

- السريع، إحسان (2011). فاعلية الخدمات المقدمة في مؤسسات التربية الخاصة في الأردن في ضوء نتائج تقييم الحاجات للمستفيدين من هذه الخدمات، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا. الأردن.

- طيوش، محمود، ودرويش، رمضان، وحسين، محمود (2011). منظور إدارة الجودة الشاملة وأثره على أداء مدارس التعليم الأساسي (ح2) دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 33 (2)، 117-137. اللاذقية، سورية.

- الوابلي، عبد الله (2006). مناهج التربية الخاصة في ظل المستجدات الحديثة. ملتقى واقع التربية الخاصة في المملكة العربية السعودية. 19_20 صفر. مركز الملك فهد الثقافي الرياض..

- الخطيب، جمال، والحديدي، منى (2007). المدخل الى التربية الخاصة. دار الفلاح، العين: الإمارات العربية المتحدة.

- الخطيب، جمال. (2004). تعليم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية مدخل إلى مدرسة الجميع. عمان، الأردن: دار وائل للطباعة والنشر.

- الشريف، عبد الله بن فهد(1426هـ). المشكلات التي تواجه التربية الخاصة وسبل التغلب عليها - مع دراسة صعوبة التعلم عند التلاميذ. مجلة المعرفة. العدد 152.

- الصمادي، جميل، السرطاوي، عبد العزيز. (2001). تقييم فاعلية مراكز التربية الخاصة في دولة الامارات العربية المتحدة. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 13، 129-165.

- عادل عبد الله محمد (2005) المتطلبات الرئيسية للدمج الشامل للأطفال غير العاديين في مدارس التعليم العام كمحور أساسي في سياسات التنمية البشرية بقطاع ذوي الاحتياجات الخاصة رؤية مستقبلية ، مجلة كلية التربية ، جامعة بنى سويف ، عدد4.

-Benoit, H., & Plaisance, E. (2009). L'éducation inclusive en France et dans le monde, Ed. INSHEA, NRAS, hors-série n°5.

-Hass, G. (1999). Curriculum planning, A new approach, Boston : Allyn and Bacon.

-Maylor, C.:1993, Class Teachers faces upon group responses, Journal of personality and social psychology, 73,267-283.

-Todd,: 1995 "A Mexican perspective on learning Disabilities" Journal of Learning Disabilities. Mexico November. 28(9).

-Malmskog, Suzan& McDonnell, Andrea, 1999: "Teacher a mediation of Engagement by children with development Deles in inclusive pre-schools" Topics in Early Childhood special Education, Volume 19:4, pp.203-216.

أثر التقويم التربوي المكيف في تطوير المهارات الأكاديمية للتلاميذ الديسليكسيين المستوى الرابع ابتدائي نموذجاً.

“The impact of pedagogical evaluation adapted on the development of academic skills for
dyslexic students Of the fourth grade in the elementary school.”

أ. محمد الشتاوي

مفتش بوزارة التربية الوطنية المغربية

د. محمد ليسيكي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/جامعة ابن زهر – أكادير- المغرب

مقدمة:

يعتبر الفعل القرائي من أهم المهارات التي تستهدف المدرسة الابتدائية إكسابها للمتعلم في هذه المرحلة العمرية ، ويتم الاشتغال عليها كهدف رئيسي على اعتبار أنها هي المدخل الأساسي للانفتاح على باقي التعليمات الأخرى من علوم وفنون وغيرها ، وهذا ما جعل الباحثين يهتمون بشكل متزايد بالديسليكسيا سواء من الناحية العصبية أو المعرفية أو التربوية ، لكونها تدخل ضمن مسمى "الإعاقة الخفية" والتي يتميز أصحابها بذكاء متوسط أو فوق المتوسط ، ولا يعاني من أي عجز أو قصور ظاهر ، وبالتالي يصعب الكشف داخل الفصول الدراسية عن هؤلاء الأطفال لعدم وجود مقاييس تشخيصية رسمية تتبناها وزارة التربية الوطنية المغربية ، وبالتالي ينظر إليهم كمتدرسين مهملين لواجباتهم المدرسية أو لا رغبة لديهم في التعلم ، مما يزيد من احتمالية اتخاذ هؤلاء الأطفال لمواقف سلبية من المدرسة والت مدرسو عموما .

من جهة أخرى نجد أن التقويمات التربوية بمختلف أنواعها بالمدرسة تكون موحدة بين تلامذة المستوى الدراسي الواحد ، فيطلب من المتعلم الديسليكسي قراءة النصوص القرائية أثناء تقويمه في مكون القراءة مثلا إسوة بزملائه " الأسوياء " وهو الأمر الذي يضرب عرض الحائط مبدأي الإنصاف وتكافؤ الفرص بين جميع المتعلمين .

وسنركز خلال دراستنا هذه على الجانب التربوي وبالتحديد في شقه التقويمي ، حيث تبدو لنا مشروعية طرح الأسئلة التالية:

هل يكون التقويم التربوي مدخلا من مداخل التخفيف من حدة الديسليكسيا؟

هل الممارسات التقويمية الحالية بالمدرسة المغربية تراعي الفوارق الفردية بين المتعلمين؟

هل يمكن للتقويمات التربوية المكيفة أن تؤثر إيجابا في تطور المهارات الأكاديمية للتلاميذ الديسليكسيين؟

ومن خلال هذه الأسئلة الفرعية نصوغ السؤال الإشكالي التالي:

ما هو أثر التقويمات التربوية المكيفة على المتعلمين الديسليكسيين؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى الوقوف على مدى تأثير التقويمات التربوية المكيفة في تطوير المهارات الأكاديمية للأطفال الديسليكسيين بالمرحلة الابتدائية، والهدف الأسمى من ذلك هو تسليط مزيد من الأضواء على اضطرابات التعلم، بهدف إنتاج عدة بيداغوجية تقويمية تراعي خصوصيات هذه الفئة من المتعلمين، تتضمن تقويمات تشخيصية، وتقويمات تكوينية، وأطر مرجعية للتقويمات الإشهادية، كما تتضمن الكفايات الأساسية والمستعرضة، والتي يجب أن يمتلكها المتعلم الديسليكسي في كل مستوى دراسي على حدة، مراعاة لمبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص بين جميع المتعلمين، ضمن مدرسة دامجة تراعي الفرق وتقبل الاختلاف.

الدراسات السابقة: لم نقف على دراسات وبحوث اهتمت تحديدا بالتقويمات التربوية واثرها في تطور التعلّمات الأكاديمية للمتعلمين الديسليكسيين، ولكن حسب اطلاعنا يمكن عرض بعض مما وجدنا فيه فائدة لبحثنا، وفي ما يلي عرض لأهم الدراسات التي تصب في نفس منحى دراستنا:

الدراسة الأولى: تحت عنوان: أساليب التقويم التربوي وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة؛ وهي دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية لمدينة عين فكرون، تقدمت به الباحثة عناب خولة لنيل شهادة الماستر تخصص إدارة وتسيير تربوي برسم الموسم الجامعي 2014-2015 عن جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علوم التربية.

ملخص الدراسة: استهدفت هذه الدراسة معرفة علاقة أساليب التقويم التربوي بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، من وجهة نظر الأساتذة وهذا من خلال محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيسي الذي مفاده ما هي علاقة أساليب التقويم التربوي بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة؟ والذي تفرعت عنه فرضيتين جزئيتين هما:

- الاختبارات المقالية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة.
- الاختبارات الموضوعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة.
- دلت النتائج على وجود علاقة بين الاختبارات الموضوعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة.
- كما دلت على وجود علاقة بين الاختبارات المقالية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر الأساتذة لكن بنسبة معتبرة، وهذا رجع لمستوى التلاميذ في هذه المرحلة كعدم قدرتهم على التحليل والنقد والتقويم وغيرها.

الدراسة الثانية: بحث قامت به الباحثة فطيمة بدري لنيل شهادة الماستر تخصص لسانيات تعليمية برسم الموسم الجامعي 2016 - 2017 بجامعة محمّج خضير بسكرة، بالجمهورية الجزائرية، تحت عنوان: "التقويم المستمر وأثره في تفعيل التحصيل الدراسي" مرحلة التعليم المتوسط أنموذجا-

استهدفت الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:- ما الأسس التي يقوم عليها التقويم المستمر؟ كيف يساهم التقويم المستمر في تفعيل التحصيل الدراسي؟ ما مدى إسهام المعلم والمتعلم في تعديل آلية التقويم المستمر؟ لتخلص في نهاية البحث إلى جملة من النتائج أهمها أن عملية التقويم المستمر تهدف إلى تطوير

عملي وعلاجي وتوفر التغذية الراجعة للمتعلمين من أجل الوقوف على جوانب القوة والضعف لديهم ، كما يكشف التقويم المستمر عن ميول المتعلمين ، ويساعد على تحديد نقاط ضعفهم ، وبالتالي تحفيزهم على الاجتهاد.

الدراسة الثالثة: قام به الباحث Benoit Galand, Université de Louvain من الجامعة الكاثوليكية "لوفان" البلجيكية ، حول موضوع: الممارسات التقويمية وتأثيرها على تحفيز المتعلمين ، وعلى تقدير الذات لدى المتعلمين.

Le type de pratiques d'évaluation mises en œuvre par un enseignant influence-t-il le style motivationnel et l'image de soi de ses élèves ?

واختار الباحث عينته من 240 تلميذا بالمستوى الخامس والسادس ابتدائي ، واستمارة وجهت للأساتذة ، وخلصت الدراسة إلى وجود أثر إيجابي للممارسات التقويمية ، ودورها في الرفع من حافزية المتعلمين ، ومن تقديرهم لذواتهم.

الدراسة الرابعة: تحت عنوان " التقويم وأثره على علاقة الأستاذ بالمتعلم " L'impact de l'évaluation sur la relation maître-élève ، وهو بحث قام به Christophe Chapuis بتاريخ 2011 من جامعة لوزان السويسرية بالمدرسة العليا للبيداغوجيا ، حيث خلص إلى الأثر الإيجابي الذي يخلقه التقويم في العلاقة بين الأستاذ والتلميذ.

مصطلحات الدراسة:

مفهوم الديسليكسيا: ويطلق عليها "عسر القراءة" أيضا ، وقد وقفنا من خلال بحثنا على تعريف عدة حاولت مقارنة مفهوم الديسليكسيا وسنقتصر على تعريفين اثنين:

تعريف الجمعية الدولية للديسليكسيا التي وصفته باضطراب في اللغة ذو مرجعية بنائية تتميز بصعوبات ناتجة عن المعالجة الفونولوجية ، وصعوبة في فك الرموز متفاوتة بشكل واضح مع عمر الطفل ، فضلا عن قدراته ومهاراته المعرفية والأكاديمية ، وهي لا تعود إلى تأخر عام في النمو أو اضطراب حسي (the international dyslexia association, 12 novembre 2002,http:// www.interdys.org

تعريف ISABELLE BARRY التي تصف الديسليكسيا بكونها اضطراب في استعمال اللغة المكتوبة ، وهو اضطراب مزمن نلاحظ فيه الاستمرارية والنوعية (Isabelle Barry 2001).

وقد خلصنا إلى أن الديسليكسيا تعد اضطرابا في فعل القراءة ، وهو من أكثر الموضوعات انتشاراً بين التلاميذ ، وتتجسد مشكلته بالأساس في عدم القدرة على التحكم في العمليات الذهنية المركبة التالية:

ضعف التمييز البصري وعدم القدرة على التحكم في حركة العينين خلال قراءة أسطر الصفحة ؛

عدم التعرف على الأصوات الخاصة بتلك الرموز المكتوبة (الحروف)؛

ضعف في الإدراك البصري ، بمعنى عدم القدرة على التمييز بين الحروف المتشابهة على مستوى الرسم والمختلفة على مستوى النطق (ب - ن - ت - ي - ث...)؛

ضعف على مستوى الوعي الفونولوجي الصوتي ؛

ضعف على مستوى الإدراك السمعي ؛

ضعف على مستوى التمييز الصوتي ؛
عدم القدرة على فهم معاني الكلمات في الجملة ؛
صعوبة في بناء أفكار جديدة مع الأفكار التي يعرفها من قبل ؛
والطفل الذي يعاني من الديسليكسيا يكون لديه اختلال في واحد أو أكثر من تلك العمليات العقلية التي يقوم بها المخ للوصول إلى القراءة السليمة ، تتمثل هذه الصعوبات فيما يلي :
حذف بعض الكلمات أو أجزاء من الكلمة المقروءة ، فمثلاً عبارة (أكلت الطعام) قد يقرأها التلميذ (أكل الطعام) (مكتبة) قد يقرأها (كتب).
- إضافة بعض الكلمات غير الموجودة في النص الأصلي إلى الجملة ، أو بعض المقاطع أو الأحرف إلى الكلمة المقروءة فمثلاً جملة (لعبت الكرة) قد يقرأها (لعبت بالكرة) أو (لعبت الكرة في الملعب) .
- إبدال بعض الكلمات بأخرى قد تحمل بعضاً من معناها ، فمثلاً قد يقرأ كلمة " القوي " قد يقرأها " الشجاع " ، " المثابر " قد يقرأها " المجتهد " .
- إعادة بعض الكلمات أكثر من مرة بدون أي مبرر فمثلاً قد يقرأ (راجع أحمد دروسه) فيقول (راجع أحمد / راجع أحمد دروسه).
- قلب أحرف بعض الكلمات وتغييرها من مكانها ، حيث يقرأ التلميذ الكلمات أو المقاطع معكوسة ، وكأنه يراها في المرآة : فقد يقرأ كلمة (ولد) فيقول (دلو) وأحياناً يخطيء في ترتيب أحرف الكلمة ، فقد يقرأ كلمة (تبن) فيقول (بنت) .
- ضعف في التمييز بين الأحرف المتشابهة رسماً ، والمختلفة لفظاً مثل: (ع و غ) أو (ج و ح و خ) أو (ب و ت و ث و ن) أو (س و ش) وهكذا .
- ضعف في التمييز بين الأحرف المتشابهة لفظاً والمختلفة رسماً مثل : (ك و ق) أو (ت و د و ظ و ض) أو (س و ز) وهكذا ، وهذا الضعف في تمييز الأحرف ينعكس بطبيعة الحال على قراءته للكلمات أو الجمل التي تتضمن مثل هذه الأحرف ، فهو قد يقرأ (توت) فيقول (دود) مثلاً .
- ضعف في التمييز بين أحرف العلة فقد يقرأ كلمة (فول) فيقول (فيل) .
- صعوبة في تتبع مكان الوصول في القراءة وازدياد حيرته ، وارتباكها عند الانتقال من نهاية السطر إلى بداية السطر الذي يليه أثناء القراءة .
- قراءة الجملة بطريقة سريعة وغير واضحة .
- قراءة الجملة بطريقة بطيئة كلمة كلمة. "صعوبات التعلم طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية(أبونيان ، 2015 ، ص 123).

مفهوم التقويم: هو نتيجة قياس الفرق بين الأهداف المسطرة والنتائج المحققة ؛ وهو عملية جمع وتصنيف وتحليل وتفسير بيانات أو معلومات كمية أو كيفية ، عن ظاهرة أو موقف أو سلوك ، بقصد استخدامها في إصدار حكم أو اتخاذ قرار بخصوص الشيء الذي يقوم ؛ وهو سيرورة تهدف إلى تقدير المردودية الدراسية وصعوبات التعلم عند شخص ، بكيفية موضوعية ، بالنظر إلى الأهداف الخاصة ؛ وذلك من أجل

اتخاذ أفضل القرارات الممكنة المتعلقة بتخطيط مساره المستقبلي. (الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي ، منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، 2011، ص 55).

نخلص مما سبق إلى أن التقويم عملية تستهدف تحديد الفرق بين التعلم الفعلي والأهداف التعليمية المنشودة، و والحكم على مدى امتلاك المتعلم للكفايات المستهدفة ، والوقوف على مكامن الخلل لديه ، بغية تحديد أفضل الاستراتيجيات لتجاوزها.

أنواع التقويم: ينقسم التقويم التربوي إلى ثلاثة أنواع باعتبار العامل الزمني ، وهي: التقويم التشخيصي: ويكون في مستهل التعلم ، في بداية حصة دراسية أو سنة دراسية جديدة ، يقيس من خلاله الأستاذ مدى تمكن المتعلم من التعلّم السابقة والضرورية لبناء التعلّم الجديدة.

وحسب الدليل البيداغوجي فالتقويم التشخيصي: " قد يطلق عليه أيضا التقويم القبلي أو التمهيدي أو الاستكشافي، ويهدف إلى فحص وضعية الانطلاق وتعرف خصائص المتعلمين قبل الشروع في العملية التعليمية. يكون في بداية السنة الدراسية أو بداية الأسدوس أو الوحدة أو الدرس أو الحصة الدراسية ، وهو تقويم يفيد في معرفة المكتسبات السابقة ، والكشف عن مواطن الخلل في تحصيل التعلّم والمتعلمين . تكون وظيفة هذا التقويم تنبؤية بالنسبة للأستاذ حيث تخبره عن مدى وجود الموارد المساعدة على بناء التعلّم الجديدة ، وبناء على نتائج التقويم التشخيصي يخطط الأستاذ للتعلّم التي يستهدف إرساءها مع متعلمه ، مراعيًا خصوصياتهم المعرفية والاجتماعية والسلوكية والمهارية.

التقويم التكويني: ويكون مسيرا لبناء التعلّم ومواز لها ، ويعرفه الدليل البيداغوجي كالتالي: "يطلق عليه التقويم الجزئي أو المرحلي أيضا ، ويتم في غضون السنة أو الفترات الدراسية ، أو يتخلل مراحل الدرس أو الحصة ، وهو مجموعة من الإجراءات العملية التي تتخلل عملية التدريس بهدف توجيه تحصيل المتعلمين في الاتجاه الصحيح ، وتحديد جوانب القوة لتعزيزها ، ومواطن الضعف لمعالجتها ، وإطلاع التعلّم والمتعلمين على نتائج تعلمهم ، وإثارة دافعيتهم وحفزهم على الاستمرار في عملية التحصيل. ويمكن أن يتم ذلك بجعل التعلّم والمتعلمين يواجهون وضعيات ديدكتيكية تكشف وتخلل تمثلاتهم السابقة ، ويستند هذا النوع من التقويم على بيداغوجيات كثيرة منها بيداغوجيا الخطأ ؛ كما يهتم هذا النوع من التقويم بتتبع سيورة التعلّم بالتعديل والتغيير والتقوية ، ويهدف إلى معيرة التعلّم الدراسية واكتشاف صعوبات وأخطاء التعلّم لعلاجها ، وتمكين المتعلم من التقويم الذاتي.

نخلص هنا إلى أن زمن هذا التقويم يكون خلال إرساء الموارد وبناء التعلّم ، وأن وظيفته توجيهية وتعديلية بالنسبة للأستاذ والمتعلم على حد سواء. (الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي ، منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، 2011، ص 56).

التقويم الإجمالي: يأتي هذا النوع الثالث من التقويم بعد نهاية التعلّم ، ويكون بمثابة إسهاد على تمكن المتعلم من الكفايات المسطرة خلال السنة الدراسية ، كما أن من بين تسمياته " التقويم الأشهادي " لكونه يتوج بحصول المتعلم على شهادة تعليمية تبين درجة تمكنه من الأهداف المسطرة سلفا في المستوى الدراسي الذي ينتمي إليه. ويطلق عليه أيضا التقويم البعدي أو الختامي أو الجزائي أو النهائي.

" ويتم من خلال التقويم الإجمالي وضع التقديرات الكمية والنوعية، والحكم على مستوى المتعلمات والمتعلمين، وبالتالي اتخاذ القرارات المناسبة بشأن تحصيلهم أو تقييهم أو انتقالهم إلى مستوى أرقى. ومن حوامل هذا النوع من التقويم في المدرسة الابتدائية نجد المراقبة المستمرة والامتحان الموحد على صعيد المؤسسة التعليمية، والامتحان الإقليمي الموحد الخاص بالمستوى السادس الابتدائي. (الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي، منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، 2011، ص 56).

أهمية التقويم: تسعى المدرسة عموماً إلى تمرير مجموعة من القيم الكونية والوطنية والأخلاقية ومجموعة من المعايير المجتمعية إلى الناشئة المتمدرسة، والتقويم بدوره يستهدف ترسيخ مجموعة من القيم نوردها كالتالي:

العدل : النزاهة والموضوعية والمصادقية والحد من الأحكام المسبقة ؛
المساواة : تكافؤ الفرص وعدم التمييز في جميع تجلياته ؛
الإنصاف : استحضار الفوارق الفردية، وجعل التقويم مناسباً للمستوى الحقيقي للمتعلّقات والمتعلمين. (الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي، منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، 2011، ص 55).

وما يهمنا في بحثنا هذا، من خلال عرض أهمية التقويم هو طرح الأسئلة التالية:

هل يعمل التقويم فعلاً على تحقيق العدل وضمان تكافؤ الفرص بين المتعلمين ؟
هل يراعي التقويم فعلاً الفوارق الفردية بين المتعلمين حسب ما تنص عليه الرسومات التربوية الصادرة في هذا الشأن ؟

التقويم المكيف: هو عبارة عن اختبارات يتم تعديلها وتكييفها حسب خصوصيات الفئة المستهدفة، وقد جاء في المقرر الوزاري الصادر بتاريخ 30 مارس 2017 تحت رقم 011-17 في شأن دفتر مساطر تنظيم امتحانات نيل شهادة الدروس الابتدائية بوزارة التربية الوطنية المغربية، ما يدل على صيغ تكييف امتحانات الأطفال في وضعية إعاقة ظاهرة (كالإعاقات الذهنية والتوحد) أو إعاقة خفية (الديسليكسيا)، وكما وضحت ذلك أيضاً المذكرة الوزارية 071x17 الصادرة بتاريخ 05 يونيو 2017 في شأن تكييف اختبارات الامتحانات الشهادية لنيل شهادة الدروس الابتدائية: " تتحدد صيغة التكييف في تحويل أسئلة الاختبار الأصلي الذي يتم اعتماده إلى أسئلة مغلقة من صنف صحيح / خطأ، والاختيار من المتعدد، وأسئلة الوصل، وأسئلة الترتيب، وذلك لجميع المواد بالامتحان". (المذكرة الوزارية 071x17 الصادرة بتاريخ 05 يونيو 2017 في شأن تكييف اختبارات الامتحانات الشهادية لنهاية السلكين الابتدائي والاعدادي لفائدة المترشحين في وضعية إعاقة).

بالإضافة إلى تكييف الامتحان أضاف المشرع المغربي في دفتر مساطر تنظيم الامتحانات لنيل شهادة الدروس الابتدائية 2019، إمكانية استفادة التلاميذ الذين يعانون من عسر القراءة والكتابة من مرافق ومن إضافة ثلث الوقت المخصص للاختبارات. (وزارة التربية الوطنية المغربية، دفتر دفتر مساطر تنظيم الامتحانات لنيل شهادة الدروس الابتدائية 2019، ص 10، المادة 28).

المهارات الأكاديمية: المهارات الأكاديمية مصطلح مركب من كلمتين، وسنحاول أولاً تعريف المهارة على اعتبار أنه مفهوم مفتاحي، وعلى اعتبار التداخل الذي نجده لدى معظم المهتمين بين مفهومي المهارة والقدرة، ثم سنعرج على التعريف الكلي للمهارات الأكاديمية في علاقتها بالمهارات النمائية.

مفهوم المهارة (Skill): تعرف المهارة بأنها القدرة المتعلقة بأداء مهمة سواء كانت حركية أو معرفية (Campbell, 2002). وهناك من يعرفها بأنها القدرة على القيام بالعمل بسرعة ودقة أو قدرة من قدرات الفرد على القيام بعمل بسرعة ودقة مع الإتقان في الأداء (Church, 1996). بينما يعرفها هاريس (Harris, 2002) بأنها سلوك متكرر ويتكون من سلسلة من الأداءات بطريقة ثابتة نسبياً. فالمهارة هي استعداد خاص يتكون عند الفرد نتيجة للتدريب والخبرة والإتقان، بينما مفهوم القدرة (Ability) فيشير إلى الاستعداد العام عند الفرد نتيجة عوامل داخلية أو خارجية تهيئ له اكتساب تلك القدرة.

في علاقة بموضوع بحثنا "الديسليكسيا" وهي أحد أنواع اضطرابات التعلم الأكاديمية، وقفنا على أن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع بحثنا قسمت المهارات إلى نمائية وأكاديمية، وحددت المهارات الأكاديمية في التحصيل والتعلم الدراسي المرتبط بالقراءة والكتابة والتهجي والتعبير الكتابي والتعبير الشفهي والحساب، في حين انصب تعريف المهارات النمائية على القدرة على التمييز البصري والسمعي والذاكرة البصرية والسمعية والتكامل البصري الحركي والانتباه والتركيز، كما تم التأكيد على الترابط الوثيق بين المهارات الأكاديمية والنمائية، وتأثير كل منها على الأخرى، بحيث أن النجاح في مهارة الكتابة وهي مهارة أكاديمية يقتضي تطور مهارات نمائية متعددة من سبيل: القدرة على التمييز البصري والسمعي والذاكرة البصرية والسمعية والتكامل البصري الحركي، والتي تعد متطلبات أساسية لازمة للنجاح في مهام الكتابة.

كم أن تعلم القراءة، والتي هي بدورها مهارة أكاديمية يتطلب الكفاءة في القدرة على فهم واستخدام اللغة، ومهارات الإدراك السمعي لمعرفة أصوات حروف الكلمات (الوعي أو الإدراك الفونيمي)، وكذلك يتطلب القدرة البصرية على التمييز وتحديد الحروف والكلمات، وإدراك العلاقات بين الشكل والكل والجزء في الوحدات المقروءة، وهي كلها مهارات نمائية، كما أن تعلم الرياضيات يعتبر أيضاً مهارة أكاديمية، يتطلب كفايات و مهارات نمائية متنوعة، كالتصور البصري المكاني "التموقع في الفضاء"، والمفاهيم الكمية والمعرفية بمدلولات الأعداد وقيمتها، وترتبط كذلك بالقدرة على التفكير والاستنتاج.

وهذا التداخل بين صعوبات التعلم الأكاديمية والنمائية هو ما جعل الباحثين في هذا المجال يؤكدون على عدم إهمال اضطرابات التعلم النمائية عند دراسة اضطرابات التعلم بوجه عام، بل يؤكدون على ضرورة تحديد اضطرابات التعلم النمائية في وقت مبكر، حيث يُعد ذلك بمثابة تشخيص أولي لاضطرابات التعلم الأكاديمية قبل انتشارها وظهورها، ومن ثم يساعد ذلك في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة هذه المشكلة وعلاجها قبل استفحالها، وهذا ما يعتبره البعض نوعاً من الوقاية الأولية للمشكلة (الزغبي، 2002).

منهج الدراسة: طبيعة الموضوع الذي نود الإحاطة به، تقتضي منا تبني المنهج التجريبي، باعتباره بحثاً تجريبياً يهدف إلى التعرف على أثر التقويم التربوي المكيف عند الأطفال الديسليكسيين.

التصميم التجريبي المعتمد في هذا البحث من نوع التصميم التجريبي ذي المجموعتين المتكافئتين، إحداهما ضابطة والأخرى تجريبية، في بداية الأمر تم القياس القبلي على المجموعتين معاً (التجريبية والضابطة)، بعدها تعرضت المجموعة التجريبية للاختبار البعدي المكيف، ثم تمت المقارنة بين نتائج المجموعتين.

وذلك بإخضاعهما لاختبار القراءة، الذي تضمن فقرة قرائية مذيلة بأسئلة الفهم، سيأتي وصفها في محور أدوات البحث.

أدوات الدراسة: من أجل جمع المعلومات اعتمدنا خلال بحثنا الميداني على نوعين من الاختبارات، الأول بصيغة اعتيادية، كما ألفه المتعلمون في اختبارات فهم المقروء، والثاني اختبار تم تكيفه مع استحضر خصوصيات هذه الفئة من المتعلمين الديسليكسيين، والاختبار هو عبارة عن فقرة قرائية تتضمن مستويين من الفعل القرائي، وهما:

-مستوى فك الرمز: ويستهدف التحقق من مدى قدرة المتعلم على قراءة الكلمات والجمل، وذلك من خلال ربط المقاطع المكتوبة وتحويلها إلى منطوق، مع احترام علامات الترقيم، ومخارج الحروف، و الطلاقة، والسرعة في القراءة.

-مستوى فهم المقروء: وهو عبارة عن أسئلة مفتوحة تستهدف تقييم الفهم، وذلك من خلال طرح أسئلة حول شخصيات وأحداث وأماكن و زمن النص كحد أدنى للمستوى الأول من مستويات الفهم القرائي.

أما الاختبار الثاني ويمثل المتغير المستقل في الدراسة، وسميناه بالاختبار البعدي، وقد تعرضت له المجموعة التجريبية، وهو عبارة عن اختبار مكيف، يتضمن نفس مضمون الاختبار القبلي غير أن الفقرة القرائية تمت كتابتها بمقياس أكبر للحروف، وتم حذف الفضلى المتمثلة في التعابير اللغوية الزائدة التي لا تؤثر على المعنى الكلي للفقرة القرائية، كما تم الاحتفاظ بنفس أسئلة الفهم، غير أنه تم تحويلها من أسئلة مفتوحة إلى أسئلة مغلقة، تتضمن الإجابة بصحيح أو خطأ، وبالاختبار من متعدد، وبالوصل بسهم، وبالتسطير أو إحاطة الجواب الصحيح، كما تمت إضافة مدة زمنية زائدة للمتعلمين من أجل إنجاز الاختبار المكيف مقارنة مع الغلاف الزمني الذي خصص للاختبار القبلي. وقد مهدنا لهذين الاختبارين بتوزيع قبلي على عينة مصغرة بمديرية الحوز التابعة لأكاديمية مراكش-أسفي، ثم قمنا بتعديلها تبعاً لما بدا لنا من ملاحظات. كما اعتمدنا على الاستمارة كأداة لجمع المعلومات أيضاً، وهي استمارات وجهت للأساتذة العاملين بالأقسام التي يتمدرس بها التلاميذ الذين يعانون من الديسليكسيا.

عينة البحث: تمثلت عينة البحث في 32 تلميذا وتلميذة من أصل 371 متعلما بالمستوى الرابع ابتدائي، يدرسون بستة مدارس ابتدائية بمديرية مراكش، تضم 12 فوجاً، بمعدل 32 تلميذا وتلميذة في كل فوج دراسي، يعانون من الديسليكسيا، وتم توزيعهم إلى عينية ضاطة تضم 16 تلاميذ، وأخرى تجريبية تضم 16 تلاميذ أيضاً، تم اختيارهم بطريقة قصدية، مراعاة لعوامل مختلفة كالجنس، ودرجة اضطراب التعلم القرائي، تفادياً لبروز متغيرات قد تؤثر على البحث، وتم البحث خلال شهري أبريل وماي و بداية شهر يونيو من سنة 2019.

جدول يبين معطيات حول عينة البحث

النسبة المئوية العامة	المجموع العام	العينة التجريبية				المجموعة الضابطة			المستوى الدراسي
		النسبة	المجموع	ذكور	إناث	النسبة من مجموع التلاميذ	المجموع	ذكور	إناث
8,60	32	4,30 %	16	08	08	4,30 %	16	08	08

وصف أدوات الدراسة: تمثلت أدوات الدراسة في الاختبارات الاعتيادية في مادة "فهم المقروء" وهي مادة دراسية تكون ضمنيا في مكون القراءة، حيث يطالب فيها المتعلم بقراءة نص قرائي مكون من فقرات، ويطالب بالإجابة عن أسئلة الفهم، وتدخل الاختبارات التي قمنا بها ضمن المراقبة المستمرة التي هي عبارة عن تقويم تكويني، يكون موازيا لبناء التعليمات، ويتميز بالاستمرارية في كل وحدة دراسية، بخلاف الاختبارات النهائية أو الإجمالية التي تدخل ضمن مسمى التقويم الإجمالي أو النهائي -الإشهادي، والذي يكون عند نهاية التعليمات من أجل الحكم النهائي عن مدى قدرة المتعلم على امتلاك الكفاية المسطرة سلفا خلال المنهاج السنوي الخاص بكل سنة دراسية.

وقد تم الاشتغال بشبكات تقويمية دقيقة، بغية بلوغ تقويم ذي مصداقية، و قد تم العمل بهذه الشبكات خلال كل عمليات تمرير الاختبارات على العينة الضابطة والعينة التجريبية، لقياس مدى تطور أداء المتعلم، وذلك قبل وبعد القيام بالاختبار القبلي والبعدى المكيف، وقد قسمنا الشبكة إلى ثلاثة معايير أساسية وهي: المعيار الأول: وهو المستوى الأول للفعل القرائي ويتضمن عدة مؤشرات دقيقة وقابلة للملاحظة والقياس، من بينها التعرف على الحرف كرسم وإصدار الصوت المناسب للحرف، ثم ربط وقراءة المقاطع الصوتية، وقراءة الكلمات والجمال، واحترام علامات والترقيم ومخارج الحروف.

المعيار الثاني: وهو المستوى الثاني للفعل القرائي ويتضمن مستويات الفهم المختلفة، وتمت ترجمة هذا المعيار الى مؤشرات حسب كل مستوى من مستويات الفهم القرائي كالتالي:

أ)- المستوى الأول للفهم: الفهم الأولي أو الفهم الحرفي للسطور، وتتضمن مؤشرات من قبيل التعرف على شخصيات النص، وأحداثه، وزمانه، وأمكنته، من خلال الإجابة عن أسئلة: من؟ - ماذا؟ - متى؟ أين؟.

ب)- المستوى الثاني للفهم: فهم ما بين السطور، وتتضمن مؤشرات من قبيل الإجابة عن أسئلة تبدأ ب: - هل؟ - لماذا؟ - كيف؟ - يستنتج الفكرة الأساسية للفقرة تم للنص.

ت)- المستوى الثالث للفهم: ويتضمن قراءة ما وراء السطور: ويتضمن مؤشرات من قبيل الإجابة عن أسئلة من قبيل: مارأيك في...؟ - ما موقفك من...؟ - هل تعتقد أن...؟

3- المعيار الثالث: وهو الخصائص السلوكية المصاحبة للفعل القرائي، وتم تقسيمها الى مؤشرات لتدقيقه من قبيل: هل يبدو التلميذ عصبيا عند القراءة؟ هل يقرأ بصوت حاد ومتشنج؟ هل يتنفس بصعوبة أثناء القراءة؟ هل يرفض القراءة؟ وأسئلة سلوكية أخرى.

كما تمت الاستعانة باستمارة موجهة للأستاذة (12 أستاذة وأستاذة) بغية تحديد الخصائص السلوكية للمتعلمين الديسليكسيين قبل الاختبار القبلي وبعده، وبعد الاختبارات المكيفة، وذلك من خلال المعاينة اليومية لهؤلاء المتعلمين، للوقوف بدقة على مدى تأثير هذه التقويمات المكيفة على خصائصهم السلوكية، وقد تم تقسيم معيار الخصائص السلوكية في الشبكة وفي الاستمارة إلى قسمين:

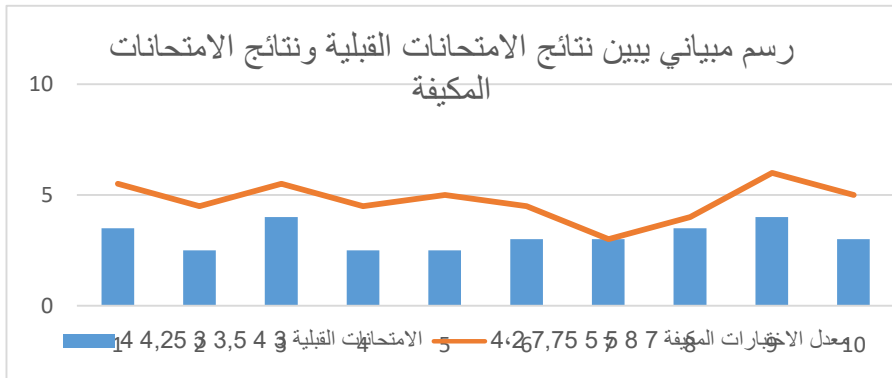
أ)- الخصائص السلوكية السلبية المصاحبة للفعل القرائي؛ وتتضمن ثمانية مؤشرات.

ب)- الخصائص السلوكية الإيجابية المصاحبة للفعل القرائي، وتتضمن أربع مؤشرات.

تفريغ و عرض النتائج:

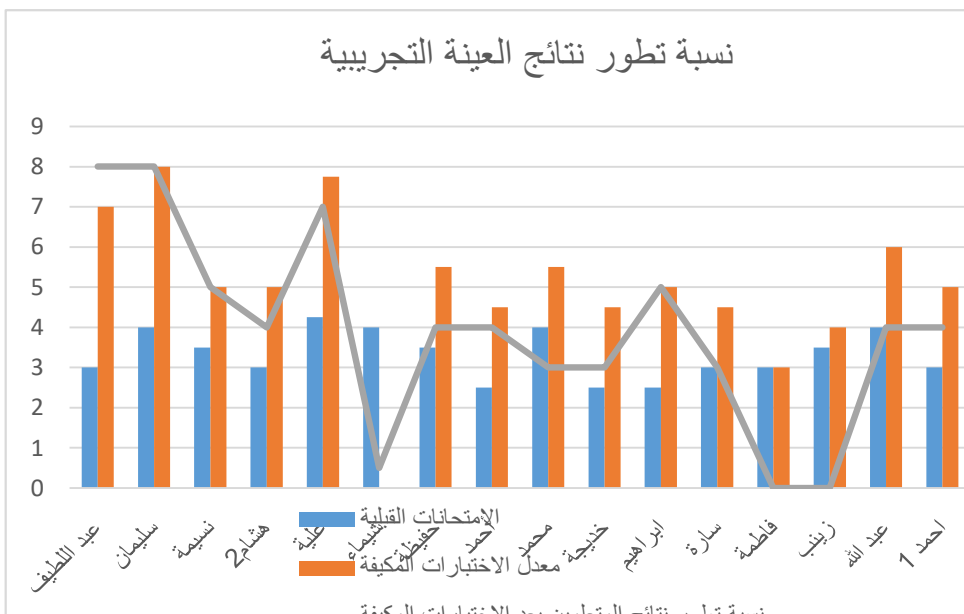
1. نتائج الاختبارات القبلية والبعدية المكيفة.

بعد تفرغ نتائج الاختبارات القبلية والمكيفة لعينة البحث حصلنا على الرسم المبياني التالي.
رسم مبياني رقم 1: يبين الفرق بين معدل نتائج الامتحانات القبلية ومعدل نتائج الامتحانات المكيفة.



من خلال الرسم المبياني رقم 1 يتضح جليا تطور نتائج المتعلمين (العينة التجريبية)، فالفرق دالة بين نتائج الاختبارات القبلية، ونتائج الاختبارات المكيفة، مما يؤكد على أن للاختبارات المكيفة أثرا ايجابيا على الرفع من مردودية المتعلمين على مستوى الفعل القرائي.

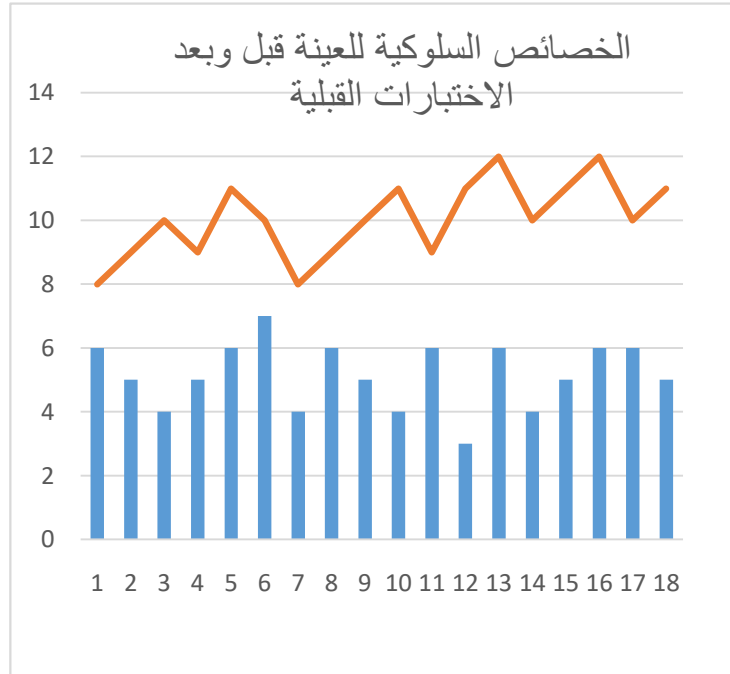
رسم مبياني رقم 2: يبين نسبة تطور نتائج العينة التجريبية.



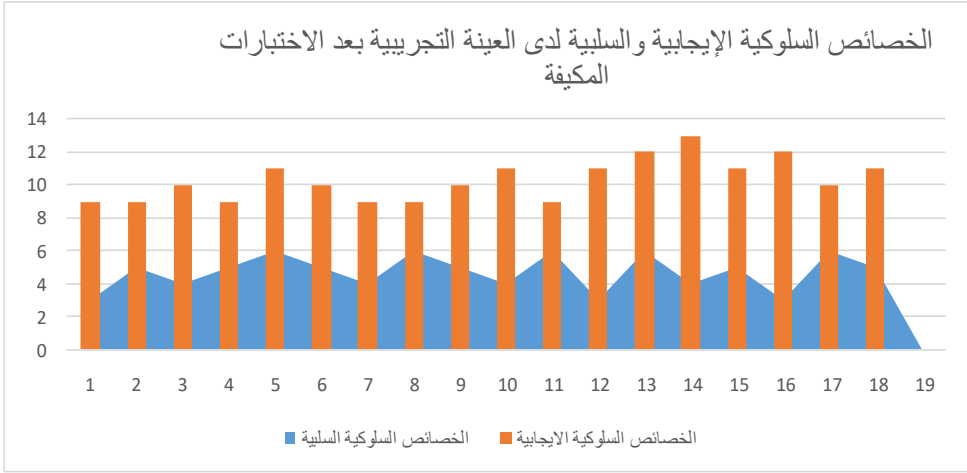
من خلال الرسم المبياني رقم 2 : يتضح جليا وجود فرق دال إحصائيا بين نتائج الاختبار القبلي الاعتيادي والاختبار المكيف ، كما أن نسبة تطور نتائج المتعلمين الديسليكسيين دالة هي الأخرى إحصائيا عند جميع عينة البحث التجريبية.

2.تفريغ الاستمارات:

رسم مبياني رقم 3: يبين الخصائص السلوكية السلبية واليجابية المصاحبة للفعل القرائي ، للعينة بأكملها قبل وبعد الاختبارات القبليّة.



من خلال الرسم البياني رقم 3: يتضح جليا ارتفاع مؤشرات الخصائص السلوكية السلبية لدى عينة البحث بأكملها مقارنة بالخصائص السلوكية الإيجابية المنخفضة ، وذلك قبل وبعد إجراء التقييمات الاعتيادية القبليّة.



رسم مبياني رقم 4: الخصائص السلوكية الإيجابية والسلبية المصاحبة للفعل القرائي لدى العينة التجريبية بعد الاختبارات المكيفة.

يلاحظ من الرسم المبياني رقم 4 : أن هناك تطورا ملحوظا للخصائص السلوكية الإيجابية المصاحبة للفعل القرائي لدى العينة التجريبية بعد تعرضها للاختبارات المكيفة ، في مقابل انخفاض كبير للخصائص السلوكية السلبية ، وهو ما يدل على الأثر الإيجابي الذي أحدثته الاختبارات المكيفة لدى هؤلاء التلاميذ الديسليكسيين .

نتائج الدراسة:

تنص الفرضية العامة للبحث على أن للتقويمات المكيفة أثرا فعالا في تطوير المهارات الأكاديمية للتلاميذ الديسليكسيين ، وتم اختيار العينة من تلامذة المستوى الرابع ابتدائي، وقد توصلت الدراسة إلى أن التقويمات المكيفة كانت فعالة في التخفيف من اضطراب عسر القراءة (فك الرمز وفهم المقروء)، حيث تم الوقوف على تطور أداء هؤلاء المتعلمين (العينة التجريبية) مقارنة بزملائهم (العينة الضابطة) التي بقيت نتائج تقويماتها في مادة القراءة ثابتة.

أبانت عملية تفرغ الاستمارات الموجهة للأساتذة والتي كانت تستهدف قياس وتحديد الخصائص السلوكية المصاحبة للفعل القرائي عند عينة البحث -عن تطور إيجابي في سلوكيات المتعلمين.

ومن خلال نتائج الدراسة يتضح جليا التغيير الإيجابي في الخصائص السلوكية للمتعلمين الديسليكسيين ، فمن ارتفاع مؤشرات الخصائص السلوكية السلبية قبل وبعد إجراء الاختبارات قبلية الغير مكيفة لكافة العينة (العينة الضابطة والتجريبية) إلى ارتفاع مؤشرات الخصائص السلوكية الإيجابية عند العينة التجريبية بعد القيام بتقويمات مكيفة تراعي خصوصياتهم ، بينما استمرت العينة الضابطة في الحفاظ على نفس المؤشرات السلوكية السلبية المصاحبة للفعل القرائي.

أوضحت نتائج تفرغ الاستمارات ارتفاع مستوى الرضا عن الذات بالنسبة للعينة التجريبية في مقابل نقبضها عند العينة الضابطة.

- أشارت نتائج تفريغ الاستمارات إلى كون التقييمات المكيفة حفزت بشكل كبير العينة التجريبية على الانخراط الإيجابي في بناء التعلّيمات الأكاديمية الأخرى، من كتابة وحساب وتواصل شفهي، وهو الأمر الذي لم يكن قبل التقييمات المكيفة.

- نتائج البحث أكدت أن التقييمات المكيفة تراعي الفوارق الفردية بين المتعلمين، وتسعى بالتالي إلى تحقيق الإنصاف وتكافؤ الفرص بينهم، وهي تساؤلات سبق وأن طرحناها في بداية بحثنا هذا.

- إذن من خلال عرض نتائج الدراسة تم التوصل إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين نتائج العينة الضابطة والعينة التجريبية في عسر القراءة لصالح العينة التجريبية، ويمكن إرجاع ذلك إلى أثر التقييمات المكيفة في التخفيف من حدة عسر القراءة، وفي تطوير نسبي لباقي المهارات الأكاديمية الأخرى لديهم مقارنة مع زملائهم الذين يعانون نفس المشكلة (العينة الضابطة)، وهو ما يؤكد قابلية التلاميذ الذين يعانون من الديسليكسيا للتحسن في تطوير قدراتهم ومهاراتهم الأكاديمية، وذلك من خلال مراعاة خصوصياتهم واستبدال التقييمات العادية التي يتعرضون لها بتقييمات مكيفة ترفع من حافزيتهم ورضاهم عن ذاتهم، وتشعرهم بالنجاح وبالقدرة على تجاوز الصعوبات التعليمية التي تواجههم، وبالتالي تدفعهم إلى بدل المزيد من المجهودات على مستوى كافة المواد الدراسية المبرمجة لديهم.

تتفق نتائج الدراسة مع ما دعت إليه وزارة التربية الوطنية المغربية من خلال:

-المذكرة الوزارية رقم 71 الصادرة بتاريخ 05 يونيو في شأن تكييف الامتحانات الإشهادية لنهاية لسلك الابتدائي، والثانوي الإعدادي، والثانوي التأهيلي، لفائدة المترشحين في وضعية إعاقة، وقد تم اعتبار التلاميذ الذين يعانون من الديسليكسيا ضمن الأطفال الذين يوجدون في وضعية إعاقة، وذلك من خلال ما نص عليه الإطار المرجعي للهندسة المنهجية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة (الإطار المرجعي للهندسة المنهجية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة" أقسام التربية الدامجة"، منشور أصدرته وزارة التربية الوطنية المغربية، مديرية المناهج، بدعم من منظمة اليونسيف، دجنبر 2017).

وقد نصت هذه المذكرة على ضرورة تكييف اختبارات التلاميذ في وضعية إعاقة، وذلك بتحويل الأسئلة المفتوحة إلى أسئلة مغلقة من قبيل صحيح/خطأ، واختيار من متعدد، وأسئلة الوصل وأسئلة الترتيب، وذلك بالنسبة لجميع مواد الامتحان. وهو الأمر الذي أكدت دراستنا على أن له أثراً إيجابياً في تطوير المهارات والتعلّيمات الأكاديمية للأطفال الديسليكسيين كعينة اختارها بحثنا.

-تتفق نتائج الدراسة أيضاً مع ما جاء به دفتر المساطر لتنظيم امتحانات نيل شهادة الدروس الابتدائية، والذي ينص في مواد 3-4-5 على الإجراءات الإدارية الواجب اتباعها للاستفادة من تكييف الاختبارات الإشهادية، كما ينص في المادة 28 منه على تحديد صيغ التكيف، ويشير في علاقة بموضوع بحثنا إلى أن التلاميذ الذين يعانون من عسر القراءة يمكنهم الاستفادة خلال الامتحانات الإشهادية مما يلي:

-من امتحانات مكيفة بتحويل الأسئلة المفتوحة إلى أسئلة مغلقة من قبيل صحيح/خطأ، واختيار من متعدد، وأسئلة الوصل وأسئلة الترتيب، وذلك بالنسبة لجميع مواد الامتحان؛

-الاستفادة من تلميذ مرافق أثناء إجراء الاختبارات ، وهو تلميذ يقل عمره عن 12 سنة بالنسبة لسلك الابتدائي ، يرافق التلميذ الديسليكسي ليقرأ له مضامين الاختبار وأسئلته ، ويكتب للتلميذ من الذي يعاني من عسر الكتابة ؛

-تمديد مدة الاختبار بثلاث الوقت المخصص لإجراء الامتحان شريطة عدم الجمع بين ذلك وبين اصطحاب مرافق(منشورات وزارة التربية الوطنية ، دفتر المساطر لتنظيم امتحانات نيل شهادة الدروس الابتدائية دورة 2019 ، ص 10).

وعليه فالدراسة المهنية التي قمت بها كملتش بوزارة التربية الوطنية أكدت على أن للتقويمات المكيفة أثرا إيجابيا في تطوير المهارات الأكاديمية للمتعلمين الديسليكسيين ، وهو ما ذهبت إليه وزارة التربية الوطنية من خلال دعوتها إلى تبني مقاربات تقويمية مكيفة لفائدة هذه العينة من المتعلمين ، وبالتالي فهو اختيار علمي ذو بعد بيداغوجي إيجابي.

خلاصة وتوصيات: بعد إخضاع العينة التجريبية للاختبارات المكيفة ، عرفت كل الحالات تحسنا على مستوى الفعل القرائي (فك الرمز- وفهم المقروء) بشكل دال ، وبذلك تمكنت الدراسة من إثبات أن للتقويمات المكيفة أهمية بالغة في تحسن مستوى أداء المتعلمين الديسليكسيين في مهارة القراءة ، وفي تحسين الخصائص السلوكية المصاحبة للفعل القرائي ، وفي الرفع من الحافزية و درجة الشعور بالرضا عن الذات لدى هؤلاء التلاميذ.

من خلال نتائج الدراسة نقترح ما يلي:

-تفعيل وتعميم استفادة الأطفال الديسليكسيين من الاختبارات الإشهادية المكيفة ؛
-تبني التقويمات المكيفة بالنسبة لجميع المستويات ، وعدم الاقتصار على المستويات الإشهادية فقط (السادس ابتدائي- نهاية سلك الثانوي الإعدادي- نهاية سلك الثانوي التأهيلي) ؛
-تبني التقويمات المكيفة طوال السنة الدراسية ، بمعنى أن تكون التقويمات التكوينية أيضا مكيفة داخل كافة الفصول الدراسية ، وعدم الاقتصار على التقويمات النهائية التي تجرى نهاية السنة الدراسية ؛
-تبني التقويمات المكيفة في جميع أسلاك المدرسة المغربية حتى الجامعية منها ، مع التقيد بالأطر المرجعية لكل سلك تعليمي ؛

-تأهيل الموارد البشرية المتدخلة في الفعل التربوي ، وتحسيسهم بأهمية مراعاة الفوارق الفردية بين المتعلمين في كل مراحل الفعل التعليمي والتعليمي وعلى وجه الخصوص في مرحلة التقويمات ؛
-اعتبار التحفيز والتشجيع في ممارسة الفعل التعليمي التعليمي أمرا بالغ الأهمية ، يدفع المتعلمين إلى تبني سلوكيات إيجابية إزاء التعلم والمدرسة عموما ، ويعزز ثقتهم بذواتهم وبالتالي يساعد في التخفيف من حدة عسر القراءة ، ومن اضطرابات التعلم الأخرى.

المراجع:

1. الخطيب ، جمال ، وآخرون(1997). المدخل إلى التربية الخاصة. ط 1. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. العين. الإمارات العربية المتحدة.
2. عدس ، محمد عبد الرحيم(2000). صعوبات التعلم. ط 1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان. المملكة الأردنية.

3. السر طاوي ، زيدان أحمد وآخرون(2001). مدخل إلى صعوبات التعلم. ط 1. أكاديمية التربية الخاصة. الرياض. المملكة العربية السعودية.
4. أبو نيان ، إبراهيم(2001). صعوبات التعلم . طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية. ط 1. أكاديمية التربية الخاصة. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 5.الروسان ، فاروق(2001). سيكولوجية الأطفال غير العاديين . مقدمة في التربية الخاصة. ط 5. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان. المملكة الأردنية.
- 6.عجاج ، خيري(1998). صعوبات القراءة والفهم القرائي (التشخيص والعلاج). ط 1 . مكتبة زهراء الشرق. القاهرة . جمهورية مصر العربية.
- 7.حافظ ، نبيل(2000). صعوبات التعلم والتعليم العلاجي. ط 3. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- 8.الروسان ، فاروق(1999). أساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة. ط 3. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان. المملكة الأردنية.
- 9.سيد ، عبد الرحمن(1999). سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة. ط 1. جامعة عين شمس. القاهرة . جمهورية مصر العربية.
- 10.الروسان ، فاروق(2000). دراسات وأبحاث في التربية الخاصة. ط 1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان. المملكة الأردنية.
- 11.الخطيب ، جمال وآخرون(1994). مناهج وأساليب التدريس في التربية الخاصة. ط 1. مطبعة المعارف. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة.
12. Anne Van Hout. Françoise Estienne. (2001). Les dyslexies décrire, évaluer, expliquer, traiter. Masson .Paris. France
13. Jumel.B. (2005). Comprendre et aider l'enfant dyslexique. Editions Dunod.
14. Delahaie. M. (2004). L'évolution du langage chez l'enfant : de la difficulté au trouble. Editions inpes (Institut National de Prévention et d'Education pour la Santé).Paris. France
15. Boimare. S. (2004). L'enfant et la peur d'apprendre. Editions Dunod.

ألعاب شبه رياضية لتطوير الجانب الحركي لطفل المدرسة

Title: Semi-sports games for the development of the motor side of the school child.

د. حجاج سعد

د. بركات حسين

جامعة عنابة- الجزائر

مقدمة:

تهتم معظم الدول المعاصرة بمرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، والتي يطلق عليها رياض الأطفال وتعد السنوات الأولى من حياة الطفل حاسمة ف تشكيل الملامح الأساسية لشخصيته، إذ يظهر خلال هذه الفترة أهم القدرات والمؤهلات، وترسم الخطوط الكبرى لها سيكون عليه الطفل ومستقبلا وهذا ما أبرزه التحليل النفسي من أهمية واثر في نمو شخصيته وسلامتها في المستقبل (رناد يوسف الخطيب، 1986)، وإن كان هذا ما أثار إليه المؤتمر الدولي الخاص بالتربية العامة لعام 1939 حيث ذكر: أن تربية ما قبل المدرسة لطفل ما قبل مرحلة التعليم الإلزامي ينبغي أن يكون موضع اهتمام السلطات التربوية وأن يكون متاحا لجميع الأطفال (جان بياجيه، 1994).

ولعل أهم ما يميز مرحلة الطفولة هو الميل للعب والحركة، فعن طريق هذا الميل الطبيعي يتعلم الطفل الممارسة الحركية، وقد فطن إلى أهمية اللعب علماء التربية أنه ميزة يجب استغلالها والاستفادة منها في عملية التربية والتعليم (دلال فتحي عيد، 2006) إن يساعد اللعب الأطفال على إنماء قدراتهم الجسمية والحس حركية، ولقد أولى علماء النفس والتربية اهتماما خاصا ينمو القدرات الحركية الحس حركية لمعرفة من أهميتها في حياة الطفل ومدى علاقتها بجوانب النمو الأخرى فهي تعبر عن العلاقة بين كل من الوظائف الإدراكية الحس حركية، لأن القصور في نمو هذه القدرات تعمل على عجز الأطفال في كثير من عمليات التعلم بالمدرسة (أحمد عمر سليمان الروبي، 1995)، والإدراك الحس حركي ما هو إلا مظهر من مظاهر الإدراك الذي يمكن من خلاله اكتساب القدرة على إدراك محددات الحجم وأعضائه المختلفة، وتعتبر متغيرات المسافة والاتجاه والإشارة للهدف أهم خصائص الإدراك الحس حركي، وأعضاء الحس حركي هي وسائل الاتصال من الكائن الحي وبيئته، وكلما قامت هذه الأعضاء بوظيفتها بطريقة سليمة أمكن للفرد أن يتكيف ويتفاعل مع بيئته تفاعلا سليما، وإن تسلط الضوء على هذه الفئة العمرية وذلك بتسطير برامج حس حركية تتأقلم مع متطلبات هذه المرحلة العمرية وتكون نتائجها ذات بعد بعيد المدى ينعكس على تكوين شخصيته المستقبلية في حياته العادية والاندماج في النشاط الرياضي بصفة خاصة إذ تعتبر الحواس ومعنى سلامتها أهمية بالغة في اختبار نوع النشاط الرياضي وفي تطوير النتائج المتحصل عليه، إذ لا يمكن لأي طفل أن يكون ماهرا في أداء أي حركة رياضية دون أن يكون الوظيفة الإدراكية مكتملة لديه، لدى لا يمكن استغلال طاقة الطفل نحو اللعب، وذلك من خلال اقتراح برنامج لتربية الحس حركية لمرحلة ما قبل المدرسة كونه يساعد على تنمية الإدراك الحس حركي من منطلق أن تنمية الإدراك يعتبر قاعدة أساسية في التعليم التحضيري.

مشكلة البحث: إن طفل ما قبل المدرسة يحتاج إلى الحركة واللعب خاصة في مرحلة التطور التكنولوجي التي تؤدي إلى بقاء الطفل لعدة ساعات أمام التلفاز أو الكمبيوتر للعب الإلكتروني أو مشاهدة برامج الكرتون ، وهذا يؤدي إلى نقص الحركة ومما يزيد الأمر تفاقم الطريقة المتبعة في الأقسام التحضيرية ، إذ يتم وضع برامج كرتون للطفل لعدة ساعات فمعظم وقت الطفل في المنزل يقضيه أمام التلفاز ، وكل هذه العوامل تؤدي إلى نقص الحركة وضعف حواس الطفل خاصة حاسة البصر ، فالتربية الحس حركية تربية متكاملة لا يمكن فصل أجزائها ، وإذ ما تم طرح هذه المشكلة يحتاج المعلم بأن البرنامج المسطر لطفل ما قبل المدرسة يتطرق بالتفصيل ، وكل هذه العوامل تؤدي إلى نقص الحركة وضعف حواس الطفل خاصة حاسة البصر ، فالتربية الحس حركية تربية متكاملة لا يمكن فصل أجزائها ، وإذ ما تم طرح هذه المشكلة يحتاج المعلم بأن البرنامج المطر لطفل ما قبل المدرسة يتطرق بالتفصيل إلى جانب اللعب والألعاب الصغيرة ذات الطابع الحس-حركي بصفة خاصة بل ركز على تعليم الطفل القراءة والكتابة صف إلى ذلك انعدام الإمكانيات لإخراج حصة متكاملة لهذه المرحلة بحجة أنه لا يملك الخبرة في هذا المجال وأن هذا مهام الأستاذ التربية البدنية والرياضية وأيضا إلى انعدام الأماكن والفضاءات التي تمارس من خلالها هذه الألعاب. لذلك قامت الطالبة الباحثة باقتراح برنامج الألعاب الصغيرة بهدف تنمية الجانب الحس-حركي وبوسائل بسيطة وفي تناول الجميع وذو طابع ترويجي ، كما أن تطبيق هذا البرنامج سهل وبسيط يمكن تطبيقه من قبل المختص في المجال أو غير المختص كونه مفصل ودقيق.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح التساؤلات التالية:

-تسطير برنامج الألعاب الصغيرة لتنمية الجانب الحس-حركي يعتبر وسيلة فعالة لمرحلة ما قبل المدرسة.
-وهل الألعاب الصغيرة أثر في تنمية الجانب الحس-حركي لمرحلة ما قبل المدرسة.

أهداف البحث:

-توظيف الألعاب الصغيرة لدى طفل ما قبل المدرسة لتنمية الجانب الحس-حركي في المدارس الابتدائية.
-تنمية الجانب الحس-حركي لدى أطفال ما قبل المدرسة.

فرضيات البحث:

-توجد فروق دالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية في تنمية الإدراك الحس-حركي لأطفال ما قبل المدرسة.

-يؤثر البرنامج المقترح للألعاب الصغيرة إيجابيا على تنمية الجانب الحس-حركي لدى أطفال ما قبل المدرسة.
أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في إبراز دور الألعاب الصغيرة في تنمية الجانب الحس حركي لطفل ما قبل المدرسة مع توظيف الألعاب الصغيرة في المدارس الابتدائية والقسم التحضيري على وجه الخصوص وللبحث ضرورة من جانبين:

الجانب العلمي: الهدف الدراسة هو معرفة أثر الوحدات التعليمية المقترحة في تنمية القدرات الإدراكية الحس-حركية لطفل ما قبل المدرسة والإطلاع على آخر المراجع والدراسات التي تطرقه إلى موضوع الدراسة وأهم التوصيات المستقبلية ، وكذلك لإثراء المكتبة ببحث يعني بالطفل وأهم الألعاب الصغيرة ذات الطابع الحس-حركي.

الجانب العملي: الاستفادة من الدراسة (اقترح برنامج الألعاب الصغيرة ذو طابع حس-حركي) بهدف تبني هذه الألعاب في المدارس الابتدائية والقسم التحضيري على وجه الخصوص لتنمية الجانب الحس-حركي ويمكن تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة من قبل المختص أو غير المختص في المجال وبوسائل بسيطة.

مصطلحات البحث:

برنامج: مجموعة من الأنشطة والألعاب الممارسات العملية التي يقوم بها الطفل تحت إشراف وتوجيه من جانب المعلمة التي تعمل على تزويده بالخبرات والمعلومات والمفاهيم والاتجاهات التي من شأنها تدريبه على أساليب التفكير السلبية وحل المشكلات التي ترغبه في البحث والاستكشاف (عبد الفتاح عزة خليل، 2008).
ألعاب الصغيرة: هي ألعاب يقبل عليها الأفراد من كلا الجنين ومن مختلف المراحل بكل رغبة وحماس وتسويق، وتهتم الألعاب الصغيرة بتطوير الفرد من خلال مراحل نموه وتتبع لجميع الفرض المناسبة لتنمية استعدادته وإمكانياته وقدراته وكذلك إشباع حاجاته الأساسية، البدنية والعقلية والنفسية فضلا عن تكوين شخصية ناضجة متكاملة لكي يكون عنصرا ايجابيا فعالا ومنسجما مروان ابو حويج، 2006).

ادراك حس-حركي: بأنها الحاسة التي تعطينا القدرة على إدراك وضع الحس وأعضائه في الحركة حيث يمكننا من معرفة مسببات الحركة دون الاستعانة بالحواس الخمس، فهو يعطينا إدراك الجسم في الفراغ (وزارة التربية الوطنية، 2008).

قسم تحضيري: وهذا يعني أن الطفل يمكنه أن يلتحق بأي مؤسسة تربوية، حيث لا يستطيع الالتحاق بالمدسة النظامية قبل سن 6 سنوات، (ريسان خربيط مجيد وعبد الرحمان، 2001). وهو القسم الذي يصل فيه أطفال تتراوح أعمارهم ما بين (4-6) سنوات في حجرات تختلف عن غيرها بتجهيزاتها ووسائلها البيداغوجية كما أن المدرسة تنظر للطفل على أنه مازال طفلا وليس تلميذا بذلك هي استمرارية للتربية الأسرية تحضير للتهدرس في هذه المرحلة المقبلة مكتسبا مبادئ القراءة (هشام عبدالرحمان الخولي، 2007).

الدراسات المشابهة:

دراسة منى أحمد الأزهرى (مجلة التربية الرياضية، الاكاديمية العراقية، 2002): أجريت هذه الدراسة سنة 1992 تحت عنوان "تأثير برنامج مقترح للتربية الحركية على بعض الإدراكات الحس-حركي وبعض عناصر اللياقة البدنية لدى أطفال ما قبل المدرسة.

مشكلة الدراسة: هل يؤثر البرنامج المقترح للتربية الحركية تأثيرا ايجابيا على بعض الإدراكات الحس-الحركية وبعض عناصر اللياقة البدنية قيد البحث لدى أطفال ما قبل المدرسة؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على تأثير برنامج مقترح للتربية الحركية على المتغيرات التالية في مرحلة ما قبل المدرسة.
-الإدراك الحسي الحركي (الذات الجسمية -المجال والاتجاهات -الاتزان - الإيقاع والتحكم العضلي الدقيق، إدراك الأشكال، التمييز السمعي، توافق العين واليد.
-بعض عناصر اللياقة البدنية (ثني الذراعين من الانطباع المائل، الوثب العريض من الثبات، والجلوس و من الوقوف).

فروض الدراسة:

-يؤثر البرنامج المقرر للتربية الحركية تأثير إيجابيا دالا على بعض الإدراكات الحسي الحركية قيد البحث لدى أطفال ما قبل المدرسة.

-يؤثر البرنامج المقترح للتربية الحركية تأثيرا إيجابيا على بعض عناصر اللياقة البدنية قيد البحث لدى أطفال ما قبل المدرسة.

منهج الدراسة: المنهج التجريبي

عينة الدراسة: اشتملت عينة البحث على أطفال الحضانة الحكومية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية وتم اختبار العينة عشوائيا من بين الأطفال (هذا الدور وبلغ عددهم 122 طفلا).

أهم نتائج الدراسة:

-إن البرنامج المقترح للتربية الحركية ذو تأثير إيجابي فيما يتعلق بزيادة الإدراكات الحس-حركية.

-إن البرنامج المقترح للتربية الحركية ذو تأثير إيجابي فيما يتعلق بزيادة مستوى اللياقة البدنية.

أهم التوصيات:

-استخدام البرنامج المقترح بما يتناسب مع المرحلة السنية لأطفال ما قبل المدرسة.

-استخدام البرنامج المقترح كجزء من درس التربية الرياضية لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

-يمكن استخدام البرنامج مع تعديل لبعض المحتويات بما يتناسب مع مراحل سنية أخرى.

دراسة مني محمود عبد الحليم عمر (عدنان عارف مصلح، 1990): أجريت هذه الدراسة سنة 1994 بجامعة المنيا (مصر) تحت عنوان "دراسة ديناميكية نمو بعض أنواع الإدراك الحسي حركي لتلاميذ المرحلة الابتدائية من (9-12) سنة.

مشكلة الدراسة: دراسة ديناميكية نمو بعض أنواع الإدراك الحسي حركي لتلاميذ المرحلة الابتدائية (9-12) سنة.

أهداف الدراسة: تهدف إلى التعرف على ديناميكية نمو بعض أنواع الإدراك الحس-حركي المتمثلة في إدراك توجيه الذراع في الفراغ (الإشارة للهدف)، إدراك الحجم المتحرك، إدراك الاتجاه (المشي في الممر) لكل من التلاميذ والتلميذات على حدة للمرحلة السنة (9-12) سنة.

فروض الدراسة:

-توجد فروق دالة إحصائية بين تلاميذ فئات العمر (9-12) سنة في اختبارات الإدراك الحس-حركي قيد الدراسة.

-توجد فروق دالة إحصائية بين تلميذات فئات العمر (9-12) سنة في اختبارات الإدراك الحس حركي قيد الدراسة.

-توجد فروق دالة إحصائية بين التلاميذ والتلميذات فئات العمر (9-12) سنة في اختبارات الإدراك الحس-حركي قيد الدراسة.

منهج الدراسة: استخدام المنهج الوصفي المسحي ليفي بمتطلبات الدراسة.

عينة الدراسة: تم اختبار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة من أربع مدارس ابتدائية بمحافظة الإسكندرية، حيث تم اختبار فصل دراسي من كل فرقة دراسية.

أدوات الدراسة: بعد أخذ آراء بعض الخبراء والمتخصص في مجال التربية الرياضية والتربية وعلم النفس. تم اختبار ثلاثة اختبارات للإدراك الحس- حركي وذلك لأهميتها النسبية على اكتساب وأداء المهارات الحركية المختلفة لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

اختبارات الإدراك الحس- حركي.

أولاً: إدراك توجيه الذراع في الفراغ.

ثانياً: إدراك الحجم المتحرك.

ثالثاً: إدراك الاتجاه.

أهم نتائج الدراسة:

- إن التقدم في العمر خلال الفترة السنية من 9-10 سنوات تتميز بثبات نسبي لنمو الإدراك الحس- حركي بينما تميزت الفترة التالية من 10-11 سنة ، 11-12 سنة بتحسن ملحوظ والذي عنى تميز هذه الفترة بالنسبة للتلاميذ والتلميذات بتطور في نمو الإدراكات الحسية الحركية قيد الدراسة.

أهم التوصيات:

-استغلال فترة: تحسن نمو الإدراكات الحسية الحركية وهي إدراك الحجم المتحرك ، إدراك توجيه الذراع في الفراغ وإدراك الاتجاه للمرحلة السنية 10-12 سنة في اكتساب المهارات التي تتطلب الإحساس بالهدف والاتجاه والمسافة بصورة خاصة.

-مراعاة التطور في نمو الإدراكات الحس- حركية عند وضع محتوى برامج التربية البدنية للأطفال في المراحل السنة المختلفة.

-استخدام اختبار الإدراك الحس- حركي قيد الدراسة ضمن طرق وأساليب اختبار الناشئين وتوجيههم للأنشطة المناسبة.

-تتمية متغيرات الإدراك الحس-حركي المرتبطة بنوع النشاط الممارس للناشئين في مختلف الرياضات لهاها من دور فعال في رفع مستوى الأداء.

دراسة فاطمة ناصر حسين وبريفان عبد الله الهفتي (فتيحة كركوش، 2010): أجريت هذه الدراسة سنة 2001 تحت عنوان "دراسة مقارنة في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) باستخدام مقياسي هايود ودايتون لأطفال الرياض بعمر (4-5) سنوات.

مشكلة الدراسة: الكشف عن الفروق في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) بين مقياس هايود ودايتون لأطفال الرياض.

أهداف الدراسة:

-معرفة الفروق في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) بين الذكور والإناث لمقياسي هايود ودايتون.

-معرفة الفروق في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) بين مقياس هايود ودايتون لأطفال الرياض بعمر (4-5) سنوات.

فرضيات الدراسة:

-وجود فروق ذات دلالة معنوية في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) بين الذكور والإناث لمقياسي هايود ودايتون.

-وجود فروق ذات دلالة معنوية في نمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) في مقياسي هايود ودايتون لأطفال الرياض بعمر (4-5) سنوات.

منهج الدراسة: استخدم المنهج التجريبي لملائمة لطبيعة البحث.

عينة الدراسة: تألفت عينة الدراسة من الأطفال الملتحقين بروضة الرياحين البالغ عددهم (40) طفلاً وطفلة وتم تقسيمهم إلى فئتين متساوين بالعدد إحداهما طبق عليها مقياس هايود للإدراك الحس-حركي والأخرى طبق عليها مقياس دايتون للإدراك الحس-حركي.

أدوات الدراسة:

-مقياس دايتون للإدراك الحس-حركي.

-مقياس هايود للإدراك الحس-حركي.

نتائج الدراسة:

-عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية في نمو القدرات الإدراكية الحسية حركية بين ذكور وإناث عينة البحث.

-عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية في اختبائي (الذات الجسمية والتوازن) بين مقياس هايود ودايتون.

-وجود فروق ذات دلالة معنوية في اختبائي (الذات الجسمية والتوازن) بين مقياس هايود ودايتون).

أهم التوصيات:

ضرورة الاهتمام بنمو القدرات الإدراكية (الحس-حركية) لأطفال الرياض والعمل على تطويرها منذ التحاق الأطفال بالروضة من خلال وضع برامج رياضية متطورة.

-إجراء دراسة تتبعية على العينة من أطفال الرياض لمعرفة مدى تطور القدرات الإدراكية (الحس-حركي).

-إجراء دراسات مماثلة على أطفال الرياض وعلى عينة واسعة تمثل رياض الأطفال في القطر.

التعليق على الدراسات السابقة: تتفق نتائج بعض الدراسات السابقة في الدعوة إلى وضع برامج حسية حركية مخططة مناسبة لمرحلة رياض الأطفال نظراً لأهمية التربية الحركية للطفل في هذه المرحلة العمرية نحو تحقيق ذلك ببناء برنامج مقترح للتربية الحركية يعمل على تنمية بعض جوانب الإدراك والتكيف العام والنمو العقلي لدى أطفال ما قبل المدرسة.

-اهتمت الدراسات السابقة بعينات مختلفة من الأطفال تراوحت أعمارهم ما بين (4-5) سنوات، و(5-6) سنوات و(9-12) سنة.

-اتفقت بعض الدراسات على تقويم البرنامج المقترح بتبني مقياس دايتون لقياس القدرات الإدراكية الحس-حركية) كدراسة فاطمة ناصر حسين وبريفان عبد الله المفتي (2001) أما الباقي فركز على بعض جوانب الإدراك الحسي كدراسة منى محمود عبد الحليم عمر (1994)، معظم الدراسات اعتمدت على المنهج التجريبي وقسمت العينة إلى مجموعتين تجريبية وأخرى ضابطة واختيرت العينة بطريقة عشوائية ماعدا دراسة منى محمود عبد الحليم عمر (1994) استخدمت المنهج الوصفي المسحي ليفي بمتطلبات الدراسة.

تتفق نتائج الدراسات على أهمية إدراج البرامج المقترحة في مرحلة ما قبل المدرسة وتبني اللعب والألعاب الصغيرة كأسلوب للتربية الحس-حركية لها له من دور فعال في تنمية هذا الجانب المهم من حياة الطفل وطفل ما قبل المدرسة على وجه الخصوص.

كما أن جل الدراسات أوصت بأهمية إدراج البرامج المقترحة في منهج التربية التحضيرية وذلك للنتائج الإيجابية التي حققتها البرامج المقترحة من طرف الباحثين وكذلك بضرورة تنظيم دورات تدريبية للمعلمات لتطبيق هذه البرامج.

نقد الدراسات: جل الدراسات لم تبرز طريقة بناء البرنامج المقترح ومدة تنفيذ البرنامج وعدد الوحدات الممارسة في الأسبوع وزمن وحدة الممارسة اليومية بل اقتصرت بالتركيز على بطارية القياس فقط أما هذه الدراسة فقد أعطت هذا الجانب الأولوية وذلك ببناء البرنامج وذلك بالاعتماد على الجانب النظري في بناء وحدات البرنامج وتم عرضه على مجموعة المختصين ليطبق بعد ذلك على فئة أطفال ما قبل المدرسة.

الجانب التطبيقي:

الدراسة الاستطلاعية: لضمان السير الحسن للتجربة، قام الباحثين بالتجربة الاستطلاعية وكان الغرض منها الوقوف على النقاط التالية:

-واقع التربية البدنية والرياضية في مرحلة التحضيرية.

-الصعوبات التي يمكن أن تعترض الباحثين أثناء تطبيق البرنامج المقترح.

*معرفة صدق وتبات وموضوعية الاختبارات.

ولتحديد أي مدرسة تتوفر على الفضاء والوسائل المناسبة لتطبيق البرنامج المقترح تمت الدراسة الاستطلاعية عبر مرحلتين:

الخطوة الأولى: الالتحاق بالمدارس الابتدائية وتحديد عدد الأقسام التحضيرية بمقاطعة السانية وذلك من أجل تحديد المجموعة الاستطلاعية والضابطة والمجموعة التجريبية.

الخطوة الثانية: أخذ رأي المختصين تمت هذه الخطوة باستطلاع وأي الأساتذة المختصين في مجال العلم النفس والتربية البدنية والرياضية وامتدت هذه المرحلة من 8 نوفمبر 2016 إلى 11 جانفي 2016 ولقد تم تفرغ محتوى البرنامج وبطاريته في استمارة عرضت على عديد من المحكمين، وذلك لأجل تحديد أهم النقاط والبرنامج وطرق تقسيمه وجدول بوضوح قائمة المحكمين.

الخطوة الثالثة: إجراء التجربة الاستطلاعية على عينة قوامها 10 أطفال (ذكور وإناث) من مدرسة النصر، ثم اختبارهم بطريقة عشوائية. حيث تم الإشراف عليهم شخصيا من طرف الطالبة. امتدت الدراسة من 19/01/2016 الفترة الصباحية من الساعة 9.00 إلى غاية 10.00، وبعد مرور أسبوع أعيدت التجربة ذلك يوم 20/01/2016 وفي نفس التوقيت.

الدراسة الأساسية :

منهج البحث: استخدم المنهج التجريبي لهلائمة لطبيعة هذا البحث باستخدام المجموعتين إحداهما تمثل المجموعة التجريبية والأخرى تمثل المجموعة الضابطة.

مجتمع عينة البحث: يمثل مجتمع هذا البحث أطفال ما قبل المدرسة بمقاطعة السانية المسجلين في العام الدراسي 2016-2017 ، وقد شملت عينة البحث 70 طفلا (ذكور وإناث) أكثر وعشوائيا .
من بين تلاميذ المرحلة التحضيرية (5-6 سنوات ، مأخوذة من المجتمع الأصلي المقدر ب 317 طفلا (ذكور وإناث) وبالتالي :

تمثل عينة البحث نسبة مئوية قدرها 92,23% من المجتمع الأصلي موزعين على النحو التالي: -العينة التجريبية: عدد أفرادها 30 طفلا (ذكور وإناث) من المدرسة الأمل الابتدائية.
العينة الضابطة: عدد أفرادها 35 طفلا (ذكور وإناث) من المدرسة المستقبل الابتدائية.
-الألعاب الصغيرة.
-الإدراك الحس الحركي.
-طفل ما قبل المدرسة.
-المرحلة التحضيرية.

مجالات البحث:

المجال البشري: اختبرت عينة البحث بالطريقة العشوائية وتمثل عينة البحث 70 طفلا (ذكور وإناث) تتراوح أعمارهم ما بين (5-6) سنوات موزعين على النحو التالي:
-العينة الاستطلاعية عدد أفرادها 10 أطفال (ذكور وإناث).
-العينة التجريبية عدد أفرادها 35 طفلا (ذكور وإناث) التي طبق عليها برنامج الألعاب الصغيرة المقترح من طرف الباحثين .

-العينة الضابطة عدد أفرادها 35 طفلا (ذكور وإناث) وطبق عليها نشاط الحر داخل المدرسة.

كما تم استبعاد الأطفال الممارسين للنشاط الرياضي خارج المدرسة.

المجال المكاني: تم إجراء الاختبارات بالمدراس الابتدائية التالية : مدرسة الأمل ، ومدرسة المستقبل ومدرسة النصر ، تقع وسط بلدية السانية ولاية وهران.

المجال الزمني: أجريت التجربة في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 2016/01/19 إلى غاية 2016/04/16 حيث تمت اختبارات التجريبية الاستطلاعية على مدى يوم واحد بمدرسة النصر ما بين 2016/01/19 إلى 2016/01/20 وأجري الاختبار القبلي من 2016/01/21 على غاية 2016/01/22 وبعدها طبقت حصص الألعاب الصغيرة المقترحة على العينة التجريبية في الفترة الزمنية المحصورة ما بين 2016/01/23 إلى غاية 2016/04/15 لمدة ثلاثة عشرة أسبوع بواقع مرتين أسبوعيا وبعده من الوحدات بلغ (26) وحدة تعليمية وزمن قدر ب 45 دقيقة في الواحدة ، بينما تقوم المجموعة الضابطة بعمل نشاطها العادي الحر داخل المدرسة .

وبعد الانتهاء من تنفيذ الموحات التعليمية المقترحة تم إجراء الاختبار البعدي في الفترة الممتدة من 2016/04/15 إلى 2016/04/15 وبنفس العمل الذي قيمنا به في الاختبار القبلي (ضابطة والتجريبية).

متغيرات البحث: تنقسم متغيرات البحث إلى ثلاثة أنواع التالية:

المتغير المستقل: فالمتغير المستقبل هو برنامج الألعاب الصغيرة المقترح من طرف الباحثين وذلك لمعرفة أثرها لمعرفة أثرها على المتغير التابع.

المتغير التابع: وهو الجانب الحس حركي لدى طفل ما قبل المدرسة ، وهو نتيجة تأثير المتغير المستقل.

المتغيرات المشوشة أو المحرجة: ولقد تم ضبط هذه المتغيرات على النحو التالي:

المتغيرات المرتبطة بجمع البحث: حيث تم تكافؤ أطفال عينة البحث للمجموعتين التجريبية والضابطة في المتغيرات التي تؤثر على سير التجربة ، وشملت المتغيرات على ما يلي:

العمر الزمن مقاس بالأشهر .

-الطور مقاسا بالسنتيمتر .

-الوزن مقاسا بالكيلوغرام .

-اختبار رسم الرجل (لجو دانف) :

متغيرات مرتبطة بالإجراءات التجريبية: عينة البحث حيث تم إجراء التجربة الاستطلاعية والاختبارات القبليّة والبعدية في الفترة الصباحية ، كما طبقت بعض الاختبارات في قاعة الألعاب والبعض الآخر في الهواء الطلق (ساحة المدرسة) ، ومنح نفس التوقيت من الساعة التاسعة إلى الساعة العاشرة صباحا ، كما تم تطبيق وحدات البرنامج في الفترة الصباحية .

متغيرات خارجية: تم توحيد شروط تطبيق الاختبارات القبليّة والبعدية على كلا المجموعتين .

أدوات البحث: بعد الإطلاع على الدراسات والبحوث التي أجريت في مجال الإدراك الحس حركي لطفل ما قبل

المدرسة وبعد أخذ آراء بعض الخبراء والمختصين في مجال التربية البدنية والرياضية وعلم النفس ثم:

أ. اختبار مقياس دالتون للإدراك الحس حركي وهو مصمم لأطفال ما قبل المدرسة ، ويتألف هذا المقياس من

(15) يندا تقيس في مجموعها الإدراك (الحس-حركي) ومن هذه العوامل التي يهدف مقياس دالتون لاختبارها

هي:

-مفهوم الذات الجسمية .

-توجيه الفراغ (المجال ، والاتجاه ، إدراك حجم الفراغ).

-التوازن .

-الإيقاع والتحكم العضلي العصبي (التوافق الحركي).

-توافق العين والقدم .

-توافق العين واليد .

-التحكم العضلي العصبي الدقيق (التمييز للمس).

-الإدراك الشكلي .

-التمييز السمعي .

وقد وقع اختبار هذه البطارية لتكاملها إلى حد بعيد ، كما أنها مناسبة لأفراد العينة من حيث العمر الزمن ، وهذا ما أكدته الأساتذة المحكمين للبرنامج المقترح والأداة .

كما قام الباحثين بتقنين البطارية على العينة الاستطلاعية للبحث .

مواصفات اختبارات بطارية دايتون:

أولاً. اختبار الذات الجسمية.

ب. اختبار الذكاء لرسم الرجل: أعد هذا الاختبار جود انف (1950)، وقام الباحثين بتطبيق.

الغرض: يهدف الاختبار إلى تحديد نسبة الذكاء (العينة الضابطة والتجريبية).

تعليمات الاختبار: كل طفل معه قلم رصاص وورقة بيضاء، ويلاحظ عدم استعمال המחاة وكتبت بيانات كل طفل على الورقة البيضاء (المخصصة للرسم).

-الاختبار غير لفظي لذا لا تعطي أي إرشاداته وهو لذلك يصلح للأعمار ما قبل المدرسة (5-6) سنوات.

-التصحيح والمعايير: يصحح هذا الاختبار على أساس عدد النقاط التفصيلية التي تظهر في الرسم والتي حددت ب (51) نقطة كما يلي:

يعطي درجة عن كل نقطة من (51) نقطة.

تسجيل عدد الدرجات التي حصل عليها الطفل ويمثل الجدول بطاقة تقييم الاختبار رسم الرجل.

الجدول رقم (02) العقلي بالسنوات وتقابل الدرجات المحصل عليها من الاختبار.

تحسب نسبة الذكاء طبقاً للمعادلة التالية:

نسبة الذكاء = العمر العقلي / العمر الزمني $\times 100$.

نتائج الدراسة والتوصيات:

مناقشة الفرضيات:

مناقشة الفرضية الأولى: توجد فروق دالة احصائياً بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية في تنمية الادراك الحس حركي لأطفال ما قبل المدرسة.

يلاحظ من خلال النتائج المتحصل عليها في الاختبار القبلي للعينة الضابطة والتجريبية والاختبار البعدي للعينة الضابطة والتجريبية انه توجد فروق ذات دلالة احصائية ولصالح العينة التجريبية في معظم الاختبارات المطبقة اذ نلاحظ انه يوجد تقدم للعينة الضابطة في الاختبار البعدي لبعض اختبارات البطارية خاصة في اختبار ادراك الذات الجسمية ويعزى هذا التقدم الى ان طفل هذه المرحلة يدرك وجوده شخصياً في الفراغ ووجوده بالنسبة للآخرين، صف إلى ذلك فان للعب أهمية تنعكس على الطفل. فبواسطته تتسرب المعرفة ويكتشف الكثير عن نفسه وعن العالم الذي يعيش فيه ومن حوله، به يتعلم كيف يسيطر على بيئته ويسخرها لمصلحته (منى محمود عبد الحليم عمر، 1994)، أما التقدم الذي حققته العينة الضابطة من خلال دلالة الفرق بين متوسطات الاختبار القبلي والبعدي فسببه هو أن الطفل من خلال لعبه اليومي يساهم في توسيع ادراكه * ولكن بفرق قليل ففي الاختبار القبلي سجلت العينة الضابطة ما قيمته 1.96 وانحراف معياري قيمته 1.13 وفي الإختبار البعدي قدر المتوسط الحسابي 4.44 وانحراف معياري 1.05 لاختبار ادراك الذات الجسمية بينما العينة التجريبية فسجلت متوسط حسابي قيمته 2.39 وانحراف معياري قيمته 1.1 وفي الاختبار البعدي قدر المتوسط الحسابي 6.47 وانحراف معياري 1.02 و يعزى ذلك لبرنامج المسطر و مدى أهمية الالعاب الصغيرة المبرمجة لتنمية هذا الجانب *

أما في اختبار الإيقاع والتحكم العضلي العصبي واختبار التوافق بين العين واليد فقد سجلت فروق دالة احصائيا ولصالح العينة التجريبية، كون برنامج الالعاب الصغيرة ساهم في تحسين هذه المبركات، إذ يستطيع الطفل ان يحقق تآزر ايجابيا بين العين واليد والسيطرة على الحركات الدقيقة لكي يستطيع اظهار مهارة حقيقية في هذه اللعبة، على أن بؤادر السيطرة على العضلات الدقيقة تبدأ في الظهور عند سن الخامسة (منى احمد الأزهرى، 1992).

أما في اختبار إدراك الاشكال فوجد ان كلا المجموعتين الضابطة والتجريبية حققت فارقا في المتوسطات ودرجات متفاوتة خاصة بالنسبة للعينة التجريبية التي طبقت برنامج الالعاب الصغيرة المقترح كما يرجع هذا التفاوت ايضا الى ان ادراك طفل هذه المرحلة تنمو حواسه المختلفة (كالبصر والسمع ...) اذ تمكن طفل هذه المرحلة من ادراك العلاقات المكانية قبل ادراك العلاقات الزمنية وكذا اوجه الاختلاف قبل ادراك اوجه التشابه بينها، فهو يتمكن من مقارنة الاحجام المختلفة الكبيرة والصغيرة والمتوسطة في عامه الثالث وبإمكانه ان يصف ويفضل ادراكه الحسي ما يرى وما يسمع ويلمس فتكاد تبلغ حواسه نموها الكامل (عائشة بن عمار ، 2009)، أما في اختبار التمييز السمعي فنسجل دلالة فروق ولصالح العينة التجريبية لكن الفرق لم يكن كبير فانه ربما يرجع الى قصر مدة تنفيذ البرنامج الممثلة في ثمانية اسابيع . وهذه النتائج المتحصل عليها تتفق مع جل الدراسات السابقة التي تؤكد على وجود فروق ذات دلالة بين العينة الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي والبعدي.

كما يظهر تفوق المجموعة التجريبية في جل وحدات البطارية في الاختبارات البعدية وذلك بعد مقارنتها بنتائج العينة الضابطة وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الثانية: يؤثر البرنامج المقترح للالعاب الصغيرة ايجابيا على تنمية الجانب الحس-حركي لدى أطفال ما قبل المدرسة.

إذ يتضح من خلال نتائج العينة الضابطة والتجريبية للاختبارات البعدية وهذا باستخدام اختبار (ت) عند مستوى دلالة 0.05 إذ أظهرت كل جوانب الاختبار البعدي وجود فروق ذات دلالة احصائية ولصالح العينة التجريبية ، وهذا ما يعزز من أهمية الألعاب الصغيرة في هذه المرحلة العمرية لها تحققه من نتائج تنعكس على مكتسبات الطفل مستقبلا، وهذا ما يتفق مع دراسة كراتي (1983) إذ تؤكد على أن نمو القدرات الإدراكية يعتمد إلى حد كبير على النشاط الحركي، كما يرى أن اكبر قدر من النمو الإدراكي الحركي يحدث قبل أن يبلغ سن السابعة بالإضافة إلى أن اللعب في هذه المرحلة يسهم بدرجة كبيرة في النمو وخاصة اللعب الحس-حركي الذي يعتبر من الأنشطة التي تستلزم استخدام الحواس والحركة بما فيها العضلات الكبيرة والصغيرة (فاضل حنا، 1989)، وان معظم العاب البرنامج ركزت على هذه الجوانب كون ان الألعاب تفتح المجال لتنمية الحواس وخاصة حاسة الملاحظة التي تعتبر المدخل الرئيسي الى تنمية عقلية بناءء (صريح عبد الكريم، 2010) كما أن هذه الألعاب تسهم في نمو الحس-حركي بالإضافة الى مختلف جوانب النمو العاطفية والانفعالية والاجتماعية وخاصة العقلية لان أدوات اللعب تثير قوى الطفل العقلية وتحفزها على العمل (Burn.bernadette, 1979)، وهذا ما يبني عليه أساس برنامج الالعاب الصغيرة المقترح من طرف الباحثين، بالإضافة إلى أن أبعاد تسطير هذا البرنامج تنعكس على الممارسة الحركية وحب النشاط الحركي مما يدفع بالطفل إلى تبني فكرة أولوية الحركة والأنشطة الحركية حتى نغرس فيه الوعي بضرورة ممارسة وتبني مبدأ

الرياضة للجميع مستقبلا، صف إلى ذلك أن أبعاد البرنامج المقترح يسهم في الإحساس الصحيح بالأداء الرياضي والذي يجب أن يتوافق مع قدرة الانتباه ومجموعة المرسلات العصبية التي تزود اللاعب بالشعور الصحيح بما يتم من حركة في أجزاء جسمه، وهي من الممكن أن تظفي بصفة خاصة تغذية راجعة في أثناء التدريب لتطوير الإحساس بالحركة للظاهرة الكينيماتيكية (وهذا البعد يعتمد بالدرجة الأولى على سلامة الحواس والترجمة الصحيحة لهذه المثيرات وتعزز هذه الترجمة بمدى تحقيق الطفل لمختلف أبعاد النهو من خلال اللعب والألعاب الصغيرة التي تعنى بالجانب الحس-حركي ولها له من أبعاد طويلة المدى تنعكس على الطفل مستقبلا.

الاستنتاجات: في ضوء نتائج الدراسة توصل الباحثين الى الاستنتاجات التالية:

يؤثر برنامج الألعاب الصغيرة المقترح من طرف الباحثين على تنمية الجانب الحس-حركي لطفل ما قبل المدرسة.

ادراك اهمية الالعاب الصغيرة لما لها من دور فعال لتنمية مختلف جوانب النمو.

يسهم البرنامج المقترح في تعزيز الاستجابات الحس-حركية لطفل ما قبل المدرسة ومما ينعكس عليه مستقبلا في ترجمة هذه المثيرات.

قائمة المراجع:

- رناد يوسف الخطيب(1986).رياض الأطفال ،واقع ومنهاج ، ط 2 ، ص22. القاهرة ، ص15.
- جان بياجيه(1994).علم التربية وسيكولوجية الطفل ،ترجمة عبد الغني الحشمانى ، ط 1 ، دار العربية للعلوم ، لبنان ، ص25.
- دلال فتحي عيد (2006). التربية الحركية في رياض الأطفال ط 1 ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، ص26.
- أحمد عمر سليمان الروبي(1995). القدرات الادراكية الحركية للطفل النظرية والقياس. دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص12.
- عبد الفتاح عزة خليل(2008). الأنشطة في رياض الأطفال ، ط 3 ، القاهرة. دار الفكر العربي ، ص30.
- مروان ابو حويج(2006). دراسات وبحوث في علم النفس والصحة النفسية ، دار الفواء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ص106.
- سلوى محمد عبد الباقي(2005).اللعب بين النظرية والتطبيق ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، ص177.
- وزارة التربية الوطنية(2008). منهاج التربية التحضيرية 5-6 سنوات ، ص05.
- ريسان خربيط مجيد وعبد الرحمان(2001). استراتيجيات حديثة في تربية الطفل ، دار الفكر ، القاهرة ، ص409-410.
- هشام عبد الرحمان الخولي(2007). دراسات في علم النفس والصحة النفسية ، دار الفكر ، القاهرة ، ص29.
- مجلة التربية الرياضية ، الأكاديمية العراقية(2002) ، ص239.
- عدنان عارف مصلح(1990). التربية في رياض الأطفال ، ط 1 ، دار الفكر ، الأردن ، ص57.
- فتيحة كركوش(2010). علم نفس الطفل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص33-34.
- منى محمود عبد الحليم عمر(1994). الألعاب الرياضية خارج المنزل ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ص22.
- منى احمد الزهري(1992). الترويح وتربية الأطفال في الخلاء ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص88.
- عائشة بن عمار(2009). التحضيري بالجزائر في مرحلة الاصلاح. الجزائر ، الطباعة ENAG ، ص33.
- فاضل حنا(1989). اللعب عند الاطفال. دار مشرق ، ص38.
- صريح عبد الكريم(2010). تطبيقات البيو ميكانيك في التدريب الرياضي والأداء الحركي ، دار الفكر ، القاهرة ، ص82.
- burn.bernadette (1979).Damian éditeur :le livre de poche. P24.

"فاعلية السياحة القروية من خلال مؤسسات الإيواء السياحي بأحواز الهدن الكبرى "الدار البيضاء" حالة
إقليم بن سليمان"

**"The Effectiveness of Rural Tourism through the Institutions of Touristic
Accommodation in the big cities: the Province of Ibn Sliman as a Case Study"**

سميرة لحرش: طالبة باحثة بسلك الدكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني
— الدار البيضاء-المغرب

أسماء بوعوينات: أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني — المحمدية
مامون عمراني مراكشي: أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني
— الدار البيضاء.-المغرب

مقدمة:

تعتبر السياحة من أهم الصناعات في العالم فقد أصبحت اليوم من أهم قطاعات التجارة الدولية البارزة مما دفع المغرب ومنذ حصوله على الاستقلال إلى تطوير القطاع السياحي الذي يعتبر من القطاعات الواعدة ، لكونه من مصادر جلب العملة الصعبة ويساهم بشكل كبير في الناتج الداخلي الخام إذ عرفت عائداته سنة 2016 ارتفاعا نسبته 6,7 % بلغت 1,24 مليار دولار(www.tourisme.gov.ma- موقع وزارة السياحة).

فالمغرب كغيره من دول حوض البحر المتوسط ، أولى اهتمامه بالقطاع السياحي منذ ستينيات القرن 20 ، في إطار المخططات الاقتصادية فاعتبر السياحة أداة لتحقيق التنمية وطينا ، جهوي ، ومحليا. أخرى "رؤية 2020" حيث اقترحت الرفع من الميزانية المخصصة وتوقعت إمكانية جلب 20 مليون سائح(عبد المجيد مستاكي ، 2013 ، ص5).

نظرا لما يتميز به المغرب من تنوع طبيعي وغنى حضاري متميز حاولت المخططات السياحية ، جعله قبلة مفضلة لدى السياح الأجانب ويشهد كذلك حركة سياحية داخلية لا يستهان بها(ثريا بوحفاض ، 2009 ، ص3).

وعلى غرار باقي جهات المملكة تعتبر جهة الدار البيضاء سطات مجالا خصبا لتنمية النشاط السياحي وذلك لما تتوفر عليه من مؤهلات سياحية ، طبيعية وثقافية جد مهمة (وزارة الداخلية ، المديرية العامة للجماعات المحلية ، 2015 ، ص6). خاصة إقليم بنسليمان الذي يعتبر قطبا سياحيا يضم العديد من المواقع و المناظر بإمكانها جلب السياح المحليين والأجانب لقضاء عطلمهم مما يستلزم وجود مؤسسات إيواء سياحية التي تعتبر عاملا أساسيا في مقومات السياحة عامة و القروية على الخصوص.

وبفضل الموقع الذي تتميز به جماعة عين تيزغة بإقليم بنسليمان بين قطبين مهمين الدار البيضاء و الرباط وكذلك المؤهلات التي تزخر بها تجعل منها وجهة مفضلة للسياح المصطافين بالمؤسسات السياحية المتواجدة بترابها.

عرف إقليم بنسليمان في الآونة الأخيرة تنامي السياحة القروية وساهم في ذلك ظهور مؤسسات الإيواء السياحية و خاصة في الجماعات القروية. وبفعل مؤهلات هذه الأخيرة ، وموقعها الجغرافي المتميز بين الرباط و الدار البيضاء على المحور الساحلي تمثل جماعة عين تيزغة مجالا يطرح إشكالية التدبير المستدام للسياحة القروية ومؤسسات الإيواء السياحي ، بإقليم بنسليمان .
وبذلك فسؤال إشكالتنا:

-كيف تتطور مؤسسات الإيواء السياحية بالجماعة زمنيا ومجاليا وما تأثيراتها الإيجابية ؟
ويتفرع عن هذا السؤال الإشكالي بعض الأسئلة الفرعية وهي كالتالي:

-كيف تساهم المؤهلات الطبيعية والبشرية في تطور مؤسسات الإيواء السياحية بجماعة عين تيزغة ؟
وما وقع مؤسسات الإيواء السياحية بالإرياف وتطورها الزمني والمجالي ؟
ما أهم بنيات الاستقبال السياحي وما هي أهم مقومات الحركة السياحية بجماعة عين تيزغة ؟
ما هي الإكراهات التي تواجه هذه المؤسسات السياحية ، وما تأثيرها على المنطقة ؟

لمعالجة هاته الإشكالية اعتمدنا مقاربة منهجية شمولية عبارة عن توظيف المنهج الجغرافي الوصفي الذي يتيح إمكانية الملاحظة والتحليل والتفسير والتي تعتبر عملية ضرورية لدراسة الإشكالية الجغرافية ، ثم المقاربات التاريخية والسوسولوجية. وقد دعمنا هذا العمل بالزيارات والملاحظات الميدانية المتكررة ، والمقابلات (7 مقابلات مع الفاعلين المحليين في مجال السياحة القروية) ، 127 استمارة ميدانية موزعة ما بين 7 أرياب المؤسسات السياحية و 20 مشغلا ، و 40 سائح و 80 من الساكنة المحلية فضلا عن عمل بيبليوغرافي متنوع ، معززين ذلك بعمل كارطوغرافي ومباني ، وصور فوتوغرافي .

1- الإطار الطبيعي والبشري المساهم في تطور مؤسسات الإيواء السياحية بجماعة عين تيزغة بإقليم بن سليمان: يحتل إقليم بنسليمان موقعا متميزا ضمن المجال الجغرافي الوطني إذ يرتبط بوحدة تضاريسية متصلة ، يطبعها الانبساط "المسيطا". وتعتبر عين تيزغة من أهم الجماعات القروية سياحيا بالإقليم إذ تتوفر على مجموعة من المؤهلات الطبيعية والبشرية المهمة التي تساهم في إنعاش القطاع السياحي بالجماعة .وبفعل الموقع الإستراتيجي الذي تحتله جماعة عين تيزغة فهو متنفس إيكولوجي للساكنة الحضرية المجاورة:
"بنسليمان ، بوزنيقة ، المحمدية ، الدار البيضاء ، الرباط"

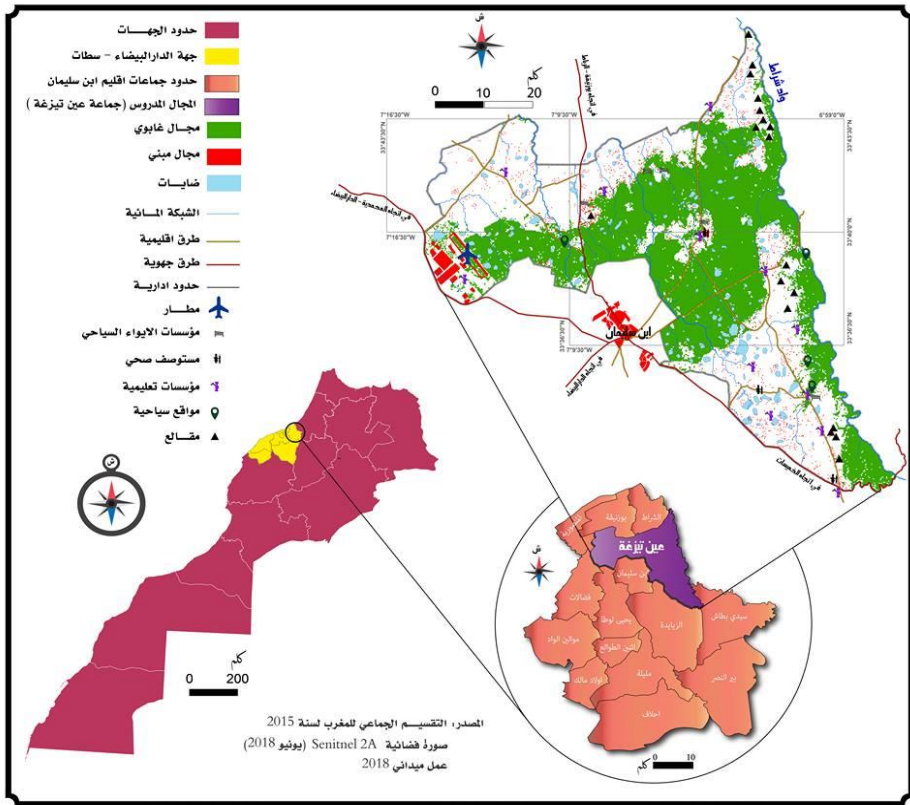
إذ تعتبر الجماعة قطبا سياحيا يضم العديد من المواقع الطبيعية التي تعد محطة جذب و جلب السياح المحليين وكذلك بعض الأجناب لقضاء عطلةهم وهنا تظهر وظيفة مؤسسات الإيواء السياحية التي تعتبر من مقومات السياحة القروية بالمنطقة .

1-1 المقومات الطبيعية المساهمة في تطور مؤسسات الإيواء السياحي بجماعة عين تيزغة إقليم بن سليمان

1-1-1 الموقع الجغرافي لجماعة عين تيزغة بإقليم بن سليمان: يقع إقليم بنسليمان في القسم الشمالي للمغرب بين خطي طول 7° و '15 7° غرب خط غرينتش وخطي عرض 33°33' و '45 33° شمال خط الاستواء. وهو امتداد طبيعي لهضبة الشاوية وهضبة زعير. يمتد هذا الإقليم على مساحة 2400 كلم مربع ، أي ما يمثل 0.3% من مساحة المغرب ، وينتمي من الناحية الطبيعية إلى الهضبة الوسطى الغربية (المسيطا) الواقعة في

الشمال الغربي من المغرب (المختار الأكل، 2004، ص 15). تنتمي جماعة عين تيزغة إلى إقليم بنسليمان المنتمي لجهة الدار البيضاء-سطات إذ يحدها شمالا جماعة الشراط وجنوبا جماعة الزيايدة وغربا المنصورية وشرقا الصخيرات (Ministère de l'Intérieur, 2015, P2). وقد تم إحداث الإقليم بمقتضى الظهير 02.77.605 للتاسع عشر يوليوز 1977، وأحدثت الجماعة بموجب مقتضيات المرسوم رقم 2.92.468 بتاريخ 30 يونيو 1992 كما تم تسميته 2.12.651 وتعديله بالمرسوم رقم يونيو 37 بتاريخ 2.12.1992. وخلال التقسيم الإداري ليونيو 2009 تم ضم جزء من جماعة موالين الغابة إلى جماعة عين تيزغة وتمتد الجماعة على مساحة 250 كلم مربع، بعدد سكان يبلغ 15689 نسمة، حسب إحصاء (وزارة الداخلية، 2015، ص 4) 2014.

خريطة رقم 1: موقع جماعة عين تيزغة ضمن إقليم بنسليمان



يضم إقليم بنسليمان عددا من الوحدات الطبوغرافية المتنوعة والممتدة من خط الساحل في الشمال تصل فيه أقل الارتفاعات ل 20 متر، إلى كتلة الخطوات جنوب الإقليم وتصل فيه الارتفاعات إلى أزيد من 800 متر. دور الخصائص الجيومورفولوجية، العناصر المناخية والموارد المائية الوفيرة في التزايد السياحي بالجماعة: تنتمي جماعة عين تيزغة إلى هضبة بنسليمان المنحدرة نحو الساحل والمتجهة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي مكونة بذلك وحدة تضاريسية "المسيطا" الساحلية، أو المنضدة بإرتفاعات تتراوح ما بين 25 و30 متر إلى ما يقارب 250 متر، حيث يتميز السطح الهضبي للجماعة بالتجانس والتقطع إذ نميز بين

وحدتين توجد على شكل هضي متموج ومتقطع يتخذ اتجاهها موازيا للساحل (رشيدة نافع، 1997، ص12): تتميز جماعة عين تيزغة بموقعها الجغرافي الاستراتيجي المهم، إذ تعتبر منذ عهد الاستعمار مجالا للاسترخاء والاستجمام للمدن المجاورة. إضافة إلى تنوع ترابي، ومناخي حيث تعرف المنطقة فترات شميس مهمة، وقد ساهمت الطبيعة الجيولوجية لهذا المجال التي تغلب عليها رتابة السطح في توفر غطاء نباتي غابوي وأصناف مختلفة من النباتات الموزعة في جميع أنحاء المنطقة، حيث يستغلها السكان المحليين للعلاج أو للصبغة " تيزغة، الريحان. " كما تعرف المنطقة بغناها المائي، فهي تحتوي على شبكة مائية سطحية وفيرة، منها الواد الدائم، الرئيسي الشراط " ومجموعة من الضايات والعيون والآبار، بالرغم من أنها موسمية إلا أنها تغطي حاجيات سكان المنطقة.

2-1 كثافة سكانية مهمة واستيطان بشري قديم ساهم في خلق دينامية السياحة القروية أ.لهجة تاريخية وغنى الموروث الثقافي: تعتبر جماعة عين تيزغة من الجماعات التي استوطنت بإقليم بن سليمان إلى جانب العديد من القبائل، فقد كانت جماعة عين تيزغة مقسمة إلى جماعتين مستقلتين "جماعة عين تيزغة" و "جماعة موالين الغابة"، وسبب تسمية الجماعة بهذا الأسم راجع لوجود شجرة تيزغة الشوكية التي تعطي فاكهة صغيرة ذات اللون الأحمر والأخضر تشبه "النق" ومذاق محض توجد بكثرة داخل المنطقة فقد كان يستخرج منها دباغ وملونات استغلت بشكل كبير لتزويد السوق المحلي والتصدير(جمعية مدرسي علوم الحياة والأرض، 2007، ص 23).

ويعود أصل سكان جماعة عين تيزغة إلى قبيلتين منحدرتين من قبيلة موالين الغابة وهما: بني وراء والحسانسة ذلك أن أهل القبائل معروفون بحسن الإستقبال والكرم والضيافة للأجانب والفارين من العدالة للبحث عن ملجأ بغاباتهم(منوغرافية جماعة عين تيزغة، 2001، ص11).

إضافة إلى هذا اشتهرت قبائل الزيايدة منذ القدم بتنظيمها للمواسم إذ تعتبر ظاهرة إقتصادية وإجتماعية وثقافية وسياحية تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة لجميع أفراد القبائل، ومن أشهر المواسم التي يعرفها إقليم بنسليمان هو موسم سيدي محمد بنسليمان وموسم الطلبة وموسم جماعة عين تيزغة والمهرجان الربيعي.

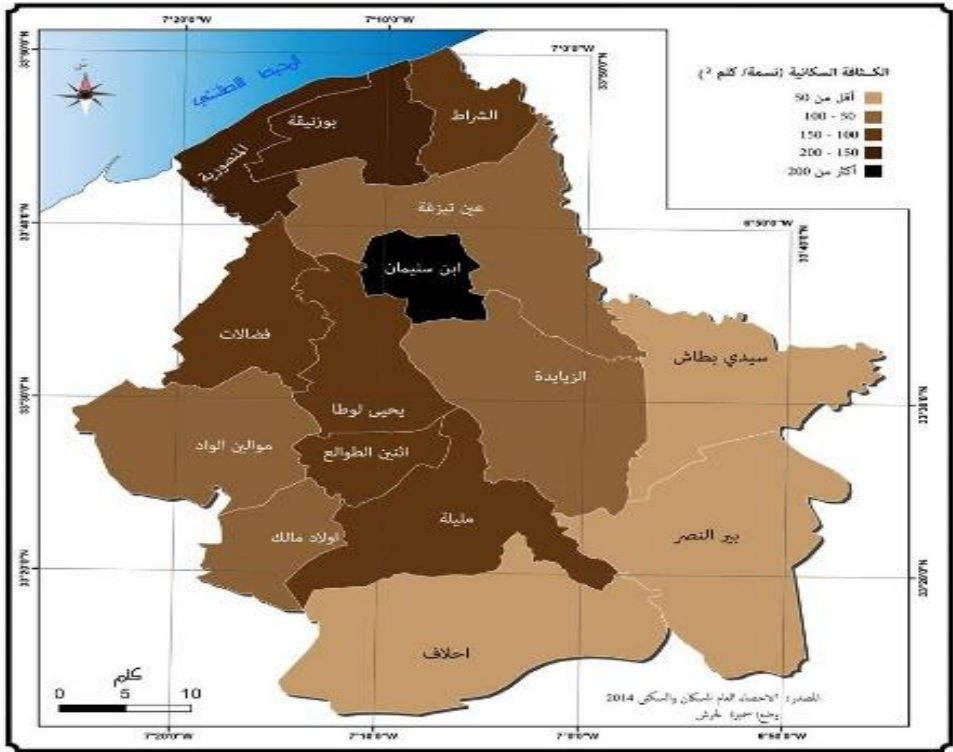
واشتهرت كذلك بالفرقة الفنية ذات شعبية كبيرة "عبيدات الرماة"، تتميز بتلقائيتها وطابعها المرح وشكلها البسيط، وهم الأشخاص المرافقين للصيادين أثناء الصيد فعند انتهائهم ليلا يجتمعون حول النار في الغابة، فيبينها يرتاح الصيادة يقومون عبيدات الرمي بخلق جو من الفرحة من خلال تقليد طريقة فرار الطرائد في قالب من الفكاهة من أجل الترويح عن الصيادة(عبيدات الرمي، 1986، ص8).

يعرف إقليم بنسليمان تفاوتاً كبيراً على مستوى الكثافة السكانية، إذ أنه يمكن التمييز داخله بين مجالات تسجل كثافة سكانية مرتفعة تتعدى 340 نسمة/كلم مربع كما هو الحال بالنسبة للجماعة الحضرية بنسليمان، أما بالنسبة للجماعتين الحضريتين الساحليتين بوزنيقة والمنصورية فيتعدى فيها معدل الكثافة 150 نسمة/كلم مربع، في حين نجد مجالات أخرى حيث الكثافة السكانية معتدلة، أو متوسطة وهي الجماعات القروية حيث يتعدى فيها معدل الكثافة السكانية 67 نسمة/كلم مربع كما هو الحال بجماعة عين تيزغة - الزيايدة - الشراط - فضالات - أولاد علي الطوالع - مليلة - الردادنة. - أولاد يحيى لوطا. ثم المجالات

ذات الكثافة السكانية الضعيفة مثل الجماعات القروية: موالين الواد ، أحلاف ، سيدي بطاش وبئر النصر ، حيث لا يتعدى فيهم معدل الكثافة السكانية 36 نسمة/كلم مربع.

وعلى العموم فإن جماعة عين تيزغة تظل من بين الجماعات الفتية على الصعيد الوطني ، التي تسجل نسبة متوسطة في معدلات التزايد السكاني وكذلك الكثافة السكانية ، إذ نجد في سنة 2009 أن معدل الكثافة السكانية بالجماعة 44 نسمة/كلم مربع ، في حين بلغ سنة 2014 63 نسمة/كلم مربع ويمكن تفسير هذه الظاهرة بكون الجماعة تعرف تنوعا مناخيا وترايبا أفرز غابة طبيعية واسعة ، إضافة إلى موقعها المتميز بين "الرباط و الدار البيضاء" جعل منها منطقة استيطان و منطقة جذب للمشاريع السياحية.

خريطة رقم 2: الكثافة السكانية بإقليم بن سليمان



3-1- تحتضن جماعة عين تيزغة مواقع سياحية مهمة تغني رصيد السياحة الإيكولوجية:

أ.موقع عين الدخلة: تقع على الضفة اليسرى لواد الشراط بدوار بني عيسي وتتميز بوجود مشاهد طبيعية تتمثل في مغارة كهف البارود والبروزات الصخرية الضخمة تمتد عبر سفوح واد الشراط ، إذ أن سفوحه مكسوة بغطاء نباتي كثيف.

ب.موقع عين القصب: يقع هذا الموقع في الجنوب الشرقي من الجماعة عند منابع عين القصب ، إذ يمثل شلال عين القصب الذي يصب في واد زروالة أحد روافد واد الشراط.

ج. موقع صخرة النهرة: تقع بدوار العيون ، الذي يتميز بوجود مشاهد طبيعية سياحية متنوعة في مجال غابوي شاسع إضافة إلى مشاهدة ضايات مختلفة الأحجام و بروزات صخرية.

د. موقع عين السفرجلة: يتميز هذا الموقع بوجوده وسط غابوي تغطي عليه أشجار البلوط الفليني والبروزات الصخرية ويتمحور حول عين سفيرجلة وضاية سفيرجلة وما يحيط بها.

2- ضعف البنى التحتية على مستوى المحاور الطرقية: بالرغم من المؤهلات الطبيعية التي تتوفر عليها جماعة عين تيزغة وكذلك لكونها قطبا سياحيا ايكولوجيا بامتياز إلا أنها لازالت تعاني من ضعف في البنى التحتية وخاصة على مستوى المحاور الطرقية الرابطة بين مركز الجماعة وباقي مناطق الإقليم. إذ نجد أن أغلب التجهيزات الصناعية والإقتصادية بما فيها البنية الطرقية بالإقليم هي طريق وطنية ساحلية يبلغ طولها 24,9 كلم تربط بين العاصمتين ، وطريق جهوية تنتشر بالإقليم طولها 215,4 كلم وطرق أخرى إقليمية تربط جماعات الإقليم ببعضها وبالمناطق الأخرى يبلغ طولها 5,367 كلم (نجوى بوبكري، 2013، ص 43). كما تتوفر الجماعة على مطار ذو بنية تحتية لا بأس بها لاستقبال الطائرات ، يمتد على مساحة 2750 هكتار ، ففي سنة 2006 استقبل المطار مختلف الأنشطة التي كان يحتضنها مطار الدار البيضاء أنفا ، وبتنظر أن يلعب المطار دورا مهما في تيسير حركة السياح.

3- بنيات الإستقبال السياحي ومقومات الحركة السياحية بجماعة عين تيزغة

3-1 بنيات الإستقبال السياحي:

3-1-1 مراكز الإستقبال السياحي: تشكل مراكز الإيواء السياحية على اختلاف أصنافها وأنواعها إحدى الآليات الأساسية لتنمية السياحة باعتبار الجماعة عين تيزغة وجهة مهمة لعدد من السياح. إذ أن الحديث عن المؤسسات السياحية في الجماعة يضعنا أمام أزمة في صناعة السياحة القروية. حيث نجد بالرغم من الطبيعية السياحية المتنوعة فإن مستوى البنية الاستقبلية لا يعكس بتاتا هذا التنوع إذ أن الوحدات السياحية بالجماعة لاتزال هشة. فنظرا لتزايد الطلب على المنتج السياحي الايكولوجي القروي من طرف العديد من السياح بمختلف بقاع المعمور ، أصبحت جماعة عين تيزغة محط اهتمام العديد من المستثمرين الذين بادرو إلى الاستثمار فيها بخلق وحدات سياحية ساهمت بشكل كبير في توزيع عروض الإيواء والاستقبال السياحي تماشيا مع متطلبات السياح بالجماعة.

جدول رقم 1: مؤسسات الإيواء السياحية بجماعة عين تيزغة

اسم المؤسسة السياحية	سنة التأسيس	التصنيف	المساحة	أصل المستثمر
Les Ruisseaux	2004	دار الضيافة	هكتار وربع	محلي
Reda land	2007	دار الضيافة	نصف هكتار	محلي
Centre la foret	2007	الدرجة 3	-	محلي
Le village de la foret	2009	مركب سياحي وفندقي	9 هكتارات	محلي
Les oliviers de Benslimane	2015	الدرجة الأولى	-	أجنبي
Ain laksab	2016	غير مصنف	هكتار	محلي
L'echappe belle	2017	غير مصنف	هكتار ونصف	اجنبي

المصدر: بحث ميداني 2017

بعدها كانت الجماعة إلى حدود سنة 2004 ، لا تتوفر على مؤسسات إيواء سياحية ، أصبحت اليوم تحتضن سبع وحدات إيواء ، خمسة مصنفة وإثنان غير مصنفتان.

1-3-2 الطاقة الاستيعابية لمراكز الإستقبال السياحي: حسب المعطيات التي حصلنا عليها من خلال البحث الميداني يتضح أن جماعة عين تيزغة تعرف ضعفا في طاقتها الاستيعابية وهذا مرتبط بقلة الوحدات الإيوائية بالدرجة الأولى، وهذا يدل على غياب الثقافة السياحية لدى الفاعلين، وضعف الجهود المبذولة في هذا الإطار.

جدول رقم 2: الطاقة الاستيعابية للمؤسسات السياحية بجماعة عين تيزغة

عدد الأجنحة	عدد الأسرة	عدد الغرف	
1	12	5	Les ruisseaux
1	10	10	Reda land
0	20	14	Centre la forêt
3	80	23	Le village de la forêt
2	18	9	Les oliviers de Benslimane
0	8	4	Ain laksab
4	0	0	L'échappée belle
11	138	65	

بحث ميداني : فبراير – مارس – أبريل 2018

1-3-3 ضالة اليد العاملة بمؤسسات الإيواء السياحية بجماعة عين تيزغة: إن مؤسسات الإيواء السياحية الموجودة بالجماعة لا توفر فرص شغل كافية لسكانها، فمن خلال المعطيات المتوفرة لدينا يتضح أن اليد العاملة بمجموع الوحدات الإيوائية لا تتجاوز 50 عامل وهذه النسبة جد ضئيلة بالمقارنة مع المؤهلات التي تتوفر عليها الجماعة.

1-3-4 التوزيع الزمني والمجالي لمراكز الإيواء السياحي

أ- التوزيع الزمني: تعتبر مؤسسات الإيواء السياحية أهم ركيزة للتنمية السياحية، وتتمركز مجاليا بجماعة عين تيزغة وظهرت زمنيا بشكل متفاوت. إذ نلاحظ تطورا في عدد مؤسسات الإيواء منذ سنة 2004 يعكس جودة المؤهلات السياحية المهمة والمتنوعة لهاته الجماعة، بالرغم من ضعف التجهيزات بها مع شبه غياب الطرق المعبدة ووسائل النقل الجماعية في اتجاه المواقع السياحية. وتجدر الإشارة أننا لاحظنا مجموعة من المشاريع السياحية في طور الإنجاز داخل تراب الجماعة لتثمين المؤهلات المتوفرة بعين تيزغة واستقطاب الطلب السياحي المتزايد.

ب- التوزيع المجالي: من خلال توزيع الوحدات السياحية داخل الجماعة يتضح أن جميعها تتواجد بالقرب من المواقع السياحية الطبيعية وذلك لاستقطاب السائح، الذي يزور تلك المواقع والاستفادة من الرواج السياحي الذي تعرفه هذه المنطقة.

1-3-2-2 الخدمات المقدمة بمؤسسات الإيواء السياحية

1-2-3 نوعية الخدمات المقدمة: إن الخدمات المقدمة بالمؤسسات السياحية تختلف من مؤسسة لأخرى فأغلب المؤسسات السياحية لا تتوفر على كافة الخدمات وهذا راجع بالأساس إلى قلة الإمكانيات وعدم دعم المؤسسات السياحية من طرف الدولة، فمعظم مؤسسات الإيواء السياحية مخصصة للإيواء فقط ولا تتوفر على جميع الخدمات وهذا يبين مدى التفاوت الكبير بين الوحدات الإيوائية.

2-2-3 خدمة الاستقبال والإيواء: إن خدمة الإستقبال تتميز بتقييم جيد، ف 85% من السياح أكدوا أن المؤسسات السياحية تتميز بجودة الاستقبال والإيواء. كما تعتبر الأئمة المقترحة من طرف مؤسسات الإيواء في المتناول فأغلبية النزلاء 95% أكدوا بأن أئمة خدمات مؤسسات الإيواء مناسبة بينما 5% من النزلاء لم تلائمهم هذه الأئمة وهذا يرجع إلى انخفاض القدرة الشرائية للنزلاء.

3-2-3 مقومات الحركة السياحي

أ- الفترات النشيطة لدى مؤسسات الإيواء السياحية: تعرف مؤسسات الإيواء السياحية رواجاً خاصة في فصل الربيع وفي فصل الصيف، وهذا راجع بالأساس إلى انتعاش الجماعة في هذه الفترة إما بسبب المواسم "موسم 5 الطلبة، مهرجان الربيعي" أو الجو الربيعي كما جاء في تصريح بعض أرباب المؤسسات السياحية.
ب- وسائل الدعاية المعتمدة من طرف مؤسسات الإيواء السياحية: من خلال العمل الميداني الذي قمنا به فإن جل المؤسسات السياحية المصنفة تعتمد على وسائل الدعاية لجلب السياح. فجل السياح يأتون عن طريق الأصدقاء 48%، 8% يأتون عن طريق الصدفة أو بطريقة أخرى. في حين أن 20% يتعرفون على المؤسسات السياحية عن طريق الانترنت والصفحات الخاصة بها في مواقع التواصل الاجتماعي (Facebook).

ج- الإشعاع الإقليمي لمؤسسات الإيواء السياحي بعين تيزغة: تعتبر السياحة بمثابة قاطرة للتنمية الاقتصادية بإضافة إلى القطاعات الأساسية الأخرى بالجماعة، إذ يرتكز تطوير القطاع السياحي بمدى وفرة مؤسسات الإيواء، والمواقع السياحية. فتعتبر الجماعة بمثابة متنفس للسكان المجاورة ومكاناً لتوفير بعض فرص الشغل للسكان المحلية. كما تحظى الجماعة بموقع استراتيجي وسط شبكة طرقية واسعة تسهل عملية الوصول للمواقع السياحية، فهي تشكل حلقة وصل بين الجماعة والسياح.

4- الطلب السياحي ودراسة بنية السياح الوافدين

1-4 تطور الليالي السياحية بجماعة عين تيزغة

أ- الوافدين على الجماعة: بالرغم من تحفظ بعض أرباب الفنادق عن الإفصاح عن بعض المعطيات المتعلقة بعدد الوافدين، فمن خلال البحث الميداني فإننا نستخلص ملاحظة أساسية وهي أنه رغم التفاوت في تصنيف المؤسسات السياحية فإنها تعرف إقبالا واضحا يتنوع حسب نوعية الزبون وقدرته الشرائية، إذ هذا المعطى يتضح أكثر في الفنادق غير المصنفة التي يتقارب فيها عدد الوافدين فيها بالفنادق المصنفة ذات الخدمات المتنوعة.

جدول: عدد الوافدين على مؤسسات الإيواء السياحية بالجماعة يومياً، شهرياً وسنوياً

المجموع	أوليفي (الدرجة الأولى)	ليشاب بيل	دار القصب	كرامة (الدرجة الثالثة)	رضا لاند (دار الضيافة)	ليغوسو (دار الضيافة)	قرية الغابة (مركب سياحي وفندقي)	
39	7	8	5	-	4	5	10	يومية
970	200	180	150	-	100	140	200	شهرية
10900	2400	1800	2000	-	900	1800	2000	سنوية

المصدر: بحث ميداني 2018

ب- الليالي السياحية: إن الليالي السياحية تختلف من مؤسسة إيواء سياحية لأخرى فمن خلال العمل الميداني يتضح أن كل من مؤسسة قرية الغابة le village de la foret و أوليفي بنسليمان Les Oliviers de Benslimane يحققان أكبر عدد من الليالي السياحية داخل الجماعة وهذا راجع لارتباطهم بعقود بيع بعض الشركات الوطنية والدولية التي تزودهم بالطلب السياحي.

جدول: عدد الليالي السياحية بالجماعة يوميا ، شهريا وسنوياً

المجموع	أوليفي (الدرجة الأولى)	ليشاب بيل	دار القصب	كرامة (الدرجة الثالثة)	رضا لاند (دار الضيافة)	ليغوسو (دار الضيافة)	قرية الغابة) مركب سياحي (وفندقي)	
81	20	12	6	-	9	10	24	يوميا
2190	540	300	150	-	250	260	700	شهريا
26200	6000	4000	2000	-	3000	3200	8000	سنويا

المصدر: بحث ميداني 2018

2-4- بنية السياح و وسائل النقل المستعملة للوصول للأماكن السياحية، والأماكن التي يزورها السياح

أ-4-2 دراسة بنية السياح حسب الجنس والسن

أ.حسب الجنس: يحتل الذكور نسبة مهمة من مجموع السياح تصل نسبتهم إلى 82%، في حين أن الإناث لا تتعدى نسبتهم 18%، وهذا راجع إلى كون المواقع السياحية تجذب الزوار الذكور أكثر من الإناث، لأن المواقع السياحية بجماعة عين تيزغة تتطلب المغامرة ويكون أن الذكور أكثر استعداد لممارسة هذا النوع من السياحة مقارنة مع الإناث.

ب.حسب السن: تعتبر المنطقة أكثر استقطاب للفئات التي تمثل العشرينات والثلاثينات حيث تمثل هذه الفئات 74%، مما يؤكد مدى اهتمام الشباب بهذا النوع من السياحة في حين نجد الفئات الممثلة للخمسينات والستينات لا تتجاوز 12%، والتي تقصد هذه المواقع بحثا عن الراحة والهدوء الذي تتميز به الجماعة. ولأشك أن احتلال فئة الشباب هذه المكانة يعود إلى كونهم يرغبون في ممارسة عدة أنواع من الرياضة التي توفرها هذه المواقع كالمشي وركوب الخيل وغيرها من الرياضات.

ج.تصنيف الوافدين على مجال الدراسة حسب المناطق الجغرافية: إن الطلب السياحي بجماعة عين تيزغة، يعرف طغيان الطلب الداخلي إذ يمثل 80%، وخاصة الدار البيضاء، الرباط، بنسليمان، بوزنيقة والمحمدية وذلك راجع لقرب الجماعة من هاته المدن. أما بالنسبة للعنصر الأوروبي فهم يمثلون 20% منهم فرنسيون، ألهمان وإنجليز. وبذلك فالمؤهلات السياحية والمناخ الذي تتميز بها الجماعة يلعب دورا أساسيا في استقطاب السياح الداخلين خصوصا والدوليون بدرجة أقل.

2.2.4 وسائل النقل المستعملة للوصول للمؤسسات و المواقع السياحية: تمثل السيارات الخاصة الوسيلة التي يستعملها الزوار للوصول إلى المؤسسات وزيارة المواقع السياحية بالمنطقة وهي سيارات خاصة بالعائلات أو مجموعة من الأصدقاء، ومن خلال البحث الميداني يتضح أن نسبتهم 70% بينما 15% يستعملون وسائل النقل الجماعية إما سيارة الأجرة أو الحافلات العمومية بالنسبة للجمعيات أو المخيمات أما نسبة 15% المتبقية تتعلق بالأجانب إذ يتم إرسال سائق المؤسسة لإحضارهم.

4-3 الأماكن التي يزورها السياح: تحتل المشاهد الغابوية مكانة مهمة في جذب السياح ، وذلك بالموازاة مع المشاهد والعوامل الطبيعية الأخرى كالكهوف والعيون والشلال والضايات إضافة إلى مناخ المنطقة...حيث يحتل منتزه عين الدخلة الصدارة بنسبة 54% إذ أن جل السياح يحرسون على زيارته بين الحين والآخر وذلك بفعل جماليته وتنوع المشاهد الصخرية والتشكيلة الغابوية إضافة إلى المجاري المائية وكهف البارود... وتحتل عين سفيرجلة الرتبة الثانية بنسبة 20% وذلك لتمييزها بمياه متدفقة باستمرار وغطائها النباتي المتنوع إضافة إلى البروزات الصخرية التي تعطي للمجال صبغة خاصة. أما موقع عين القصب فيحتل الرتبة الثالثة ب18% وذلك لتعدد المشاهد الطبيعية كالشلال الذي يضي على المنطقة رونقا متميزا ، إضافة إلى التشكيلة الغابوية والمشاهد الفلاحية والجو الصحي المعتدل الذي يفضله غالبية السياح الوافدين على المنطقة. إلى جانب هذا يزور السياح مواقع أخرى 8% التي بدورها لها مميزات وخصوصيات كصخرة النمرة والضايات.

خاتمة

تعتبر السياحة من الأنشطة المهمة التي تقوم عليها إقتصادات الكثير من الدول(مصطفى يوسف كافي ، 2016 ، ص 9). في هذا المقال قمنا بتسليط الضوء على واقع حال مؤسسات الإيواء السياحية في جماعة عين تيزغة التي حظيت بموقع مهم في إقليم بن سليمان فبالإضافة إلى طوبوغرافيتها ومؤهلاتها الطبيعية التي تتميز في مشاهد رائعة تجلب إليها الزوار كما توفر الجماعة إمكانية ممارسة مختلف أنواع الرياضات إلى جانب هذا فالجماعة تحتوي على موروث تراثي كونه في أزمنة سابقة وفي ظروف مناخية مغايرة عن الظروف الحالية. وتمثل الظروف المناخية وخاصة التساقطات المطرية وأيام التشميس خلال فصل الربيع وبداية فصل الصيف عاملا من العوامل المساعدة على تنمية النشاط السياحي. فهذه الظروف المناخية تحول الجماعة إلى مجال أخضر يدفع السياح إلى الخروج للإستمتاع بجو المنطقة وجمال تنوع الأشكال المائية بالجماعة من شلال وأودية وعيون وضايات... إضافة لهذا فالجماعة تنظم كل سنة مواسم ومهرجان ربيعي و إلى جانب عاداتها وتقاليدها التي تلعب دورا كبيرا في التنشيط السياحي.

فكل هذه المقومات السياحية بإمكانها أن تساهم في إغناء العرض والمنتوج السياحي وإبراز تنوعه بالجماعة كما أن المعطيات البشرية لعين تيزغة تساعد بدورها في تحقيق تنمية سياحية شاملة بهدف استيعاب حجم التوافد السياحي وتلبية حاجات السوق السياحي. إذ لبنيات الإستقبال السياحي دورا أساسيا في تحسين صورة القطاع السياحي بالجماعة من خلال تحقيق الجودة بكل الخدمات التي تقدمها للسائح ، وبذلك فلتنوع مراكز الإيواء السياحي وجودة خدماتها دور في ترويج النشاط السياحي وإنعاش الحركة السياحية داخل الجماعة. وتوفير مناصب الشغل لأبناء المنطقة و مساهمة في تحسين المستوى المعيشي للسكان. فكل هذه المقومات السياحية بإمكانها أن تساهم في إغناء العرض والمنتوج السياحي وإبراز تنوعه بالجماعة بما فيه مؤسسات الإيواء السياحية التي ظهرت بشكل متسارع في السنوات الأخيرة.

رغم كل الإكراهات التي تعاني منها الجماعة كضعف البنية التحتية وموسمية النشاط السياحي وضعف التسويق السياحي وتدهور الموارد الطبيعية وتفاقم ظاهرة التلوث...وغيرها من التحديات المطروحة ، لكن الإشكال الكبير الذي يفرض نفسه بقوة هو الوظيفة المزدوجة التي تقوم بها الجماعة باعتبارها مجالا فلاحيا

وصناعيا "مقالع" وسياحيا في نفس الوقت ، ومدى حجم التأثير السلبي للمقالع ومخلفاتها على النشاط السياحي إذ لا يمكن مزاولة النشاط السياحي داخل فضاءات طبيعية مهددة بدمار جمالها الطبيعي ، هذا سيرفع بالجهات الوصية إلى تبني خيار التوفيق والموازنة بين قطاع المقالع بسلبياته وإيجابياته والقطاع السياحي بمستلزماته وحاجياته.

قائمة المراجع:

- المختار الأكل(2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بنسليمان الطبعة الأولى دار أبي رقرق للطباعة والنشر ، الرباط. المغرب.
- ثريا بوحفاض (2008-2009)، المؤهلات الطبيعية والثقافية بإقليم بنسليمان واقع وآفاق تطوير السياحة البيئية أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في الآداب تخصص جغرافيا جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط. المغرب.
- رشيدة نافع (1997)، الخصائص الطبيعية لمنطقة المحمدية في مدينة المحمدية ومحيطها البيئي ، سلسلة الندوات رقم 5. كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، المحمدية. المغرب.
- عبيدات الرمي. موروث ثقافي
- عبد المجيد مستاكي(2012-2013)، الأنشطة السياحية وتأثيرها على المنظومة البيئية-الوليدية نموذج- بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا تخصص " السياحة والتنمية المستدامة " كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية.
- مصطفى يوسف كافي(2016)، مدخل إلى صناعة السياحة والتنمية الريفية من منظور تنموي وبيئي ، دار الابتكار للنشر والتوزيع ، الأردن.
- نجوى بوبكري(2012-2013)، المجال الغابوي بإقليم بنسليمان وآفاق تنمية السياحة البيئية المستدامة ، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافية تخصص السياحة والتنمية المستدامة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية.

تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعة الجزائرية وعلاقتها بجودة التعليم العالي دراسة ميدانية مقارنة بين

جامعة سطيف 02 وجامعة جامعة تيزي وزو وجامعة السعيدة

Title of the intervention: The Application of the principles of governance in the Algerian University and its relation to the quality of higher education: An Active Comparative study between Setif University 02, University of Tizi Ouzou and Saida University

د. طارق بوحفص ، جامعة مولاي الطاهر –سعيدة- الجزائر

د.فروق يعلى ، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف-2- الجزائر

د.سمير يوسف خوجة ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو- الجزائر

تمهيد:

ظهر مفهوم حوكمة الجامعات في الآونة الأخيرة ، لمحاولة التخفيف من حدة الأزمة الحقيقية التي تمر بها مؤسسات التعليم العالي رغم الإصلاحات المتتالية التي حظي بها قطاع التعليم العالي خاصة في الدول النامية ، إلا أن معظم الجامعات لم ترق إلى مصف الجامعات المصنفة في مراتب متقدمة عالميا ، مما يشير إلى أن الأزمة أزمة حوكمة بالدرجة الأولى .

والتحديات التي يواجهها هذا القطاع (مواكبة عولمة التعليم العالي ، وكذلك المنافسة على الصعيدين الإقليمي والدولي...) ، استدعت وضع سياسات وآليات لضمان جودة التعليم والإدارة بهدف إحداث تقدّم في المعرفة وخدمة المجتمع وتأهيل مخرجاتها لحياة أفضل ، إذ برهنت العديد من الدراسات والتجارب في العالم أن الحوكمة الرشيدة في مؤسسات التعليم العالي خطوة ضرورية من أجل تطوير جودة التعليم العالي بل هي من بين العناصر الأساسية التي تؤدي إلى تحسين المخرجات جودة التعليم .

لذا جاءت هذه الورقة للبحث والكشف عن الدور الذي يلعبه تطبيق مبادئ الحوكمة (مجالس القيادة والإدارة العليا ، المسؤولية والمساءلة ، المشاركة ، الاستقلالية ، الإفصاح والشفافية ، فعالية الأداء ، العدالة ، أخلاقيات الحوكمة) في تحقيق جودة التعليم (جودة البرامج الأكاديمية ، جودة الطالب ، جودة أداء أعضاء هيئة التدريس ، جودة البحث العلمي ، جودة الهياكل والمرافق التعليمية) في الجامعة الجزائرية من خلال استقصاء آراء هيئة التدريس بكل من جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة ملاي الطاهر سعيدة ، محاولين الإجابة عن التساؤلات الآتية:

-ما مدى تطبيق مؤسسات التعليم العالي الجزائرية لمبادئ الحوكمة ؟

-وما هو مستوى جودة التعليم العالي في المؤسسات الجامعية الجزائرية ؟

-وماهي طبيعة العلاقة الموجودة بين تطبيق مبادئ الحوكمة في المؤسسات الجامعية الجزائرية وتحقيق جودة التعليم العالي؟

أولا. أهمية وأهداف الدراسة: يستمد البحث أهميته من أهمية موضوع الحوكمة ، فحوكمة الجامعات تمثل إطار متكامل لخلق التوازن المنشود داخل الجامعة يهدف إلى تطوير قطاع التعليم العالي في ظل المبادئ

المتثلة في المساءلة، الشفافية، المشاركة وغيرها، وأيضاً مما تكتسبه الحوكمة من أهمية باعتبارها خطوة أساسية وضرورية لتحقيق الجودة الشاملة وبالتالي جودة التعليم العالي، وعلى هذا الأساس يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على مدى تطبيق مؤسسات التعليم العالي لمبادئ الحوكمة المتمثلة في: مجالس القيادة والإدارة العليا، المسؤولية والمساءلة، المشاركة، الاستقلالية، الإفصاح والشفافية، فعالية الأداء، العدالة، أخلاقيات الحوكمة.

- التعرف على جودة التعليم العالي من خلال تحديد مستوى: جودة البرامج الأكاديمية، جودة الطالب، جودة أداء أعضاء هيئة التدريس، جودة البحث العلمي، جودة الهياكل والمرافق التعليمية.

- التعرف على مدى وجود فروق في تطبيق مبادئ الحوكمة وكذا في تحقيق جودة التعليم العالي بين الجامعات محل الدراسة الميدانية.

- التعرف على العلاقة الموجودة بين تطبيق مبادئ الحوكمة بأبعادهما المختلفة.

ثانياً. **الحوكمة في مؤسسات التعليم العالي:** حددت ثلاثة مستويات مكانية للحوكمة: المستوى العالمي (الدولي)، مستوى الدولة (الوطني) ومستوى المؤسسة، أما عناصرها فهي ثلاثة أيضاً: الحكومة، القطاع الخاص والمجتمعات المدنية. (زهير عبد الكريم الكاظمي، 2003).

وسيتم التركيز على الحوكمة على مستوى مؤسسات التعليم العالي والتي لها خصوصيات سواء من ناحية التعريف، العناصر، الأهداف، المبادئ ومعوقات التطبيق.

مفهوم الحوكمة الجامعية: المقصود بالحوكمة الجامعية وضع معايير وآليات حاكمة لأداء كل أعضاء الأسرة الجامعية، من خلال تطبيق الشفافية وأساليب قياس الأداء ومحاسبة المسؤولين ومشاركة أطراف ذات المصلحة في عملية صناعة القرار وفي عملية التسيير والتقييم. (احمد عزت، 2010).

وهي طريقة يتم من خلالها، توجيه أنشطة الجامعة وإدارة أقسامها العلمية وكلياتها ومتابعة تنفيذ خططها الإستراتيجية وتوجهاتها العامة، كما تعكس الحوكمة الجامعية نظاماً يركز على تميز وجودة الإدارة الجامعية ومدى القدرة على التنافس مع المحافظة على الاستقلالية، دون الاعتماد على الآليات المركزية للإدارة (اسماعيل سراج، 2009).

ويرى الكاتبان "Marginson et Considine" أن الحوكمة الجامعية تحدد منظومة القيم داخل الجامعات أنظمة صناعة القرار، تخصيص الموارد، المهام والأهداف، نماذج السلطة وتسلسلها الهرمي، علاقات الجامعة بباقي المؤسسات الأكاديمية، بالوصايا، بسوق العمل والمجتمع (MEREDITH Edwards, 2002).

ويكمن التحدي الأساسي في كيفية خلق أو تخطيط نظم حوكمة، التي تضمن التسيير الجيد للجامعة وتأخذ بعين الاعتبار احترام تطبيق الحرية الأكاديمية وكل الالتزامات المفروضة على الوجه المقبول.

عناصر الحوكمة الجامعية: تتمثل في كل الأفراد والمؤسسات التي تشكل المحيط الداخلي والخارجي والتي تؤثر وتتأثر بالمحيط الجامعي، بصفة عامة يمكن تحديد عناصر الحوكمة على المستوى الداخلي والخارجي كما يلي (مقيدهش نزيهة، 2010):

المحيط الداخلي (الإطار البيداغوجي): يضم أربعة عناصر أساسية تتمثل في الطلبة، هيئة التدريس المسؤولين، الموظفين؛

المحيط الخارجي: يتكون من الوصاية (الوزارة)، المحيط الاقتصادي (سوق العمل)، المحيط الاجتماعي نقابة الأساتذة والتنظيمات الطلابية.

يمكننا القول عموماً، أن الحوكمة الجامعية هي نظام يحدد العلاقات بين العناصر المشكلة للمحيط الجامعي، تتأثر هذه العلاقات بواقع البيئة الداخلية والخارجية، وتقوم على مبادئ أساسية (المشاركة، الفعالية، الشفافية، الثقة...)، بحيث تحدد هذه المبادئ موقع وأدوار الأطراف ذات المصلحة وتوجه أداءهم نحو تحقيق أهداف الجامعة، تمثل هذه المبادئ إطار العمل، وبسبب غيابها اختلال توازن العمل.

أهداف الحوكمة الجامعية: إن تطبيق أسس الحوكمة الجامعية يهدف إلى:

-تقوية قدرة المجالس واللجان الأكاديمية (الإدارية والبيداغوجية)، لتهيئة أحسن الظروف الممكنة للتعليم والبحث والتسيير، وضمان التناسق في مراحل صنع القرارات على مختلف المستويات؛
-صنع القرارات الأكاديمية على نطاق واسع مستمد من وجهات النظر على مستوى الكلية والجامعة وتقوية ميكانيزمات للنقاش الأكاديمي المستمر بين الجامعة والكليات؛

-تسهيل مهمة أصحاب السلطة والمسؤولين، خاصة ما يتعلق باتخاذ القرارات الإدارية والبيداغوجية؛
-توسيع الخبرة الإدارية والبيداغوجية على مستوى المجالس واللجان، لضمان المشاركة في اتخاذ القرارات الهامة، تحديد المخاطر والفرص، تأدية الأفراد للواجبات الموكلة إليهم؛

-الارتقاء بالنظامين التعليمي والإداري في الجامعة إلى مستويات أفضل، وبذلك تحتاج الحوكمة في الجامعات إلى إدارة التغيير أكثر من التغيير نفسه وذلك ضمن سياسة تعظيم الانجاز وتوسيع المساءلة ومراقبة الأداء؛

-تعظيم قيمة الجامعة ومقدرتها التنافسية وبخاصة في مجال مخرجاتها ووضعها الإقليمي والعالمي، وبذلك فهي تعمل على تحديد الاتجاه الاستراتيجي لمحافظة على الموارد والمكاسب المادية والمعنوية للجامعة؛

-الاستخدام الأمثل لموارد الجامعة وتعزيز المساءلة، وتشجيع العمل الجماعي وحسن توزيع المهام وإدارتها وتطبيقها، مما يخفف من أوجه الاختلاف، ويزيد من حالات الاندماج والتفاعل بين أصحاب المصالح؛

-التكيف مع متغيرات البيئتين الداخلية والخارجية، وتقليل وجهات النظر المختلفة، وزيادة الاندماج مع المجتمع المحلي بما يسهم في تحقيق الميزة التنافسية في جودة مخرجاتها المادية والمعنوية، وفي سمعتها الأكاديمية والعلمية المحلية والإقليمية والدولية، ومدى حصولها على الاعتماد العالمي.

مبادئ الحوكمة الجامعية: حددت الأدبيات التي بحثت في الحوكمة ثلاث مبادئ أساسية تقوم عليها الحوكمة هي:

الشفافية: تمثل الشفافية الوضوح في تصميم وتطبيق النظم والآليات والسياسات والتشريعات وغير ذلك من الأدوات التي تكف لحق كل طرف من أطراف مؤسسات التعليم العالي، مع سهولة تدفق المعلومات الدقيقة والموضوعية وسهولة استخدامها من قبل الأطراف ذات المصلحة مما يسمح لطلبة الجامعات بالإفصاح لقادة الجامعة عن مشكلاتهم وانشغالاتهم، مما يولد حوار منتجاً ما بين قيادات الجامعة والطلبة؛

(http://www.msstate.edu/web/faculty_handbook/handbook.pdf13/07/2019).

المشاركة: هي إتاحة مجالس الحوكمة للهيئتين الأكاديمية والإدارية، والطلبة، والمجتمع المشاركة في رسم السياسات ووضع قواعد العمل فيما يخص الجوانب العلمية، البيداغوجية، الإدارية....، فيجب أن تشارك الأطراف المكونة للحوكمة الجامعية إما بصورة مباشرة أو عن طريق ممثلها في كل الأمور التي تتأثر بها سواء على المستوى الإداري أو الأكاديمي أو المالي، ولا بد أن تحتوي الحوكمة على كل مضامين المشاركة لمساندة قيادة الجامعة ومجالس الحوكمة فيها كنموذج في تطبيق سياسات الجامعة؛

المساءلة: المساءلة جوهر الحوكمة الجامعية، تتعلق بأصحاب السلطة والمسؤولية على مستوى الجامعات، فهم مسؤولين من كل الأطراف الداخلية والخارجية، وترتبط أساسا بالشفافية في اتخاذ القرارات والحوار الأكاديمي الديمقراطي، لهذا يجب أن تتميز السلطة الجامعية بدرجة كبيرة من الانفتاح والديمقراطية وهذا أيضا يرتبط بالمناخ السياسي للدولة، ومن ثمّ فالمساءلة فعل تقويهي هام وضروري لكل الجهات المسؤولة ومطلب رئيسي وحق للأطراف المرؤوسة(زهير عبد الكريم الكائد، 2003، 12).

ويتطلب تطبيق الحوكمة الجامعية إشراف لجتنتين تتمثل في: لجنة التنسيق ولجنة السياسات الجامعية، هذه الأخيرة تضم لجنة الشؤون الأكاديمية، لجنة شؤون الكليات، لجنة الشؤون الإدارية، لجنة شؤون الطلبة، لجنة الميزانية (مجلس ميزانية الجامعة، لجنة استشارة الميزانية)، لجنة التخطيط الجامعي.

معوقات تطبيق مفهوم الحوكمة الجامعية: تطبيق مفهوم الحوكمة الجامعية يتأثر بعدة معوقات نوجز أهمها في النقاط التالية(Santa Clara, 2000):

- المناخ الثقافي والعلمي السائد في المجتمع؛
- المناخ السياسي العام، المنظومة القانونية والتشريعية لمؤسسات التعليم العالي؛
- طريقة إدارة الجامعة؛
- غياب فكرة تقييم الطلبة للأداء الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس؛
- ضعف مشاركة الأساتذة الجامعيين والطلاب في الحياة الجامعية؛
- هيمنة الجانب السياسي والإيديولوجي على الجانب على الجانب العلمي والموضوعي على مستوى إصلاحات التعليم العالي.

ثالثا. الجودة في مؤسسات التعليم العالي:

جودة التعليم العالي: بأسلوب شامل هي فلسفة إدارية لقيادات الجامعة تركز على إشباع حاجات الطلاب والمستفيدين وتحقيق أهداف الجامعة، وتضمن الكفاءة المرتفعة في الحقل العلمي والبحثي، من أجل تحقيق التفوق والتميز. فهي إذن إستراتيجية متكاملة وفلسفة تعليمية للتطوير المستمر وتحسين المركز التنافسي للجامعة، وإرضاء الطلاب، وخدمة الأساتذة والعاملين والمجتمع، وهي تتطلب قيادة فعالة والتزام الإدارة وهيئة التدريس بالجودة، وتقديم برامج تدريبية لرفع كفاءة الأداء واستخدام طرق فعالة للتقييم.

عناصر جودة التعليم العالي: وتقوم جودة التعليم العالي على العناصر الآتية: التركيز على المستفيدين والطلاب، اعتبار الجودة جزء رئيسيا من إستراتيجية الجامعة التركيز على مشاركة الجميع واعتبار الكل في الجامعة مسؤول عن الجودة، تشمل الجودة كافة العمليات والأنشطة التي تطور وتغير ثقافة الجامعة.

أهمية جودة التعليم العالي: يحقق تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي الكثير من الفوائد أهمها: تحقيق جودة التعليم من جانب المعرفة والمهارة والأخلاق، تنمية روح التنافس والمبادرة بين المؤسسات الجامعية، أداء الأعمال بشكل صحيح في أقل وقت وبأقل جهد وبأقل تكلفة، حل المشاكل التي تعيق العملية التعليمية، بناء الثقة بين العاملين في المؤسسة الجامعية، وتقوية انتمائهم لها. **متطلبات جودة التعليم العالي:** تركز على المواصفات العامة للمؤسسة التي تعكس قدرتها على القيام بوظائفها. و تصف - في عبارات محددة - كيفية الاستدلال على قدرة المؤسسة التعليمية (الجامعية) وذلك من خلال عدد واف من البنود تشتمل على التخطيط الاستراتيجي، والهيكل التنظيمي، والقيادة والحوكمة، والمصدقية والأخلاقيات، والجهاز الإداري، والموارد المالية والمادية، والمشاركة المجتمعية وتنمية البيئة، والتقييم المؤسسي (مجدي عبد الوهاب قاسم، 2008).

التخطيط الاستراتيجي: هو نشاط تقوم به المؤسسة بغرض التوصل إلى خطة طويلة الأجل. الهيكل التنظيمي: الهيكل التنظيمي للمؤسسة يشمل المكونات الإدارية للمؤسسة وعلاقتها ببعضها البعض. القيادة والحوكمة: القيادة هي القدرة على تحفيز العاملين لمواجهة الصعاب وحل المشاكل لتحقيق الأهداف والوصول إلى الرؤية المشتركة.

المصدقية والأخلاقيات: توفرها في جميع العناصر و اجراءات العمل داخل مؤسسات التعليم العالي الجهاز الإداري: يمثل السند الرئيسي للقيام بالأدوار، وتحقيق الأهداف.

الموارد المالية والمادية: هي الداعم الرئيسي للمؤسسة في تحقيق أنشطتها، ودعم جهودها لتطوير وظائفها. المشاركة المجتمعية وتنمية البيئة: تساهم في تنمية المجتمع.

التقييم المستمر وإدارة الجودة الشاملة: يضمن لها القيام بوظائفها في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع بكفاءة وجودة.

وتبقى العلاقة بين الجودة والحوكمة علاقة تكاملية فتطبيق الجودة في مؤسسات التعليم العالي يتطلب إرساء وتعزيز مبادئ الحوكمة كما أن تطبيق مبادئ الحوكمة من العوامل والآليات الدافعة والمحفزة، بإمكانه تفعيل وتعجيل تحقيق نتائج الجودة الشاملة وهي جزء وهدف رئيسي في برنامج الجودة بحيث تضبط وتراقب الجانب القيمي لنظم الجودة (أمال محمد ابراهيم، 2016).

رابعاً. الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

فرضيات الدراسة: للإجابة على التساؤلات المطروحة تم صياغة هذه الفرضيات:

تطبيق مؤسسات التعليم العالي الجزائرية بعض مبادئ الحوكمة، مع وجود فروق في درجة تطبيقها بين الجامعات؛ ويتم قياسها بالمؤشرات التالية: مجالس القيادة والإدارة العليا. - المسؤولية والمساءلة. - المشاركة. - الاستقلالية. - الإفصاح والشفافية. - فعالية الأداء. - العدالة. - أخلاقيات الحوكمة.

مستوى جودة التعليم العالي في المؤسسات الجامعية الجزائرية متوسط، مع وجود فروق في مستواه بين الجامعات؛ ويتم قياسها بالمؤشرات التالية: - جودة البرامج الأكاديمية. - جودة الطالب. - جودة أداء أعضاء هيئة التدريس. - جودة البحث العلمي. - جودة الهياكل والمرافق التعليمية.

- توجد علاقة طردية قوية بين تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات الجزائرية و تحقيق جودة التعليم العالي بأبعادهما المختلفة.

مناهج الدراسة: انطلاقا من طبيعة الموضوع الذي يجمع بين مفهومين كبيرين هما الحوكمة والجودة وفرضياته المتنوعة وصفية وتأثيرية أهدافه المتعددة، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي كمنهج الأساسي في هذه الدراسة وبعض تقنيات المنه المقارن، مع الاستعانة بالطريقة الإحصائية في معالجة البيانات الميدانية. **مجتمع البحث والعينة:** أجريت الدراسة الميدانية ثلاث جامعات جزائرية هي جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة ملود معمري تيزي وزو وجامعة ملاي الطاهر سعيدة، وبالضبط على أعضاء هيئة التدريس بمختلف رتبهم والمنتحون إلى الجامعة بصفتهم أساتذة دائمين، أما عن العينة فتم الاعتماد على العينة الطبقية تحتوي على (300) أستاذ موزعين على ثلاث جامعات (100) أستاذ من كل جامعة. أما عن طريقة توزيع أدوات جمع البيانات فتمت بطريقة عرضية بقاعات الأساتذة داخل كليات الجامعات المعنية بالدراسة الميدانية إلى غاية الوصول إلى العدد المطلوب.

أدوات جمع البيانات: اعتمدت الدراسة على الاستبيان في جمع البيانات يحتوي على ثلاث محاور هما: المحور الأول: حول البيانات الشخصية للمبحوث يحتوي على الجنس، السن، الخبرة، الرتبة، الكلية والقسم.

المحور الثاني: أعد لقياس مبادئ الحوكمة بمؤسسات التعليم العالي يحتوي على (48) عبارة.

المحور الثالث: أعد لقياس جودة التعليم العالي يحتوي على (40) عبارة.

وتحتوي كل عبارة على خمس احتمالات للإجابة فمحور الحوكمة كانت تطبق بدرجة (عالية جدا، عالية، متوسطة، منخفضة، منخفضة جدا)، أما محور الجودة فكانت (موافق تماما، موافق بدرجة كبير، موافق بدرجة متوسطة، غير موافق بدرجة عالية، غير موافق بدرجة كبيرة) تمنح له درجة حسب اتجاهه من (05) إلى (01) إذا كانت العبارة في اتجاه البعد أي أنها تعبر عن تطبيق الحوكمة ويمنح لهما من (01) إلى (05) إذا كانت العبار عكس اتجاه البعد، والجدول التالي يوضح توزيع الأداة حسب محاورها ومؤشراتها.

جدول رقم(01): يوضح توزيع الأداة حسب محاورها ومؤشراتها			
محاور جودة التعليم العالي وعدد بنوده		محاور حوكمة التعليم العالي وعدد بنوده	
عدد البنود	المحور	عدد البنود	المحور
08	جودة الهياكل والمرافق التعليمية	06	مجالس القيادة والإدارة العليا
		06	المسؤولية والمساءلة
08	جودة البرامج الأكاديمية	06	المشاركة
		06	الاستقلالية
08	جودة أداء أعضاء هيئة التدريس	06	الإفصاح والشفافية
		06	فعالية الأداء
08	جودة الطالب	06	العدالة
08	جودة البحث العلمي	06	اخلاقيات الحوكمة
40	جودة التعليم العالي	48	حوكمة التعليم العالي

المعالجة الإحصائية للبيانات: الأساليب المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة الميدانية: لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات المجمعة تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية الإصدار 25 والذي يرمز له (SPSS.25) وهو برنامج يحتوي على مجموعة كبيرة من الاختبارات الإحصائية التي تندرج ضمن الإحصاء الوصفي مثل: التكرارات، المتوسطات، الانحرافات المعيارية، ...، وضمن الإحصاء الاستدلالي مثل: معاملات الارتباط، التباين الأحادي والمتعدد...إلخ، وبالنظر إلى طبيعة الموضوع وسعيًا لتحقيق أهداف الدراسة، فإن أنسب المقاييس الإحصائية التي تطلبها هذه الدراسة هي:

- اختبار ألفا كرونباخ "Alpha de Cronbach": أستخدم لحساب معاملات ثبات الاستبيان المستعمل في الدراسة على مرحلتين هما ثبات المقياس في الدراسة الاستطلاعية وثبات المقياس في الدراسة الميدانية، وهو من بين الاختبارات الأكثر استعمالاً لدقته واختصاره للوقت لكونه يعتمد على توزيع الأداة مرة واحدة فقط عكس اختبارات الثبات الأخرى التي تتطلب عادة توزيع الأداة على مرحلتين تفصل بينهما فترة لا تقل عن شهرين، وكانت قيمة ثبات محور الحوكمة يقدر ب(0.948) وثبات محور الجودة يقدر ب(0.94) وهما مقبولان إحصائياً باعتبارهما أكبر من (0.70) وبالتالي فالأداة صالحة ولو يعاد استعمالها مرة أخرى نتحصل على نفس النتائج بنسبة (94.8)% و(94.0)% على التوالي.

- اختبار كولموكوف سميير نوف "Kolmogorov-Smirnov": يُستعمل أجل تحد طبيعة التوزيع أي مدى خضوع البيانات إلى توزيع طبيعي (بارا متري) أم غير طبيعي (لابارا متري)، لأن كل نوع منهما يخضع لمعالجة إحصائية خاصة؛ وتأكدت توزيع البيانات وفق التوزيع الطبيعي باعتبار قيمة مستوى الدلالة تقدر ب(0.412) لمحور الحوكمة وب(0.91) لمحور الجودة وهما أكبر من مستوى الخطأ (0.05).

- التكرارات والنسب المئوية "Pourcentage" et "Effectifs": تم الاعتماد عليها في محور البيانات الشخصية من أجل وصف خصائص أفراد عينة الدراسة؛ وهنا لا يسع المجال لعرضها.

- المتوسط الحسابي "Moyenne": أستخدم من أجل معرفة متوسط إجابات المبحوثين حول عبارات ومؤشرات ومحاور ومؤشرات الاستبيان، ومن ثمة تحديد مستواها، مما يمنح الفرصة للمقارنة بينه وبين المتوسط الفرضي.

- الانحراف المعياري "Ecart type": تم الاعتماد عليه في تحديد قيمة ومستوى الفروق الفردية في إجابات المبحوثين حول عبارات ومحاور الاستبيان.

- المتوسط الفرضي "Valeur du test": يتم مقارنة المتوسطات الحسابية للعبارات والمتغيرات معه من أجل تحديد اتجاه إجابات المبحوثين حول عبارات ومؤشرات ومحاور الاستبيان، وفي هذه الدراسة تقدر قيمته ب(03)، فكل عبارة تُنقط من (01) إلى (05) وعليه فالمتوسط الفرضي يتم حسابه بهذه الطريقة [5/(5+4+3+2+1)].

- اختبار "ت" لعينة واحدة "Test pour échantillon unique": يُستعمل من أجل المقارنة بين المتوسط الحسابي للعبارات والمؤشرات والمحاور مع المتوسط الفرضي من أجل تحديد اتجاه إجابات المبحوثين، شريطة أن تكون البيانات كمية والتوزيع طبيعي.

- معامل الارتباط برسن "Corrélation de Pearson": يُستعمل من أجل تحد طبيعة ودرجة العلاقة الموجودة بين متغيرين يؤثران على بعضهما البعض عندما تكون بياناتهما كمية شريطة أن يكون التوزيع طبيعي، هدفه في هذه الدراسة هو تحديد طبيعة ودرجة العلاقة الموجودة بين الحوكمة وجودة التعليم العالي.

سادسا. النتائج العامة للدراسة: بعد عرض وتحليل بيانات الدراسة الميدانية ومناقشتها في ضوء الفرضيات توصلت هذه الدراسة إلى جملة من الحقائق المتعلقة بدور الحوكمة في تحقيق جودة التعليم العالي من وجهة نظر هيئة التدريس بكل من جامعة محمد لمين دباغين سطيف02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة ملاي الطاهر سعيدة، والتي يمكن عرضها كما يلي

1. فيما يخص تطبيق مؤسسات التعليم العالي الجزائرية لمبادئ الحوكمة:

جدول رقم (02): يوضح مستوى تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات الجزائرية						
الرتبة	القرار (تطبق)	مستوى الدلالة	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارات
07	غير دال (بدرجة منخفضة جدا)	0.00	02.90-	0.76	02.87	مجالس القيادة والإدارة العليا
06	دال (بدرجة منخفضة)	0.02	02.21-	0.78	02.90	المسؤولية والمسائلة
01	دال (بدرجة عالية جدا)	0.00	03.34	0.79	03.16	المشاركة
05	غير دال (بدرجة منخفضة)	0.04	02.04-	0.59	02.92	الاستقلالية
04	غير دال (بدرجة متوسطة)	0.82	0.22-	0.78	02.99	الإفصاح والشفافية
08	غير دال (بدرجة منخفضة جدا)	0.00	04.61-	0.74	02.80	فعالية الأداء
02	غير دال (بدرجة متوسطة)	0.08	01.74	0.73	03.07	العدالة
03	دال (بدرجة متوسطة)	0.21	01.25	0.70	03.05	اخلاقيات الحوكمة
/	غير دال (بدرجة متوسطة)	0.41	0.81-	0.59	02.97	تطبيق مبادئ الحوكمة

* يتم اتخاذ القرار عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) استنادا إلى المتوسط الفرضي (03) $[5/(5+4+3+2+1)]$.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن قيمة المتوسط الحسابي لتطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعة تقدر بـ(02.97) بانحراف معياري قدره (0.59) وهي قريب جدا من المتوسط الفرضي (03) وهذا يعني أن بعض الأساتذة وافق والبعض لم يوافق على مؤشرات هذا المحور.

وما يؤكد ذلك هي قيمة "ت" المقدره بـ(0.81) وهي غير دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستويات دلالة قدره (0.41)، أي أن هيئة التدريس يؤكدون على أن مستوى تطبيق مبادئ الحوكمة

في الجامعة متوسط ، ولكن هذا لا ينفي وجود تباين في اجابات الأساتذة حول مؤشرات هذا المحور التي جاءت في أربع مستويات:

المستوى الأول: متوسطاتها الحسابية أكبر من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "ت" لتلك المؤشرات موجب ودالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة أقل أو يساوي (0.01)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة عالية جدا ، وهي: والمشاركة.

المستوى الثاني: متوسطاتها الحسابية قريبة جدا من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "t" لتلك المؤشرات تغير دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة يفوق (0.05)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة متوسطة ، وهي: العدالة ، أخلاقيات الحوكمة ، الإفصاح والشفافية.

المستوى الثالث: متوسطاتها الحسابية أصغر من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "t" لتلك المؤشرات سالبة ووفي نفس الوقت دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستويات دلالة تتراوح من (0.02) و(0.05)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة منخفضة ، وهي: الاستقلالية (الأكاديمية/الإدارية/المالية) والمسؤولية والمساءلة.

المستوى الرابع: متوسطاتها الحسابية أصغر من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "ت" لتلك المؤشرات موجب ودالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة أقل أو يساوي (0.01)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة منخفضة جدا ، وهي: مجالس القيادة والإدارة العليا ، فعالية الأداء ، .

إذا بصفة عامة يمكن القول أن مستوى تطبيق مبادئ الحوكمة من وجهة نظر هيئة التدريس بكل من جامعة محمد لهيبن دباغين سطيف 02 وجامعة ملود معمري تيزي وزو وجامعة مولاي الطاهر سعيدة متوسط ، خاصة ما يتعلق بالعدالة ، أخلاقيات الحوكمة ، الإفصاح والشفافية ، مقابل تطبيقها لمبدأ المشاركة . أما مستوى تطبيق مبدأ الاستقلالية (الأكاديمية/الإدارية/المالية) والمسؤولية والمساءلة فكان منخفضا ومع تطبيق مبدأ مجالس القيادة والإدارة العليا ، فعالية الأداء بدرجة منخفضة جدا ؛ والجدول الآتي يوضح مدى وجود فروق في درجة تطبيق مبادئ الحوكمة في مؤسسات التعليم العالي محل الدراسة .

جدول رقم (03): يوضح مدى وجود الفروق في تطبيق مبادئ الحوكمة حسب الجامعة							
مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	مستوى الخطأ	القرار
بين المجموعات	04.86	02	02.43	07.26	0.00	0.05	دال (توجد فروق)
داخل المجموعات	99.47	297	0.33				
المجموع	104.34	299					

يبين هذا الجدول أن قيمة (ف) لتطبيق مبادئ الحوكمة حسب الجامعة تقدر ب (07.26) وهي دالة عند درجات الحرية بين المجموعات (02) وداخل المجموعات (097) بمستوى دلالة قدره (0.00). وهذا ما يعني أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تطبيق مبادئ الحوكمة حسب الجامعة ؛ والجدول التالي يبين مصدر هذه الفروق الدالة باستخدام اختبار "شيفيه".

جدول رقم (04): اختبار "شيفيه" لتوضيح اتجاه الفروق في تطبيق مبادئ الحوكمة حسب الجامعة				
الجامعة	م.ح	سطيف	تيزي وزو	سعيدة
سطيف	03.11		+	
تيزي وزو	02.80		-*	
سعيدة	02.99			

يتضح من خلال هذا الجدول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تطبيق مبادئ الحوكمة حسب الجامعة بين كل من جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو لصالح جامعة سطيف 02، في حين لا توجد فروق بين جامعة ملاي الطاهر سعيدة وبين كل من جامعة سطيف 02 وجامعة تيزي وزو.

وما يؤكد ذلك هي قيمة المتوسط الحسابي لدرجة تطبيق مبادئ الحوكمة في هذه الجامعات، إذ جاء متوسط الحسابي لجامعة سطيف 02 يقدر بـ(03.11) وتليها جامعة سعيدة بـ(02.99) ثم جامعة تيزي وزو بـ(02.80).

وعليه يمكن القول أن: تطبق تطبيق مبادئ الحوكمة بجامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 قريب من درجة تطبيقه في جامعة ملاي طاهر سعيدة، وأفضل من درجة تطبيقه في جامعة مولود معمري تيزي وزو.

2. أما في ما يخص مستوى جودة التعليم في المؤسسات الجامعية الجزائرية:

جدول رقم (05): يوضح مستوى تطبيق معايير الجودة في الجامعة الجزائرية						
العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة	القرار (التطبيق)	الرتبة
جودة الهياكل والمرافق	02.98	0.89	0.29	0.76	دال (بدرجة متوسطة)	02
جودة البرامج الأكاديمية	02.88	0.83	02.34	0.02	دال (بدرجة منخفضة)	03
جودة أداء هيئة التدريس	03.06	0.83	01.32	0.18	غير دال (بدرجة متوسطة)	01
جودة الطالب	02.62	0.73	08.74	0.00	دال (بدرجة منخفضة جدا)	04
جودة البحث العلمي	02.47	0.82	10.98	0.00	دال (بدرجة منخفضة جدا)	05
تطبيق معايير الجودة في الجامعة	02.80	0.68	04.84	0.00	دال (بدرجة منخفضة جدا)	/

* يتم اتخاذ القرار عند درجات الحرية (134) ومستوى الخطأ (0.05) استنادا إلى المتوسط الفرضي (03)

[5/(5+4+3+2+1)].

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن قيمة المتوسط الحسابي لتطبيق معايير الجودة في الجامعة تقدر بـ (02.80) بانحراف معياري قدره (0.68) وهياصغر من المتوسط الفرضي (03) وهذا يعني أن معظم الأساتذة لم يوافقوا على مؤشرات هذا المحور.

وما يؤكد ذلك هي قيمة "ت" المقدرة بـ (04.84) وهي دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستويات دلالة قدره (0.00)، أي أن هيئة التدريس يؤكدون على أن معايير جودة التعليم في الجامعة تطبيق بدرجة ضعيفة جدا، ولكن هذا لا ينفي وجود تباين في اجابات الأساتذة حول مؤشرات هذا المحور التي جاءت في ثلاث مستويات:

المستوى الأول: متوسطاتها الحسابية قريبة جدا من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "ت" لتلك المؤشرات غير دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة يفوق (0.05)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة متوسطة، وهي: جودة أداء أعضاء هيئة التدريس وجودة الهياكل والمرافق.

المستوى الثاني: متوسطاتها الحسابية أصغر من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "ت" لتلك المؤشرات سالبة وفي نفس الوقت دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستويات دلالة تتراوح من (0.02) إلى (0.05)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة منخفضة، وهي: جودة البرامج الأكاديمية.

المستوى الثالث: متوسطاتها الحسابية أصغر من المتوسط الفرضي (03) وقيمة "ت" لتلك المؤشرات سالبة وفي نفس الوقت دالة عند درجات الحرية (299) ومستوى الخطأ (0.05) بمستويات دلالة أقل أو يساوي (0.01)، وهي تمثل المؤشرات التي أكد الأساتذة على تطبيقها بدرجة منخفضة جدا، وهي: جودة الطالب وجودة البحث العلمي.

إذا بصفة عامة يمكن القول أن مستوى جودة التعليم من وجهة نظر هيئة التدريس بكل من جامعة محمد لهين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة مولاي الطاهر سعيدة منخفض، خاصة ما يتعلق بجودة أداء أعضاء هيئة التدريس وجودة الهياكل والمرافق التعليمية.

أما مستوى تحقيق جودة البرامج الأكاديمية فكان منخفضا مع تحقيق جودة الطالب وجودة البحث العلمي بدرجة منخفضة جدا؛ والجدول الآتي يوضح مدى وجود فروق في درجة تحقيق جودة التعليم العالي بين الجامعات محل الدراسة.

جدول رقم (06): يوضح مدى وجود الفروق في تحقيق جودة التعليم العالي حسب الجامعة							
مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	مستوى الخطأ	القرار
بين المجموعات	06.64	02	03.32	07.37	0.00	0.05	دال (توجد فروق)
داخل المجموعات	133.82	297	0.45				
المجموع	140.46	299					

يبين هذا الجدول أن قيمة (ف) لتحقيق جودة التعليم العالي حسب الجامعة تقدر بـ (07.37) وهي دالة عند درجات الحرية بين المجموعات (02) وداخل المجموعات (097) بمستوى دلالة قدره (0.00). وهذا ما يعني أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحقيق جودة التعليم العالي حسب الجامعة؛ والجدول التالي يبين مصدر هذه الفروق الدالة باستخدام اختبار "شيفيه".

جدول رقم (07): اختبار "شيفيه" لتوضيح اتجاه الفروق في تحقيق جودة التعليم العالي حسب الجامعة				
الجامعة	م.ح	سطيف	تيزي وزو	سعيدة
سطيف	02.69		*	
تيزي وزو	03.01	*		
سعيدة	02.70		*	

يتضح من خلال هذا الجدول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحقيق جودة التعليم العالي حسب الجامعة بين جامعة مولود معمري تيزي وزو وكل من جامعة محمد لمين دباغين سطيف02 وجامعة ملاي الطاهر سعيدة لصالح جامعة تيزي وزو، في حين لا توجد فروق بين كل من جامعة سطيف02 وجامعة سعيدة.

وما يؤكد ذلك هي قيمة المتوسط الحسابي لدرجة تحقيق جودة التعليم العالي في هذه الجامعات، إذ جاء متوسط الحسابي لجامعة تيزي وزو بـ(03.01) وتليها جامعة سعيدة بـ(02.70) ثم جامعة سطيف02 يقدر بـ(02.69).

وعليه يمكن القول أن: تحقيق جودة التعليم العالي بجامعة ملود معمري تيزي وزو أفضل من درجة تحقيقه في كل من جامعة ملاي طاهر سعيدة وجامعة محمد لمين دباغين سطيف02.

3. وعن علاقة تطبيق مبادئ الحوكمة في تحقيق جودة التعليم العالي:

جدول رقم (02): يوضح العلاقة بين تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات الجزائرية وتحقيق جودة التعليم العالي				
الترتيب	العبارات	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
01	جودة الهياكل والمرافق	0.60	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)
03	جودة البرامج الأكاديمية	0.46	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)
02	جودة أداء هيئة التدريس	0.51	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)
04	جودة الطالب	0.29	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)
05	جودة البحث العلمي	0.26	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)
/	تطبيق معايير الجودة في الجامعة	0.50	0.00	دال (توجد علاقة طردية قوية جدا)

* يتم اتخاذ القرار عند مستوى الخطأ (0.05).

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن قيمة معامل الارتباط بينتقدر ب(0.50) وهي دالة بمستوى دلالة قدره (0.00)، وهو ما يعني أنه توجد علاقة طردية قوية جدا بين تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات محل الدراسة وتحقيق جودة التعليم العالي.

وفي نفس الاتجاه جاءت معاملات الارتباط بين الحوكمة وكافة أبعاد جودة التعليم العالي إذ كلها تؤكد على وجود علاقة طردية وقوية جدا، مع وجود فروق في درجة قوتها، إذ قدرت قيمها على التوالي ب(0.60) بالنسبة لجودة الهياكل والمرافق و(0.51) لجودة أداء هيئة التدريس، (0.46) لجودة البرامج الأكاديمية، (0.29) لجودة الطالب و(0.26) لجودة البحث العلمي.

إذا بصفة عامة يمكن القول أن هناك علاقة طردية قوية جدا بين تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات الجزائرية (جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة مولاي الطاهر سعيدة) وتحقيق جودة التعليم العالي بأبعاده المتنوعة جودة الهياكل والمرافق، جودة أداء هيئة التدريس، جودة البرامج الأكاديمية، جودة الطالب وجودة البحث العلمي.

خلاصة: من خلال ما تم تناوله في هذه الورقة البحثية يمكن القول أن:

أن مستوى تطبيق مبادئ الحوكمة من وجهة نظر هيئة التدريس بكل من جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة مولاي الطاهر سعيدة متوسط، خاصة ما يتعلق بالعدالة، أخلاقيات الحوكمة، الإفصاح والشفافية، مقابل تطبيقها لمبدأ المشاركة، أما مستوى تطبيق مبادئ الاستقلالية (الأكاديمية/الإدارية/المالية) والمسؤولية والمساءلة فكان منخفضا ومع تطبيق مبادئ مجالس القيادة والإدارة العليا، فعالية الأداء بدرجة منخفضة جدا.

أن هناك فروق في مستوى تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعة الجزائرية حسب كل جامعة.

أن مستوى جودة التعليم من وجهة نظر هيئة التدريس بكل من جامعة سطيف 02 وجامعة تيزي وزو وجامعة سعيدة منخفض، خاصة ما يتعلق بجودة أداء أعضاء هيئة التدريس وجودة الهياكل والمرافق التعليمية، أما مستوى تحقيق جودة البرامج الأكاديمية فكان منخفضا مع تحقيق جودة الطالب وجودة البحث العلمي بدرجة منخفضة جدا.

أن هناك فروق في درجة تحقيق جودة التعليم العالي في الجامعة الجزائرية حسب كل جامعة.

أن هناك علاقة طردية قوية جدا بين تطبيق مبادئ الحوكمة في الجامعات الجزائرية (جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 وجامعة مولود معمري تيزي وزو وجامعة مولاي الطاهر سعيدة) وتحقيق جودة التعليم العالي بأبعاده المتنوعة جودة الهياكل والمرافق، جودة أداء هيئة التدريس، جودة البرامج الأكاديمية، جودة الطالب وجودة البحث العلمي.

قائمة المراجع:

أحمد عزت (2010)، مفهوم حوكمة الجامعات والفرض منها وسبل تطبيقها، 2008، وثيقة إنترنت متوفرة على الموقع: (تاريخ الاطلاع 2010/02/10)

آمال محمد إبراهيم (2016)، حوارات وأفكار ومناقشات ضمن الدورة التكوينية الوطنية الأولى للأساتذة الجامعيين بجامعة أم البواقي، تحت شعار: "تكوين أكثر لأداء مهني أفضل" الجزائر، الورشة التدريبية الموسومة بـ"تطبيق نظام الجودة الشاملة في القطاع التعليمي الجامعي".

إسماعيل سراج الدين (2009)، حوكمة الجامعات وتعزيز قدرات منظومة التعليم العالي والبحث العلمي في مصر.

- زهير عبد الكريم الكائد(2003) ، قضايا الحكمانية ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، القاهرة ، ،
<http://qadaya.net/node/3068.27>
- مجدى عبد الوهاب قاسم (2008) ، الدليل الإرشادى لتوفير المتطلبات اللازمة لضمان جودة التعليم والاعتماد لمؤسسات
التعليم العالي ، مصر ، الاصدار الأول.
- مقيدش نزيهة(2010) ، مذكرة ماجستير تحت عنوان "أهمية المعاينة في الدراسات الإحصائية ، دراسة تطبيقية حول الحوكمة في
الجامعة الجزائرية من خلال سبر لآراء طلبة جامعة فرحات عباس سطيف " للاطلاع على الدراسة انظر
الرابط:
<http://www.univ-setif.dz/MMAGISTER/images/facultes/SEG/2010/mkidechenaziha.pdf>
- MEREDITH Edwards, (2002), "Universitygovernance: A mapping and some issues", pp. 4-5, document
internet disponible sur le site:<http://www.atem.org.au/downloads/pdf/Governance.pdf> (consulté le
02/12/2009).
- Mississippi State University, "Principles For University Governance", 2000, pp. 2;5, document disponible
sur le site : <http://www.msstate.edu/dept/audit/PDF/0109.pdf> (consulté le 13/07/2019).
- SANTA CLARA UNIVERSITY,(2000) "FacultyHandbook" , , pp. 1-2, document disponible sur le site :
[https://www.scu.edu/media/offices/provost/policy-procedure/SCU-Faculty-Handbook-October-
2017.pdf](https://www.scu.edu/media/offices/provost/policy-procedure/SCU-Faculty-Handbook-October-2017.pdf)

التطور الكرونولوجي للمنهج في العلوم الإنسانية

The chronological development of the concept of methodology in human sciences

أ. هاشمي سيدي حسن ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس المغرب

مقدمة:

ينتمي مفهوم المنهج إلى زمرة المفاهيم الزبئية التي استأثرت باهتمام واسع من شتى فروع المعرفة ، ومن المفاهيم التي خلفت زحما بيبلوغرافيا كبيرا ، الهدف منه تبيان أهميته في إدراك الحقائق وعزل المعارف عن كل المؤثرات الداخلية والخارجية التي تزيّف الواقع المدرّس وتشوّهه .
لقد تميّزت غزارة الإنتاج المؤثرة لهذا المفهوم بالتقارب أحيانا إلى حد التشابه والتباعد أحيانا أخرى إلى حد التناقض كخاصية مميزة للعلوم الإنسانية ، صحيح أننا نلمس تشدّدا في المواقف والآراء التي تروم احتواءه ، لكن ذلك لا يرد إلى الرغبة في خلق سجل فكري دوغمائي عديم الجدوى ، أو إلى الرغبة في خلق نوع من الترف الفكري ، وإنما هي ضرورة فكرية استوجبتها الظاهرة الإنسانية المعقدة والمتعددة العناصر والجوانب .

لذلك نجد أنه اكتسب أهمية بالغة في جميع فروع المعرفة لما له من دور فعال في تجويدها وتصويب التفكير الإنساني نحو العلمية بعيدا عن التفكير العفوي الارتجالي غير المؤطر بالطرق والأدوات المنهجية ، التي تعتبر من حتميات وأساسيات إدراك الموضوعية المبحوث عنها ، فلا تستقيم الأبحاث ولا تعتمد نتائجها إلا إذا استندت في بنائها النظري والمنهجي على أسس المنهج المتينة والأدوات المساعدة على تنزيله .

إن المتمعن في تاريخ العلوم يدرك أن تاريخها مرتبط أشد الارتباط بتطور مناهجها كما ونوعا ، إذ ظهرت مناهج في الحقبة اليونانية وارتقت في المرحلة الحديثة لتصل إلى مرحلة النضج والاكتمال في حقبتنا المعاصرة وهي مناهج مواكبة لطبيعة المواضيع والظواهر المدروسة .

إن المحرك وراء هذا الاهتمام الواسع هو الرغبة في كشف دور هذا المفهوم في الارتقاء بالمعرفة ودوره الإيجابي في تنقيتها من كل الشوائب العالقة بمفهوم الحقيقة كمنتوج علمي ؛ من هذه العوالم أو الشوائب: هاجس الذاتية وسلطة الدين والتفسير الخرافي للظواهر بصنفيها الطبيعي والبشري .

سنحاول من خلال هذه المساهمة العلمية المتواضعة تناول هذا الموضوع انطلاقا من التتبع التاريخي الكرونولوجي لمفهوم المنهج لإبراز أهميتها في مقاربة الظواهر موضوع الدرس ، مع تبيان الجدل بين التيارين الوضعي والفينومينولوجي في طريقة الإحاطة بالظاهرة المدروسة بالخصوص الظاهرة الاجتماعية ، مع الإشارة بطبيعة الحال إلى أبرز الانتقادات التي لحقت بها على اعتبار أن الأول تأثر كثيرا بالذاتية ، بينما جرد الثاني الإنسان من المشاعر والأحاسيس وأغرقها في الصرامة منهجية التي جعلت من الباحث شبيها بآلة التصوير في دراسة ما هو إنساني .

من اليونان إلى الفترة المعاصرة: إن بداية الخوض في هذا المفهوم ضاربة بجذورها في عمق التاريخ ، بحيث لا يمكن أن نخوض فيه أو في أي مسألة فكرية أخرى دون أن نستهل مغامرتنا الفكرية من المرحلة

اليونانية، وهذا لا يعني أننا نتبنى الفكرة القائلة بأن الفكر وخاصة الفكر الفلسفي مجرد هوامش على المنتج العقلي اليوناني، لأنه موقف إقصائي مجسد للمركزية والدوغمائية الغربية التي تجعل من حضارتهم منبعاً وقطباً يحتذى، ويعتبر باقي الحضارات خاصة الشرقية مجرد هوامش تابعة، فقد أكدت مجموعة من الدراسات أن الفكر اليوناني استفاد بدوره من الفكر الشرقي من خلال ما يعرف بالتلاقح الحضاري أو ما يطلق عليه بعملية الميثاقفة مع كل من الحضارة الفارسية، المصرية والرومانية. بالرجوع إلى مفهوم المنهج يمكن أن نقول أنه "احتل (المنهج) في الحضارة الغربية مكانة هامة جداً إلى درجة أنها سميت بحضارة المنهج، ولا يعني ذلك أن الحضارة الشرقية (بما فيها الحضارة العربية والإسلامية) حضارة بدون منهج" (حنان قصبي ومحمد الهلالي، في المنهج، 2015). ولتأكيد هذه الفكرة نستحضر ابن خلدون مؤسس علم العمران البشري -علم الاجتماع بتسميته الحالية- كمشاهد يستدل به وكمثال للدراسة، "ف نجد أنه اعتمد في بحثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيج له الاحتكاك بها، فنجد مثلاً أن هناك تشابهاً إلى حد كبير بين ما جاء في قواعد منهج ابن خلدون، وبين ما يدعو إليه الأنثروبولوجيون المحدثون" (حسن فهميم، 1986) وتوج منهجه بالتوصل إلى قانون مفاده أن "التطور هو سنة الحياة الاجتماعية وهو أساس بحثه في الظواهر الاجتماعية" (حسن فهميم، 1986)

يمكن رد انبثاقه أو إرصاصاته الأولى إلى الفلسفة اليونانية مع سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد، من خلال استعانهه وتبنيه المنهج الجدلي التوليدي المستند على التهكم والسخرية لاستخراج أفكار الخصم ودحضها، ومن بعده أفلاطون الذي استعمل كلمة منهج "بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة" (محمد الغريب عبد الكريم، د ت)، وقد تبنى الجدول واعتبره كمنهج للارتقاء بالعقل من العالم المزيف إلى عالم المثل والعكس، من خلال الاستعانة إما بالجدول الصاعد أو الاستعانة بالجدول النازل، ثم أرسطو الذي "استخدم الكلمة بمعنى بحث" (محمد الغريب عبد الكريم، د ت) "واتخذ من المنهج الجدلي وسيلة منهجية للبرهان والاستدلال على اليقينيّات، في حين تحول مع السوفسطائيين إلى أداة للتضليل والتعتيم عن الحقيقة من خلال تغليب لغة الخطاب الخطابة والبلاغة وأساليب التضليل على المنطق والحقيقة المنشودة، وقبلهم- وكما يرى البعض- يمكن أن نرد ولادة المنهج الجدلي إلى زينون الإيلي الذي اعتمده بدوره كوسيلة لإدراك الحقيقة.

وفي نفس السياق أي الحديث عن المنهج الجدلي يتبين بجلاء استمرارية الخط الزمني واتصاله، حيث نجد أن المنهج الجدلي ظل قائماً في مختلف الفلسفات ولم ينقطع أثره، إذ ظهر مع مجموعة من الفلاسفة لعل أبرزهم هيغل، الذي تبناه للتعبير عن التغيير والحركة الدائمة للواقع، وتم تطويره من قبل ماركس الذي جعله سبباً وراء كل تطور، وقد ربطه بمجموعة من القوانين كقانون الصراع، وقبلهما كذلك نحد أن فكرة التغيير وحركة الفكر والسيطرة مستمدة تاريخياً من هيروقليطس في القرن الخامس قبل الميلاد من خلال قولته الخالدة: "إننا لا نستحم في النهر الواحد مرتين" كدلالة على التحول الدائم، كما أن هذه القولة وفي نظرنا الشخصي لبنة أساسية تم اعتمادها وتطويرها فيما بعد للدلالة على النسبية والانتقال على فكرة المطلق التي ظلت مسيطرة في العلوم الإنسانية والحقة.

"فمهما حاول فلاسفة اليونان من محاولات ، ومهما كان لمحاولاتهم من نتائج وثمرات ، وذلك في تغليب الموضوعية على الذاتية أحيانا ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحددوا بالدقة الوسائل التي يعتمد عليها العقل ليخلص من ذاتيته ، ويخرج عن نفسه إلى حيث يخلص إلى موضوعه ، ويستقبل بحثه لهذا الموضوع بحثا مستقلا عن نفسه" (رونيه ديكارت، 1968).

أما الحقبة الوسيطية فقد عاشت صراعا منهجيا بين العلم والكنيسة ، واتسمت عموما بسيطرة الفكر المدرسي الذي نوم النشاط العقلي وعطله ومنعه من إبراز بعده النقدي ، وحال دون اكتشافه نواميس الكون ، فصارت الحقائق الدينية المروجة متبناة من طرف العامة عن طريق التسليم التلقائي الذي لا يقبل التساؤل النقدي ، فكانت تصل إلى النفوس لكونها تخاطب الوجدان والعواطف لا العقل ، وهو ما سهل عملية الاستمالة وسهل عليها فرض الوصاية الفكرية على الإنسان الأوروبي ، ناهيك عن سياسة الإكراه الفكري التي فرضت من طرف محاكم التفتيش. فرغم تردي هذه الأوضاع وتراجع دور العلم وقيمه إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض المحاولات الفكرية الجريئة التي كانت بمثابة انفلاتات تحريرية من القبضة الحديدية للكنيسة ، فتوجت بثورة علمية في المجال الفلكي على يد كل من نيكولاس كوبرنيكوس ، جاليلي وكيبيلر... وفي مجالات أخرى كالفن ، والمجال الديني على يد كل من مارتين لوتر وكالفن... وقد أسهمت جراتهم العلمية المستندة على الملاحظة والتجربة بدل التسليم الأعمى ، بتحرير العقل من عطلاته وقصوره واستثارة ملكاته النقدية ، وبالتالي توجيه صفة لما كان يعتبر بديهيات ومسلمات ثابتة غير قابلة للنقاش ، مما خلخل معظم المعتقدات والثوابت واستفز بنية العقل وأفقدتها توازنها ، كإكتشاف مركزية الشمس لا الأرض ، وهي الحقيقة العلمية المخالفة للكتابين المقدس والمخالفة ربما لأركانون أرسطو كذلك .

وفي هذه المرحلة المفصلية بين حقبتين عرف "الغرب قلقا منهجيا نتيجة القطيعة مع ماضيه في بداية العصور الحديثة ، وهي قطيعة لم تعرفها الحضارة العربية الإسلامية" (حنان قصبي ومحمد الهلالي، 2015). وسبق أن أشرنا في هذا السياق لابن خلدون .

"لقد كان المجهود الذي تركت فيه قوة الفكر الإنساني إبان العصور الوسطى موجها إلى محاولة التوفيق بين العقل والإيمان ، بين عقائد الإسلام والمسيحية ، وبين أنظار الفلسفة اليونانية ومناهجها" (رونيه ديكارت ، 1968) بينما تميزت الفلسفة الحديثة عن سابقتها "برفع شعار محاربة الميتافيزيقا واللاهوت والخرافات التي تكبل تفكير الإنسان الأوروبي وتبلد عقله ، كما نادى هذه الفلسفة بمنح الحرية للعقل ، والقيام بنقد شامل لكل الأشياء والظواهر والمؤسسات والمفاهيم ، وإخضاع هذه المواضيع جميعها لمحك العقل والخروج بأوروبا من ظلام الجمود والظلم والأساطير إلى أنوار العقل والحرية والتقدم." (لمختار شعيب 2017). لقد تميز هذا العصر بسيادة "الثورة على القديم ، والرغبة في التحرر من التقليد ، والدعوة إلى آفاق جديدة وأفكار متطورة تخلص الإنسانية من شروط التسلط السياسي والاضطهاد الاجتماعي" (حسين فهمي ، 1986).

لاحت بوادر هذا الانعتاق في أفق الفكر البشري في أواخر العصر الوسيط مباشرة بجني ثمار التضحيات الجسام -إبان مواجهة الكنيسة والوصاية الدينية- استفاد منها وطورها مجموعة من المفكرين ، لعل أبرزهم فرنسيس بيكون الذي دعا في كتابه "الأرغانون الجديد" إلى ضرورة وضع قطيعة مع الماضي ومع الأفكار

السابقة لأنها ضللت العقل ، كبلته وأوقعته في الخطأ ، منها أفكار فلاسفة العصر الوسيط كتوما الأكويني والقديس أوغستين ، فسعى إلى تنقية العقل وتطهيره من كل الرواسب الفكرية والأوهام (أوهام القبيلة أو الجنس - أوهام الكهف - أوهام السوق وأوهام المسرح) لإخراج العلوم من طابعها النظري بالاعتماد على المنهج الاستقرائي القائم على الخبرة الحسية والملاحظة والتجريب .
فالمنهج حسب بيبكون يمكن اعتباره مجرد أداة تقنية فعالة عن طريق توظيفها يمكن إنتاج معارف علمية صحيحة .

بينما جعل ديكارت من الشك المنهجي سبيلا من السبل لاختبار المعارف والأفكار من خلال دعوته إلى ضرورة "التخلص من أحكامنا السابقة ، وأن نحرص على إطراح جميع الآراء التي سلمنا بها من قبل ريثما تنكشف لنا صحتها... ، وينبغي أيضا أن نراجع ما بأذهاننا من تصورات ، وألا نصدق منها إلا التصورات التي ندركها بوضوح وتميز..." (عبد الله إبراهيم 1997)

إن المنهج المقترح من طرف ديكارت جاء ليزيل القيود المفروضة على العقل من طرف المعرفة المفروضة والمراقبة من طرف الكنيسة ، وبالتالي فإن شكه في القضايا لم يكن شكا من أجل الشك فقط ، وإنما شكا من أجل رسم معالم وقنوات جديدة لإدراك المعرفة . فهو بمثابة أداة للتحقق من الأفكار عن طريق اصطفاؤها وغربلتها والاحتفاظ بالبديهي منها فقط .

يتألف المنهج عند ديكارت من المبادئ التالية: "ألا أقبل شيئا على أنه حق ما لم أعرف يقينا أنه كذلك ، بمعنى أن أتجنب بعناية التهور ، والسبق إلى الحكم قبل النظر ، والأدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز" (رونيه ديكارت ، 1968)

ويرى ديكارت أن أهم ما ميز هذه المرحلة هو "تسليم الدين قيادة العقل إلى العقل نفسه" ، وبتعبيرنتشوي يمكن أن نقول بداية أفول الأصنام وتراجع دور الكنيسة وسلطتها التوجيهية المطلقة من الحياة الفكرية والاجتماعية وفسحها المجال قسرا لترعرع العقل من جديد .

بعد ذلك حاول كانط تحقيق توافق فكري بين الاتجاهين التجريبي الذي يرى أن التجربة والحواس هي مصدر المعرفة ، والعقلي الذي يرى أن إدراكنا للظواهر يتم عن طريق العقل فقط من خلال قولته الشهيرة "المفاهيم العقلية دون حدوس حسية جوفاء ، والحدوس الحسية دون مفاهيم عقلية عمياء" .
دون أن ننسى مساهمة أوجست كونت الجادة في إثراء النقاش حول تطور طريقة التفكير أو المنهج المتبع من طرف العلماء في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" ، والذي قسم فيه طريقة التفكير إلى ثلاثة مراحل وهي:

- المرحلة الدينية ، المرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية: واعتبرها آخر مرحلة وصل إليها تطور الفكر البشري وتميزت بالتخلص الكلي والانعتاق التام من سلطة الدين والميتافيزيقا اللذين أطرا الفكر البشري وتحكما فيه لفترات طويلة من الزمن .

تتميز المرحلة الأولى بطغيان الفكر الخيالي، بينما يطغى الفكر المجرد على المرحلة الثانية، أما الثالثة الأكثر اكتمالا فتتسم بالطابع العملي، فالأولى حسب الجابري تشكل نقطة انطلاق الفكر البشري والثالثة مبتغاه والثانية مرحلة انتقالية.

صحيح أن هذه المراحل المتسلسلة "تختلف فيما بينها وتعارض لكن السابق منها يؤدي إلى اللاحق ضرورة" (محمد عابد الجابري، 2014).

المنهج في العلوم الإنسانية: من الوحدة إلى التعدد: تعرضت العلوم الإنسانية في سيرورة تطورها لمجموعة من الصدمات التي جرحت كبرياءها وزعزعت ثقفتها بنفسها بسبب مجموعة من النظريات العلمية ونتائجها المبهمة، فكان هذا النجاح بمثابة تغذية راجعة لتحسين ذاتها وتأكيد استقلاليتها عن تأثيرات العلوم الحقة، فاتخذت لنفسها مناهجا وأدوات بحث إجرائية تيسر للباحث بلوغ مدركه المنشود.

قبل التطرق لهذا الموضوع لابد من الإقرار بتشابك وتداخل عناصر العلوم الإنسانية موضوعا ومنهجيا، وأن الفصل بينها كان فصلا منهجيا الغرض منه تسهيل عملية الدراسة فقط.

إن التأكيد على ملحاحية الاهتمام إلى منهج خاص بالعلوم الإنسانية ظهر حين انفصلت الفلسفة (أم العلوم) عن باقي المعارف، متأثرة بما حققته العلوم الطبيعية، مما دفعها إلى محاولة تقليدها ومحاكاة منهجها القائم على الملاحظة، الفرضية، التجربة لاختبار الفرضية ومن ثم الاستنتاج وتعميم النتائج.

لقد كانت نتيجة هذه الثورة المنهجية دافعا وراء ظهور الاتجاهين التقليديين الراميين إلى مقارنة الظاهرة الإنسانية هما الاتجاه الوضعي الذي دعا إلى ضرورة تناول المواضيع والظواهر الإنسانية بنفس الطريقة التي تدرس بها مواضيع العلوم الحقة واعتبار هذه المواضيع كمادة قابلة للاحتواء من طرف المنهج التجريبي بغية التجرد من الأحاسيس والمشاعر ضمانا لمبدأ الموضوعية والحياد.

لم يسلم هذا الاتجاه من الانتقاد المشكك في فعاليته، فحسبهم يكمن قصوره في تجريده الذات الدارسة من الجوانب الإنسانية المشككة لها -النفسي الاجتماعي...-، مما يؤدي إلى إفراغ الموضوع المدروس من جوهره. فحسب المنتقدين فما دام الإنسان هو الدارس وهو المدروس فهناك نوع من التماهي الذي لا يمكن إنكاره أو استبعاده ولو بشكل مؤقت.

في مقابل ذلك ظهر الاتجاه الفينومينولوجي الذي رفض اعتبار الإنسان كمادة لأن هذا الأخير " ليس عددا رياضيا ولا شكلا هندسيا ولا أداة ملموسة، إن الإنسان روح لا تقبل الكم ولا القياس ولا تخضع للملاحظة والتجريب." (علي عبد المعطي محمد، 1996) وتدعيما لنفس الاتجاه رفض التوسير " النزعة الاختبارية في العلوم الإنسانية، ذلك لأن المفهوم الاختباري لا يعير اهتماما لوضعية الذات (فيها إذا كانت سيمولوجية أو تاريخية أو لا)، ولا لذلك الموضوع فيما إذا كان متحركا أو ساكنا). ويرى كذلك أن عملية المعرفة بكاملها تتمثل في عملية التجريد التي تقوم بها الذات العارفة، وحينئذ تكون المعرفة عبارة عن تجريد الماهية عن الموضوع الواقعي، تلك الماهية التي يكون تملك الذات لها معرفة" (محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، 2009)، وفي نفس السياق يرفض عبد الله حمودي فرض تجربة العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية، "ويركز على أن لا إقصاء للذات، بل يجب الانطلاق من كونها تحد دائما نفسها منخرطة في جميع ظواهر الوجود، وأن الخوض في موضوع ما لا ينفصل عن الذات البانية له." ومنه يمكن القول أن عملية التقليد والمحاكاة

المنهجية التي تبنتها العلوم الإنسانية في محاولتها لجني ثمار مشابهة للنتائج المحققة في العلوم الطبيعية أمر صعب التحقق ، لأن الإنسان كتلة من المشاعر التي لا يمكن إخضاعها للدراسة على غرار المادة باعتماد المنهج التجريبي والوضعي ، إذ لا يستحيل تجريد هذه الذات المعقدة البناء من مكوناتها اللامادية كالانفعالات والجانب الروحي... فحسب الاتجاه الفينومينولوجي المعارض للنزعة الوضعية التجربة من اختصاص العلوم الطبيعية ، بينما تدرس العلوم الإنسانية من خلال اعتماد الفهم والتأويل. رغم أن هذا المنهج هو الآخر لا يقدم معرفة علمية صحيحة.

ونتيجة لهذا السجال الفكري ظهرت مجموعة من المناهج المختلفة المواكبة لتشعب الظاهرة الإنسانية معتبرة أن لكل موضوع منهج يلائمه ، من جملة هذه المناهج نذكر: المنهج التجريبي القائم على مجموعة من الخطوات المترابطة فيما بينها بدء من الملاحظة وصياغة الفرضيات واختبارها للتأكد من مدى صحتها أو مجانبتها للصواب وانتهاء باستنباط القوانين المتحكمة في الظاهرة وتعميمها ، في مقابل ذلك يقوم المنهج التاريخي على تدوين الأحداث الماضية ودراستها لفهم الماضي والحاضر من جهة والتنبؤ بما ستؤول إليه الأحداث في المستقبل من جهة أخرى ، وهناك المنهج المقارن المعتمد على تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر المدروسة ، بينما يرد المنهج الاجتماعي أسباب الظواهر المدروسة لأسباب اجتماعية ، وقد عمل دوركايم على تطوير هذا المنهج باعتماد أرضية الفكر الوضعي من خلال كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع على "اعتبار الظواهر الاجتماعية كأشياء" ، وذلك بخلق مسافة عقلية والتزام الحياد أثناء دراسة موضوع ما ، وأن لكل ظاهرة اجتماعية ظاهرة اجتماعية أنتجتها تكون الأولى سببا للثانية والثانية نتيجة لها.

في حين أن المنهج السيكلوجي ينطلق من الذات الإنسانية ومن نزواتها وانفعالاتها وجوانب أخرى لدراسة الظواهر البشرية ، أما المنهج البنيوي مع أبرز رواده مالمينوفسكي ، رادكليف براون وكلود ليفي ستراوس ، فقد وظف لدراسة الظواهر الاجتماعية وغيرها "في إطارها الكلي ، لذلك يبتعدون عن المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها البنائي" (عبد الرحمان العيساوي 1996) دون أن ننسى المنهج الوصفي القائم على وصف عناصر الظاهرة المدروسة لاكتشاف القوانين المتحكمة فيها ، والسيميائي الذي يساعد على فهم النصوص وتأويلها (فريد أمعضشو ، المنهج السيميائي ، مجلة ضفاف ، العدد 6 ،) "أي البحث عن دلالة الإشارات والرموز في الحياة الاجتماعية ، ولا غشاضة في تبني المنهج التكاملي القائم على المزج بين منهجين أو أكثر ، لاستجلاء الظاهرة المدروسة بشكل شمولي... وغيرها من المناهج الأخرى.

إن كون الإنسان ذاتا دراسة وموضوعا تحت الدرس ، يعقد مأمورية الباحث في العلوم الإنسانية ويزيد عملية اختيار المنهج الفعال صعوبة ، مما يجعل إمكانية طرح السؤال القائل: كيف للإنسان أن يدرس نفسه؟ مسألة مقبولة من حيث الطرح الإبتستيمولوجي ، ورغم بساطة هذا السؤال على الأقل من الناحية السطحية ، إلا أنه يخفي إشكالا منهجيا كبيرا مرتبطا بثنائية الذاتية والموضوعية المطروحة في كل بحث علمي ، لا لشيء إلا لأن الإنسان وحدة مركبة ، دينامية تنطوي على كتلة من الشحنات العاطفية التي يستحيل التجرد منها ببساطة ولو بشكل مصطنع في لحظة من اللحظات.

خاتمة:

لهذا السبب وفي ظل استحالة التعامل مع الإنسان وما ينتجه من ظواهر اجتماعية وثقافية بطريقة ميكانيكية آلية ، وجب تبني نوع من المرونة المنهجية والتزام الجهاد قدر الإمكان عن طريق توظيف مجموعة من التقنيات المساعدة على التنزيل السليم للمنهج المعتمد، كتقنية الملاحظة بالمشاركة المقرونة بالمعايشة للفئة المستهدفة، لوصف وتفسير والتنبؤ بما هو مدروس ، وتحقيق ما دعا إليه مالفينوفسكي حين قال: ينبغي على الباحث أن يكون كآلة التصوير في تصويره للواقع.

قائمة المراجع:

- محمد الغريب عبد الكريم ، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات ، الطبعة الثانية. دون تاريخ
-محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم ،مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثامنة. 2014
-حنان قصبي ومحمد الهلالي ، في المنهج ، دفاثر فلسفية ، دار توبقال للنشر. 2015
-جهيل حمداوي ، البحث التربوي مناهجه وتقنياته ، دار نشر المعرفة ، الطبعة الثانية 2018
-حسن فهيم ، قصة الأنثروبولوجيا ، مجلة عالم المعرفة، 98 ، 1986
-عبد الله ابراهيم ، المركزية الغربية ، إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، 1997،
-رونيه ديكرت ، مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمد الخضير ، 1968
-عبد الرحمان العيساوي ، قضايا العلوم الانسانية ، إشكالية المنهج ، سلسلة الفلسفة والعلم 1996
-فريد أمعششو ، المنهج السيميائي ، مجلة ضفاف ، العدد السادس.
-المختار شعيب نظرية المعرفة عند كانط ، جريدة هسبريس 1 أبريل 2017
-علي عبد المعطي محمد ، قضايا العلوم الانسانية ، إشكالية المنهج ، سلسلة الفلسفة والعلم 1996
-محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي ، المعرفة العلمية ، دفاثر فلسفية ، دار توبقال للنشر ، 2009

اللغة والهوية: اشكالات تاريخية في المدرسة المغربية

Language and identity: historical problematic in the Moroccan school

أنضال العسري

كلية علوم التربية ، جامعة محمد الخامس بالرباط- المغرب

تعد إشكالية اللغة والهوية موضوعا دراسيا شائكا في كل المجتمعات الإنسانية ، حيث انكب مختلف الباحثين والمفكرين على دراسته ، كل من زوايته الخاصة. فكينونة الفرد وأساس وجوده وشعوره بالانتماء إلى أصل أو أصول مشتركة نابعة أساسا من اللغة ومن خلالها الهوية، ولا شك أن العلاقة بين المركبين الاشكاليين قد فرضت نفسها بقوة في الأدبيات الغربية عموما وفي المجتمع العربي على وجه الخصوص ، حيث تتشابه حدودهما مع كثير من التيارات الاجتماعية ، النفسية ، الفكرية ، التربوية ، والسياسية...

إن العلاقة الجدلية المعقدة بين المركبين تطرح على وجه الخصوص في مستوى تشكل أو إعادة تشكل هوية الفرد أو إنتاجها واللغة التي يتحدث بها ، بمعنى آخر ، مدى وحدود تأثير هوية الفرد باللغة التي يتحدثها سواء أكانت أصلية أم أجنبية ، فإذا كانت اللغة هي الأساس المتين الذي تنهض عليه الأمة —كما يقول أندرسن— فإن الهوية تشكل محور كينونتها وماهيتها ، وعليه فلا بد أن تشكل اللغة المكون الأساس في أي مقارنة منهجية لدراسة إشكالية الهوية الفردية والجماعية لأي مجتمع.

وسنحاول في هذه الدراسة تمحيص هذه العلاقة وتشخيص وضعها الفعلي من خلال بحث أمبريقي يسلط الضوء على لغة التعليم في المدرسة المغربية وعلاقتها بالهوية ، آخذين بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية ، الثقافية ، والاجتماعية للمتعلم .

الاشكالية: ما طبيعة العلاقة بين لغة التدريس والهوية عند المتعلم المغربي؟

أسئلة البحث:

- ما طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية؟ وكيف تساهم اللغة في تشكيل بنية الهوية وإعادة توجيهها لدى المتعلم المغربي؟

- هل تؤثر لغة التدريس المستخدمة في المدرسة في تشكيل الهوية الوطنية للمتعلمين؟ وما طبيعة هذه التأثيرات؟

- هل يؤثر اعتماد اللغات الأجنبية في التدريس في تشكيل الهوية الوطنية للمتعلمين وتوجيهها؟

- كيف يساهم التدبير اللغوي في الحفاظ على الوظيفة الهوياتية الأساسية للمدرسة المغربية؟ وما مدى استجابته للحاجيات التربوية في ظل التعدد الثقافي والانفجار المعرفي الكوني؟

- هل تؤثر الدراسة باللغة الأجنبية في مستوى ارتباط المتعلمين باللغة الوطنية؟ وما حدود هذا التأثير؟

- ما مكانة اللغة العربية كمكون هوياتي رئيس ضمن التوازنات اللغوية والهوياتية في المدرسة المغربية؟

فرضيات البحث: نفترض من خلال هذا البحث ما يلي:

- تساهم لغة التدريس في تشكيل وإعادة تشكيل وتوجيه بنية الهوية لدى المتعلم المغربي

- التدريس بلغة أجنبية يؤثر سلبا في هوية المتعلم ويعيد توجيهها

أهداف البحث :

- دراسة التدبير اللغوي المجسد في المدرسة المغربية وتأثيره في هوية المتعلم وخصائصه
- الكشف عن طبيعة العلاقة الرابطة بين لغة التدريس وتشكيل هوية المتعلمين
- معرفة حدود ومدى مساهمة لغة التدريس في تشكيل أو توجيه هوية المتعلمين
- دراسة التأثيرات السلبية/الإيجابية المحتملة للغة التدريس على بنية الهوية لدى المتعلمين
- رصد وتحليل التأثيرات المحتملة جراء التدريس بلغات أجنبية وانعكاساته على كل من اللغة والهوية الوطنيتين

أهمية البحث ومبررات إجرائه :

يستمد البحث أهميته العلمية انطلاقا من راهنيته النظرية والتطبيقية ، وذلك انطلاقا من الدور الأساسي الذي تلعبه اللغة عموما واللغة العربية على وجه الخصوص في تشكيل الهوية الوطنية (العربية) وبنائها ، كما يأتي البحث في سياق احتدام النقاش حول جدوى ونجاعة اعتماد التدريس بلغات أجنبية ، وذلك موازاً مع التحذيرات المتكررة التي ما فتئ يطلقها الباحثون والمتخصصون في الشأن التربوي/اللغوي ، والمنسجمة مع الصيحات المطردة التي تطلقها مختلف المؤسسات الثقافية العربية والعالمية تجاه المخاطر المحدقة بالهوية العربية ، بسبب ضعف حضورها في التدريس وعجز السياسات اللغوية عن بلورة خطة لغوية شاملة قابلة للتطبيق بالشكل الذي يعزز حضور اللغة العربية كلفة محورية للتواصل التربوي ، قادرة على مسايرة المستجدات العلمية.

يستمد هذا البحث أهميته العلمية انطلاقا من هدفه الرامي إلى إنتاج رصيد معرفي يحسس بأهمية الحفاظ على مكانة اللغة العربية وضرورة تعزيز أدوارها ووظائفها داخل المدرسة ، واعتبارها لغة أساسية في التعليم وذلك تجنباً للتشويش على هوية المتعلم وزعزعت استقراره وأمنه اللغوي ، وللوصول إلى ذلك فإن هذا البحث يركز على المقارنة بين تأثير لغة التعليم (وطنية/أجنبية) في تشكيل الهوية وبنائها وتوجيهها لدى المتعلم المغربي.

من الناحية الميدانية ، سيسعى هذا البحث إلى إخضاع الفرضيات القائمة حول تأثير اعتماد اللغات الأجنبية في التدريس (سلبا أو إيجابا) على هوية المتعلم وذلك عبر إخضاع مختلف المواقف النظرية للاختبار والاحتكام إلى الميدان التربوي المغربي ، من خلال المتغيرات التي تروم تعزيز أو تقنين الطرح القائم حول إسهام اللغات الأجنبية في إعادة توجيه هوية المتعلم أو تشويشها ، أو التسبب في الاغتراب الثقافي للمتعلم المغربي.

لذلك فالبحث يسعى إلى توفير مادة علمية حديثة تنبه بأهمية الهوية والحفاظ عليها في علاقتها بلغة التدريس وذلك انطلاقا من كون اللغة العربية أداةً تعليمية فاعلة ، كما أنها المكون الحافظ للثقافة العربية والضامن لاستمرار هويتها.

1. لغة التدريس والهوية : مدخل مفاهيمي: أصبح موضوع الهوية في ارتباطه باللغة من أكبر القضايا المطروحة بشدة في الساحة العلمية ، ذلك لأن حدودها تتشابك مع كثير من المشارب والروافد الاجتماعية ، الفكرية ، التعليمية التربوية ، وحتى السياسية .

إن العلاقة الثابتة بين اللغة وهوية المجتمع سواء في تشكيلها أو إعادة تشكيلها وإنتاجها نابعة بالأساس من قيمة اللغة ، التي تشكل مكونا حيويا وهي الأساس الذي تنهض عليه قصة الأمة كما يقول أندرسن .

في المقابل تشكل الهوية في تصور العديد من الباحثين قضية اختيارية تشكل اجتماعيا يكتفي الفرد بإضافة أشكال التعدد والتنوع إليها ، وبالتالي فمسألة الهوية تتجاوز في جوهرها الإرادة السياسية ، يؤكد الباحثون أن اللغة هي التي تولد الهوية وأن الهوية هي في جوهرها وعمومها مسألة لغوية أو ظاهرة لغوية . (جوزيف ، 2007)

سنحاول انطلاقاً من وعينا بهوية التمييز والفصل بين المكونين أن نضيء جنباته من خلال مدخل مفاهيمي يعين على التحديد الدقيق للمسميات .

1.1. لغة التدريس: تحديد ومناقشة الاشكالات التربوية المرتبطة بها: تعرف اللغة على أنها نسق عام أو نظام تواصلية يتكون من عدد محدود من الرموز التي تنتظم في شكل أصوات وحروف وإشارات يتم التأليف بينها حسب قواعد متفق عليها ، وانطلاقاً من هذا العدد المحدود من الرموز يتم إنتاج عدد لامتناه من الوسائل اللغوية تنتظم في شكل منطوق شفوي أو مكتوب .

تختلف لغة عن اللهجة التي هي ترتيب كلامي ينتهي إلى أصل معين ويتفرد عن غيره في النطق والمفردات وبعض التراكيب . (العروي ، 1997)

إن اللغة تجسد أداة و وسيلة تواصلية بين الأفراد والمجتمعات وهي إنتاج فردي واجتماعي في نفس الوقت تعكس حاجة الفرد إلى الشعور بالانتماء النفسي والاجتماعي والثقافي والارتباط بالجماعة البشرية ، وحاجة الإنسان التعايش وفق جماعات تلبى حاجاته ومتطلباته وتحافظ في نفس الآن على وجوده وكيانه وهويته . (معتوق ، 1996)

أما اللغة بمعناها الاجتماعي والثقافي فإنها تتجاوز كونها وسيلة تواصلية تخاطبية إلى أن تصبح ظاهرة اجتماعية وعلامة مميزة للمجتمع البشري كما أنها الضامن لمرور الإنسان من حالة الطبيعة (الغريزة) إلى حالة الثقافة ، وفي الحالة التي يصبح الإنسان قادراً على إنتاج المعاني وامتلاك وعي يمكنه من التحكم فيها .

أما لغة التعليم فإنها تعرف بكونها مفهوم يندرج ضمن المفاهيم والمصطلحات التي تم إقرارها حديثاً لوصف اللغة وتصنيفها ، وذلك ضمن مجموعة مفاهيم أخرى ، كلغة الأدب ، لغة الدين ، لغة العلم ، لغو التواصل الأكبر ، اللغة الأم ، اللغة المحلية ، اللغة الكونية ، اللغة القديمة ... (حجازي ، 2011)

يمكن من الناحية الإجرائية تعريف لغة التعليم على أنها مجموعة من المفردات والرموز والتراكيب والأصوات والإشارات والمعارف والقواعد التي يتم الاعتماد عليها في المراحل التعليمية المختلفة من أجل إنجاز المهام والأدوار والوظائف التعليمية والتربوية .

إنها الأدوات التي يتواصل بها المدرس مع تلاميذه وهي وسيلة نقل الأفكار والمعارف والمعلومات والخبرات ، كما أنها وسيلة استقبال التلاميذ للدرس والمعلومة لتساهم في تنمية وجدانهم وأفكارهم ومشاعرهم وأنماط شخصيتهم.

إن لغة التعليم تمثل بالتالي منهجا للتعليم والتعلم والتفكير ، ووجهة للنظر وأسلوبا للتصور ، يتجاوز مجال استخدامها المنزل ووسائل التفاعل الاجتماعي إلى مؤسسات التعليم الرسمي والتربوي.

2.1. الهوية: مقوماتها ومحدداتها في السياق المغربي: يجمع الباحثون والمفكرون على صعوبة إيجاد تعريف دقيق ومحدد للهوية ، ذلك أنها تدخل ضمن المفاهيم المرنة التي تؤدي محاولة ضبطها في تعريف محكم إلى هروب أجزاء منها أو غيابها.

وهي مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في جل الحقول المعرفية ، وبالرغم من تمتعه بقدر كبير من التجريد والعمومية التي تتفوق على مختلف المفاهيم الأخرى المقابلة والمجانسة له فإنه يمتلك طاقة كبيرة لفهم العالم وما يتضمنه من كينونات الأنا الآخر ، لذلك فقد فرض هذا المفهوم نفسه في الأدبيات المعاصرة بشكل واسع.(Andrson, 1991)

ترتبط الهوية بخلفيات ذات دلالة لغوية وفلسفية ونفسية واجتماعية وثقافية ، وتستخدم الهوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى (Identity) التي تشير إلى سمة مطابقة الشيء لنفسه ، أو الاشتراك مع شيء آخر يشابهه في الصفات والخصائص نفسها.

يميز الباحثون بين ثلاثة مستويات من الهوية ، الأولى وطنية قومية والثانية جماعية والثالثة الهوية الفردية أو الذاتية ، وبالرغم من ذلك فإن هناك جدلا واسعا حول كيفية التعاطي معها وجوانب النظر إليها بين من يعتبرها خاصة موضوعية ترتبط بمعايير تجريدية في اللغة والدين والثقافة ، وبين من يعتبرها مكسبا ذاتيا بحثا يتوافق الناس حوله.

2. مقومات الهوية وأسسها من خلال السياسة التربوية المغربية: من الواضح إذن أن مسألة الهوية مسألة مركبة ومتداخلة تتقاطع فيها أسس عدة بين اللغة والدين والتراث والثقافة والارتباط التاريخي والجغرافي إضافة إلى إمكانية إدراج أجهزة الدولة ومؤسساتها التدريسية في هوية المجتمع ، والواضح إذن أن السياسة التربوية قد أخذت بعين الاعتبار كل المقومات السابقة لبناء خارطة تربوية وفلسفة ناظمة للتوجه التعليمي ونورد في هذا الباب بعض الأسس الهوياتية التي تنبغي عليها السياسة التربوية في المغرب.

حيث شكل موضوع لغة التدريس نقطة نقاش كبيرة منذ فجر الاستقلال إلى الآن. حيث نجحت المحاولات التي نهجها المغرب في ترسيم اللغة العربية. لغة للتدريس إلى حدود التعليم الثانوي التأهيلي ، بينما استمرت اللغة الفرنسية لغة للتدريس في جل شعب التعليم العالي لاسيما منها الشعب التقنية والعلمية.

1.2. مكون اللغة: انطلاقا من المكانة السامية للغة كمكون أساس في تشكيل الهوية ، ووعيا بدورها الكبير في توحيد المجتمع فقد نصت جميع الدساتير على كون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمغرب. وانطلاقا من هنا فإن السياسة التربوية للبلد ، قد ارتكزت بالأساس على هذا المكون الحيوي ، وعززت من حضوره ، بالرغم من وجود اختلافات بين التشريعات والتوجهات الرسمية ومستوى الممارسة.

لقد ظلت اللغة ولازالت الوسيلة الفعالة لتوحيد الأمم فألمانيا وحدت على أساس اللغة ومثلها إيطاليا وفرنسا ، وهو ما أكده الفيلسوف الألماني فيخته الذي بأن اللغة القومية والهوية هما أمران متلازمان .

2.2. التاريخ: يشكل التاريخ وعاء حافظا لنشاط الإنسان وشاهدا على وجوده في الزمان والمكان ، بالإضافة إلى كونه عبارة عن ترابطات متلاحمة من الوقائع التي عرفتها الأجيال ، وبالتالي كان لزاما على السياسة التربوية أن تمتح من هذا التاريخ لحفظه أولا والاعتراف بوجوده وصونه من الأندثار .

إن الحديث عن التاريخ في رسم معالم السياسة التربوية يتجاوز بعده السياسي إلى أبعاد أخرى في مقدمتها تاريخ الشعوب خلال مسارها في الحياة ، وسبل تغلبها على مختلف العراقيل المطروحة أمامها. بل ويشكل تجربة حية تساعد على تجاوز أخطاء الماضي لعيش الحاضر واستشراف المستقبل .

من هنا ، فإن عامل التاريخ المغربي المشترك يشكل رافدا من روافد توحيد المغرب بكل أطرافه وتلويحاته .
3.2. التراث: يعد التراث جزءا بالغ الأهمية في رسم هوية السياسة اللغوية والتربوية في المغرب ، ويعنى به في هذا السياق كل ما وصل إلينا من نتاج من فكر القدماء وعلومهم وحرفهم وعاداتهم ومآثرهم التاريخية ،...
لقد صح هنا القول بالمأثور بأن كل أمة بلا تراث هي أمة بلا هوية ، لقد وعي دارسو السياسة التربوية بأهمية هذا التراث في صون الذاكرة والوجود واعتبروه مكسبا يستوجب الاعتزاز به وتثمينه .

ولا عيب أن يجعله الميثاق الوطني للتربية والتعليم ثالث المرتكزات الثابتة التي يتأسس عليها ، حيث أقر أن النظام التربوي المغربي يتأهل في التراث الحضاري والثقافي للبلاد بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة ويستهدف حفظ هذا التراث وتجديده وضمان الإشعاع المتواصل لما يحمله من قيم خلقية وثقافية .

4.2. الدين: يشكل الدين بعدا من أبعاد الهوية وتجل من تجلياتها ، حيث انتساب الأفراد إلى مجموعة دينية معينة يجعلهم يشعرون بالاشتراك في هوية جماعية واحدة ، فسكان المغرب ينتمون إلى الهوية العربية ليس فقط بفعل الانتماء إلى مقومات العروبة المتعلقة أساسا باللغة والثقافة الإسلاميين وإنما جاء هذا الانتماء أيضا بفعل تغذيته بالاعتقاد الديني الإسلامي على وجه الخصوص ، فالدين إذن يشكل عقدا متكاملًا مع التاريخ والتراث لتشكيل وبناء هوية الفرد المغربي .

لقد جعلت السياسة التربوية من مكون الدين أولى مرتكزاتها وبوآته موقع الصدارة حيث يقر الميثاق الوطني (الميثاق الوطني للتربية والتعليم ، 1999) بأن نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصالح .

3. المقاربات النظرية الأساسية للغة التعليم والهوية: من الواضح أن النقاشات حول لغة التعليم وحقيقة تأثيرها على هوية المتعلمين هي نقاشات كونية تشهدها كل الأمم رغم اختلاف درجات حدتها ونسبة الخوض فيها ، إلا أنه من الملاحظ أن هذه النقاشات غالبا ما تتخذ شكلا قطبيا ثنائيا يستند إلى مقاربات فطرية ، يمكن تمحيصها وتوزيعها إلى مقاربتين رئيسيتين:

المقاربة الأولى: التعاطي مع مسألة التعليم بلغة أجنبية بوصفها وسيلة فعالة وحيوية تضمن الانفتاح الثقافي والفكري على العالم ، وتتيح إمكانية خلق أواصر التواصل والتفاعل مع مختلف بلدانه ، حيث ينظر هذا التوجه إلى أن استخدام المتعلم للغة عالمية أو كونية مهيمنة على مختلف معالم الاقتصاد والمال والأعمال –

الانجليزية نموذجًا- وتمكنه منها. ويتيح له مناخًا تعليميًا مناسبًا ويضمن ارتقاء مهنيًا سريعًا مقارنة مع اكتفائه بلغته الأم.

إن أصحاب هذا التوجه والمدافعين عنه يرون في استثمار التعليم بلغة أجنبية وسيلة فعالة لرفع مردودية التعليم والارتقاء بجودة المخرجات التربوية.

المقارنة الثانية: ترى هذه المقاربة أن التوجهات الآتية والمستقبلية للتدريس بلغة أجنبية يشكل في واقع الحال إقصاء مقصودًا وممنهجًا للغة الأم ويقلص دورها التربوي. وبالتالي نفي أي إرادة حقيقية للإصلاح على اعتبار ذلك يشكل تهديدًا حقيقيًا لذاكرة الأمة، كما أنه يشكل عاملاً لنفي الهوية اللغوية والدينية ويجعل المتعلم يعيش حالة من الغربة أو الإقصاء الثقافي ويحد من قدرته على الخلق والإبداع بلغة الأم.

يدافع الطرف الثاني عن تهديد اللغة الأجنبية للغات الأم، والتصديق على وجودها وحضورها في الساحة التواصلية والتربوية خاصة في مدارس الامتدادات ذات الطابع اللغوي الأجنبي أو مدارس البعثات الأجنبية، التي تحث وفي بعض الأحيان تجبر المتعلمين على التحديث بغير لسانهم والتفكير بلغة يبذلون جهدًا كبيرًا لفك شفراتها واستيعاب المعرفة بها.

وهو العامل الذي يعزز الشعور بالنقص والدونية تجاه الآخر ويقوي نزعة الانكسار أمام الآخر، وبالتالي يمهّد الطريق لاكتساب شخصية هشّة مفتقدة للحس النقدي ومستهلكة لكل الأنماط الفكرية والقيم الغربية الدخيلة.

4. خلاصات ونتائج:

خلاصة القول فإن الدراسات المنجزة في مسألة الكشف عن مدى تأثير التعليم لغير اللغة العربية أو التعليم الأجنبي تكشف عن نداخل كبير حاصل في الحقول المعرفية التي ينصهر فيها هذا الموضوع، حيث يجد اهتمامًا تربويًا نفسيًا ولغويًا، ثم اهتمامًا ثقافيًا اجتماعيًا به، وبالتالي كان من البديهي اختلاف القضايا التي تمت معالجتها وكذا النتائج والتأويلات المتوصل لها.

إن الآثار المترتبة عن التدريس بلغة من اللغات سواء أكانت إيجابية أمة سلبية، لا تزال في تصورنا مجرد أطروحات ومعطيات نظرية يحتاج معظمها إلى الاحتكام إلى محك الواقع الميداني، وإخضاعها للتجريب وذلك بغية التأكد من مصداقيته وصلاحيته إمبيريقيا.

قائمة المراجع

- أحمد محمد معتوق. (1996). الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها. الكويت: عالم المعرفة.
الميثاق الوطني للتربية والتعليم. (1999).
جون جوزيف. (2007). اللغة والهوية. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
عبد الله العروي. (1997). ثقافتنا في ضوء التاريخ. المركز الثقافي العربي.
محمود فهمي حجازي. (2011). علم اللغة الاجتماعي وتنمية الاستخدام اللغوي في المجتمع المدني المعاصر. القاهرة: ندوة المجتمع المصري للغة العربية.

Benedit Andrson. (1991). Imagined communities: Reflexions on the origin and spread of nationalism. London.

الإنتقاء والتوظيف في المؤسسة

ط د. بوشو علاء الدين

ط د. رحمان خليفة

د. سليبي ساسية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر

مقدمة

تستخدم المؤسسة عدة موارد منها: المالية ، المادية والبشرية. وتمثل الموارد البشرية أهم مورد بحكم أنه لا يمكن تحقيق أي أهداف محددة بدونها (بيكر ، شولتز 1964) نقلا عن (Mihaela Dumitrana, al, 2011). كما أن أهميتها تكمن في المساهمة في الإقلاع التنموي ، باعتبارها العنصر المؤهل والقادر على مزج جميع الموارد الأخرى وتسخير كل إمكانياتها في إدارتها وإستغلالها من خلال إدارة معاصرة تهتم بالجانب السلوكي والإداري ويستمد المورد البشري أهميته في المؤسسة كونه العنصر الرئيسي في عمليات الإنتاج والخدمات والمحرك الأساسي لبقية العناصر وهو الوسيلة والغاية من عمليات الإنتاج والخدمات نفسها. فلا أدل على إزدياد الوعي بأهمية هذا المورد الهام ، من إنشاء هياكل مستقلة تعنى بإدارة الموارد البشرية خاصة في ظل التغيرات الإقتصادية الإقليمية والعالمية وما صاحبها من إزدياد التخصص في العمل وعولمة للإقتصاد وتطور تكنولوجيا أحدث تطورا كبيرا في تسيير المؤسسات سواء في إدارة الموارد البشرية أو على مستوى وسائل الإنتاج للوصول إلى معايير تضمن الجودة والإنتاج ؛ من هنا أصبح لزاماً على المؤسسات بإختلاف أنواعها وأحجامها البحث عن أنجع الطرق والأساليب لإنتقاء المورد البشري المناسب(مؤيد سعيد السالم ، 2012).

كما أن الجزائر كغيرها من الدول ليست بمنأى عن هاته التطورات والتغيرات الحاصلة على مستوى إدارة الموارد البشرية ، وذلك من خلال إعتقاد مؤسساتها على مختلف الطرق والأساليب في إنتقاء توظيف المورد البشري ، ويختلف الأمر من مؤسسة إلى أخرى وذلك باختلاف الحجم والأهداف ؛ أما بخصوص إشكالية بحثنا فمعظم المؤسسات الجزائرية تعاني من مشكل المورد البشري الفعال والذي يعود سببه بنسبة كبيرة إلى سوء الإنتقاء ونسبة الخطأ الكبيرة في وضع المورد البشري المناسب في المكان والوقت المناسب ، ما أدى إلى الوضع الحالي للمؤسسة الجزائرية ، من ضعف للإنتاج والفاعلية كماً وكيفاً ومنافسة ؛ فحسب تقرير المنتدى الإقتصادي العالمي لسنة 2016 فالجزائر إحتلت المرتبة 124 من أصل 139 في مؤشر الدعامة الإقتصادية ؛ أما في مؤشر الدعامة الإجتماعية فصنفت في المرتبة 132 (تقرير المنتدى الإقتصادي العالمي ، 2016)؛ وأدرج التقرير الذي أعدته مؤسسة "كي بي إم جي KPMG " الدولية بالتعاون مع "أكسفورد الإقتصاد" الصادر مؤخرا ، اصدر الجزائر في ذيل ترتيب "مؤشر الجاهزية" فيما يتعلق بعناصر الفعالية والمتمثلة في دور الحكومة والمؤسسات الإقتصادية والمجتمع المدني. وإستند التقرير الدولي في بناء نتائجه على عدة تقارير دولية نشرت في مرحلة سابقة من السنة الجارية ، شمل التقرير 90 دولة وجاءت الجزائر في المراتب الأخيرة

من حيث "جاهزية" المؤسسات الاقتصادية حيث احتلت المركز 87، في حين احتلت المرتبة 85 في سوق العمل (سارة نوي، 2017).

وبناءً على هذا الإشكال، فإن إشكالية بحثنا تتمحور حول التساؤل الرئيسي الآتي:

- واقع عملية إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية بالمؤسسة الجزائرية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية الآتية:

- واقع فعالية معيار المستوى التعليمي في إنتقاء الموارد البشرية، بالمؤسسة الجزائرية؟

- واقع فعالية معيار الخبرة المهنية في إنتقاء الموارد البشرية، بالمؤسسة الجزائرية؟

- واقع فعالية معيار الإختبارات في إنتقاء الموارد البشرية بالمؤسسة الجزائرية؟

أهمية الدراسة: ضرورة معالجة موضوع فعالية الإنتقاء والتوظيف في المؤسسة الجزائرية، كون أن غالبيتها كما أسلفنا في إشكالية بحثنا تعاني من الضعف في أداء مواردها البشرية؛ والدليل على ذلك المراتب الدنيا التي تحتلها المؤسسة الجزائرية إقليمياً ودولياً؛ كما أن أهمية الدراسة تكمن في الوقوف على واقع نقص فعالية الإنتقاء.

أسباب إختيار الموضوع؛ ومن بين أهم أسباب إختيار هذا الموضوع:

- لأن موضوع الفعالية في إختيار الموارد البشرية يعتبر خلل وظيفي تعاني منه معظم المؤسسات الجزائرية التعرف على كيفية إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية في المؤسسة.

- ما لاحظناه في مجتمعنا من الإبتعاد عن الطرق الموضوعية في إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية ولفت الإنتباه إلى فعالية إنتقاء المورد البشري كموضوع مهم من الجانب الاجتماعي بغية توسع الباحثين الإجتماعيين فيه والذي يعد من وجهة نظرنا مفتاح الإقلاع التنموي.

أهداف الدراسة؛ نهدف من بحثنا في موضوع تنمية فعالية الإختيار للموارد البشرية إلى:

- كشف واقع تنمية فعالية عملية إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية.

- محاولة الوصول إلى اقتراحات تؤدي إلى الإنتقاء والتوظيف الفعال للموارد البشرية ذات الكفاءة من أجل تحقيق أهداف المؤسسة.

تحديد المفاهيم:

الفعالية:

لغةً: هي التحسين المستمر للخدمة وهي مقياس لكون الأهداف الخاصة بعملية أو خدمة قد تحققت أم لا.

اصطلاحاً: يعبر عن تحقيق الأهداف وتطبيق السياسات وفقاً لها هو محدد لها، وكذلك يستخدم هذا اللفظ في عمليات التصنيع ليعبر عن درجة التطابق مواصفات المنتج النهائي المواصفات الموضوعية فكلما زادت درجة التطابق كلما ارتفعت درجة الفعالية والعكس صحيح (محمد كمال مصطفى، 2013).

إجرائياً: مما سبق يمكن إجرائياً تعريف الفعالية على أنها الأثر العلمي لأفكارنا على أرض الواقع، فكل عمل أو قول لا يحقق نتائج عملية يكون فاقداً للفعالية، والتي هي قدرة الفرد أو المؤسسة أو المجتمع على تحقيق أهدافه؛ فهي قدرة المؤسسة على إنتقاء أفضل المرشحين لشغل وظيفة تم توصيفها من قبل إدارة الموارد

البشرية ، بمعنى أنها أقصى درجة يمكن أن تصل إليها عملية إنتقاء الموارد البشرية وذلك من خلال مدى توافق معايير شغل الوظيفة ومؤهلات الموارد البشرية.

تنمية الموارد البشرية:

لغةً: نَمَى يَنْمِي ، نَمٌّ ، تنميةً ، فهو مُنَمٌّ ، والمفعول مُنَمَّى (معجم اللغة العربية المعاصرة ، 2017).
اصطلاحاً: بالرجوع إلى إعلان الحق في التنمية فإنه يعرف التنمية في الفقرة الثانية من الديباجة بأنها "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم"؛ كما تعرف الموارد البشرية بأنها التدابير والوسائل التي تؤدي إلى تنمية كفاءة العاملين في الشركات والمؤسسات والحكومات وغيرها من الهياكل التنظيمية ؛ وذلك اعتماداً على العنصر البشري في التدريب والتعليم ونقل الخبرات وتنمية القدرات وتعديل السلوكيات والتوجهات والعلاقات والاتصالات ، نحو الأفضل ، فإن كانت التنمية البشرية تهتم بالتعليم وتطويره كحق إنساني أساسي للحياة وترتكز على تنمية النفس البشرية فتنمية الموارد البشرية تهتم باستخدام العنصر البشري نفسه كأداة لتطوير التعليم ، أي استخدامه كعنصر اقتصادي للتنمية بجوار الإمكانيات المادية والتطورات التكنولوجية ، وأيضاً تهتم بتنمية العنصر البشري لزيادة الإنتاجية في العمل ولتحقيق الأهداف التنظيمية لذلك. (فؤاد غضبان ، 2013).
إجرائياً: مما سبق نستطيع أن نقول أن تنمية الموارد البشرية هي الوظائف التي تدير القوى العاملة بكفاءة وفعالية عالية لتحقيق الأهداف المنوط بها سواء أهداف المنظمة أو أهداف العاملين أو أهداف المجتمع ؛ وذلك من خلال وظائف محددة كوظيفة تحليل وتخطيط القوى العاملة ، وظيفة الإستقطاب والإختيار ، التدريب ، توصيف الوظائف ؛ أي هي مجموع النشاطات التي تقوم بها المؤسسة والتي تهدف إلى تطوير مواردها البشرية بطريقة علمية منهجية تساهم في تحسين فعاليتها.

الإنتقاء:

لغةً: إنتقاء (اسم) من مصدر إنتقى ؛ مثلاً(تَمَّ إنتقاءَ الفريقِ الوَطَنِيِّ: إختياره على أساس الكفاءة والقُدرة) أو هو الإنتقاء الطَّبِيعِيّ: (الأحياء) عملية طبيعية أو إصطناعية تقصّل أو تسبّب بقاء وتكاثر نوع واحد من الكائنات الحيّة على الأخرى التي إمّا أن تموت أو تفشل في التكاثر(معجم المعاني الجامع ، 2017).
اصطلاحاً: يمكن القول أن الإنتقاء هو عبارة عن عملية تقوم بها المؤسسة وذلك من أجل إنتقاء أحسن وأفضل المتقدمين للوظيفة ، كما يمكن تعريفه أيضاً "على أنه العملية التي بمقتضاها تستطيع الإدارة أن تفرق بين الأفراد المتقدمين لشغل عمل معين من حيث درجة صلاحيتهم لأداء ذلك العمل(علي السلمي ، 1973)؛ ومن هنا فإن قرارات الإنتقاء تتخذ بناءً على التنبؤ بفاعلية الأفراد في العمل ؛ بإختيار فرد معين دون غيره من الآخرين الذين تقدموا للعمل ، فالإنتقاء يحتوي على التنبؤ بأن الشخص سيكون أكثر فاعلية في العمل من أولئك الذين لم يتم إنتقاؤهم وإختيارهم ؛ ومن خلال هذا التنبؤ يمكن التقليل من احتمال حدوث خطأ قرار الإختيار والتعيين- قرار رفض تعيين شخص ربما يكون مؤهلاً ، وقرار تعيين شخص ربما يكون غير مؤهلاً- (أحمد ماهر ، 2003).

إجرائياً ؛ مما سبق يمكننا تعريف عملية الإنتقاء على أنها "العملية التي يتم بموجبها المفاضلة بين المتقدمين للعمل في المنظمة وإختيار الأفضل منهم على ضوء الشروط والمواصفات المطلوب توافرها فيهم ؛ وهذه

العملية يتم بمقتضاها فحص طلبات المتقدمين للتأكد ممن تنطبق عليهم شروط ومواصفات الوظيفة ثم مقابلتهم وتعيينهم في نهاية الأمر" (علي غربي ، 2003)؛ فهي عملية يتم خلالها غربلة وتصفية مجموعة الأفراد الذين تم إستقطابهم وذلك من خلال مجموعة مراحل أو خطوات يتم فيها المفاضلة بين خصائص ومواصفات الأفراد بهدف تحديد أولئك الذين يمتلكون خصائص ومواصفات تنطبق على شروط ومتطلبات الوظائف الشاغرة في المؤسسة تمهيداً لتعيينهم في تلك الوظائف (عادل صالح ، 2006).

التوظيف:

لغة: توظيف (اسم)، مصدر وَطَّفَ ، مثل تَوْطِيفُ الْمَالِ فِي خِدْمَةِ التَّقَدُّمِ: تَشْغِيلُهُ وَإِسْتِمْارُهُ- (معجم المعاني ، 2019).

اصطلاحاً: يمكن تعريف عملية التوظيف على أنها مجموعة من الفعاليات التي تستخدمها المنظمة لإستقطاب مرشحين للعمل والذين لديهم الكفاءة والتميز والقدرة على المساهمة في تحقيق أهداف المنظمة (أحمد عيسى ، 2017).

إجرائياً: مما سبق يمكننا القول أن التوظيف عملية مركبة من عدة عمليات أخرى (الاستقطاب ، الإنتقاء ، التعيين) أي أنها تندرج ضمن ما يسمى إدارة وتنمية الموارد البشرية ، تركز فعاليتها ونجاحها على عمليات سابقة لها كما أنها تؤثر في مدى تحقيق الأهداف اللاحقة للمؤسسة.

الفرضيات:

الفرضية العامة ؛ عدم فعالية معايير عملية الإنتقاء والتوظيف بالمؤسسة الجزائرية ؛ ونكشف عن هذه الفرضية العامة بالفرضيات الفرعية الآتية:

الفرضية الفرعية الأولى ؛ عدم فعالية معيار المستوى التعليمي في عملية الإنتقاء والتوظيف بالمؤسسة الجزائرية ، ونكشف عن هذه الفرضية الفرعية بالمؤشرات التالية:

-عدم تطابق الشهادة العلمية مع متطلبات الوظيفة.

-عدم اعتماد على تقدير الشهادة العلمية في معيار المستوى التعليمي.

-عدم الاعتماد على جهة التخرج.

الفرضية الفرعية الثانية ؛ عدم فعالية معيار الخبرة المهنية في عملية الإنتقاء والتوظيف بالمؤسسة الجزائرية ، ونكشف عن هذه الفرضية بالمؤشرات التالية:

-عدم تطابق الخبرة المهنية مع مواصفات الوظيفة.

-غياب معيار الكفاءة في الخبرة المهنية.

الفرضية الفرعية الثالث ؛ عدم فعالية معيار الإختبارات في عملية الإنتقاء والتوظيف بالمؤسسة الجزائرية ، ونكشف عن هذه الفرضية الفرعية بالمؤشرات التالية:

-إستخدام إختبارات تقليدية.

-عدم ملائمة طبيعة الإختبار.

-محدودية أنواع الإختبارات المستخدمة من طرف المؤسسة.

منهجية البحث: بالنسبة لموضوع بحثنا حول تنمية فعالية إختيار الموارد البشرية في المؤسسة فلقد استخدمنا في إطار إعدادها لهذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يقف عند حدود وصف الظاهرة وتحليلها بغية الكشف عن حيثياتها وتأكيد درجة وجودها؛ و كما يرى سكبتس الدراسة الوصفية بأنها: "مايشمل جميع الدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة أو بوضع جماعة من الناس أو عدد من الظروف أو فصيلة من الأحداث أو نظام فكري" (رشيد زرواتي ، 2007).

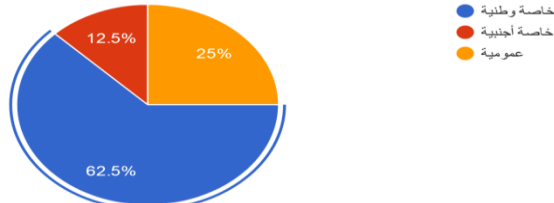
مصادر جمع المادة الميدانية: تم جمع المادة العلمية الميدانية من الميدان مجال الدراسة عن طريق أدوات جمع البيانات التالية: الاستمارة ، الملاحظة ، الوثائق ، السجلات الإدارية ، الإحصائيات ، والتقارير الرسمية والتجريب (موريس أنجرس ، 2004)؛ وفيما يخص مصادر جمع المادة العلمية الميدانية لدراستنا فلقد اقتصرنا على تقنية الملاحظة والمقابلة مع أفراد قائمين على عملية الإنتقاء والتوظيف لمؤسسات جزائرية صغيرة وكبيرة الحجم بالإضافة إلى مقابلات مباشرة مع القائمين على شؤون الإنتقاء والتوظيف بعدة مؤسسات جزائرية.

أدوات جمع البيانات الميدانية:

حجم العينة: نظراً للعدد المحدود للقائمين على عملية الإنتقاء والتوظيف وبغية توفير جميع المعلومات الخاصة بالموضوع إرتأينا أن نقوم بالإختيار العشوائي لمؤسسات مختلفة من حيث الحجم وقطاع النشاط ، وبعد الزيارة الإستطلاعية التي قمنا بها على مستوى المؤسسة ، وبعد التحدث مع مسؤولي مديرية الموارد البشرية وإستقصائهم عبر ارضية **Google forms** تبين لنا ما يلي: اجمالي عدد المورد البشري الموظف على مستوى المؤسسات قدر ب6790 موظف ، ومن خلال الشكل رقم 01- نلاحظ أن هناك تنوع في الشكل القانوني والهيكلية للمؤسسات محل الدراسة ، أين نجد سيطرة المؤسسات الخاصة الوطنية ب65% تتبعها المؤسسات العمومية الوطنية ب25% ، ثم المؤسسات الأجنبية الخاصة ب12.5%.

الشكل رقم 01- توزيع المؤسسات حسب النشاط

المؤسسة
8 responses



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات **Google Forms**.

المجال الزمني للدراسة: لقد إستدعى موضوع دراستنا "الإنتقاء والتوظيف في المؤسسة الجزائرية" مدة زمنية معتبرة وذلك بالقيام بالملاحظات والمقابلات مع القائمين على إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية بحكم تواصلنا المستمر مع القائمين وذلك لطبيعة عملنا المتمثل في الوساطة بين طالبي العمل والمستخدمين(الوكالة الوطنية للتشغيل)، والتي كانت الفرصة لرصد أبعاد ومؤشرات عملية الإنتقاء والتوظيف على مستوى المؤسسات ، كما تمت الدراسة من بداية شهر جوان إلى غاية منتصف شهر جويلية 2019.

الإنتقاء والتوظيف في المؤسسات الجزائرية ميدان الدراسة: لما ينتهي الباحث من جمع البيانات التي حصل عليها بإستعماله تقنيات الإستمارة أو المقابلة تكون بحوزته قاعدة من المعطيات الخام التي يجب عليه أن يعالجها ويحللها وهذا مايسمح بعملية إختبار فرضيات البحث ؛ إن هذا التحليل لهذه البيانات هو عملية مقارنتها بما تم افتراضه مع الفرضيات(سعيد سبعون ، 2012).

عرض وتحليل وتفسير بيانات الفرضيات:

أولاً: عرض وتحليل وتفسير بيانات الفرضية الأولى: بعد تحليل تصريحات القائمين على إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية فيما يخص معيار المستوى التعليمي من خلال طرح التساؤلات التالية:

- هل تعتمدون في توظيفكم على شرط تطابق الشهادة مع مواصفات الوظيفة (بطاقة الوظيفة)؟
- هل تتوفر المؤسسة على مدونة المهن والتي تتطابق مواصفاتها مع الشهادة العلمية مهنة؟
- هل يتضمن إنتقائكم الموارد البشرية على شرط اعتماد تقدير الشهادة في مؤسستكم؟

اتضح من تصريحات القائمين على إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية أن إجابات أفراد عينة البحث والتي كانت بنسبة 75% قد أكدت إعتقاد عملية الإنتقاء والتوظيف لشرط تطابق الشهادة مع مواصفات الوظيفة لمعيار المستوى التعليمي بالمؤسسة ، لتأتي إجابات أعضاء العينة بما نسبته 25% والتي تقول عكس ذلك ما يعلل وجود بعض المناصب بالمؤسسة ميدان الدراسة لا يشترط فيها تطابق الشهادة مع مواصفات الوظيفة (بطاقة الوظيفة)؛ فمما سبق يتعين على المؤسسة اعتماد معيار المستوى التعليمي في جميع الوظائف فهو أمر ضروري ومهم جدا من شأنه إعطاء فعالية في أداء الموارد البشرية وجوده في الإنتاج ، على أي مؤسسة أو منظمة مراعاة هذا المعيار في إنتقاء موظفيها ،أخذة في الحسبان نوعية المنصب وما يتطلبه من مستوى علمي معين عند توصيف الوظائف.

أما فيما يخص سؤال توفر المؤسسة على مدونة المهن ، تبين أن أكثر من 50% من المؤسسات لا تحوز على مدونة المهن ، مما يصعب على القائمين على إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، أي الزيادة في نسبة خطأ الإنتقاء والتوظيف والذي يؤثر على فعالية المورد البشري في المؤسسة.

في السؤال الثالث والذي تضمن مدى إعتقاد المؤسسة على تقدير الشهادة في إنتقاء وتوظيف موردها البشري ، تبين أن أكثر من 75% من المؤسسات لا تعتمد تقدير الشهادة في إنتقاء وتوظيف موردها البشرية ، والذي يؤدي بالقائمين على عملية الإنتقاء والتوظيف إلى إختيار مورد بشري أقل كفاءة وإبداع ، الأمر الذي يحول المورد البشري الموظف من رأسمال بشري إلى مجرد عمالة.

عرض وتحليل وتفسير بيانات الفرضية الثانية: فيما يخص معيار تطابق الخبرة مع متطلبات الوظيفة أكد جميع أفراد عينة البحث على إعتقاد تطابق الخبرة مع متطلبات الوظيفة مما يدل على التركيز الكبير للمؤسسة على مدى تطابق الخبرة المهنية مع الوظيفة ؛ وفي ذلك إشارة إلى إدراك المؤسسة لأهمية تطابق الخبرة المهنية وتناسبها مع متطلبات الوظيفة ما من شأنه خدمة أهدافها وإستراتيجيتها بتوفير التكلفة والوقت المترتبين عن إعداد برامج التدريب والتكوين للأفراد الذين لا يملكون خبرة مهنية.

عرض، تحليل وتفسير بيانات الفرضية الثالثة: فيما يخص إجابات أفراد العينة حول السؤال فيما إذا كانت المؤسسة تستخدم إختبارات الشخصية والهيول وإختبارات الذكاء في إختيار مواردها البشرية أم لا ، أكد 50% منهم على إستخدام المؤسسة لهاته الإختبارات ، فيما نفت البقية إستخدام المؤسسة لهذا النوع من الإختبارات ، بل صرحوا بجهل المؤسسة لها وعدم معرفتها ؛ كما أكد نصف المبحوثين جهل وعدم معرفة المؤسسة الإختبارات الشخصية والهيول وإختبارات الذكاء ؛ وهذا يعد مؤشر سلبي يعمل على كبح المؤسسة في إنتقاء أفضل العناصر وأنسبها لتولي الوظائف بها ؛ بل عليها مواكبة أحدث الطرق والأساليب المعتمدة في كبريات المؤسسات الرائدة ، على إعتبار أن إختبارات الشخصية من الطرق والتقنيات المعتمدة للتأكد من مدى مطابقة الصفات الموجودة في المرشح للمعايير المعتمدة ، بحيث يقوم هذا النوع من الإختبارات على معرفة الصفات والأبعاد الشخصية للفرد من خلال إجاباته على مجموعة من الأسئلة تكون في شكل نموذج يتم إعداده مسبقاً(هناك نماذج إختبارات علمية معروفة ، مثل نموذج العوامل الخمسة الكبرى ، أنماط الشخصية لـمايرز ، وبريجز ، إختبار كاليفورنيا النفسي) وعلى ضوء الإجابات يتم قياس مدى توافر صفات معينة في الفرد ، والتي تتطابق مع المعايير المعتمدة مما يعني مطابقتها لمواصفات الوظيفة.

أما عن السؤال المتعلق بإستخدام المؤسسة لإختبارات المحاكاة (معاينة العمل) أم لا بأكثر من 62.5% تؤكد إستخدامها(المؤسسة) لهذا النوع من الإختبارات والتي هي عبارة عن تمارين عملية تتضمن مواقف تشبه وتحاكي المواقف الحقيقية ، بحيث يكون فيه المرشح كما لو أنه موظف فعلا ، وهذا يُمكن القائمين على الإنتقاء والتوظيف من الكشف عن قدراته وإستعداداته وكيفية تعامله مع المواقف الطارئة وكيف يتفاعل مع مختلف الظروف المحيطة ؛ ويعتبر هذا النوع من أهم أنواع الإختبارات وأكثرها إستعمالاً في مختلف المؤسسات الكبرى بالعالم بالنظر إلى واقعيته وفعاليتها ، وإستخدام المؤسسة له يؤكد اهتمامها وحرصها على إختيار أكفأ للعناصر بما يضمن الفعالية في الأداء والزيادة في الإنتاج من حيث الكم والكيف وقدرتها على المنافسة.

أما فيما يخص أساس إختيار الإختبار حسب المواصفات أو إمكانية المؤسسة المادية ، وبالرغم من أن 50% من المبحوثين قد صرحوا لنا أن إختيار الإختبار يتم على أساس مواصفات الوظيفة ، إلا أن 50% تؤثر بصفة عامة على عمليات الإنتقاء والتوظيف التي تقوم بها المؤسسات الجزئية.

إن نوع الإختبار المناسب لكل وظيفة يتوقف على مواصفات الوظيفة ، بمعنى أنه في مرحلة توصيف الوظيفة يتم تحديد نوع وطبيعة الإختبار المناسب عند الإختيار وفيما إذا كان الأمر يتطلب نوع واحد من الإختبارات أو عدة إختبارات كأن يتطلب إختيار مشرف على خط الإنتاج لسعة معينة إجراء عدة إختبارات-كتابي لمعرفة المستوى العلمي والمعرفي ، مقابلة لمعرفة إلى أي مدى يمكن التأقلم مع الوظيفة والبيئة الجديدة وكيفية التعامل مع العمال الذين يشرف عليهم زائد إختبار نفسي لمعرفة حالته النفسية والسلوكيات التي قد تصدر منه أثناء العمل ومع العمال وكيفية تعامله مع المواقف الطارئة.-

كما أن تحقيق الفعالية في إنتقاء التوظيف في المؤسسة مبني على أساس مفاده أن متطلبات الوظيفة ومواصفاتها هي التي تحدد نوع الإختبار ، ولأن عملية الإنتقاء والتوظيف تعد مرحلة مهمة جدا يتوقف نجاح

المراحل السابقة لهاته العملية (التخطيط والتوصيف والاستقطاب) وكذا المراحل اللاحقة (التعيين والتدريب) عليها، فإنه يتعين على المؤسسة توفير كل الوسائل التي تساعد على نجاح هاته العملية وبالتالي إنتقاء أكفأ وأفضل الأفراد؛ ومن بين هذه الوسائل الإختبارات، كما تحرص المؤسسة على تحديد نوع الإختبار أو الإختبارات بما يتلاءم مع مواصفات ومتطلبات الوظيفة ضماناً لفعالية أكبر في الأداء وجودة في المردود تحقيقاً للأهداف المسطرة ولايتهم للأعباء المادية لأنها تعتبر وسيلة لتحقيق أهدافها، فالأعباء المالية تسترجع في المستقبل بكل تأكيد إن أحسنت المؤسسة إنتقاء وتوظيف مواردها البشرية.

نتائج البحث والاقتراحات والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث؛ تطرقنا في بداية بحثنا إلى فرضية عامة مفادها "عدم فعالية معايير إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية بالمؤسسة الجزائرية"، ثم قسمناها إلى ثلاث فرضيات فرعية، ولقد حاولنا من خلال بحثنا في جانبه النظري والميداني التوصل إلى صحة أو عدم صحة فرضيتنا التي كانت بمثابة المرجعية التي انطلقنا منها، وبعد البحث والتقصي بجمع البيانات والمعلومات اللازم توافرها كانت النتائج كما يلي:

مناقشة النتائج للفرضية الفرعية الأولى: "عدم فعالية معيار المستوى التعليمي في إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية؛ ويتضح من خلال الدراسة النظرية دور المستوى التعليمي كأحد أهم المعايير المعتمدة في معظم الدول التي تعرف مؤسساتها نجاحاً وشهرةً على الصعيد العالمي والتي تركز على المستوى التعليمي في إنتقاء مواردها البشرية خاصة في ظل التطور الإقتصادي والتكنولوجي الراهن وما رافقه من تغير وتطور في هيكل وحجم المؤسسات، سواء على المستوى الإداري نتيجة زيادة الإهتمام بالموارد البشري واستحداث إدارة مستقلة تعنى بهذا المورد (إدارة الموارد البشرية: إختيار، تسيير، وتنمية)، أو على مستوى وسائل الإنتاج وظهور التقنية والتخصص في العمل، ما يستوجب توفر رصيد علمي ومعرفي معين؛ كما جاءت نتائج مؤشرات الفرضية الفرعية الأولى وفق مايلي:

عدم تطابق الشهادة العلمية مع متطلبات الوظيفة: من خلال ما سبق يتضح لنا أهمية المستوى العلمي كأحد أهم المعايير الواجب اعتمادها في إختيار أكفأ العناصر وأنسبها لشغل مختلف الوظائف، وإذا كان المقصود بالمستوى العلمي الشهادة أو المؤهل العلمي والذي يشمل تخصصات عديدة، وكل تخصص علمي يتناسب مع مجال عملي معين، هذا ما يقودنا إلى الحديث عن ضرورة تطابق وتناسب الشهادة العلمية مع متطلبات الوظيفة والتي يتم توصيفها مسبقاً حتى تكون لهذه الشهادة الأهمية والأثر الإيجابي؛ ولقد تبين لنا من نتائج الدراسة أن المؤسسة الجزائرية وبالرغم من حرصها على ضرورة تطابق الشهادة العلمية مع مواصفات ومتطلبات الوظيفة، إلا أن ذلك يقتصر على وظائف دون أخرى، ذلك أن المؤسسة تحرص على وجوب التناسب بين التخصص العلمي الموجود في الشهادة وخصوصية الوظيفة في الوظائف النوعية والتي تتطلب مؤهلات ومهارات عالية، في حين هناك وظائف أخرى يكفي توفر مستوى علمي معين دون شرط التطابق مع خصائص الوظيفة المراد شغلها، خاصة إذا كانت الوظيفة لا تتطلب مهارات كبيرة؛ ونستنتج من خلال ما سبق أن المؤسسات محل الدراسة لا تعطي الأهمية اللازمة لشرط التطابق لجميع الوظائف، وهذا ما من شأنه التأثير على الكفاءة والقدرة على الأداء وعلى المردود المتوخى من شاغل الوظيفة ومنه على الأهداف بصفة عامة، لذا وجب عليها إعتتماد هذا الشرط في جميع الوظائف ضماناً للفعالية في الأداء.

عدم الاعتماد على تقدير الشهادة العلمية في معيار المستوى التعليمي: يشير تقدير الشهادة إلى التفوق وبأن المتفوق يملك مؤهلات علمية تميزه عن غيره ممن يملكون تقديراً أقل من تقديره ولديه قدرات ذهنية وعقلية كبيرة من شأنها خلق الفارق في الأداء بينه وبين غيره، خاصة إذا تعلق الأمر بوظائف تتطلب مهارات عالية لأدائها، وهو ما يوفر على المؤسسة الوقت والتكلفة الناتجة عن التدريب في حالة إختيارها للمتفوقين أصحاب التقديرات، وتلجأ المؤسسة إلى المفاضلة في حالة وجود أفراد يملكون شهادات تثبت تفوقهم وهذا يتوقف على سياسة الإستقطاب لدى المؤسسة، بحيث كلما كانت الإمتيازات المادية والمعنوية المرصودة للوظيفة كبيرة كلما كان عدد المستقطبين أكبر ومجال المفاضلة والإختيار أوسع؛ وعموماً فإن هذا الإجراء له فائدة عملية يتم اللجوء إليه في حالتين، إما في حالة إنتقاء الأفراد لشغل وظائف نوعية تتطلب مهارات عالية، وإما في حالة المفاضلة بين الأفراد المترشحين الذين يتساوون في المؤهلات الأخرى فيتم اللجوء إلى تقدير الشهادة كمعيار للمفاضلة، وهذا ما هو غائب في المؤسسة الجزائرية؛ فمن خلال ما سبق وفي ضوء الفرضية الفرعية الأولى يتبين لنا من تحليل التصريحات والملاحظة بالمشاركة صحة فرضيتنا وأن المؤسسة لا تستخدم معيار المستوى التعليمي بالشكل المطلوب ما أثر على فعاليته في إنتقاء وتوظيف أفضل وأكفاً العناصر.

فبالرغم من إعتقاد المؤسسة لمعيار المستوى التعليمي حسب ما أكدته التصريحات إلا أنه يحتاج إلى تنمية وتطوير من خلال ضرورة إعتداد المستوى التعليمي كشرط ضروري في جميع الوظائف بدون استثناء لما له من أهمية خصوصاً في عصرنا هذا نظراً للظروف والمعطيات الحالية كما سبق توضيحه سابقاً والذي يفرض على المؤسسات ومختلف الهيئات والمنظمات إختيار كفاءات علمية قادرة على الفهم والتحكم في هاته التكنولوجيات لكي تصبح قادرة على المنافسة على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ وبالتالي فإن تنمية هذا المعيار وفق ما تم توضيحه من شأنه أن يؤدي إختيار أفضل العناصر وأكفئها ضماناً لنجاح المؤسسة وتطويرها بما يخدم أهدافها وأهداف مواردها البشرية ويعود بالنفع على المجتمع بصفة عامة.

مناقشة النتائج للفرضية الفرعية الثانية: عدم فعالية معيار الخبرة المهنية في إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية بالمؤسسة.

لقد بينت النتائج المحصلة عليها ميدانياً من المؤسسة على تطبيق معيار الخبرة المهنية في عملية إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية كما كانت نتائج مؤشرات الفرضية الفرعية الثانية كما يلي:

عدم تطابق الخبرة المهنية مع مواصفات الوظيفة: بمقتضى معيار الخبرة المهنية هي المدة التي قضاها الفرد في شغل منصب أو وظيفة في مؤسسة ما، حيث تشمل مختلف الإنجازات والنتائج السابقة التي حققها الفرد في مساره الوظيفي فتكون هذه الأخيرة مطابقة لها، أو لها نفس مواصفات الوظيفة المتقدم لشغلها (الجديدة)، وتتفاوت مدة الخبرة من فرد إلى آخر فتقوم المؤسسة عادة باشتراط حد أدنى للخبرة على المتقدمين للمسايرة حتى يتمكنوا من المشاركة فيها والمنافسة عليها، وتختلف مدة الخبرة المطلوبة بحسب أهمية ونوع وطبيعة المنصب أو الوظيفة، إذ أن عامل الخبرة مهم كونه يوفر على المؤسسة الوقت والتكلفة نتيجة التدريب والتكوين-حتى وإن كان هناك تدريب يكون بسيطاً-، على اعتبار أن الذي يملك الخبرة يكون إندماجه سريعاً كونه يدرك متطلبات الوظيفة بدقة؛ فمعيار الخبرة المهنية معمول به في الكثير من المؤسسات والمنظمات، غير أن استخدامه يتطلب مراعاة بعض الشروط ضماناً للفعالية المتوخاة منه، كضرورة تطابق الخبرة المهنية

مع متطلبات الوظيفة ، والتأكد من ذلك لا يتأتى إلا من خلال تحليل العمل (تحليل الوظيفة) أي مجموعة المهام والأنشطة المكونة للوظيفة أو المسؤوليات والإختصاصات والأعباء ، مع التأكد من مطابقة الخبرة السابقة بواسطة مختلف الطرق وأنواع الإختبارات المناسبة حتى تتحقق الغاية من إعتداد معيار الخبرة ؛ ومن خلال نتائج الدراسة تبين لنا أن المؤسسات الجزائرية تحرص على ضرورة مطابقة الخبرة المهنية مع متطلبات الوظيفة بغية تحقيق الغاية من استخدام هذا المعيار وفق ما تم توضيحه أعلاه ؛ وإنطلاقاً مما سبق ذكره يتبين لنا أن المؤسسات الجزائرية تولي أهمية لمعيار الخبرة المهنية في إختيار مواردها البشرية من خلال إعتداده كمعيار في إختيار أفضل العناصر لتولي مختلف الوظائف بالرغم من النقائص الموجودة في تطبيق هذا المعيار وفق ما تم توضيحه آنفاً ، ما يقودنا إلى القول بأن فرضيتنا لم تتحقق وأن أغلب المؤسسة تركز على هذا المعيار وتعتمد كثيراً أثناء التوظيف وفي مختلف الوظائف وأعطى نتائج إيجابية حسب رأي القائمين على عملية التوظيف مما يؤكد على فعاليته إلى حد بعيد ، ولأن إستخدام أي معيار من المعايير المتعارف عليها يتوقف على نتائج تحليل الوظيفة وتوصيفها وفيها إذا كان الأمر يتطلب إستخدام معيار واحد أو أكثر فإن إدارة المؤسسة وحدها من تقرر ذلك بناء على ما سبق ذكره ؛ كما يبقى أن نشير إلى أن إعتداداً أياً من المعيارين سواء معيار المستوى التعليمي أو معيار الخبرة المهنية تتوقف نجاعتها على نوعية الإختبارات المستخدمة للتأكد من توافر هذه المعايير في المرشحين المتقدمين لشغل الوظيفة ، وهذا ما سنتطرق إليه بالتحليل فيما يلي:

مناقشة النتائج للفرضية الفرعية الثالثة: عدم فعالية معيار الإختبارات في إختيار الموارد البشرية بالمؤسسة الجزائرية.

لقد بينت النتائج المحصلة عليها ميدانياً من المؤسسة على تطبيق معيار الإختبارات في إختيار الموارد البشرية بالمؤسسة الجزائرية كما كانت نتائج مؤشرات الفرضية الفرعية الثانية كما يلي:

تشير النتائج أعلاه إلى تحقق إفتراضنا من خلال مؤشر إستخدام المؤسسة إختبارات الميول الشخصية والذكاء في سياق إثبات عدم فعالية معيار الإختبارات ، في حين أثبتت النتائج أن المؤسسة الجزائرية لا تطبق إختبارات حديثة في إنتقاء وتوظيف مواردها البشرية ، في حين أنها قطعت أشواط مهمة في تطبيق الإختبار بالتحاكي.

مناقشة النتائج في ضوء أهداف البحث ؛ هدفنا من بحثنا لموضوع تنمية فعالية الإختيار للموارد البشرية إلى:

الكشف عن واقع تنمية فعالية لعملية إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية وكذا محاولة الوصول إلى إقتراحات تؤدي إلى الإنتقاء والتوظيف الفعال للموارد البشرية الكفأة من أجل تحقيق أهداف المؤسسة ؛ وإنطلاقاً من الدراسة النظرية التي مكنتنا من الكشف عن مختلف المعايير المعتمدة في إنتقاء وتوظيف الموارد البشرية والتحديث الكبير الذي عرفته هاته المعايير نتيجة الإهتمام المتزايد بالموارد البشرية كإحدى أهم الركائز التي يتوقف نجاح أي مؤسسة أو فشلها وعلى كفاءته خاصة في ظل المنافسة الكبيرة ، بالإضافة إلى زيادة حجم المؤسسات وإستحداث إدارة مستقلة تعنى بهذا المورد وكيفية إدارته وتنميته بما يزيد من فرص الإستفادة من طاقاته وكفاءته ، هذا الإهتمام الذي أثمرته عديد النظريات العلمية التي تعنى بالموارد البشرية ، بالإضافة إلى معرفة مختلف الطرق والأساليب والإختبارات الحديثة التي أثبتت فعاليتها ونجاعتها على أرض الواقع وهو ما جسده

نماذج لبعض البلدان المتقدمة في مجال الإنتقاء والتوظيف لمواردها البشرية ؛ ولأن الحكم على فعالية المعايير المعتمدة بالمؤسسة من عدمها ، لا يكون إلا من خلال معرفة واقع عملية الإنتقاء والمعايير والطرق والأساليب التي تستخدمها المؤسسة الجزائرية محل الدراسة ، ومن خلال البيانات والنتائج المحصلة قمنا بإسقاط المعرفة النظرية على ما تم الوصول إليه من معطيات ميدانية بهدف الكشف عن واقع فعالية المعايير المعتمدة بها ومسيرة المعايير والطرق الحديثة في الإختيار ، وخلصنا من خلال ذلك إلى نتائج مكنتنا من التحقق من الفرضية العامة للدراسة وصياغة بعض الإقتراحات والتوصيات التي تدعم جهود المؤسسة الجزائرية في إنتقاء أكفأ العناصر ، وتؤدي إلى تنمية وزيادة فعالية عملية الإنتقاء والتوظيف بما يسهم في تحقيق أهدافها.

ثانياً؛ الإقتراحات: انطلاقاً من النتائج المتوصل إليها في ضوء الدراسة ، ودعماً لجهود المؤسسة الجزائرية الهادفة إلى تحقيق التميز والريادة عن طريق زيادة قدرتها التنافسية من خلال حرصها على إنتقاء وتوظيف أفضل العناصر للرفع من كفاءة مواردها البشرية التي تعول عليها لدعم قدرتها على المنافسة الداخلية والخارجية ، وقفنا على مجموعة من المعطيات تبينناها في شكل إقتراحات تهم وتخدم أهداف المؤسسة الجزائرية ، ومنها إلى بقية المؤسسات الناشطة في القطر الجزائري ، هذه الإقتراحات نلخصها فيما يلي:

الإقتراحات الخاصة بالمؤسسة ميدان الدراسة:

ضرورة تفعيل معيار المستوى العلمي كشرط أساسي في جميع الوظائف ، بالنظر إلى الأهمية الكبيرة له خاصة في العصر الحالي في ظل التطور التكنولوجي والمعلوماتي الهائل.

-الإطلاع الدائم والمستمر على كل ما هو مستجد وحديث يعني بالموارد البشرية ، ومواكبة التطور الحاصل فيما يخص طرق وأساليب الإختيار ومختلف الإختبارات الحديثة والناجعة.

-الإستفادة من هذه المعايير والطرق الحديثة من خلال الإستخدام الأمثل والعلمي لها مع إعطاء الأهمية في كل ذلك لجميع الوظائف.

ضرورة الإستفادة إلى أقصى حد من خبرات المؤسسات الناجحة عن طريق إبرام اتفاقيات تبادل الخبرات.
-القيام بإستشارات خارجية في مجال الإختيار والتوظيف والإفادة من خبرات مختلف المكاتب والمراكز والهيئات المتخصصة في هذا المجال للزيادة من فرص الحصول على أفضل الكفاءات ، ولتعويض نقص الخبرة لدى القائمين على الإختيار والتوظيف بالمؤسسة.

-تكثيف عملية التدريب والتكوين الفعال للموارد البشرية ، من خلال الحرص على نوعية البرامج والدورات التي قيمها ، مراعية في ذلك نقاط أساسية لنجاح عملية التدريب والتكوين والتي تتمثل فيما يلي: (01) تدريب كل الموارد البشرية وخاصة القائمين على عملية الإختيار ؛ (02) مراعاة نوعية وبرامج الدورات التدريبية التي تسطرها المؤسسة بما يخدم الأهداف المتوخاة من هذه الدورات ؛ (03) الإستمرارية والدوام لهذه الدورات ، (04) مواكبة التحديث المستمر فيما يخص أساليب وطرق ومعايير الإختيار وبما يتماشى مع تطور المؤسسة ونموها (05) في الأخير كفاءة القائمين على هاته الدورات التدريبية سواء كانوا مكاتب متخصصة أو مؤسسات علمية وغيرها.

توفير كل الوسائل والإمكانيات اللازمة للقائمين على عملية الاختبار ، حتى تتم العملية في ظروف مناسبة وتعطي النتائج الإيجابية المتوخاة منها ؛ وكذلك رعاية الملتقيات والندوات العلمية التي تنظمها الجامعات للإستفادة من نتائج البحوث العلمية ، وذلك بالتنسيق مع المصالح المعنية والكليات والمعاهد. ولأن البيئة التنظيمية تتغير باستمرار ، فإننا نقترح على المؤسسة إجراء تقييم مستمر لأساليب إدارة الشركة ذات الأسم كوندور في إختيار مواردها البشرية على أساس معياري صحيح وحيادي. أما بالنسبة لفعالية الإختبارات فإن هناك مجموعة شروط ينبغي أن تكون متوافرة في أي إختبار لكي يكون جيداً وهذه الشروط هي: أن يكون الإختبار موضوعياً ، أي مفهوم بطريقة واحدة من جميع الأفراد بحيث لا يترك مجالاً للبس سواء بالنسبة للأفراد محل الإختبار أو بالنسبة للمصحح كما يجب أن يكون هناك قواعد وشروط تحدد كيفية تطبيق الإختبار من ناحية الطريقة الواجب إستخدامها وتوزيع الدرجات على الأسئلة المختلفة وكيفية وضعها وتفسيرها حتى تكون جميع العوامل التي تؤثر على نتيجة الإختبار ثابتة ولا يبقى سوى متغير واحد هو إجابات الأفراد أنفسهم ، وكذلك يجب على المؤسسة وضع إستراتيجية بديلة وفق مبدأ الهدف الذكي (SMART GOALS) ، أي أن تكون محددة بدقة ، قابلة للقياس ، قابلة للإنجاز ، واقعية وأن تكون محددة بالزمن.

اقتراحات خاصة بالقائمين على عملية الإختيار بالمؤسسة:

ضرورة الاستفادة من الدورات التدريبية التي تقيمها المؤسسة لزيادة قدراتهم العملية والتمكن أكثر في مجال عملهم ؛ والإطلاع المستمر على كل ما هو جديد في مجال إدارة وتنمية الموارد البشرية ، خاصة فيما يتعلق بأحدث المعايير والطرق والأساليب المعتمدة في الإختيار والتوظيف لتوسيع مداركهم العلمية والإستفادة منها وتوظيفها في مجال عملهم.

-إدراك النقائص والمعوقات التي تؤثر على سير العملية وصياغتها في شكل مقترحات ترفع إلى الجهة الوصية من أجل تغطية النقص وإزالة المعوقات حتى تكون الظروف أحسن والنتائج أفضل ؛ وعدم الاعتماد على معيار التزكية (بالمفهوم الإيجابي والعلمي) ، المعمول به في كبريات المؤسسات إلا في الحالات التي يتم الوثوق فيها بأن المرزكي على علم تام بالقدرة الحقيقية للفرد على الأداء ، والابتعاد عن المحاباة في الإختيار.

ثالثاً: التوصيات:

عقد الشراكة مع الجامعات ومختلف الكليات وتدعيم فرص البحث العلمي عن طريق تنظيم الملتقيات والندوات العلمية وفق ما تمليه الظروف والواقع ومصصلحة البلاد والمجتمع بصفة عامة ، ونحن نرى بأن مجال تنمية الموارد البشرية من المجالات الحيوية التي ينبغي إعطائها الأهمية من خلال هذه الملتقيات بغرض تأهيل مختلف المؤسسات وخاصة الاقتصادية منها ؛ وكذلك دعم وتشجيع البحوث العلمية والتأليف لتمكين المعنيين من الإستفادة منها في تحسين أداء مواردها البشرية.

-على الوزارات الوصية مثل وزارة التشغيل والضمان الاجتماعي ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ضرورة الاهتمام بتحسين البحث العلمي وإحداث مراكز وطنية تهتم بالبحث والتطوير والتحديث لعملية الإئتقاء والتوظيف الموارد البشرية في المؤسسات من خلال سن المراسيم والقوانين التنظيمية التي تتماشى مع

إنتقاء جيد وفق معايير موضوعية وذلك بغية تنمية فعاليته مما يؤدي إلى النمو الاقتصادي عبر الزيادة في الإنتاج كما وكيفا ومنافسة والتي تؤدي بالرفاهية الاجتماعية التي يستفيد منها في الأخير المجتمع بصفة عامة.

قائمة المراجع:

- أحمد ماهر. (2003). إدارة الموارد البشرية. الإسكندرية ، مصر: الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
السليبي، ع. (1973). إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية. (éd. 02) القاهرة، مصر: مكتب غريب .
العالي، ا. ا. (2016). المعلومات العالمية عن التكنولوجيا .
أنجرس م. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية) . ب. صحراوي (Trad.)، الجزائر، الجزائر: دار القصة للنشر .
زرواتي، ر. (2012). تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية .بزريعة، الجزائر: زعيماش للطباعة والنشر .
زرواتي، ر. (2007). مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. عمن مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر .
سبعون، س. (2012). الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع. (éd. 02) الجزائر العاصمة ، الجزائر: دار القصة للنشر .
صالح، ع. (2006). إدارة الموارد البشرية: مدخل إستراتيجي. عمان، الأردن: عالم الكتاب الحديث.
عقيلي، ع. و. (1996). إدارة القوى العاملة. عمان، الأردن: زهران للنشر والتوزيع .
غربي، ع. (2004). تنمية الموارد البشرية. قسنطينة، الجزائر: منشورات جامعة منتوري .
غضبان، ف. (2015). علم إجتماع التنمية. عمان، الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع .
مصطفى، م. ك. (2013). معجم مصطلحات الموارد البشرية. القاهرة، مصر: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك".
مؤيد سعيد سالم، عادل حرحوش صالح. (2002). إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي. عمان، الأردن: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع .
نوي، س. (2017, 02 19). *Al Fadjer.org*. Consulté le 02 20, 2017, sur [www.al-fadjer.com: https://www.al-fadjer.com/ar/economie/255550.html](https://www.al-fadjer.com/ar/economie/255550.html)

almaany. (2019, juillet 23). Récupéré sur [almaany: www.almaany.com/ar](http://www.almaany.com/ar)

byte. (2017). Récupéré sur [byte: www.byte.com/socialites](http://www.byte.com/socialites).

Dumetrana, R. G. (2011, mars 06). *Upg-Bulletin*. Consulté le 07 05, 2017, sur www.upg-bulletin-se.ro/archive/2011-3/6DumetranaRaduGalvaneing.pdf.05/07/2017

Half, R. (2015). *Conseil en management: le repercuSSION d'un mauvais recetement*. Paris.

humain ressources descussion. (s.d.). Récupéré sur www.hrdescussion.com/hr58/928.html

Mihaela Dumitrana, Gabriel Radu, Mariana Elina Galaval, Garbiel Jinga. (2015). Effective and effecient tools in human ressources management. *Acadmy of economic studes* , 01-20.

حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة

د.حنان عبد الرحمن طه ، جامعة تكريت ، كلية التربية للعلوم الإنسانية-العراق

د.ثورة خطاب علي ، جامعة تكريت ، كلية التربية للعلوم الإنسانية-العراق

مقدمة:

تعد الكتابة في موضوع حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة من الموضوعات ذات الأهمية لها من اتصال وثيق بحياة الإنسان ، الذي كرمه الله ورفع من شأنه وجعله خليفته في أرضه قوله تعالى: ((وَأُذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة ، الآية : 30).

ولتتم الخلافة على وجهها الأكمل لابد من حصول الإنسان على حقوقه التي منحها له الإسلام ، قبل أن يتسلم زمام الخلافة بشكل فعلي ، لاسيما بلوغه هذه الحقوق. والتي تبدأ قبل أن يخلق ، وقبل أن يكون طفلاً فكيف بعد أن يخرج للحياة ، ويدخل المدرسة ، ويشب ويكبر ويصبح مكلفاً ، سيما أن الإسلام حث على التكاثف والالتزام بالتربية الصالحة والرعاية الشاملة.

يركز البحث على حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة ، لأن أطفال الأمة هم شباب المستقبل ورجال الغد ، ورصيدها وضمان بقائها ولأن الدعائم الجوهرية لحياة الإنسان ترتكز على خواص الطفولة المبكرة.(فؤاد البهي السيد ، 1987 ، ص19).

وقد عني الإسلام بالطفل سواء كان ذكراً أم أنثى وقضى على عادات الجاهلية كأود البنات ، قوله تعالى: ((وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهِ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)) (سورة النحل ، الآيات : 57 _ 59). وقال تعالى: ((فَلْيَتَعَالَىٰ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ...)) (سورة الإنعام ، الآية : 151).

ولا تقتصر مسؤولية الاعتناء بالطفل في الإسلام وضمان حقوقه على الأسرة فقط ، بل يمتد ذلك إلى المجتمع بكامله والدولة ، وهذا يبدو جلياً في نظام الحضانة الذي بينه فقهاء الأمة. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لاسيما في العناية بالطفل وضمان حقوقه ، ويتضح ذلك من رعايته لأولاده وأحفاده وأطفال المسلمين بعامه .

وحري بنا أن نكتب ما يتعلق بحقوق الطفل في الإسلام. في الوقت الذي تحتاج فيه أمتنا إلى المزيد من بيان كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات لاسيما حقوق الطفل والتي يمكن أن يطلق عليها حاجاته ، وبدونها تصبح حياة الإنسان عسرة شديدة. (محمد رواس قلعجي ، 1996 ، ص 150). ومن المراحل المهمة في حياة الطفل هي الفترة الممتدة من الرضاعة إلى سن السادسة. (عبد الرحمن العيسوي ، 1993 ، ص 15 ؛ محمد خالد الطحان ، ص16). وقد أطلق عليها مرحلة الطفولة المبكرة ، أو كما تدعى بالطفولة غير المميزة (محمود عطا حسين عقل ، 1992 ، ص 120) ، ويؤكد بعضهم إلى امتدادها حتى السابعة من العمر ، استناداً لما جاء في حديث رسول الله ﷺ: ((مروا صبيانكم بالصلاة إذ بلغوا سبعا)). (حمد بن محمد الخطابي ، 1981 ، ص 149).

الطفولة المبكرة: وتمثل هذه المرحلة عامة بالفترة الممتدة من عمر السنتين إلى السادسة، إذ يكون الأطفال في هذه الفترة مؤهلين للرعاية في دور الحضانه ورياض الأطفال. وتبلغ أعدادهم في هذه المرحلة أكثر من ١٥%، وعادة تنمو الشخصية في هذه المرحلة سريعاً. (حامد عبد السلام زهران، 1994، ص 192).

وفي هذه الفترة يبدأ الطفل بالإحساس بشخصيته، وعادة ما يحاول أن يميز نفسه عن الآخرين المحيطين به، عن طريق استخدامه كلمة (لا) غالباً فضلاً عن صعوبة في المراس، ومعارضة آراء الكبار وأوامرهم لأن ذلك يشعره بقيمته وكيانه المستقل (حام الكيال، 1970، ص 16).

وتتلخص أهم مظاهر النمو في هذه المرحلة:

- يتمكن الطفل في السنة الثانية من المشي والجري والسيطرة على حركة المعدة.

- في السنة الثالثة يعبر الطفل عن نفسه بعلم مفيدة ويفهم بيئته ويستجيب لمطالب الكبار.

- في السنة الرابعة يكثر الطفل من الأسئلة، ويبدأ في الاعتماد على نفسه.

- في السنة الخامسة يتم نضجه الحركي واهتمامه بلباسه وتزداد الثقة بنفسه ويصبح مواطناً صغيراً.

لذا يؤكد علماء النفس والتربية على ضرورة الاهتمام بدور الحضانه لاسيما مع زيادة خروج المرأة للعمل. (عادل عز الدين الاشول، 1989، ص 36).

الأمومة والطفولة عند العرب قبل الإسلام: لا يمكن أن تولد الطفولة من فراغ فلا بد من أمومة حانية على أولادها، والسؤال الذي يطرح هنا هل الإسلام الوحيد الذي اهتم بالأمومة والطفولة؟ وماذا كان حال الأم والطفل قبل الإسلام؟

لقد كانت العرب تقدر الأم ومكانتها ولا ترضى لها هوان، ومثال ذلك قصة أم عمرو بن كلثوم مع أم عمرو بن هند التي أدت إلى قتل عمرو بن هند بسبب طلب أم عمرو بن هند من أم عمرو بن كلثوم أن تناولها الطبق إذ اعتبرت ذلك مهانة فصاحت وإذلاه، فسمعها ابنها وكان ما كان من قتل عمرو بن هند، من قبل عمرو بن كلثوم. ومن الشواهد التي تدل على مكانة الأم في الجاهلية أن كثيراً من القبائل العربية وبطونها تنتسب إلى أمها ومثال ذلك: مزينة، وعفراء، وباهلة، والعبلات.

وكان العربي يعرف وضع الأمومة وما يعكسه على أبنائها، إذ ينتخب لأولاده أمّاً طيبة النسب، فقد قال أعرابي لبيته: يا بني إني قد أحسنت لكم صغاراً وكباراً، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون، والعرب كانت تحب الأطفال لاسيما الذكور منهم، ومن المواقف التي تذكر موقف جد الرسول (ﷺ) حين نذر إن رزقه الله عشرة بنين أن يذبح واحداً منهم تقرباً للآلهة وشكراً لها على عطاياها، وكان ذلك وليد إحساس عميق بخطورة الولد في مثل بيئة قريش، وأما موقف الجاهلية من طفولة البنت، فقد بين القرآن الكريم ذلك (12). قال الله تعالى: ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)). (سورة النحل، الآيات: 57-59).

ويعلق سيد قطب رحمه الله بقوله: ((وحكمة الله، وقاعدة الحياة اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى... فكيف يغتم من بُشِّرَ بالأنثى وكيف يتوارى من سوء ما بشر به ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين

دائمًا، إنه انحراف العقيدة ينشئ آثاره في انحراف المجتمع وتقاليدته... ووأدها قتل للبشرية(سيد قطب ، ص2178).

وذكر إن العربي يائس إذا كان وليده أثنى ، فيواريه في التراب أو يوشك أن يواريه التراب لأنه ليس من فصيلة الذكور ، ولكن هل فعل الأعرابي ذلك كله لأن طبيعته المركوزة في أعماقه – كإنسان – تعطفه على الذكور ، وتباعد بينه وبين الوليدة الأثنى ؟ أم أن هناك بواعث خفية . وورد أن الحب لا الكراهية هو الذي يدفع بالعربي إلى هذا المنحدر... كان يحبها _أي الأثنى_ أكثر مما يحب الولد أو كما يحب الولد... ولذلك فقد كان يحيا بمشاعره الرهيفة في إبعاد مصيرها المنشود ، يهوله ما قد تتعرض له الأثيرة المرموقة من أذى أو ما قد يلحق من العار ، فينطلق في حمى ذلك الإحساس إلى موارثها حية في التراب .

ولها جاء الإسلام كرم الإنسان بصورة عامة والطفل بخاصة ، وبين حقوقه كاملة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المطلب الأول: حقوق الطفل قبل الميلاد إلى نهاية الرضاعة ويشمل:

1. إختيار الأم الصالحة والخالية من الأمراض: دعا الإسلام إلى النكاح والتكاثر وقال رسول الله (ﷺ): ((النكاح من سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا ، فإني مكاثركم بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فإن الصوم له وجاء.(سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، ص1786). وقال رسول الله (ﷺ) للشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء(محمد بن إسماعيل البخاري ، ص140).

وقد بين رسول الله الصفات التي تتصف بها المرأة حتى تكون مدعاة لاختيارها بقوله: ((تنكح النساء لأربع ؛ لهاها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك)).(سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، ص1786).

لذا وجه رسول الله المسلمين لاختيار المرأة الخالية من الأمراض والصفات الوراثية غير المرغوب فيها عندما قال: ((تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم)).(عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، 1984 ، ص61). وقول رسول الله (ﷺ): ((انكحوا الصالحين والصالحات)) (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص140).

2. إتباع الوالدين للتعاليم الإسلامية قبل الإنجاب: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): ((أما يمنع أحدكم يقول حين يأتي أهله باسم الله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما في ذلك ، أو قضي ولد ، لم يضره شيطان أبداً)) (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص69).

ويجوز الدعاء للصبي وهو في صلب أبيه كما فعل رسول الله (ﷺ) بعد رجوعه من الطائف عندما قال له ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي (ﷺ): بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً. (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص140).

3. حقه في الحياة: امن الإسلام الحياة للطفل ولو كان ولد زنا ، مع تأمين حضانه أمه له لحين اعتماده على نفسه. كذلك كفل الإنفاق على أمه أثناء حملها وبعد ولادته وخلال فترة إرضاعه ، كما خفف التكاليف الشرعية على أمه من أجل حياته وبقائه .

وشرعاً أجلت عقوبة الرجم على المرأة المحصنة التي حملت بزنا حتى تضع حملها ويكبر الطفل ويعتمد على نفسه وذلك اعترافاً بحق هذا الطفل في الحياة فهو لا ذنب له حتى يقتل برجم أمه قبل أن يولد، ففي صحيح مسلم جاءت الغامدية الى رسول الله (ﷺ) فقالت: ((يا رسول الله إني قد زويت فطهرني ، وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني ، لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً ، فو الله إني حامل قال: إما لا ، فاذهبي حتى تلدين فلما ولدت أنته بالصبي في خرقة ، قالت: هذا قد ولدته ، قال: اذهبي فأرضعيه حتى تقطعيه ، فلما قطمته أنته بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت: هذا يا نبي الله ، قد قطمته ، وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر ، فرمى رأسها ، فنضح الدم على وجه خالد ، فسبها ، فسمع نبي الله (ﷺ) سبه لها فقال: مهلا خالد ، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة ، لو تأيها صاحب مكس لغفر له)). (مسلم بن الحجاج بن القشيري ، 1929 ، ص 1323).

أما اللقطاء فقد تكفل الإسلام الحياة الكريمة لهم لقوله تعالى: ((إِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ)) (سورة الأحزاب ، الآية :5).

وقد أمن الشارع النفقة للمطلقة التي بان حملها لقوله تعالى: ((وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلْنَ فَنَفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ حَمِلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)). (سورة الطلاق ، الآية :6). لأن نفقة الولد الجنين على والده ولا يكون ذلك إلا بالإنفاق على أمه.

كما أباح الإسلام للحامل إذا خافت على جنينها أن تقطر في شهر رمضان وذلك رحمة بالولد حتى تقوى الأم على تأمين غذائه وهو في بطنها حتى أن رسول الله (ﷺ) كان يخفف الصلاة مراعاة لحال الأم التي تصلي جماعة ، فعن عبد الله بن قتادة الأنصاري عن أبيه ، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)) (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 208).

4. حقوق الطفل بعد الولادة مباشرة: إن للطفل حقوق على والديه بعد الولادة ومنها: الأذان والإقامة في أذنيه ، وتأمين الرضاعة ، وحسن التسمية ، والعقيقة عنه ، والختان ، والرعاية الصحية ، والحضانة ، وتأمين حقه في الميراث وللطفل أن يؤذن في أذنه اليمنى ويقام في أذنه اليسرى ، وأن يرضع ويختن إذ إن ذلك من الفطرة لحديث أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ): ((خمس من الفطرة الختان...)) (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 206). وروى أبو داود: ((وحين ولادتهم يؤذن في الأذن اليمنى للطفل ويقام...)) (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، ص 1786).

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا ولد له مولود أخذه في خرقة ، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وسماه. (ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ص 401). ويتسم للمولود ميراثه بمجرد ولادته لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): ((لا يرث الصبي حتى يستهل صارخاً واستهلاله أن يبكي ، أو يصيح ، أو يعطس. (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، ص 3593). وفي رواية: ((إذا استهل الصبي صلى عليه وورث)) (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، ص 128 ؛ الخطابي ، 1981 ، ص 104).

ومن حق الطفل أن تؤمن له الرضاعة ذلك لقوله تعالى: ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ...)). (سورة البقرة، الآية: 233).

كذلك من حق الطفل أن يعق عنه، لحديث سمرة عن رسول الله (ﷺ) قال: ((كل غلام مرتين بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى)). (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، ص 287).
ومن حق الطفل أن يسميه والده بأحسن الأسماء، وفي ذلك قال رسول الله: ((تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الله وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة)) (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، ص 288؛ الخطابي، 1981، ص 126). وذلك لأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم كما قال رسول الله: ((إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم)). (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، ص 287). لأن رسول الله كان يغير الأسماء فقد غير اسم عاصية إلى جميلة، ومرة إلى زينب (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، ص 288_289).

المطلب الثاني: حقوق الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة

إن الطفل بحاجة لكثير من الحقوق في مراحل عمره المختلفة، لاسيما في مرحلة الطفولة المبكرة التي تعد الأهم في نمو الطفل (كريستين نصار، 1991، ص 46)، والتي يبدأ الطفل فيها بالإحساس بشخصيته المستقلة (دحام الكيال، 1970، ص 16). وإدراك معايير السلوك وأحكامه، علماً أن حقوق الإنسان لا سيما حقوق الطفل وغيره منحة إلهية، وحق تعبدية، ويمكن إجمال هذه الحقوق بما يلي:

١. الحقوق العقدية: وتمثل هذه الحقوق بعدة أشياء بصفة أن الطفل طفل مسلم وذلك للإبقاء على فطرته السليمة ويكون ذلك من خلال تلقيه أول ما يتكلم وينطق لا إله إلا الله وذلك لرسوخ عقيدة التوحيد، أول أركان الإسلام في نفسه لأن أول الإيمان قول لا إله إلا الله. وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ): ((افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله)). (البرهان فوزي، 1979، ص 441). ومن ثم تدريبه وتعويدته على التمسك بالعقيدة الإسلامية لتسهيل له دخول الجنة واجتباب النار، ومعرفة الحلال والحرام قدر المستطاع وبالكيفية التي يفهما الطفل في هذه السن المبكرة، وإذا اعترض معترض على ذلك على أن الطفل ما زال صغيراً. فإن الرد على ذلك هو أن بعض أطفال المسلمين حفظوا القرآن وهم في سن مبكرة أي مرحلة الطفولة المبكرة وهي موضوع البحث، وورد أن الإمام الشافعي حفظ القرآن وهو ابن السابعة. لذا وجب أن ترسخ في قلوب الأطفال الفطرة السليمة، وتجزئها في نفس الطفل بالطرق السليمة والتربية الإسلامية الصحيحة.

وقال رسول الله (ﷺ) في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)). (محمد بن إسماعيل البخاري، ص 112).

ومن الملاحظ أن من السور التي يعلمها الوالدان لأبنائهم منذ نعومة أظفارهم سور تتعلق بالعقيدة، ومنها سورة الإخلاص التي تمثل الاعتقاد العقلي، وسورة الكافرون التي تمثل الاعتقاد العملي. (محمد نور بن عبد

الحفيظ سؤدد، 1994، ص 82)، وما يدل على اهتمام ولاية الأمور والسلف الصالح بصفاء عقيدة الأطفال أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يدع يهودياً ولا نصرانياً ينصر ولده، ولا يهوده في ملك العرب. (عبد الرزاق بن همام الصنعاني، 1970، ص 486).

ولابد أن يتعلم الطفل في هذه السن المبكرة الحلال والحرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ) كخ كخ ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة. (مسلم بن الحجاج القشيري، 1929، ص 65_66). وكلمة كخ لا تقال إلا لل صغير، وهنا ينهيه النبي ﷺ بكلمة زجر لطيفة، ثم يعلل للطفل سبب النهي أن النبي ﷺ) وآله لا تحل لهم الصدقات. وعلى المسلم أن يعلم أطفاله طاعة الله، وتقواه وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، فذلك وقاية لهم من النار.

وورد في تربية الأولاد القول أن الرسول ﷺ) قد اهتم بتلقي الولد منذ نشأته أصول الإيمان وأركان الإسلام وأحكام الشريعة وتأديبه على حب الرسول رسول الله وحب آل بيته، وحب الأصحاب والقواد والفاطحين، وتلاوة القرآن. (عبد الله علوان، 1997، ص 120).

2. الحقوق الاجتماعية: من المعلوم إن الطفل بحاجة إلى تحقيق جملة أمور من الناحية الاجتماعية ومن ذلك: وجود القدوة الحسنة، والعدل بينه وبين أخوته، ويدخل ضمن هذه الحقوق حقه في الرحمة والعطف والحب والاعتدال في كل ذلك، والاعتماد على النفس، ومن ذلك إرسال الطفل لقضاء حاجاتهم، وتعويد الطفل البيع والشراء، واتخاذ أصدقاء من أقرانه (محمد نور بن عبد الحفيظ سؤدد، 1994، ص 141).

كذلك الطفل يحتاج إلى القدوة الحسنة وخير قدوة للمسلمين رسول الله ﷺ) قال تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). (سورة الأحزاب، الآية: 19). وقوله تعالى: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَىٰهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ)). (سورة الأنعام، الآية: 90).

ولا بد من وجود القدوة في المحيط والبيئة التي يعيش فيها الطفل، فهو يحاكي ويقلد اقرب الناس له وهم الوالدين فيجب عليهما أن يكونا قدوة حسنة في كل شيء لا أن نكون كما قال الله تعالى في المترفين: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ)). (سورة الزخرف، الآية: 23). فالطفل يتقمص شخصية أحد والديه، فنجد طفلة في سن الرابعة من العمر تبدأ بطريقة لا شعورية في اكتساب النمط الكلي من صفات والدتها. وربما يتقمص الطفل صفات والده وبذلك يشعر بالطمأنينة والأمن لأن الطفل يشعر أنه اكتسب صفات والده وقوته، إلا إن بعض نماذج الوالدين لا تكون ملائمة، فقد ينتهي الطفل بالشعور بالقلق، وانعدام الأمن عندما يرى أن الشرطة قبضت على والده أمامه فحري بنا أن نكون قدوة حسنة لأبنائنا، وان نرعاهم حق الرعاية، كما قال رسول الله ﷺ): ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته)) (محمد بن إسماعيل البخاري، ص 381). فحقوق الطفل لا تتحقق إلا إذا شعر الجميع بالمسؤولية ورعوها حق رعايتها.

ومن الحقوق الأخرى للطفل أن يشعر بالعدل في المعاملة بينه وبين إخوانه فلا يقدم أحدهما على الآخر بميزة مادية أو معنوية، فعن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما قال: ((تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ)) فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم، قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فرد تلك الصدقة)). (مسلم بن الحجاج القشيري، 1929، ص 65-66).

ووجب على الوالدين إشاعة الرحمة بين أبنائهم والعطف عليهم. فقد ورد عن النبي ﷺ: ((قدم ناس من الأعراب على النبي ﷺ فقالوا: تقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم، فقالوا لكنا، والله ما نقبل، فقال النبي ﷺ: ((واملك أن كان الله عز وجل قد نزع منكم الرحمة)) (محمد بن يزيد ابن ماجه، ص 309).

ورسول الله ﷺ أعطانا القدوة الحسنة في المحبة ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق من أسواق المدينة، فانصرف فانصرفت، فقال أين لك ثلاثاً: ادع الحسن بن علي فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فقال الحسن بيده هكذا فالتزمه فقال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، وقال أبو هريرة: فما كان أحب إلي من الحسن بن علي، بعد ما قال رسول الله ما قال. (محمد بن إسماعيل البخاري، ص 204-205).

3. الحقوق النفسية: يحتاج الطفل في سن الطفولة مبكرة إلى الشعور بالاستقرار والأمن والابتعاد عن القلق، وتأمين الجو الأسري المناسب فضلاً عن الثقة بالنفس.

والحاجات النفسية الأساسية. ضرورة لحياة الطفل، فيجب على الأم أن تخلق جو مفعم بالأمان لكل أفراد الأسرة -ومنهم الأطفال- وإكساب الطفل الثقة بالنفس لا سيما الأطفال في سن ما قبل المدرسة، وأن تبتعد عن التسلط والعصبية وعدم الاتزان، وعلى الأب أن يكون هادئاً عادلاً بين أطفاله كي ينشأ الطفل في جو من الحب والعطف والحنان والأمن وعدم الخوف، كما يجب أن لا يترك تربية الأطفال للأم أو للخادمة أو ما يسمى بالهربية، مما يؤدي إلى القلق والحزن بين الأطفال، وحتى يعيش الطفل حالة نفسية هادئة مريحة يجب أن يكون جو الأسرة بعيداً عن كل وسائل الإزعاج، فالطفل بحاجة إلى المعاملة الحسنة، وأن تخصص غرف للأطفال من كلا الجنسين (عبد الرحمن العيسوي، 1993، ص 289-290).

ومن حق الطفل أن نعامله معاملة حسنة تتسم بالتوسط والاعتدال فلا إفراط ولا تقريط ولا قسوة زائدة ولا لين زائد، ذلك لأن لكل من القسوة والحرية المطلقة أضرارهما في تنشئة الطفل. (عبد الرحمن العيسوي، 1993، ص 295).

وكذلك من حق الطفل إرشاده على مواطن الخطأ والصواب، وأن يكون العقاب نفسياً بعد أن يعرف مواطن الخطأ، وهذا ما بينه حديث رافع بن عمرو الغفاري، قال كنت فقال: ((يا غلام، لم ترمي النخل؟ قال غلاماً أرمي نخل الأنصار فأتي بي النبي ﷺ) أكل، قال: فلا ترم النخل وكل مما يسقط في أسفلها، ثم مسح على رأسه وقال اللهم أشع بطنه)). (سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، ص 39).

وفي حديث سعيد بن جبير قال: ((كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فمروا بفتية أو نفر نصبوا دجاجة يرمونها ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها ، وقال ابن عمر من فعل هذا إن النبي ﷺ) لعن من فعل هذا)). (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 122). وفي رواية أخرى قال: ((خرجت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق من طرق المدينة ، فإذا بغلمة يرمون دجاجة ، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ فتفرقوا ، فقال: إن رسول الله ﷺ) لعن من مثل بالحيوان)) (عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، 1984 ، ص 10).

4. الحقوق المادية والمالية: من حقوق الطفل المهمة إشباع حاجاته المادية كالطعام والسكن والملبس وكل ما يديم بقاؤه ، يستوي في ذلك اليتيم مع غيره ، ومن حقوقه الحفاظ على ماله بالحجر عليه حتى يكبر ويبلغ رشده ، وتتمية ماله بالاستثمار إن كان ذا مال فالأطفال يحتاجون إلى وجبات مغذية منتظمة ، ولباس مناسب ونظيف مريح ، وكل إنسان بحاجة إلى ذلك ، كقوله الله تعالى لأدم عندما كان في الجنة: ((إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى)). (سورة طه ، الآية: 118-119). لأن من العوامل التي تؤثر على صحة الطفل في هذه المرحلة عوامل التغذية والمستوى الاقتصادي والاجتماعي ، ولا شك أن تمتع الطفل بصحة جيدة فيما قبل المدرسة يعد من الأمور المهمة التي يتطلبها نمو الطفل في جميع النواحي الجسمية والمعرفية والفكرية والوجدانية ، وتوجد علاقة طردية بين التغذية وكل ما ذكر ، وبيد ذلك منذ مرحلة الرضاعة التي تهيب خبرة هامة في الشعور بالثقة ، وأي نقص في التغذية يؤدي إلى خفض مستوى الصحة والمناعة وتعرض الطفل للأمراض ، لأن معظم أمراض الأطفال ذات أصل جسدي ، وبعضها ينشأ من توتر العلاقة بين الطفل والديه (آمال صادق ؛ فؤاد أبو حطب ، 1995 ، ص 295-297). لذا وجب على المسلم الإنفاق على أولاده ومن يعول ، وإذا كان الإسلام يهتم بما يملك المرء فكيف بالأبناء ، سيما الأطفال منهم ، فعن خيثمة قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو ، إذ جاءه كهرمان له فدخل فقال: ((أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا ، قال: فانطلق أعطهم ، قال: قال رسول الله ﷺ): ((كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)). (مسلم بن الحجاج القشيري ، 1929 ، ص 82).

ومن باب حرص الإسلام على رعاية الأطفال الأيتام فقد اهتم بشأن اليتامى إذ حث على رعايتهم وتجنب إيذائهم والتكبر عليهم واحتقارهم وقال الله تعالى: ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)) (سورة الضحى ، الآية: 4) ، وقوله تعالى: ((أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ قَدْ لَكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ)). (سورة الماعون ، الآية: 1). ووعد رسول الله (ص) كافل اليتيم بالصحة الكريمة في الجنة وهي منزلة لا ينالها إلا القليل ، وقال رسول الله ﷺ: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة ، كهاتين)) ، وأشار مالك رحمه الله بالسبابة والوسطى. (مسلم بن الحجاج القشيري ، 1929 ، ص 222).

وقد حث الإسلام على الإحسان إلى الأرملة والمسكين ، لأن الساعي عليهم له ثواب المجاهد والصائم والمصلي ، قال ﷺ: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد الذي يهب نفسه في سبيل الله ، أو القائم في الليل الصائم النهار)). (محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 497). وهذا وإذا كان الصغير ذا مال فيجب الحفاظ على ماله والحجر على تصرفه لاسيما إن كان يتيماً لقوله تعالى: ((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)). (سورة النساء ، الآية: 5).

5. **الحقوق الأخلاقية:** لقد اوجب الإسلام في تربية الأطفال جملة أمور أخلاقية يحتاجها في تأصيل حب النبي (ﷺ) وأصحابه ، والتأدب مع الوالدين والصدق والأمانة وحفظ الأسرار ومصاحبة الأخيار وتجنب الأشرار ، وعدم الإضرار بالآخرين فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) قال: ((أكرموا أولادكم وأحسنوا آديهم)). (محمد بن يزيد ابن ماجه ، ص210). فإذا أدبت ولدك فإنه يجلك ويحترمك ، ويحترمك غيرك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) قال: ((من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ، ويحسن اسمه)) (البرهان فوزي ، 1979 ، ص441).

ومن الآداب التي ينبغي أن يتخلق بها الأطفال: الأدب مع العلماء والمعلمين ، وأدب الاستماع والإنصات ، والأخوة ، ومعرفة حقوق الجيران ، وأدب الاستئذان ، وكرم الأسرار ، وسلامة الصدر من الأحقاد والضغائن ، وأدب الطعام ، وحتى أدب اللباس واختيار الألوان ، وأدب النظافة وغيرها من الآداب (محمد نور عبد الحفيظ سويد ، 1994 ، 170-175).

ولعل هذه الحقوق ما هي إلا سلم للوصول إلى التربية السليمة والخلق الرفيع. لذا بات الطفل تحتاج إلى تعليم وإرشاد ، وتعديل سلوك ليصل الطفل إلى ما أراد الله له من صحة في العقيدة والعبادة ، فضلاً عن غير ها الحقوق كالتعليمية ، والعبادية ، والإرشادية ، وتعديل السلوك ، والحق العلم والمعرفة ، وفي ممارسة اللعب والرياضة ، فضلاً عن الحق في النسب الشريف والحقوق الصحية.

خاتمة: من خلال البحث يمكن أن نستنتج جملة أمور منها:

أن الإسلام قد أثرى عناية خاصة بالطفل قبل أن يخرج للحياة ، وذلك بتوجيهه إلى الأمور التي تتصف البنت التي ستكون أمًا للطفل في المستقبل.

سبق الإسلام الأنظمة الحديثة بعدة قرون في ضمان حقوق الطفل في مختلف مراحل العمرية ، إذ إن الأمم المتحدة لم تقر وثيقة حقوق الطفل إلا عام 1950م.

إن الإسلام يتسم بالمرونة في قوانينه وأحكامه فهو قابل للتطبيق في كل زمان ومكان ، ولن ترقى أية قوانين لاحقة لها وصل إليه الإسلام في درجات الكمال ، فالشريعة الإسلامية أوجدت منهجاً اليوم ، ونظاماً لا يدانيه أي نظام ، فقد أكمل الله الرسالة وأتم النعمة.

التوصيات والتوجيهات: وبعد معرفة أهم النتائج يمكن الأخذ بالتوصيات والتوجيهات التالية:

ضرورة تعميم ما يتوصل إليه من دراسات خاصة بالطفولة على جميع المؤسسات ذات العلاقة. لاسيما وزارة التربية والتعليم ، ووزارة الأوقاف ، ووزارة الشؤون الاجتماعية ، والضمان الاجتماعي ، والصحة ... الخ.

ضرورة الاستثمار في أهم مرحلة تكوينية من حياة الطفل ، مع وضع معايير ترخيص مرافق التعليم لها قبل المدرسة ، وتوسعة نطاق توفير رياض الأطفال ليشمل كافة أنحاء القطر.

-التوسع في تدريب القوى العاملة القادرة على تنمية الطفولة المبكرة ، مع الاهتمام بالبنية التحتية لمرافق التعليم لها قبل المدرسة ، لاسيما في المناطق الريفية.

-على الدول الإسلامية وضع ميثاق خاص بالطفولة مستمد من الشريعة الإسلامية ، وعدم تقليد أعداء الإسلام في وضع مواد تتنافى مع الإسلام بدعوى التقدم.

-عدم تحديد سن معينة تزيد عن خمسة عشر سنة كسن للزواج لأن ذلك يؤدي إلى الوقوع في الزنا مما يؤثر على نفسية الأولاد في المستقبل إذا عرفوا أنهم أولاد زنا ، لا سيما أن الطفل في سن الطفولة المبكرة - خاصة- وغيرها يحتاج إلى رعاية الأبوين.

-عدم الارتكاز على القوانين المستوردة المتعلقة بالأسرة وتقليدها أو الأخذ منها دون تمحيص لأنها لا تتناسب مع عاداتنا وتقاليدنا و عقيدتنا.

-الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة في هذه المرحلة المبكرة وإعطائهم حقهم من البرامج التي تميزهم عن غيرهم إلى أن يستطيعوا الانضمام إلى أقرانهم من الأطفال.

-أن تشمل مرحلة الطفولة المبكرة الفئة العمرية منذ الولادة حتى نهاية العام السابع. مع وضع خطة متكاملة إستراتيجية لتحسين الخدمات وتأمين الحقوق لهذه الفئة ، كماً ونوعاً ، متمشية مع الخطة العامة للتنمية في الدولة.

-إبراز دور الأسرة في تنمية الطفولة من خلال برامج إعلامية بمختلف الوسائل لتنمية الطفولة المبكرة حسب هوية ثقافية إسلامية مميزة تظهر في كتبهم ، وإعادة النظر في تخطيط برامج الأطفال التلفزيونية والإذاعية.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

القرآن الكريم

ابن قدامة المقدسي(1405 هـ) ، المغني في فقه الامام احمد بن حنبل الشيباني ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت.

احمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، سنن النسائي ، شرح الحافظ السيوطي ، وحاشية الإمام السني ، المكتبة العلمية ، بيروت.

آمال الصادق ؛ فؤاد أبو حطب(1995م) ، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر.
البرهان فوزي علي المتقي بن حسام الدين الهندي(١٣٩٩ هـ ، 1979 م) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

جمال عبد الرحمن (١٤١٠ هـ ، 1989م) ، أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، دار طبية الخضراء ، مكة.

حامد عبد السلام زهران(1995) ، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة ، عالم الكتب ، القاهرة.

حمد بت محمد بن إبراهيم بن الخطاب السبتي المعروف بالخطابي (1401هـ/1981م) ، السنن شرح سنن ابي داود ، المكتبة العلمية ، بيروت.

دحام الكيال(1970) ، دراسات في علم النفس ، ط2 ، بغداد.

سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، سنن أبي داود ، دار مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض.
سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، بيروت.

عادل عز الدين الأشول(1989) ، علم نفس النمو ، دار مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر.

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي(١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، السنن ، نشاط آباد ، فيصل آباد ، باكستان.

عبد الله علوان(١٤١٨ هـ ، 1997 م) ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة.

عبد الرحمن العيسوي (١٤١٤ هـ ، 1993 م) ، مشكلات الطفولة والمراهقة أسسها الفسيولوجية والنفسية ، دار العلوم العربية ، بيروت.

عبد الزقاق همام الصنعاني(1970) ، المصنف ، نشر المجلس العلمي ، جنوب افريقيا.

فؤاد البهي السيد(١٩٩٧ م) ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

كريستين نصار (١٤١١ هـ ، 1991 م) أيها الطفل من أنت دراسة سيكولوجية تتناول الطفولة بشكل عام ، حروس برس ، طرابلس ، لبنان.

- محمد أحمد مفتي ؛ سامي صالح الوكيل (١٤١٠ هـ) ، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية ، دراسة مقارنة سلسلة كتاب الأمة ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر .
- محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر .
- محمد خالد الطحان وآخرون ، أسس النمو الإنساني ، دار القلم ، دبي .
- محمد رواس قلعي (١٤١٦ هـ ، 1996 م) ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، بيروت .
- محمد نور بن عبد الحفيظ سويد (1994م) ، منهج التربية النبوية للطفل ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت ، الكويت .
- محمد بن يزيد ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، (2010 م) ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البايي الحلبي .
- محمود عطا حسين عقل ، النمو الإنساني الطفولة والمراهقة ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض .
- مسلم بن الحجاج بن القشيري (١٣٤٧ هـ / 1929م) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- مسن بول وآخرون (١٥١٤ هـ ، ١٩٩٣) ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
- هاني السيد العزب (2017) ، دور الأسرة في إعداد القائد الصغير ، نشر المجموعة العربية للتدريب والنشر ، مصر .
- هاني شفيق كرم (2003) ، ألعاب العنف الإلكترونية ، مجلة المعرفة ، العدد ٩٩١٤٢٤ .

التنوع الثقافي: طريق نحو تحقيق التنمية
cultural diversity: a path to archieve the development

خديجة التوزاني -المغرب

جامعة محمد الأول- المغرب

تقديم

تبرز الثقافة كمخزون فردي وجماعي غني ومتنوع ، يرتبط بطريقة حياة الأمة أو المجتمع بكل أبعادها الفنية والإبداعية والحضارية بصفة عامة ، وذلك من أجل تحقيق التنمية وتعزيز قدرات المجتمع في ميادين مختلفة ، حيث أصبحت الثقافة دعامة أساسية لتحقيق التنمية ، من خلال إحياء الموروث الثقافي وتثمينه وإغناؤه وتطويره من جهة ، وتشجيع الإبداع الثقافي التنموي من جهة أخرى ، فأصبحت للتنمية أبعاد اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية وثقافية أيضا .

فالتنمية لم تعد مرتبطة فقط بالنمو الاقتصادي ، الذي يؤدي إلى ارتفاع قيمة الدخل الفردي أو انخفاضه ، بل تطور مفهوم التنمية ليشمل ما هو اجتماعي وثقافي ، إذ ظهرت إشارات إلى أهمية الاعتناء بأمور ومؤشرات أخرى ، لا تقل أهمية عن مؤشر النمو الاقتصادي ، كمؤشر التعليم والمعرفة ، وتحسين مستوى الرعاية الصحية... الخ ، فرضت بذلك قضية معالجة التخلف في معالجة نقص النمو .

ولهذا ارتأيت أن يكون إشكال الموضوع ، "التنوع الثقافي: طريق نحو تحقيق التنمية" ، وتتفرع عن إشكالية هذا البحث الأسئلة الآتية:

ما مفهوم التنمية ؟

ما مفهوم الثقافة ؟

هل تحقيق تنمية البلدان مرتبط باقتصادها ؟

وهل تعتبر الثقافة مدخلا أساسيا لتحقيق التنمية ؟

وستتطرق بداية بالإجابة على الأسئلة المرتبطة بالإطار المفهومي لكل من للتنمية والثقافة

1. مفهوم التنمية:

وفي محاولة لرصد مفهوم التنمية والإشارة إلى مدى تطورها ، ارتأيت أن أبدأ بالدلالة اللغوية بعد ذلك المفهوم الاصطلاحي قصد الإشارة إلى الاختلاف الموجود بين الداليتين .

فمن الناحية اللغوية تحيل التنمية على "المرور من وضع بسيط ومؤقت إلى وضع أشد تعقيدا وأكثر استقرارا (Robert, Ledufe, 2004, p: 270)

أما على المستوى الاصطلاحي فقد أثار مفهوم التنمية كثيرا من الجدل على جميع المستويات (النظرية والتطبيقية) ، فمفهوم هذا المصطلح يختلف باختلاف المجال الذي ورد فيه ، إذ تحمل المؤلفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العديد من التعاريف لهذا المصطلح وكل منها تناوله من زاوية معينة حسب اختلاف الميادين والمناهج العلمية الخاصة به .

إلا أن أغلب المؤلفين يربطون التنمية في بدايتها بالحقل الاقتصادي ، إذ مع التطور الذي عرفه الفكر الاقتصادي كان الاهتمام منصبا فقط على ظاهرة النمو الاقتصادي ومفهومه ، ولهذا هناك من يعرف التنمية الاقتصادية على أنها "عملية متعددة الأبعاد تتضمن إجراء تغييرات جذرية في الهياكل الاجتماعية والسلوكية والثقافية والنظم السياسية والإدارية جنبا إلى جنب ، مع زيادة معدلات النمو الاقتصادي ، وتحقيق العدالة في توزيع الدخل القومي واستئصال جذور الفقر المطلق في مجتمع ما (رمزي علي إبراهيم سلامة ، 1998 ، ص: 107-108).

ونجد كمال بكري يعرفها على أنها "سياسة اقتصادية طويلة الأجل لتحقيق النمو الاقتصادي ، فهي عملية يزداد بواسطتها الدخل القومي الحقيقي للاقتصاد خلال فترة زمنية طويلة (كامل بكري ، 1986 ، ص: 16-17). ويعرفها كذلك عبد الرحمن بواقجي على أنها "مجموع الإجراءات والتدابير الهادفة إلى بناء آلية اقتصادية ذاتية تتضمن زيادة حقيقية في دخل الفرد لفترة طويلة (عبد الرحمن بواقجي ، 1978 ، ص: 14). من خلال هذه التعاريف التي يمكن أن ننسق بينها نخلص إلى أن "التنمية الاقتصادية هي تعريف شامل يتضمن التحديث ، الذي يؤدي إلى زيادة معدلات النمو الاقتصادي ، مع ضمان توازن هذا النمو وتواصله لفترة طويلة من الزمن ، من أجل تلبية حاجات الأفراد ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية ، فالتنمية لا تركز على الرفع من النمو الاقتصادي فقط لتلبية حاجات الفرد.

ولهذا ارتبطت التنمية الاقتصادية بفترة تلت نهاية الحرب العالمية الثانية ، حيث عرف المشهد السياسي الدولي استقلال العديد من دول العالم الثالث ، وفي هذا السياق ظهر بشكل جلي الهو الكبير بين الدول الفقيرة والدول الغنية ، الشيء الذي ولد قناعة لدى الاقتصاديين مفادها أن "مشكلة التنمية هي مشكلة اقتصادية بالدرجة الأولى ، ومن هذا المنطلق تم اتخاذ البلدان الصناعية مرجعا استشاريا بالنسبة للعديد من الدول المتخلفة في "معركتها التنموية" ، بغرض مساعدتها على انتهاج بعض الخطط التنموية التي يرجى أن تخرجها من حالة التخلف ، وبهذا كرس التصور الأول للتنمية على أنها مشروع يستمد آلياته ونماذجه من الخارج.

ولهذا فإن التنمية غلب عليها في البداية جانب النمو الاقتصادي ، فلقد كان (ولا يزال من خلال ما يلاحظ على الساحة) التعريف الشائع للبلدان المتخلفة أنها البلدان التي ينخفض فيها مستوى الدخل الفردي ، على اعتبار أن التنمية هي الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى دخل الفرد عبر الزمن ، بالرغم من ظهور مؤشرات أخرى لها أهمية كبيرة كمؤشر نشر التعليم وتحسين مستوى الرعاية الصحية...إلخ ، إلا أن المنطلق الغالب كان المنطلق الاقتصادي ، ومن هنا نظر للتنمية على أنها مراحل مسترسلة يجب على الدول المتخلفة المرور بها لتحقيق التنمية والتقدم ، وهي المراحل نفسها التي مرت بها الدول المتقدمة ، ولذا كان لزاما على الخطط التنموية التي تنتهجها دول العالم الثالث أن تكون وفق النموذج الغربي .

2. مفهوم الثقافة:

اعتاد الناس أن يطلقوا لفظ المثقف على كل من تخصص في ميدان من ميادين المعرفة ، فالثقافة بهذا المفهوم التعليم ، وقد يطلق لفظ المثقف على كل شخص لديه عادات سلوكية ممتازة ، وهنا تعني الأدب ، والواقع أن

المثقف لا بد أن يتصف بصفتين: الأولى الوعي الاجتماعي الذي يمكن الفرد من رؤية المجتمع رؤية شمولية عامة ، والثانية: الدور الاجتماعي الذي يمكنه وعيه الاجتماعي من القيام به .
وقد اختلف في تعريف الثقافة ، فقيل إنها المظاهر من السلوك الإنساني الذي يرضاه كل مجتمع على حدة ؛ أي "مجموعة الأنماط السلوكية من الناس ، تؤثر في سلوك الفرد الموجود في تلك المجموعة ، وتشكل شخصيته ، وتتحكم في قراراته وقراراته ضمن تلك المجموعة من الناس التي يعيش بينها (إبراهيم ناصر ، 1983 ، ص: 75-78) ، وتعرف بأنها "مجل السلوك الاجتماعي المكتسب ، والمتعلم الذي يتم تناقله من جيل لآخر (حمود عليجات ، 2001 ، ص: 89).

وقيل إنها " نموذج كلي لسلوك الإنسان ، وقيمه ، وعاداته ، وأفكاره ، وأفعاله ، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ، ونقل المعرفة للأجيال التالية (ماجد شدود ، 2002 ، ص: 23).
وثمة من يعرفها أنها "مجموعة العلوم ، والفنون ، والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان ، فتكسبه أسباب الرقي ، والتقدم ، والوعي ، فهي النسيج الكلي من الأفكار والمعتقدات ، والعادات ، والتقاليد ، والاتجاهات ، والقيم ، وأنماط التفكير ، والعمل ، والسلوك وما ينبني عليها من تجديدات ، أو ابتكار ، أو وسائل في حياة الناس (محمد شعبان علوان ، 2005 ، ص: 113)
فالثقافة التي أجمعت عليها التعريفات السابقة هي المحتوى الإنساني للحضارة من علوم ، وفنون ، وعلاقات ، وتصورات ، وقيم ، وتشمل كافة جوانب الحياة (فتحي يكن ، 2001 ، ص: 34-35) ، ومما سبق يمكن بيان مكونات الثقافة بالآتي :

المكونات المعنوية: وتشمل العقيدة ، والأخلاق ، والأعراف ، والقيم ، واللغة التي هي أبرز مكونات الثقافة ، وهذه العناصر تشكل جوهر الثقافة ، ومرجعيتها وفيها تكمن الخطورة في التأثير.
المكونات المادية: وهو ما أبدعه الإنسان من أدوات ، ومعدات ، ووسائل ، وأساليب تعينه على التكيف مع البيئة ، وهذا الجانب مرتبط بالجانب المعنوي ، وتابع له .

3. التنمية والنمو الاقتصادي:

تطور مفهوم التنمية ليشمل ما هو اجتماعي وثقافي ، إذ ظهرت إشارات إلى أهمية الاعتناء بأمور ومؤشرات أخرى لا تقل أهمية عن مؤشر النمو الاقتصادي ، كمؤشر التعليم والمعرفة ، وتحسين مستوى الرعاية الصحية... الخ ، فرضت بذلك قضية معالجة التخلف في معالجة نقص النمو.

فقد شهدت دول عدة معدلات نمو اقتصادي عالية ، ومع ذلك بقيت مستويات المعيشة فيها بلا تحسن ، واستمرت معاناة فئات واسعة من سكانها من الفقر والامية والبطالة ، وهذا بالإضافة إلى أن ما حققته هذه الدول من نمو اقتصادي لم يحسن من وضعها حيال النظام الاقتصادي العالمي ، إذ عجزت عن دعم وإنباع ما حققته من استقلال سياسي واقتصادي وتقني ، بل إن تبعيتها للاقتصاديات العالمية (النماذج الرأسمالية السائدة في دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والاشتراكية التي كانت سائدة في دول أوروبا الشرقية والصين بمثابة أنماط مثالية بدأت الدول الحديثة الاستقلال في تقليدها واستعارتها) توطدت أكثر ، وخير دليل على أن النمو الاقتصادي لا يكفي لتحقيق التنمية ، البلدان النامية التي استطاعت أن تحقق التنمية ، رغم أنها لم تحقق إلا نسبا متواضعة في النمو الاقتصادي ، إذ حققت تقدما لا بأس به في عدد من المجالات المتعلقة

ياشباع الحاجات الأساسية ، وتمثل لذلك بسيرلانكا التي استطاعت في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي أن تحقق ما يلي (إبراهيم العيسوي ، 2001 ، ص:15):

أمد الحياة لمواطنها عند الولادة 71 سنة ، وإذا ما قارناه بأمد الحياة عند الولادة في الفترة نفسها لدى البلدان المتقدمة هو 74 ، فلن نجد فارقا كبيرا جدا بينهما.

زيادة نسبة السكان الملمين بقواعد القراءة والكتابة إلى ما يقرب من 79%.

وإذا ما قارنا هذه النسب المرتفعة (وهي نسب قريبة من النسب التي حققتها الدول المتقدمة) بمتوسط الدخل الفردي نجدها لا تتجاوز 400 دولار ، أي حوالي 4% من متوسط الدخل الفردي في البلدان المتقدمة (إبراهيم العيسوي ، 2001 ، ص: 15).

وستقارن في الجدول أسفله بين متوسط دخل الفرد لدى سيرلانكا والبرازيل والسعودية ومدى تحقيق هذه البلدان للتنمية ، لتؤكد من أن النمو الاقتصادي وارتفاع الدخل الفردي ليس الأساس الوحيد لتحقيق التنمية المطلوبة (إبراهيم العيسوي ، 2001 ، ص: 16):

البلد	أمل الحياة عند الولادة	متوسط دخل الفردي
سيرلانكا	71 سنة	400 دولار
البرازيل	65 سنة	2200 دولار
السعودية	64 سنة	6200 دولار

استنتاج: بتحليل معطيات هذا الجدول نخلص إلى أن ارتفاع دخل الفرد المرتبط بالنمو الاقتصادي ليس عاملا وحيدا وكافيا لتحقيق البلدان للتنمية ، فسيرلانكا استطاعت رغم ضعف الدخل الفردي أن تحقق تقدما لا بأس به في مجالات أخرى مرتبطة بالتنمية ، في حين أن دول لها اقتصاد قوي ودخل فردي مرتفع كالبرازيل لم تستطع تحقيق تقدم أكبر من دول نامية كسيرلانكا في مجالات أخرى.

وهذا إن دل فإنما يدل على أن ربط التنمية بالنمو الاقتصادي فقط غير كافي لتحقيقها ، وهذا ما أدى إلى تراجع مفهوم التنمية الاقتصادية ، حيث أهملوا العنصر البشري فيها بكل خصوصياته ليتسع مفهوم التنمية ويشمل ما هو اجتماعي وثقافي.

فما أفرز تجارب الكثير من الدول النامية طيلة عقدين من الزمن (الخمسينات والستينات) ، أبانت أن تحقيق تقدم في عدد هائل من مجالات الحياة الاجتماعية ليس رهنا بتحقيق مستويات عالية من متوسط الدخل الفردي ، وأن العبرة ليست بسياسات زيادة الدخل وحدها (زيادة حجم الاستثمار تلقي المعونات الدولية ، جلب التكنولوجيا المتطورة) ، بل إن العبرة أيضا بسياسات توزيع الدخل.

كما أن النتائج التي خرجت بها تجارب العديد من الدول في مجال التنمية ، جعلت الاهتمام يتحول من النمو الاقتصادي إلى قضايا أخرى لها علاقة بالمسائل الاجتماعية ، كالتفاوت في الدخل الفردي ، والعدالة في توزيع الدخل الوطني ، والقضاء على الفقر والامية والبطالة.

هذه المراجعة لنموذج التنمية وبذلك لمفهوم التنمية ، قاد البعض إلى البحث في الأطر المؤسسية -المحلية والدولية- التي تجري فيها عملية التنمية.

إن فلسفة هذا الطرح الجديد للتنمية هو أن مرد التخلف ليس القلة في الموارد المالية بقدر ما هو طبيعة البنية السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية الداخلية لمجتمعات الدول النامية إضافة إلى طبيعة التبعية التي تميز العلاقات الدولية (الاقتصادية، العلمية، السياسية...) القائمة بين بلدان العالم الثالث من جهة والبلدان المتقدمة من جهة أخرى، والتي هي بدورها نتاج تطور تاريخي طويل لنظام دولي اتسم بدرجة عالية من عدم التكافؤ والاستغلال.

وبقدر ما ساعدت التجارب التنموية للخمسينات والستينات في تبيان الصعوبات الهيكلية والبنوية للتنمية، بقدر ما ساعدت على إبراز الجوانب غير الاقتصادية في التنمية وهي الجوانب المتصلة بالنظم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ ولذلك فالتنمية فعل شامل يستدعي التكامل بين مختلف مكوناتها وعناصرها، وبهذا مهدت تجارب الخمسينات والستينات لطرح تصور جديد للتنمية، حيث تم تقليص حجم الجانب الاقتصادي في مقابل إبراز العنصرين الاجتماعي والثقافي.

وهنا نشير إلى أنه رغم الاختلاف والتنوع في تعريف التنمية (وهذا الاختلاف له علاقة بتنوع المجالات المراد تنميتها وكذلك بتعدد نماذج التنمية)، إلا أنها تظل مرتبطة بالإنسان.

التنمية هي بالضرورة تنمية بشرية، فهي تنمية لمعارف الإنسان وقدراته على الإبداع، وهي تكريس لحقه في المشاركة في اتخاذ القرارات التي تمس شؤون حياته وشؤون مجتمعه، وتحرير من الفقر والحرمان، ومن كل أنواع الظلم الاجتماعي، فهي التي تمكنه من تحسين ظروف حياته بشكل مستمر.

وعلى هذا فالطريق إلى التنمية منعه هو الوعي بحقيقة التخلف لتجاوزه، وجوهره الإنسان. وعندما نقول جوهره الإنسان فنحن نقصد كل ما يمس المستوى الاجتماعي والثقافي لا الاقتصادي فقط، وعدم الوعي بهذه المسائل هو الذي أدى إلى فشل التنمية في الدول النامية، إذ مباشرة بعد حصول هذه الدول على استقلالها بدأت رحلة البحث عن نماذج تساعد في تطوير المجتمع، فكانت النماذج السائدة آنذاك هي الرأسمالية والاشتراكية.

فكانت هذه هي النماذج التي بدأت الدول الحديثة الاستقلال في تقليدها واستعارتها، فألفت بذلك كل خصوصياتها الاجتماعية والثقافية وهذا ما أدى بها الآن لأن تقف وتراجع مظاهر الفشل والنجاح، وفي هذا الصدد تشير مجموعة من التقييمات التي أقامها الباحثون نأخذ من بينهم تقييم أحمد زايد" (أحمد زايد، 2008، ص: 53)، الذي يرد أن مظاهر الفشل كانت أكبر بكثير من مظاهر النجاح والحلم بالتحديث والتنمية لم يتحقق في الواقع على النحو الذي كان متوقعا.

فالتخلف لا يمكن تفسيره وفهمه فقط بعلاقة التبعية للآخر وبمدى إيجابية بعض المؤشرات الاقتصادية، بل أنه كذلك نتاج وانعكاس لثقافة فقدت نبضها الإبداعي، وأصبحت في حالة أزمة، تبحث في تاريخها عن مبررات وجودها أكثر مما تبحث عن حاضرها ومستقبلها في تنمية معاييرها القيمية والعلمية، لمواجهة التحديات والتطورات التي يعيشها العالم.

4. الثقافة مدخل أساسي لتحقيق التنمية:

صار هناك توافق اليوم على أن التنمية لا تقوم على توفير شروط الرفاهية المادية فحسب (إنشاء المصانع والسدود والمنازل...)، فكل هذه المنجزات ضرورية، ولكن ما هو أشد ضرورة من ذلك، هي الثقافة التي من

خلالها يتوفر للمواطن وجود روحي وأخلاقي وعقلي ووجداني متميز ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تعريفات جديدة للتنمية الشاملة ، تتأسس على فهم التنمية وتستهدف تغيير الإنسان ووجوده ، وإزالة العقبات التي تعترض تغيير هذا الوجود وقيامه في وجه التخلف.

لما تأكد عدم قدرة ارتفاع النمو الاقتصادي على تحقيق التنمية ، دعت الحاجة إلى البحث عن نماذج جديدة للتنمية فبرزت الثقافة ، وبدأ الباحثون والفاعلون في حقل التنمية في العالم يطرحون مداخل جديدة للتنمية ، كان المدخل الثقافي هو أكثرها بروزاً ، وكان المدخل الثاني هو مدخل التنمية المستدامة ، والذي لا ينكر هو الآخر أهمية الثقافة كعنصر فاعل في التنمية (أحمد زايد ، 2008 ، ص:57).

وقد اختزلت العلاقة بين الثقافة والتنمية في حكمين كلاهما سلبي ، الأول هو النظر إلى التنمية على أنها اعتداء من الغرب على ثقافات محلية ، والثاني هو أن الثقافات المحلية تمثل عائقاً لتحقيق التنمية ونجاحها. وبهذا تم تغيب الجانب الإيجابي والموضوعي في علاقة الثقافة بالتنمية ، وهو أن الثقافة هي رأس مال اجتماعي ومصدر التنمية (Martin O'connor, serge latouche, 2005, p :39).

فإيجاد مخرج لأزمة التنمية الذي وصل لإشكالية العلاقة بين الثقافة والتنمية ، يحقق تبني مقارنة ترى في الثقافة واقعا "داخل التنمية" ، فالمنطق الثقافي في تناوله كل ما هو سياسي واجتماعي واقتصادي... ، من منطلق أن الأمة التي يمثلها التخلف هي في المقام الأول أزمة مجتمع ، وأن مشروع التنمية كي يحقق الآمال المرجوة منه لا بد أن يتخذ من الثقافة نقطة لبدايته ومصبا نهائياً له ، فعمق الإصلاح وحديثه تتحدد بمدى أخذه البعد الثقافي بعين الاعتبار ، لأن البعد الثقافي متضمن للبنى والتكوينات الفكرية والذهنية المنتجة للسلوك والتصورات ، فالثقافة مجال التنمية الأول ورافعتها.

المدخل الثقافي للتنمية يجعل الثقافة في قمة سلم الأولويات ، على اعتبارها منبع التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ومحققة للتكامل بين مختلف عملياتها ، فالبعد الثقافي يوفر الظروف المساعدة للأفراد والمجتمعات على النظر في ثقافتهم ، وإعادة اكتشاف هذه الثقافة وتذليل ما فيها من عقبات أمام عملية التنمية ، بالقدر نفسه الذي تشغل إمكانات هذه الثقافة للدفع إلى الأمام بقوة ، والعمل على تنمية الإنسان – أداة التنمية وغايتها الأولى- بحيث يمتلك من القدرات ما يجعله قادراً على تغيير محيطه الاجتماعي وظروفه الاقتصادية نحو الأفضل.

إن علاقة الثقافة بالتنمية تحدد –على الأقل- في ثلاثة ميادين (OCDE, 2005, p :9) أولها إثراء المعرفة الإنسانية عبر تحقيق تراكم للمعارف ولوجهات النظر المختلفة حول العالم ، وفي هذا الإطار يكون للفنون وللنشاطات المرتبطة بها الأهمية نفسها التي للعلم وللتقنية.

الميدان الثاني يتعلق بالعائدات الاقتصادية والاجتماعية للثقافة في المدى المتوسط والبعيد ، والتي تبرز من خلال مساهمة الفنون ونشاطاتها في خلق مناصب جديدة للعمل ورفع قيمة الدخل الوطني ، وكذا في تكريس أهمية الأبعاد التعليمية والحضارية في التنمية.

الميدان الثالث خاص بالتعبئة التي تتيحها الثقافة للأفراد والجماعات وذلك عبر التأسيس لمعاني وقيم الاستقلالية والمبادرة والحرية ، وتنمية القدرة على التكيف مع تغيرات الحياة اليومية.

وبهذا من الصعب الحديث عن التنمية بدون دور ومكانة للثقافة فيها ، فحالة التنمية لا تتحقق فعلا إلا بالتمظهرات الثقافية والفكرية لها ، كون التنمية فعل ثقافي فهذا يستند إلى اعتبار الثقافة هي القاطرة التي تدفع توجه التنمية ، وهي كذلك ركيزتها الأساسية بما تحويه من جوهر إنساني وأخلاقي ، يجعل من التنمية طريقة في السلوك والتفكير ، وطريقة في الحياة.

إن أي فعل تنموي لا يمكنه أن يكون بعيدا عن الثقافة ، فمن الثقافة تستمد التنمية المعنى والمضمون وكذا الفاعلية.

الثقافة هي حاضنة القيم ومنشأتها ، ولا تنمية بدون دور للقيم ، ولأن حالة التنمية تتحقق في "موقف جديد" فإن التأسيس له يستلزم بالضرورة العودة للانطلاق من الثقافة ، فالتنمية تتم دائما داخل المجال الثقافي ، منه وإليه وبه.

وهذا ما يؤكد الشقين المكونين للحضارة ، إذ لها شق مادي يتمثل في التكنولوجيا والعمارة والتقنيات ، وشق معنوي يتمثل في الثقافة بتجلياتها الإبداعية والأدبية والفنية والنقدية.

ومن ثم تعد الثقافة من أهم العوامل الأساسية التي تحقق التنمية فلم تعد التنمية الاقتصادية هي التنمية الوحيدة التي تشبع رغبات الإنسان ، وتسعده ماديا وعضويا ، بل الإنسان في حاجة إلى إشباع رغبات أخرى أكثر أهمية من تلك الرغبات المادية والغريزية ، مثل الرغبات العقلية والرغبات الأدبية والفنية والرغبات الروحية والنفسية ، وهذا ما توفره الثقافة الإنسانية ، باعتبارها ثقافة لامادية قائمة على الإبداع والفن والدين والفكر والفلسفة والعادات والتقاليد والطقوس والأعراف.

ويعني هذا أن الثقافة هي كل الإنتاجات المعنوية التي تساهم في تنمية الإنسان عقليا وذهنيا ووجدانيا ومهاريا ، وبالتالي فهي أساس التنمية إلى جانب الأبعاد الأخرى مثل: البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي.

وعلى هذا لا يمكن الحديث عن بلد حقق التنمية التي يسعى إليها ، إذا لم يحاول الملاءمة بين هذه الأبعاد كافة (الاقتصادية ، الاجتماعية ، البيئية ، الثقافية) خاصة الثقافية منها.

وقد أدت القوى والأفكار والظواهر التي واجهت التنمية إلى بروز ثلاثة تصورات حول علاقة الثقافة بالتنمية وهي:

الموقف الأول: يرى بأن الثقافة تعرقل مسيرة تنمية الدول ، وتحول دون تقدمها بشكل إيجابي ، ومن ثم تصحح الثقافة عائقا أمام تقدم بعض الشعوب ، خاصة إذا كانت العادات والتقاليد والأعراف هي السائدة ، وكانت تلك التقاليد تؤثر سلبا على التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

الموقف الثاني: وهو موقف مناقض ، يرى أن الثقافة هي من العوامل الأساسية التي تساهم في تحقيق التنمية المستدامة ، وتطور الاقتصاد بكل قطاعاته ، والرفع من الإنتاج الوطني أو القومي ، ولابد من مراعاة هذا البعد في مجال التخطيط والتدبير والتقويم ، ويعني هذا أن الأولوية تعطى للبعد الثقافي على حساب الأبعاد والمكونات التنموية الأخرى.

الموقف الثالث: وهذا الموقف هو رأي تركيبى يؤمن بجدلية الثقافة والتنمية ؛ أي لا يمكن فصل الثقافة عن التنمية ، فكل واحد يكمل الآخر بطريقة بنيوية وعضوية وجدلية.

هذا وتتجلى أهمية الثقافة في ارتباطها بالتعليم والإعلام والدين والأدب والفن ، وتساهم هذه الآليات كلها في تعبئة المجتمع ذهنيا ووجدانيا وحركيا ، وتطويره سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وتحسين سلوك الأفراد تجاه ذواتهم وأسرهم ومجتمعهم ووطنهم وأمتهم وعالمهم الإنساني ، وتغيير تصرفاتهم وممارساتهم وتطبيقاتهم العلمية التي قد تؤثر سلبا على التنمية مثل: تلويث البيئة وتخریب الآثار ، والتبذير الاستهلاكي المتعلق بالمأكل والمشرب والطاقة ، والإنفاق المالي المبالغ فيه...وفي الوقت نفسه ، قد تدفع الثقافة الفرد إلى طلب العلم للحد من الأمية ، والقضاء على كل تجلياتها ، سواء أكانت أمية أبجدية ، أم إعلامية ، أم أمية وظيفية ، أم غيرها من الأميات السائدة في عالمنا اليوم ، كما أن الثقافة سبيل للرفع من المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة ، وتحسين الدخل الفردي ، والحصول على فرص الشغل المناسبة ، وبناء مستقر سعيد.

خاتمة:

إن التنمية الثقافية أصبحت ضرورة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في جميع المستويات (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...) ، نظرا لأهميتها في تحقيق التنمية البشرية والتنمية المستدامة. ورغم رفض الاقتصاديين لأهمية الثقافة إلا أن أهميتها تفرض نفسها ، ذلك أن الثقافة توفر للإنسان الجانب اللامادي (الجانب المادي مرتبط بالاقتصاد) المرتبط بالجانب الأخلاقي والروحي والوجداني والعقلي ، وأهم ما يؤكد ضرورة التنمية الثقافية ، عجز ارتفاع النمو الاقتصادي وحده على تحقيق التنمية المرغوب فيها ، فالتنمية تستهدف الإنسان وكل ما هو مرتبط به كالتعليم والسكن والصحة ؛ أي كل ما يمس الإنسان على مستوى كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لتحقيقها لابد من مراعاة الشروط المادية واللامادية المرتبطة بالإنسان.

لائحة المصادر والمراجع:

- العيسوي ، إبراهيم (2001). التنمية في عالم متغير ، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها ، القاهرة ، دار الشروق ، (ط2).
العيسوي ، إبراهيم (2001). التنمية في عالم متغير ، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها ، القاهرة ، دار الشروق ، (ط2).
العيسوي ، إبراهيم (2001). التنمية في عالم متغير ، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها ، القاهرة ، دار الشروق ، (ط2).
ناصر ، إبراهيم ، التربية وثقافة المجتمع (1983). عمان. دار الفرقان. (ط1).
زايد ، أحمد (2008). تحديث البنية الثقافية كمدخل للتنمية ، مجلة الديمقراطية ، 31ع ، القاهرة ، مؤسسة الهرام ، (ط1).
عليهات ، حمود (2001). الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة. إسلامية المعرفة. ع 24.
علي إبراهيم سلامة ، رمزي (1998). اقتصاديات التنمية ، الأردن ، الدار الجامعية.
بواقجي ، عبد الرحمن(1978). التنمية الاقتصادية. دمشق ، دار الكتب الجامعية. (ط1).
يكن ، فتحي (2001) ، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي. بيروت ، مطبعة الرسالة. (ط1).
بكري ، كامل (1986) ، التنمية الاقتصادية ، بيروت. دار النهضة العربية. (ط1).
شود ، ماجد (2002). العولمة ، مفهومها ومظاهرها وسبل التعامل معها. سورية ، (ط1).
علوان ، محمد شعبان (2005). عولمة الثقافة وثقافة العولمة. مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر. الجامعة الإسلامية. ع 6. غزة.

Ledufé, Robert (2004). Encyclopédie de la gestion et du management. (Ed DALLOZ). Pris 2004.

OCDE(organisation de Coopération et de Développement Economiques) (2005). La culture et le développement locale.(Ed ECDE). Paris.

O'connor, Martin serge latouche (2005). Cultural Development information and Knowledge, In Principles of sustainable development. EOLSS, UNESCO.

التراث الثقافي اللامادي كمنشط أنثروبولوجي للسياحة الحموية: - حمة مولاي يعقوب نموذجا-

Immaterial Cultural Heritage as an Anthropological Activity of Tourism: SPA of Moulay Yaacoub

بروحو نبيلة: طالبة باحثة في سلك الدكتوراه ، مختبر: التراث الثقافي: التاريخ والذاكرة والإنسان والمجال
واستراتيجيات التنمية.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن طفيل ، القنيطرة ، المغرب.

مقدمة:

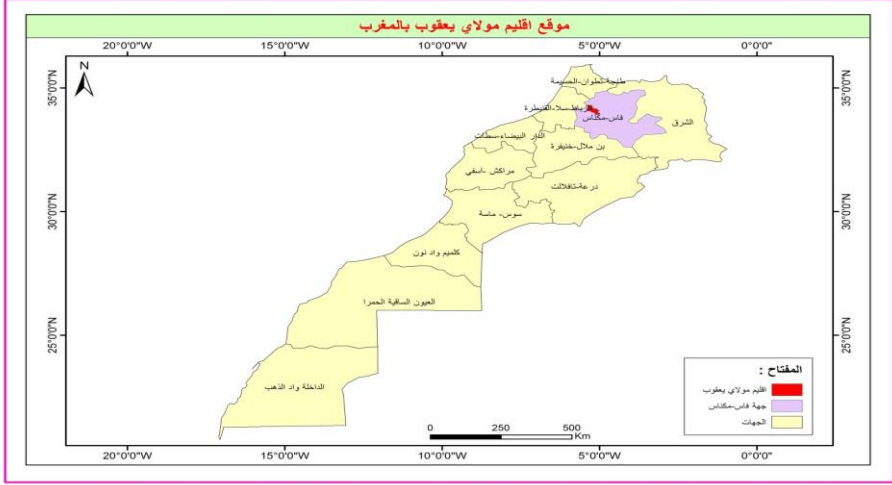
يعتبر قطاع السياحة قطاعا مهما في البنية الاقتصادية للدول الحديثة ، له مردوده في الدخل الوطني ، لذلك
تضاعفت الأبحاث في الآونة الأخيرة حول موضوع السياحة واعتمدت عدة مقاربات لوضع المخططات التنموية
والتصاميم والمشاريع للزيادة في عدد الوافدين سنويا. ومن بين هذه المقاربات المقاربة السوسيو-
أنثروبولوجية للسياحة ، فكانت المهام الأولى عند السوسيوولوجي والأنثروبولوجي السياحي البحث في تصورات
الأفراد حول السياحة والعمل على تحديد العوامل الاجتماعية والثقافية المتحكمة في النشاط السياحي.

ولأن المغرب يعتبر من الدول الغنية بما يعرف ب"المياه الحموية" ، التي صارت ركنا من أركان السياحة
الداخلية بهدف الاستجمام والاستشفاء في الوقت نفسه ، فإننا سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على
ظاهرة الاستشفاء بمياه المزارات الدينية تبركا بالأولياء الصالحين ، وذلك بهدف الكشف عن العوامل
والتصورات التقليدية التي تلعب دورا كبيرا في تنشيط الاعتقاد بقدرة مياه الحمة على العلاج والاستشفاء
بالمنطقة ، وكذا محاولة تشخيص وتحليل الواقع الفعلي للممارسات الطقوسية للزائرين.

وتنتشر الحماة التي تشتمل بهذه المياه في أكثر من منطقة ، منها منطقة مولاي يعقوب التي توجد بتراث
شعبي غني ومتنوع ، من الحكايات الشعبية إلى الأغاني والمرددات والأمثال وقصص الأولياء وسير الصالحين ،
بالإضافة إلى أنها منطقة خصبة تنامي فيها معتقدات شعبية متنوعة ترتبط بجميع مجالات الحياة اليومية
للأهالي ، وقد اخترنا قسما من هذه المعتقدات يتمثل أساسا في تلك المرتبطة بعنصر قداسة مياه "حمة مولاي
يعقوب" ، وتسجيل ما يلاحظ على هذه المعتقدات من خصائص ومميزات ، ثم وصفها ودراستها ، وقد مكنت
طبيعة البحث الميداني من الاتصال بمجموعة من الأفراد لجمع المادة القصصية ، ومحاولة التوصل إلى حقيقة
المتخيل الهائي بالمنطقة ، واعتمدنا لبلوغ هذه الغايات سبيلين: الأول: الاعتماد على ما كتب من قبل
الباحثين والدارسين في هذا المجال. الثاني: الاتصال المباشر بأفراد مجتمع البحث وملاحظة سلوكياتهم ،
واستجوابهم ، ومشاركتهم في مختلف الطقوس والممارسات.

1.- المقدس الأوليائي وحركية الفضاء السياحي:

أ.منطقة مولاي يعقوب فضاء القداسة والبركة:



تختلف القدسية عن البركة في الثقافة الإسلامية ، فالبركة عادة ما ترتبط بالأزواق والأوقات ، ويحيل على النماء والكثرة ، لكن الكرامة الصوفية تربط المقدس بالمارك ، فتحمل بعض الأمكنة دلالات دينية تخرجها من جغرافيتها المعهودة وتدخلها في فلك المقدس "فتختبر الجماعة المؤمنة ، أمام هذه القداسة ، أعمق مشاعر الإجلال والغبطة ، حيث تتصل بما يشير إلى الأبدية والتعالى ، وتدخل عبر توسطات الجغرافية المقدسة تلك في علاقة حميمية مع العالم العلوي ، حينما تتحول تلك الجغرافية إلى جسر يصل ما بين المؤمن والله ، بين المرئي واللامرئي ، ما بين الغياب والحضور ، وما بين الزمان والأبدية " (شمس الدين كيلاني ، 2005 ، ص 8) . يتسم فضاء مولاي يعقوب بعلاقته الوثيقة بالأولياء الصالحين ، علاقة جعلته يتحول ويكتسب صفات جديدة بعد ارتباطه بهم ، هذا الفضاء الذي يتحول بعدما يسكنه الولي أو يحضر فيه ، وتتبعه بركة وحرمة تمنع من تدينسه وبارك من اعتنى به أو اعتقد فيه ، أو حتى استغله في أغراض الشفاء بنية التبرك ، فبمجرد ما يحل الولي في مكان ما ، يصبح ذلك المكان مباركا .

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة تقديس الأولياء بالمغرب بلغت درجة كبيرة من الانتشار ، حتى قيل عنه أنه "بلد المائة ألف ولي" (بول باسكون ، 1986 ، ص 96) ، وأن "أرضه تنبت الصالحين والأولياء كما تنبت الأرض الكلا" (بول باسكون ، 1986 ، ص 96) .

ب. الأولياء الصالحين بمنطقة مولاي يعقوب وحكايات كراماتهم

حكايات كرامة الولي الصالح مولاي يعقوب: إن قلة المياه في المنطقة موضوع الدراسة ، جعلت الماء موضوعا للخوارق ومادة للكرامات ، فمياه الحمة لم تأت عن طريق حفر الأرض أو من ينبوع ماء ، بل جاءت نتيجة قوى خارقة لبطل شجاع أو بركة ولي صالح .

ففي الرواية الشفوية المستقاة من الميدان نجد أن حمة مولاي يعقوب التي توجد بقرب مدينة فاس منسوبة للسلطان يعقوب المنصور الذي رصد لها عفريتين يوقدان عليها إلى الأبد ، وأن حرارة مائها بسبب الإيقاد ، وأن الشفاء يحصل للمستحمين إنما هو ببركة يعقوب المنصور ، وله زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل بتلك العين .

إن هذه الخرافة الشعبية التي تنسب إلى الحمة لا شك تعود إلى عجز العامة عن فهم خروج الماء من هذا المنبع ساخنا، مما دفعهم إلى تفسير ذلك بوجود الجن والعمارة في هذه العملية، وأن استعمال اسم السلطان في تسخير العمارة مناسب، لأن اسمه يعقوب أولاً وهو اسم الولي صاحب الحمة وهو الذي يملك القوة والسلطة على الناس في البلاد ثانياً، فلماذا لا يملكها على الجن والعمارة كذلك؟ وهو أولى بتوفره على البركة والمكرمة للشفاء والعلاج من الأمراض الجلدية.

وتفيد هذه الرواية أيضاً أن حمة مولاي يعقوب كانت موجودة منذ عصر الدولة الموحدية وخاصة في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحد الذي تولى عرش المغرب ما بين: 580 و 595 هجرية (الموافق: 1184-1199 ميلادية)، أي أن عمر منبع حمة مولاي يعقوب هذا يتجاوز ثمانية قرون كحد أدنى، ولا نعلم بالضبط عمر منبع هذه الحمة قبل هذا التاريخ، لكن من المؤكد أنها كانت موجودة، وأن الناس كانوا يعرفون أهميتها، وعلى بينة من فوائدها وعلاجها لمجموعة من الأمراض كالجرب وغيره.

وتقول رواية أخرى: "إن مولاي يعقوب رجل صالح، مغربي الأصل هو يعقوب بن الأشقر البهلولي من قبيلة بني بهلول المتفرعة عن قبيلة زناتة، اتخذ من هذه الشعبة خلوة للصلاة والتعب، بجوار هذا المنبع المائي الساخن الذي كان يساعده على الوضوء والاعتسال، على غرار الأولياء الصالحين الذين كانوا يلجؤون إلى الجبال والمغارات والشعاب، ليختلوا للعبادة، بعيداً عن لفظ الناس وإزعاجهم، وهربوا من ملذات الدنيا ومغريات الحياة. وهكذا ظل في خلوته هاته عقوداً من السنين، ثم غادر مولاي يعقوب هذه الشعبة، من دون أن يعثر له على أثر، فاتخذ الناس الذين كانوا يزورونه للتبرك والتعب معه مكان إقامته مزاراً يزورونه كما كانوا يفعلون وهو حي بين ظهرانهم. وقد غادر مولاي يعقوب هذا المكان، حسب هذه الرواية، بعد وفاة ابنته لالة شافية التي كانت تخدمه وتعيش معه، فلم يعد يستطيع الصبر على فراقها، بعد انتقالها إلى الرفيق الأعلى، وقرر المغادرة، ومع مرور السنين تحول مكان إقامته أثناء حياته إلى مزار للتبرك، وبنى الناس في هذا المكان ضريحاً ليكون رمزاً له" (المخبر علال، 57 سنة، أمي، جماعة مولاي يعقوب).

إذا كانت جثة مولاي يعقوب غير مدفونة بالضريح حسب هذه الرواية، فإن بركته - حسب اعتقاد الناس - موجودة بالمكان الذي كان يتعبد فيه، فتشبت الناس به رغم مغادرته لهم، وجاءوا به في مخيالهم إلى هذه الشعبة، ليبقى بين ظهرانهم، جازمين أن جثته قد دخلت إلى هذا الضريح، لأنه هو مرقدها الطبيعي، كما كان هذا المكان إقامة لصاحب الجثة أثناء حياته، لأن جثة الأولياء في مخيال هؤلاء، ترقد في المكان الذي عاشت فيه حياتها، تأتي إليه حتى ولو قضى أجلها في مكان آخر، هكذا أصبح هذا المكان يدعى مولاي يعقوب، وأخذ يتسع شيئاً فشيئاً إلى أن ترسخ في أذهان الناس، وارتبط لديهم بالبركات والمعجزات، وبالشفاء والعلاج، حيث صادف بهذا المكان وجود منبع عين ساخنة التي استعمل الناس مياهها للاغتسال والاستشفاء من الأمراض الجلدية خاصة.

ت- حكايات كرامة لالة شافية: اختلفت الروايات حول أصول لالة شافية، كما اختلفت حول طبيعة العلاقة التي تربطها بمولاي يعقوب وحول سبق وفاتها عنه؛ لذلك من الصعب الحسم في تصديق رواية معينة على حساب الروايات الأخرى، والخبر الثابت في الروايات كلها، هو أن لالة شافية امرأة صالحة من الأشراف، لها كرامات، ذاع صيتها في المغرب، وجاءها الناس من كل فج عميق قصد التبرك، ومدفنها في نواحي مدينة

فاس ، مع ضريح مولاي يعقوب ، قرب حتمه. والتراث الشعبي المغربي يؤكد بدوره صلاح هذه المرأة وولايتها من خلال الأغنية الشعبية التي يرددونها أبناء المنطقة:

"يَهْيَا رِي لآلَةَ شَافِيَةَ

لآلَةَ شَافِيَةَ لِأَتَشْفِي لَعْدَا فَيَا

يَا رِي جِيَتْ لِرَاوِيَةَ لِأَمُو لِحَبَابِ غُلِيَا

سُورَكُمُ عَالِي إِلَى غِيَيْتْ غَلِيَةَ نَتْسُنْدُ لآلَةَ شَافِيَةَ

يَا صَحَابَا مَقَامُ سَيِدْنَا مُحَمَّدُ يَا صَحَابَةَ

إِيهِ يَا رِي لآلَةَ شَافِيَةَ لآلَةَ شَافِيَةَ لِأَتَشْفِي لَعْدَا فَيَا"

ويؤكد صلاحها أيضا من خلال الحكايات التي تروى عنها ، حيث يقول سكان المنطقة "أنها بنت لم تزوج ، هربت إلى الجبل لأنها كانت خائفة من جبروت والدها المولى يعقوب لأنه أراد أن يزوجها ضدا على إرادتها"(المخبرة رحمة ، 59 سنة ، أمية ، جماعة مولاي يعقوب)

في حين تؤكد رواية أخرى أن لالة الشافية كانت البنت الوحيدة للمولى يعقوب ، وهبت حياتها لخدمته حتى توفيت ، ودفنها والدها في قمة الجبل ، وغادر القرية متجها إلى بلاد الشام من شدة حسرته وحزنه على ابنته.(المخبرة وردية ، 47 سنة ، منطفة بفندق ، جماعة مولاي يعقوب)

ومنه يمكن القول إن حضور لالة شافية في الحقل التداولي للمقدس الأوليائي ، حضور مكمل (إكسسوار) ، فهي تحضر كبركة ثانوية وتدير هامشي للإبراء والعلاج ، ولست أدري ما السر الذي جعل الناس يدفنون مولاي يعقوب في أسفل الهضبة التي ينبع منها الماء الساخن ، بينما دفنوا ابنته في قمة الهضبة المقابلة لهضبة مولاي يعقوب ؟

لكن المخيال الشعبي لم يعجز عن نسج مجموعة من الأساطير من أجل الإجابة عن الاستفهام السابق ، وإحاطة المكان بهالة من القدسية والغرابة في الوقت ذاته ، وهذه الأساطير حاضرة في الذاكرة الشعبية لسكانة مولاي يعقوب ، وترى أنه عند وفاة المولى يعقوب دفن بجانب حتمه حتى تظل بركته حاضرة في مياهها للبرك والشفاء ، ولما ماتت ابنته دفنت في قمة الجبل لكي تبقى حارسة للمكان من فوق ، كما كانت قيد حياتها تحرس والدها وتخدمه حينما كان مريضا ، ولما كان منشغلا بعبادة الله .

ج- المنفى المجالي: إن الولاية تحتل بعدا احتجاجيا في غالب الأحيان ، يظهر ذلك من خلال "اختيارها المجالي" الذي ينحصر في الهامشي والعلوي ، وكل ما يدير له الناس ظهورهم ، أو يبدون تخوفا من الاقتراب منه ، وبذلك فهذا "الاختيار المجالي" يؤدي وظائف عديدة نذكر منها أربع على الأقل:

الرفض: عندما يختار الولي الصالح قمة الجبل أو هامش المدينة ، أو مقابرها المطلة على البحر ، فكأنه يريد تأكيد رفضه للقائم في المركز ، وهجرته لخيراته الرمزية والمادية ، موثرا الانتفاء إلى عالم الكفاف والنذرة ، (عبد الرحيم العطري ، 2014 ، ص 42) ، فأغلب الصلحاء في المغرب والمشرق اختاروا "البعد" و"الغربة" جوابا على ما عرفته مجتمعاتهم من سوء أحوال سياسية.

المخاض: كل تجربة صلاح تتأسس في البدء على وجوب القطيعة ، فالانفصال يثمر الاتصال ، ذلك أن الانفصال عن الدنيوي ، هو ما يمهد للاتصال بالقدسي.

التعالى: يدل المجال واختياره على رغبة أثيرة في الانتقال من الأرضي إلى السماوي.
اللقاء: الجبل في قمته ، هو نهاية للأرضي صعودا نحو السماء ، وهو ما تؤديه الصوامع أيضا من حيث الدلالة ،
فهي آخر نقطة أرضية علوية أو آخر علامة مجالية في اتجاه السماء ، وبها يتحقق اللقاء مع القدسي.(عبد الرحيم
الخطري ، 2014 ، ص 42).

ومن ثم ، فمجال الولاية هو حمال أوجه متعددة ، إنه مجال ناطق يعلن مواقف وتمثلات للفعل الأوليائي
والتفاعل مع المحيط ، كما أنه يؤسس لمراتب الولاية وامتداداتها الطقوسية ، نحو المقدس المتعالى عن
المهندس والديوي.

ويمكننا إلى جانب تحليل سوسولوجية تعاطي الفضاء ، الاستئناس بتأمل أكثر أنتربولوجي ، يعالج قيم
المتخيل المرتبط بالفضاء والطبيعة ، فما يشد الزائر ويجذبه إلى هذا الفضاء السياحي هو ما يحمله في مخيلته
من معتقدات وأساطير حول الجبال والمرتفعات ، تضيء على المكان هالة من الرهبة والقدسية ، لأن «الإنسان
العقلاني وحده تجريدي ، لا نصادفه أبدا في الواقع ، إذ أن كل كائن بشري مكون في الآن ذاته من نشاط واع
ومن تجارب لا عقلانية ، لأن محتوى وبنيات اللاوعي ، تقدم تشابهات مبهرة بالصور والوجوه الأسطورية»
(Mircea Eliade, 1965, p 26) ، فالعلو مفهوم روحي ، كما يعبر عن ذلك بشكل جيد "ج.ب.جوف" ، حيث
"تبدو الجبال وكأنها تعلمنا الأخلاق" (Pierre Jean Jouve, 1948, p 37) ، إذ يعبر رمز الجبل في مختلف
الشعوب ، عن لقاء بين السماء والأرض ، وغالبا ما يقود إلى المقدس في ذاكرة الناس ، حيث تظهر بالضبط قوة
الكوني قاهر الإنسان ، ومن ثم نشعر بهيمنة عظيمة وجمال الموقع السياحي.

تحظى الجبال في المجتمع المغربي بمكانة بارزة ، وما دفن أوليائهم في قمم الجبال الشامخة العالية إلا خير
مثال على ذلك ، فالجبال مقدسة كالأولياء ، و"الجبل أحد محاور الكون أو الأداة التي تسمح لإنسان الأرض
بالاتصال بالكائن أو الكائنات العليا"(خليل أحمد خليل ، 1986 ، ص 56) وهذا ما يؤكد الموروث الشعبي من
خلال المرددة التالية:

"يَا جَبَلُ الْعِلْمِ
يَا جَبَلُ الرَّهْرة
أُمُولَايَ يُعْقُوبُ
يَا غَايِي الرَّوَّارُ"

انطلاقا مما سبق ، يرمز الجبل إذن إلى القمة والمركز ، كبعدين مساعدين على فهم كيفية تجسيد المتخيل
لصور العلو ، لهذا يقترن الجبل بفصائل العلو الفيزيقي والأخلاقي والروحي ، وكذا يحاسنين مهيمينين هما:
القوة في مواجهة الذات والعالم ، وتعبير عنها إرادة الغبطة الخاصة بالتسلق وتحدي العلو ، أما الثاني فهو
الإذلال والقلق أمام العظمة والخشية من السقوط.

كما أن الجبل يحيل كتمثيلية عقلية على قطبين: لافتراضه من جهة عوالم المعدن والصلب ، حاثا على
مناجات المطلق والأبد ، وتحاشي الخوف من الموت ، ومن جهة أخرى يقوم باستدعاء رمز المركز بمفاهيمه عن
خفايا المقدس ، وتقترب الحالة الأخيرة بفكرة الصفاء ، واستحضار شعور الامتزاج بالطبيعة ، واستشعار توقف
الزمن لرغبة السائح في أن يحيا ككائن ، بمستقبل فارغ لا يتطلب أكثر من امتلائه بعناصر جديدة لكنها

خفية ، لعدم رغبته في الاصطدام بثقل الأشياء ، التي تعيق تحقيقاته ، لقيامه عبر نوع من التفكير السحري ، بالجمع بين العلو والعظمة الروحية.

وإن الولي في انقطاعه ومنفاه الاختياري ، يعلن رفضا واضحا للذنيوي والسياسي ، كي يؤسس ويغذي بركته ويثمر كراماته ، فهو يتفرع لبناء "شرعية الأوليائية" ، والتي لا تتأكد إلا بعد طول اشتغال ، وعديد مقدمات ومبررات ، فعليه أن تقيض بركته على من حوله ، وأن تلوح كراماته التي تبرر الاعتراف وتشعرن لقب الولاية والصلاح ، وإلا فإنه لن يحظى إلا بألقاب محدودة الفعالية والمكانة ، في سوق التبادلات الرمزية.

2. طقوس الاستشفاء والزيارة بهولاي يعقوب

أ. طقوس الزيارة لصريح مولاي يعقوب: إن الزيارة كتمارسه ترددية على المجالات المقدسة ، وفي مقدمتها أضرحة الأولياء ، تشير إلى "عادة اجتماعية" تتخذ طابع الضرورة بالنسبة للمجموعة ، باعتبارها مؤشرا دالا على الانتماء إليها ، وتأكيدا على احترام تقاليدها و"قوانينها" الرمزية.

وصريح مولاي يعقوب يقصده الزوار باستمرار ، طلبا لبركته ، ويأتون إليه محملين بالهدايا التي هي في غالبيتها عبارة عن شموع ، لأن أهم طقس في زيارة صريح مولاي يعقوب يظل هو الإنارة عن طريق إشعال الشموع ، فالدخول إلى الصريح يقتضي شراء "قرطاس" من الشمع ، يسلم بعضه أو كله إلى القيم على الصريح ، مع الحرص على إشعال شمعتين أو أكثر ، فعبارة "الله يَشْعَلُ صَوْكُ" تظل هي المأمولة في استراتيجية هذا الطقس ، «فإنارة مقام الولي ، هي طلب رمزي للمساعدة على الاستنارة وتيسير عقبات الطريق» (عبد الرحيم العطري ، 2014 ، ص 118).

والشموع عند مختلف الشعوب تعبر عن النور الذي يخرق الظلمة ، والنور هنا ليس ضياء فقط ، بل قد يكون حلا لمشكلة ، أو فرجا لأزمة ، أو علاجا لمرض ، أو قضاء لدين ، أو أملا بعد ياس ، لذلك تستعمل الشموع في المساجد والأضرحة ، بل حتى في الكنائس المسيحية ، والبيع اليهودية ، وفي معابد الديانات الوضعية ، كالبودية والهندوسية والمجوسية والوثنية ، إنه الموروث المشترك لدى البشرية كلها ، رغم اختلاف معتقداتها ، وتنوع دياناتها ، لتبقى الشموع رمزا للنور والضيء والأمل في مواجهة الظلام والانغلاق واليأس.

لذلك كان نصيب مولاي يعقوب من الهدايا هو الشموع ، وأحيانا يكون "ديكا" من الدجاج يذبح بباب الصريح ، أو "ثوبا" لكساء الصريح أو مبالغ من النقود يلقي بها في صندوق الصريح ، وناذرا ما تكون الهدية "كبشا" ، وأكبر هدية كانت تقدم إلى مولاي يعقوب ، هي الثور ، كان يأتي بها أصحابها بمناسبة الموسم السنوي الذي كان يقام لهذا الولي الصالح. فالولي باعتباره شخصا ربانيا إلى هذا الحد أو ذاك يتلقى الهبات أو القرابين ويمنح بالمقابل الرخاء للناس ، لكن الشر والألم اللذين طردا ، والذنب الذي تم التكفير عنه بالهبة ، ما مألها؟ إنها في المعتقد البدائي تتركز في الولي نفسه ، باعتباره بدلا للألوهة ، وهذا ما يؤكد إدmond دوتي في نظريته "الغوث" ، حيث «يسمى غوثا أكبر ولي في مرحلة معينة ، وهو يتقاسم مع أولياء آخرين حظوة تحمل جسده لكل ما يمكن من تخليص أتباعه من الآلام والشروع» (إدموند دوتي ، 2011 ، ص 106).

والمجالات المقدسة هي مجالات متعالية ومفارقة ، إنها تستوجب التقديس لا التدنيس ، سواء تعلق الأمر بالقباب أو الأضرحة أو الأحراش ، والكراكير ، فإن "الحرم" يسري على هذه المجالات ، والفرد/الزائر كباقي أفراد

المجموعة يفترض فيه وفيهم ، إنتاج "قداسة" المجال وإعادة إنتاجها باستمرار ، عن طريق طقوس التبرك والتقدیس والزیارة.

وزوار مولاي يعقوب لا يحدون عن عملية إنتاج هذه القداسة حسب ما أورده الطبيب إدموند سوكريت في كتابه "Les sept printemps de Fes" عند وصفه طقوس الحج إلى مولاي يعقوب ، على اعتبار أن الزيارة تعني الحج لغويا ، بل إن زيارة الأضرحة والمواسم ، يتم تمثيلها اجتماعيا على المعنى نفسه ، «إنها (حج رمزي) تتم الاستعاضة بها عن الحج إلى مكة ، ما يجعل منها (حجا للفقراء)»(عبد الرحيم العطري ، 2014 ، ص 18) ، ويجري تدبير الزيارة وفق سلوك طقوسي يمتح من دائرة القدسي ، بحيث يصير الطقس دائرا في فلك القدسي والديني ، ومشيرا إلى تعالق قوي بينهما ، فعن طريق التمسح بقبر الولي أو الثوب المغطى به يستعيد الزائر طقس التمسح بالكعبة والحجر الأسود ، وهو ما ينطبق أيضا على الطواف بالقبر.

يقول سوكريت أن الزيارة كانت مفضلة يومي السبت والخميس لأنهما يومين مقدسين ، في حين تكون غير محببة يوم الأربعاء لأنه يوم مخصص للجن ، وعلى الزائر أن يخلع نعليه ويمشي حافي القدمين لكي لا يندس المكان ، بالإضافة إلى تقبيل الجدران سواء جدران الضريح أو جدران الحمة الاستشفائية(Edmond Secret,1990, p 81) ، وترديد العبارات التالية:

"الزُيَارَةُ لِلَّهِ أُمُولَائِي يَعْقُوبُ
يَا مَنْ عَلَيْهِ بُزِيَارَتُ مُولَائِي يَعْقُوبُ
دَاوِينَا يَا عَزَّ لِمُعَارَبَةِ أَسِيدِي بِنْ مَنصُورُ
وُلَعَازُ غَلِيكَ لَا دُوْرُنَا
أَلْمَدَاوِي كُلُّ عَائِنَا
سِيدِي بِنْ مَنصُورُ لَعَازُ غَلِيكَ لَا دُوْرُنَا
سِيدِي جِيْتُ نُزُورُ"

ويضيف سوكريت ، إن الزيارة لا تكتمل إلا بصعود الزائر إلى ضريح لالة الشافية وتكبد مشاق صعود الجبل الشديد الارتفاع والوعر المسالك دون النظر إلى الأسفل مع الضرب بأداة حديدية في الأرض من أجل إبعاد الجن ، وعلى طول الطريق توجد العديد من أكوام الأحجار التي وضعها الزوار في شكل أربعة أو ستة أحجار الواحدة على الأخرى في شكل هرمي يلزم الحذر من اسقاطها ، لأن ذلك يعتبر فالأ سيئا(Edmond Secret,1990, p 81).



وبالإضافة إلى إشعال الشموع والفتائل ، وتثبيت خرق الأثواب على أحجار القبر ، كان على الزائر أن يقوم بالطواف حول القبر سبع مرات حافي القدمين من اليمين إلى اليسار كما يتم عادة في الحج خلال الطواف بالكعبة المشرفة ، ففي الحج عند المسلمين شعيرة معروفة تتمثل في الطواف حول الكعبة ، ذلك أن الحاج مطالب بالطواف حولها سبع مرات متوالية جريا ، من غير تجرد من اللباس ، طاهرا ، وعليه أن يكون في طوافه على يمين الكعبة ، وهذا الطقس يقوم به الحاج ثلاث مرات ، عند وصوله إلى مكة ، ويوم عيد الأضحى ، وقبل رحيله عن مكة ، ويعتبر طواف الوداع اختياريا .

وبعد الطواف الأخير يتم الدخول إلى الضريح وبعد تقبيل الجدران يتم التوجه نحو ثقب يوجد بالقرب من قبر لالة الشافية حيث يجب على الزائر أن يركع واضعا يديه خلف ظهره وينحني ليقبل جدار الفوهة ، ثم يقوم بإشعال الشموع والتضرع والدعاء للولية الصالحة بتعجيل الشفاء ، وقبل مغادر الضريح يقوم الزائر بوضع بعض النقود في الصندوق أو ما يسمى "بالرُبَيْعَة" (Edmond Secret, 1990, p 81).

ومنه يمكن القول أن التمسح والطواف كطقس مؤسس ومبرر للزيارة يرمي إلى جني ثمار بركة الولي واستدخالها إلى الذات لضمان حلول ممكنة ، عن طريق التقبيل واللمس والتمسح ، وتمهيد اليد التي قامت بجني البركة على سائر الجسد ، إنها الرغبة في الامتلاء والتشبع بالبركة .

ب. الاستحمام بالحمة



يتوفر مولاي يعقوب على حمتين: حمة تقليدية وحمة عصرية: الأولى تتكون من مسبحين ، الأول للرجال والثاني للنساء ، وبالإضافة إلى هذين المسبحين ، يوجد حمام عصري (البانيو) ، أما الحمة العصرية فهي بمثابة مؤسسة طبية حرارية تحتوي على قاعات مخصصة للترخيص والتدليك والحمام البخاري وفق معايير استشفائية دولية ؛ ومنسق هنا على الحمة الاستشفائية التقليدية لها تكتنزه من رموز ودلالات ترتبط بالتمسح الاجتماعي . يجلس المستحم على درج الصهريج ، ويصب على جسمه الماء الساخن بيديه شيئا فشيئا حتى يألف جسمه حرارة الماء ويتكيف معها ، ثم بعد ذلك يتجه إلى منبع الصهريج ، الذي كان يصب من أعلى ، وموضع المنبع أشد نظافة ولكنه أشد حرارة كذلك ، ويردد مع المستحمين: " بَارِدٌ وَسُخُونٌ يَا مُولَايَ يَفْقُوبُ" ، هذه الجملة

خيوط يربط مباشرة الزائر المستحم بالولي الصالح "مولاي يعقوب" ، صاحب الحمة ، طلبا للبركة والاستشفاء ، وفي نفس الوقت طلبا للتخفيف من حرارة الماء ومن شدة تأثير سخوته على الجسم ، فهذه الجملة عندما يصبح بها المستحم ، توحى له بالاطمئنان النفسي ، وتسمح له بالاسترخاء الجسدي ، وهو مدرك من حيث يعي أو لا يعي أن "مولاي يعقوب" سيتولى تكيف شدة حرارة الماء بما يناسبها من تبريد ، تلبية لندائه ونداء باقي المستحمين .

وبين الحين والحين يعلو أحد الأصوات "الغاشقين في النبي صلّيو عليه" ، فيجيبه المستحمون:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ غَلِيكَ أَرْسُولَ اللَّهِ

اجْتَانُ النَّبِيَّ اعْظِيمُ

الْجَنَّةَ لِلصَّابِرِينَ

النَّارَ لِلْكَافِرِينَ

اللَّهُ يَنْعَلُ الْخَائِبِينَ"

ثم يتبعون ذلك بالتصفيق والتكبير والتسبيح والتلهيل ، وبالنداء على الأولياء الصالحين وفي مقدمتهم "مولاي يعقوب" صاحب المكان ، و"مولاي إدريس الأزهر" صاحب فاس المجاور .

والملاحظ أنه في آخر مقطع لهذه التصلية على الرسول ، يقول المستحمون فيها: "اللَّهُ يَنْعَلُ الْخَائِبِينَ" ، وفي ذلك إشارة إلى الاستعمار وخونة الوطن ، فيربطون خيانة الوطن بخيانة الدين ، والذي يتعاون مع الاستعمار فهو يخون دينه ووطنه في نفس الوقت .

هذه التصلية خاصة بالرجال أما النساء فيرددن:

"الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ

لَا جَاهَ إِلَّا جَاهُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

اللَّهُ مَعَ الْجَاهِ الْعَالِي"

ويخللن كل ذلك بالزغاريد المرتفعة والتصفيقات الحارة ، وبموازين الإيقاعات التي تختلف من لحن إلى آخر ، والغريب أن أصوات النساء الناعمة كانت ترتفع كلما ارتفعت حناجير الرجال الخشنة ، وكأن المنافسة قائمة بين الجنسين ، من دون تنظيم ولا تحكيم ، أو أنها محاولة منهن لإثبات الذات ، واستعراض القوة ، أو هو القيام باستفزاز أنثوي ضد الذكور ، أو هو حوار مع النفس لإنعاش الذات ، أو هي انفجارات تلقائية ، وفي جميع الأحوال ، فإنها سنفونيات فنية عفوية وطليقة ، من دون تنويط ، ولا قيود الموازين ، ولا قواعد مقامات الألحان ، إنه فن آدم وحواء ، عندما ينطلق كل واحد منهما متحررا من قيود اللباس ، ممارسا حرته في الهواء وعلى الماء ، في استرخاء وإبداع .

وفي بعض الأحيان ينطلق صوت آخر يشدو بألحان الأغاني ، ويتجاوب معه باقي المستحمين ، أو تصيح جماعة بصوت واحد مرددة أهزيج شعبية من الموروث الثقافي الغنائي للمغاربة ، إما باللهجة العامية المغربية ، أو بإحدى اللهجات الأمازيغية ، أو من الموروث الكناوي ، وكأن حمة مولاي يعقوب تصهر بحرارتها مكونات أصل الإنسان المغربي بكل عناصرها العربية والأمازيغية والإفريقية ، فينعكس ذلك في أهزيج المستحمين بها .



يكون في هرج ومرج ، وفي غناء وطرب ، وبإيقاع وتصفيق ، يختلط فيه الموروث الديني والاجتماعي ، بكل تناعم وتفاعل ، وكأن المستحمين يريدون تلطيف أجواء حرارة الماء ، بأجواء الطرب والغناء.

وإذا كانت أجواء الاستحمام والسباحة في صهريج حمة مولاي يعقوب ، لها طابع متميز ، ممزوج بسحر الدين والفن والتراث ، يترك متعة في النفس ، وصورا في الخيال وانسراحا في القلب ، وإثارة في العواطف ، فإن بعض المناظر التي كانت تشاهد داخل المسبح قد تترك في النفس أثارا محزنة وجروحا مؤلمة وخدوشا عميقة ، إنها مناظر الأمراض الخطيرة البادية على أجسام بشرية ؛ أمراض مثل الجذام والبرص والجرب وما كان يعرف بمرض الطير وقروح الجلد التي لا يتوقف سيلان صديدها ودمها وقيحها التي تتساقط منها الديدان ، إلا أن الناس كانوا يتعاملون مع هذا الوضع بشكل عاد فليس هناك أماكن يعزل فيها المرضى وليس هناك تأفف أو تبرم أو تكبر ، تستحم هذه الأجسام المهزكة بجانب الأجسام السليمة وبجانب أجساد الأطفال الغضة في عناق مع الماء الساخن ، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن الناس يستحمون طيلة الأسبوع بنفس المياه الملوثة دون أن يتأففوا من ذلك ، ولا يتم غسل حوضي الاستحمام الرجالي والنسائي إلا ليلة الخميس من كل أسبوع ، ليتم تجميع الماء النقي والساخن جدا ليوم الجمعة ، ويرجع تفسير اختيار هذا اليوم في نظرنا إلى كون الاغتسال كل جمعة سنة في الإسلام يثاب عليها المرء والاعتسال لا يكون إلا بالمياه الطاهرة ، لذلك كان بعض العارفين يغتسلون صباح الجمعة حيث لم يكن الماء قد اختلط بأجساد مريضة أو سليمة.

ونظرا لجهل الناس ، وقلة معرفتهم بالوقاية وحفظ الصحة ، فقد كان بعضهم يعتقد أن بركة مولاي يعقوب ، تلعب دورها في حماية الناس بعضهم من بعض ، وأن لمياه الحمة بركتها هي أيضا تقي السالمين وتشفي المصابين وتقتل الجراثيم ، وتحول دون انتقال العدوى.

فالبركة هي القوة المقدسة والخيرة التي يتشبع بها الولي والتي تطلق إشعاعها خارجه في كل ما يحيط به ، إنها حسب إدmond دوتي «التأثير الإيجابي السعيد للولي على كل ما يدور حوله» (إدموند دوتي ، 2008 ، ص300) ، فالبركة ليست مجرد مفهوم ديني وإنما هي عقيدة دينية بأكملها ، وهي «تعني أن المقدس يتجلى في العالم كهبنة

إلهية وقوة يختص بها أناس معنيون دون غيرهم» (عبد الغني منديب، 2006، ص 59)، فالولي الصالح يمتلك البركة بنفس الطريقة التي يحصل بها الناس على القوة أو الشجاعة أو الجمال أو غيره من الصفات الموهوبة. ومنه فإن المياه المحيطة بالضريح تمتلك أيضا هذه البركة كما هو الشأن بالنسبة «للصهرج الذي يوجد بالقرب من ضريح سيدي التركي بسلا الذي أصبح حماما يحمل اسم سيدي التركي تؤمه من داخل وخارج المدينة، اعتقادا في بركته وفعاليتها في تيسير الزواج وطرده العكس والتابعة» (عبد الرحيم العطري، 2014، ص 84)، من تم أيضا التقديس الذي يحظى به ماء حمة مولاي يعقوب الذي ينسب إلى هذا الولي. وكما سبق وأشارنا إلى ذلك فالى جانب بركة مولاي يعقوب التي تلعب دورها في حماية الناس بعضهم من بعض، فإن لمياه الحمة بركتها، فهي أيضا تقي السالمين، وتشفي المصابين، وتقتل الجراثيم وتحول دون انتقال العدوى.

غير أن اختلاط المرضى بالسالمين في حوض ماء واحد، يستحمن فيه جميعا، في وقت واحد، لا يقره شرع الله، في مختلف الديانات السماوية، وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية، فقد أمرنا الله تعالى أن نلقي بأنفسنا إلى التهلكة، وأمر الإسلام بالوقاية، بل جعلها خيرا من العلاج، وأمرنا بعزل منطقة الأمراض الخطيرة المعدية، وبعزل المرضى المصابين بالأمراض الخطيرة المعدية، حفاظا على أرواح الناس وعافيتهم، لأنها أمانة من خالقها، ووضعها بين يدي الإنسان، وجعله أمينا عليها، كما شدد على عنصر الطهارة كما وسبق أن أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول عندما تناولنا عنصر الماء في الإسلام.

ولعل حرارة الماء وسخونته الشديدة، وقوة ملوحته، ونسبة الكبريت الزائدة فيه، بالإضافة إلى عناصر معدنية أخرى، والأشعة الفيزيائية التي تحتويها هذه المياه المعدنية، هي التي كانت تتولى حماية المستحمنين السالمين من العدوى، حسب ما كان يبدو لنا في الظاهر، ولا ندري ما كان يقع في الخفاء، فلربما يكون بعض السالمين قد أصيبوا بأمراض، ولا نعلم عنهم شيئا.

خاتمة:

يعيش المغاربة، مثلهم في ذلك مثل السواد الأعظم من الشعوب، في ظل العديد من أنساق الاعتقاد: فهناك مجموعة متنافرة من الممارسات الطقوسية السابقة على التوحيد، والدين المنزل - الإسلام - واحترام العلم الحديث، والتنافر البين لهذه المجموعات العرفانية (gnosiques) لا يطرح بالنسبة لكل ملاحظ خارجي، أو بالنسبة لكل أولئك الذين قد ينزويون داخل واحد من هذه الأنساق الجزئية الثلاثة، أي مشاكل على مستعمليه، وقد يندش المغاربة كثيرا - في معظمهم - لو سمعوا أنه من الممكن أن يوجد تنافر، بل تناقض أو منافاة، بين هذه العوالم المفهومية أو الأيديولوجية المختلفة، وعلى عكس ذلك، فإن باب المعرفة والفعل بالنسبة للأغلبية العظمى من الناس يمكن أن يرمز إليه بقوس تستند عتبته على العالم المحسوس مباشرة، ويجسد عموده الأيسر مجموع المعارف الاختبارية، والأيمن متن المعارف التجريبية، كما يمثل منحنيها تبحر الباطن شمالا والظاهر يميننا، ويتوَج كل هذا ويلحم بين عناصره، مفتاح قبة الإسلام، مبدأ كل "لوغوس" ومنتهاه، لكن ما أن ينقص واحد من هذه العناصر حتى يتهاوى الكل، وتغدو بالتالي من غير فعالية.

ورغم أن الدين المنزل ، المشروع والشعري ، هو المحك الأخير لكل معتقد ابتداعي أو لكل تجديد عصري ، وهو تفسيره وإطاره ، يبقى من الضروري أن نذكر مع ذلك بالخلفية الأكثر ظلامية وغموضا ، التي تتعايش مع القرآن والعلم الحديث ضمن السذاجة الشعبية.

ومع ذلك فإن هذه المعتقدات المتعددة تحتاج إلى الكثير لكي ينفي بعضها البعض ، خاصة أن هذه الأساطير والمعتقدات تنعش باستمرار في علاقة نسقية بالآخر ، تتآكل ، ثم تولد من جديد ، وتتحول ، مستعيرة من كل عالم شكل العقلانية والعجيب والحساسية الخاصة به ، ونمطه في التدليل.

ومع ذلك فإن هذه المعتقدات المتعددة تحتاج إلى الكثير لكي ينفي بعضها البعض ، خاصة أن هذه الأساطير والمعتقدات تنعش باستمرار في علاقة نسقية بالآخر ، تتآكل ، ثم تولد من جديد وتتحول ، مستعيرة من كل عالم شكل العقلانية والعجيب والحساسية الخاصة به ، ونمطه في التدليل.

قائمة المراجع:

- أحمد خليل خليل ، 1986 ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، ط 3 ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان.
- إدموند دوتي ، 2008 ، السحر والدين في إفريقيا الشمالية ، ترجمة فريد الزاهي ، منشورات مرسم.
- إدموند دوتي ، 2011 ، مراکش ، ترجمة: عبد الرحيم حزل ، مرسم.
- بول باسكون ، 1986 ، الأساطير والمعتقدات بالمغرب ، ترجمة: مصطفى المسنوي ، مجلة بيت الحكمة ، العدد 3 ، السنة الأولى ، الرباط ، المغرب.
- شمس الدين كبلاني ، 2005 ، رمزية القدس الروحية: قدسية المكان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا.
- عبد الرحيم العطري ، 2014 ، بركة الأولياء: بحث في المقدس الضرائحي ، الطبعة الأولى ، مكتبة المدارس ، الدار البيضاء ، المغرب.
- عبد الغني منديب ، 2006 ، الدين والمجتمع: دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب ، أفريقيا الشرق ، المغرب.
- Edmond Secret, 1990 Les Sept Printemps de Fes , MAROC.
- Mercea Eliad, 1965, la sacré et le profane, édition : Gallimard, coll, idée, Paris , France.
- Pierre Jean Jouve, La scène Capitale, p 195 , De Gaston Bachelard, 1948, la terre et les rêveries de la volonté, Librairie José Corti, paris, France.

الخبر الزائف ... رؤية مفاهيمية

Fake news ... Conceptual vision

أ.حيدر أحمد حسين إشراف: م.د. سعد أبراهيم

باحث مستقل كلية الإعلام جامعة ذي قار

العراق

مقدمة:

انتشر في الآونة الأخيرة مصطلح "الخبر الزائف" بصورة غير مسبقة في الدول الغربية والعربية على السواء. فالإنترنت أتاح الكثير من الفرص للممارسات الشرعية واللاشرعية ولهذا تصاعدت الكثير من الظواهر الاجتماعية والمعلوماتية السلبية فمنها تقليدية - كالأكاذيب، والشائعات، الدعاية، التشهير، خطاب الكراهية... الخ- أسهم الإنترنت في تناميها وأعطاه أبعاد مغايرة وباتت تتخفى في هيئة أخبار لتظهر في ثوب جديد.

ومن هنا جديدة تماماً اقترن ظهورها بظهور الإنترنت كالمواقع الرقمية الإعلامية الوهمية والمعلومات والقصص التي يشاركها الإعلاميون والمستخدمون دون التحقق منها. إن تلك الظواهر السلبية التقليدية والمستحدثة والجديدة تضافت جميعها وأنتجت ظاهرة عالمية جديدة. باتت ما يعرف بـ "المعلومات المضطربة" فهذه الأخيرة أثرت في العالم بشكل خطير لدرجة أنها باتت تُهدد تماسك المجتمعات والأمن القومي والوطني.

وفي هذا الصدد فإن الباحث لاحظ أنه أثناء المدة الأخيرة أن مصطلح "الخبر الزائف" قد دق ناقوس الخطر كونه أثر بشكل سلبي في الممارستين الديمقراطية والإعلامية. إذ بات يستعمله الكثير من السياسيين والمستخدمون للإشارة إلى المعلومات المضطربة وفي الوقت نفسه للإشارة إلى الأخبار والحقائق والقصص التي لا يحبونها. بالإضافة إلى ذلك فإن البعض باتوا يصفون الخبر الزائف على أنه نوع جديد من أنواع الأخبار مُتناسين أن الخبر يُنتج طبقاً للمعايير الإعلامية وفي الوقت ذاته مُتجاهلين تحليل المصطلح ((الخبر الزائف)) بصورة معيارية من النواحي العلمية والمهنية والأخلاقية والقانونية التي تُعدُّ أسس وجوهر الفلسفة الإعلامية. فمن جانب قد تحسس الباحث بهذا الخلط المفاهيمي والارباك الأبستمولوجي (المعرفي) الجديد الذي أنتجته بعض التوصيفات المتسارعة التي تناولت الأخبار الزائفة على أنها شكل من أشكال الخبر ووصفتها بصورة ربما لم تكن منطقية.

إذ ربطت مفهوم الخبر بالكثير من الظواهر الاجتماعية والمعلوماتية السلبية (كالمعلومات المضللة والدعاية وغيرهما) التي لا تتصل به. فهذه التوصيفات قد تأسس لضیاعات فكرية وأيديولوجية بخصوص مفهوم الخبر كونها تغادر حدود المعايير الصحافية. ومن المحتمل أن تُسهم في إرساء مفاهيم مغلوطة وهجينة عن الصحافة سيما الخبر. ومن جانب آخر قد استشعر الباحث بالخطر المتنامي على مهنة الصحافة المتمثل في الاستخدام المتزايد لمصطلح "الخبر الزائف" فهذا الأخير أسهم في تقويض دورها وسلطتها وحريتها وجعلها على المحك كونه قد تحول إلى سلاح بيد الدكتاتوريات والأنظمة القمعية لشن الحرب الأيديولوجية عليها وملاحقة وحبس الإعلاميين بتهمه باطلتها مفادها "أن وسائل الإعلام تنشر أخبار زائفة" فهذه التهمة قد رسمت صورة ذهنية سيئة لدى العالم عن الصحافة لا أساس لها في الواقع ومن هذان الجانبان ولدت فكرة هذا البحث.

المبحث الأول: الإطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث: يُمكن تلخيص مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي: ما هو أثر استخدام مصطلح "الخبر الزائف" في الصحافة؟ وتفرع مشكلة البحث إلى التساؤلات الآتية:

ما المقصود بالخبر الزائف؟

هل أسهم مصطلح "الخبر الزائف" في نزع الشرعية من المؤسسات الإعلامية؟

هل أدى مصطلح "الخبر الزائف" إلى تقويض ثقة المستخدمين بمهنة الصحافة؟

ما هي المعلومات المضطربة؟

ثانياً: أهمية البحث: تتبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج ظاهرة عالمية قد تكون جديدة بعض الشيء في الصحافة على المستويين الأكاديمي والمهني متمثلة بالانتشار المتزايد لمصطلح "الخبر الزائف" وآثاره الخطيرة في المسار الديمقراطي ووسائل الإعلام والمجتمعات الإنسانية كونه بات يستعمل كمظلة للإشارة إلى الكثير من الظواهر السلبية التي لا علاقة لها بالصحافة. إذ يحاول هذا البحث أن يوضح ويثبت بأنه لا يوجد شيء اسمه "خبر زائف" في عالم الصحافة. لأن الصحافة (الإعلام) ليست وظيفتها التضليل والتزييف المعلوماتي كما يتصورها البعض بل يتجسد دورها المثالي في كشف الحقائق وتوعية وحماية المجتمع والارتقاء به. ولهذا فإن الأخبار تُنتج وفقاً لمعايير إخبارية وأخلاقية وقانونية.

فحتى الأخبار التي تحتوي بعض الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية غير المتعمدة من قبل وسائل الإعلام نفسها أو تتضمن لقطات مصورة أو محررة بصورة غير صحيحة لا يمكن أن تعد أخبار في بعض الأحيان وذلك لافتقارها لمعيار الدقة. وهذا يعني أن إنتاج الخبر يتطلب تحويل المعلومات المتعلقة بحدث ما إلى معلومات صحافية (خبر) ويتم هذا التحويل عن طريق إنتاج تلك المعلومات وفقاً للمعايير الإعلامية في عرض ومعالجه الوقائع أما بخلاف ذلك فإنها من المرجح أن تتحول إلى معلومات مضللة أو خاطئة أو مغلوطة وربما تتطور لتصبح شائعة أو حتى دعاية... الخ. أما الناحية العلمية يرمي هذا البحث إلى تحسين العلوم الإعلامية من الأرباك المعرفي والخلط الاصطلاحي عن طريق إبعاد وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والمغلوطة في بعض الأدبيات الإعلامية التي عالجت الأخبار الزائفة. وتناولتها على أنها شكل من أشكال الأخبار وقرنت الخبر بعدة ظواهر اجتماعية ومعلوماتية سلبية لا تقترب من مفهومه الأساسي. فالبعض لو أمعنوا النظر جيداً في تلك التوصيفات الاعتبارية والضيقة التي قد تغادر حدود التحليل المنطقي والتفكير العلمي لوجدوها بعيدة كل البعد عن قواعد الإنتاج الإخباري. كونها قد أنتجت خلط مفاهيمي بين مفهومي الخبر والظواهر الأخرى (كالشائعة) التي لا تمت للخبر بصلة.

في الواقع أن الخبر خبر فلا يوجد خبر حقيقي وآخر زائف فعبارة "خبر حقيقي" تبدو وكأنها تفسر نفسها بنفسها كالذي يفسر الماء بالماء لأن الخبر ثابت هو نقل الحقيقة كما هي. لذلك يُعدُّ الخبر هو الحقيقة نفسها. أي بمعنى آخر أن مصطلح "الخبر" يطلق حصراً على الحقائق فقط. ومن الناحية التطبيقية يهدف هذا البحث إلى الحد من الإساءات الجديدة المتعمدة الصحافة المتمثلة في الاستخدام المتزايد لمصطلح "الخبر الزائف" عن طريق رفع الوعي بمخاطر المصطلح نفسه ومحاولة التصدي لاستخدامه كونه بات يمثل أكبر تهديد لها. كما يأمل الباحث في أن يوجه هذا البحث الأبحاث والدراسات الإعلامية المستقبلية ويقدم نتائج وتوصيات جديدة

تغذي موضوعات الباحثين والمهتمين ويرفد المكتبة الإعلامية العربية بالمعارف الجديدة ويسهم برقي المجتمع.

ثالثاً: أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

-التعرف على نشأه ومفهوم وأشكال الخبر الزائف.

-التعرف على مفهوم ودوافع وأشكال المعلومات المضطربة.

-محاولة تقويم بعض الملابسات المعرفية التي تربط مفهوم الخبر بالتزيف.

-إظهار التأثيرات السلبية الناتجة من استخدام مصطلح "الخبر الزائف" من الناحيتين الأكاديمية والمهنية.

-تحديد المصطلح المناسب والبديل عن مصطلح "الخبر الزائف".

رابعاً: منهج البحث: اقتضت مشكلة هذا البحث أتباع المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ومعالجه ظاهرة الخبر

الزائف ووصفها وتحليلها من أبعادها العلمية والعملية، واللغوية، والأخلاقية، القانونية، السياسية،

الاجتماعية، الاقتصادية، التجارية. ولمحاولة ضبط مفهومها وتفسير علاقتها بالخبر والظواهر الاجتماعية

والمعلوماتية السلبية الأخرى بهدف الوصول إلى استنتاجات علمية ودقيقه.

خامساً: تحديد المصطلحات إجرائياً:

الخبر الزائف: هو تنكر المحتوى اللاشعري في هيئة خبر.

المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية (الخبر الزائف، المعلومات المضطربة)

المطلب الأول: مفهوم الخبر الزائف

أولاً: نشأة الخبر الزائف: يتفق الكثير من الباحثون والصحفيون والمهتمون على أن ظاهرة الأخبار الزائفة

ليست بالجديدة. ولكن في الوقت نفسه لا توجد إجابات متفق عليها بخصوص تحديد التاريخ الدقيق

لنشأتها.فكرة تقديم القصص الزائفة في هيئة أخبار أو محتوى إعلامي (إخباري) ليست بالجديدة. إذ يرجع

جاكوب سول (2016) Jacob Soll جذور وأصل الأخبار الزائفة إلى القرن الخامس عشر. إذ يرى أن الأخبار

الزائفة ظهرت بالتزامن مع ظهور الأخبار المطبوعة بعد أن اخترع غوتبرغ المطبعة في العام (1439) فكان

يصعب تمييز الأخبار الحقيقية من الزائفة في ذلك العصر. وذلك لكثرة المصادر الإخبارية والمعلوماتية ولعدم

توافر معايير أخلاقية تحكم وتنظم عملية كتابة وتوزيع الأخبار المطبوعة.

وفيما يخص مصطلح "الخبر الزائف" فإن هذا الأخير ليس بالجديد فله جذور تاريخية متعمقة. فطبقاً لشركه

ميريام ويبستر الأمريكية (Merriam-Webster (n.d) أن جذور مصطلح "الخبر الزائف" تعود إلى القرن

السادس عشر فقد كان يستعمله الناس بوصفه تعبير للإشارة إلى بعض وسائل الإعلام المطبوعة التي كانوا

يشعرون بأنها تنشر وتتضمن قصص ومعلومات مزيفة.

ثانياً: مفهوم الخبر الزائف: يطلق على الخبر الزائف باللغة الإنكليزية مصطلح "Fake News" (Jacob 2016

Soll). ويتوسع ترجمه هذا الأخير في اللغة العربية ليشير عده معاني منها: الخبر الكاذب أو الوهمي أو المزور

أو الملقق أو المزيف أو المضلل... الخ. إذ لا توجد ترجمة عربية موحدة لهذا المصطلح ((Fake News)) ولكن

في الوقت ذاته فإن جميع المعاني العربية تصب في الاتجاه نفسه. لذا سوف يعتمد الباحث في هذا البحث

على المعنى العربي المتمثل بـ "الخبر الزائف" كون هذا الأخير الأكثر رواجاً في الساحة الإعلامية العربية.

إنَّ مصطلح "الخبر الزائف" قد اكتسب شرعيته بعد أن اختاره قاموس كولينز (Collins) وأطلق عليه لقب "كلمة العام" في العام 2017 كونه المصطلح الأكثر استخداماً وتأثيراً في العالم (Alison Flood, 2017). وربما يعود هذا الاختيار إلى سببين: فالأول هو استخدام وترويج بعض السياسيين لمصطلح "الخبر الزائف" أو "الأخبار الزائفة" بصورة متزايدة. أما الثاني فإنه يتمثل في انتشار المنصات الاجتماعية التي أسهمت في تزايد المعلومات والقصص المزيفة بشكل كبير (BBC, 2017). وفي هذا السياق فإنه لا يوجد تعريف علمي مُتفق عليه على مستوى العالم لمصطلح "الخبر الزائف" فقد وضع الكثير من الباحثون والإعلاميون والمهتمون عدة تعريفات لمصطلح "الخبر الزائف" وهذا الأمر ربما يعود لاختلاف تخصصاتهم العلمية والمهنية ونظراتهم وتصوراتهم الفلسفية والأيدولوجية. ويمكن حصر أهم التعريفات (من وجهة نظر الباحث) فيما يأتي:

يُعرف فوريسست سترأود (Forrest Stroud (n.d.) الخبر الزائف بأنه مصطلح يشير إلى "المعلومات الكاذبة والدعاية التي تُنشر تحت ستار الأخبار" (para.1). وتُعرفه أكاديمية بي بي سي (BBC) بأنه "معلومات كاذبة تُنشر بصورة متعمدة عادةً لتحقيق أهداف سياسية أو تجارية" (para.2). كما تُعرفه شبكه أخلاقيات الصحافة (Ethical journalism network [EJN] (n.d.) بأنه "معلومات تُنتج وتُشر بصورة متعمدة بهدف خداع وتضليل الآخرين وحثهم على تصديق الأكاذيب أو التشكيك في الحقائق الثابتة" (para.1).

ثالثاً: أشكال الخبر الزائف: يمكن تحديد أهم أشكال وأنواع الأخبار الزائفة وفقاً لما حدده أمول راجان (Amol Rajan (2017) كالآتي:

-المعلومات الكاذبة أو الخاطئة التي يقوم بنشرها بعض الأشخاص بصورة متعمدة من أجل تحقيق أهداف سياسية أو ربح المال عبر الإنترنت عن طريق استقطاب أكبر عدد من المستخدمين إلى مواقعهم الرقمية.

-المعلومات الكاذبة أو الخاطئة التي يقوم بنشرها بعض الصحفيون دون التحقق منها أو دون أن يدركوا أنها زائفة وهذا الأمر يشمل جميع الأخطاء والمغالطات غير المتعمدة التي وقع بها الصحفيون عند نقلهم للحقائق عبر تاريخ الصحافة بدءاً من التضليل المعلوماتي والخداع وصولاً إلى العناوين الإخبارية المبالغ فيها وهذا الشكل من أشكال الأخبار المزيفة غالباً ما يحتوي على بعض الحقائق.

-الأخبار التي تزعم بعض السياسيين والمستخدمون أو ببساطة لا يريدون الاعتراف بها ويفضلون الصمت إزاءها لذلك يتهمونها على أنها أخبار زائفة.

المطلب الثاني: مفهوم المعلومات المضطربة

ولاً: مفهوم المعلومات المضطربة: في العام 2017 صاغ الباحثان كلير واردل (Claire Wardle) وحسين درخشان (Hossein Derakhshan) مصطلح "Information Disorder". ويترجم هذا الأخير في اللغة العربية إلى "اضطرب المعلومات" ولكن بالمقابل ثمة من يرى أن هذه الترجمة ترجمة غير دقيقة. فوفقاً للباحث سعد أبراهيم (اتصال شخصي، 9 فبراير 2019) أن الترجمة الصحيحة لمصطلح (Information Disorder) هي "المعلومات المضطربة" لأن "اضطراب المعلومات يعني الاضطراب ليس دخليلاً على المعلومات بينما الاضطراب هو المقصود بحد ذاته". لذلك سوف يعتمد الباحث في هذا البحث على الترجمة العربية المتمثلة بـ "المعلومات المضطربة" تماشياً مع رؤية أبراهيم.

ويُمكن أن يلخص الباحث مفهوم المعلومات المضطربة عن طريق رؤية كل من كليز واردل وحسين درخشان (2017) Claire Wardle and Hossein Derakhshan إلى أن مصطلح "المعلومات المضطربة" يستخدم لوصف الظواهر التي أسهمت في تلوث بيئة المعلومات. وتتمثل هذه الظواهر في المعلومات المغلوطة والمضللة، والشائعات، الدعاية، التضليل الرقمي، خطاب الكراهية، التشهير، الابتزاز، تسريب المعلومات، الانتحال، المؤامرات، الأخبار التي تتضمن أخطاء غير مُتعمدة أو تضليل مُتعمد، تستر المحتوى الزائف في هيئة خبر... الخ.

إنَّ تزايد تدفق المعلومات عبر الإنترنت بلا رقابة (Misinformation, n.d.) بالإضافة إلى "سهولة الربح عن طريق نشر الإعلانات عبر الإنترنت وتزايد الاستقطاب السياسي وانتشار المنصات الاجتماعية كلها عوامل أسهمت في تنامي المعلومات المضطربة" (Fake news, n.d., para.4). فالمنصات الاجتماعية باتت تعج بالكثير من المعلومات الخاطئة والمضللة التي تنتكر في هيئة أخبار عادة ما يقف خلفها أفراد ومؤسسات ومنظمات وجهات أمنية (بي بي سي، 2017). "وتهدف تلك الجهات بذلك في بعض الأحيان إلى التشويش وإحداث بلبلة لأغراض مختلفة. وقد شهدت السنوات الأخيرة استخدامات متعددة للتكنولوجيا الحديثة سيما في إطار تزايد عمليات التنصت والقرصنة" (بي بي سي، 2017، فقرة 2).

وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الأمريكي مايكل لينش - Michael Lynch as cited in Joshua Habgood- (Coote, 2018) إذ يؤكد بأنه توجد جهات فاعلة تقوم بنشر القصص الحقيقية والزائفة على السواء عبر الإنترنت بصورة متعمدة من أجل خداع وتضليل المستخدمين وتشويش الرأي العام وبهذه الطريقة يصعب على المستخدمين معرفة الأخبار والحقائق من الأكاذيب وهذه الممارسة أسماها لينش "لعبة القط والفار".

كما أن "الخطر يكمن في أن هذه القصص تنتشر بسرعة مذهلة بحيث يصعب سحبها (...) وحتى تكذيبها" (دويتشه فيله، 2017، فقرة 3). ولهذا فإن الصحفيين والمستخدمين على السواء وقعوا في المأزق نفسه نظراً إلى الكم الهائل من المعلومات إذ تكون الأكاذيب أسرع من الحقائق في انتشارها (Ibrahim Altay, 2017). وهذا الأمر أسهم في تزايد "القلق بين أغلب مستخدمي شبكة الإنترنت في جميع أرجاء العالم فبحسب دراسة إعلامية أجرتها الخدمة العالمية في بي بي سي في العام 2017 على 15 دولة قال 79% من المستخدمين بأنهم باتوا قلقون إزاء تزايد القصص والمعلومات الزائفة عبر الإنترنت" (Rory Cellan-Jones, 2017, para.1). لذلك يوصي البعض بضرورة أن يتعد المستخدمين عن تصديق كل شيء يرونه على المنصات الاجتماعية (Ibrahim Altay, 2017). كي لا يقعوا فريسة للمعلومات المضطربة.

وهو الأمر الذي يزيد من أهمية التربية الإعلامية وذلك لدورها الفعال في تنمية حس التفكير النقدي لدى المستخدمين وبناء مهاراتهم التي تمكنهم من فرز الأخبار والحقائق من الأكاذيب (Divina Frau-Meigs, 2017). إنَّ الكثير من الدول والمجتمعات والهيئات والمنظمات الكبرى غدت مهددة بالسقوط نتيجة الرواج الواسع للمعلومات المضطربة (فلاح الياس، 2017). إذ أسهمت هذه الأخيرة بخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في العام 2016 كما أثرت المعلومات المضطربة في مسار الانتخابات الرئاسية الأمريكية في العام نفسه (Damien Gayle, 2017). وبناء على ما سبق فإن المعلومات المضطربة باتت تُعدُّ "مشكلة عالمية مقلقة لأنها يمكن أن تزعزع التمشي السليم للديمقراطيات" (معهد مونتاينو، 2018، فقرة 17).

ثانياً: أهداف ودوافع المعلومات المضطربة: يسعى القائمون على إنتاج ونشر المعلومات المضطربة إلى تحقيق عدة دوافع وأهداف إذ لا يوجد تصنيف ثابت بالمطلق بين الباحثون بخصوص تحديد هذه الدوافع والأهداف. إذ يمكن تحديد أهم وأبرز هذه الدوافع والأهداف فيما يأتي، Claire Wardle & First Draft, 2017, (para.7):

-إضعاف دور الصحافة.

-السخرية من الآخرين أو من الخصم.

-استفزاز الخصم أو الآخرين.

-أثارة العواطف.

-التحيز لجهة ما.

-ربح المال.

-ممارسة التأثير السياسي (السلطة).

-الدعاية.

كما يمكن تلخيص الدوافع والأهداف المذكورة أعلاه وفقاً إلى ما ذهبت إليه كبير واردل (2018) Claire (Wardle cited in Harvard Kennedy School, 2018) التي صنفت هذه الدوافع إلى "أربع فئات رئيسية وهي: الدافع المالي ، والدافع السياسي ، الدافع الاجتماعي ، الدافع النفسي" (para.24).

ثالثاً: أشكال المعلومات المضطربة: صنف كل من واردل ودرخشان Claire Wardle and Hossein Derakhshan (2017) ثلاثة أشكال رئيسية للمعلومات المضطربة كالآتي (p.21):

-المعلومات المضللة (Dis-information): هي معلومات كاذبة أو خاطئة يتم إنتاجها ونشرها بصورة متعمدة من أجل إلحاق الضرر بشخص أو مجموعة اجتماعية أو منظمة أو بلد ما.

-المعلومات الخاطئة (Mis-information): هي معلومات كاذبة أو خاطئة ولكن ليس الهدف من نشرها إلحاق الضرر أو الإساءة.

-إساءة استخدام المعلومات (Mal-information): هي معلومات حقيقية أو صحيحة يتم استخدامها بهدف إلحاق الضرر بشخص أو مجموعة اجتماعية أو منظمة أو بلد ما.

ويُمكن توضيح أشكال المعلومات المضطربة فيهيئة معادلات كالآتي (Sinan, 2019):

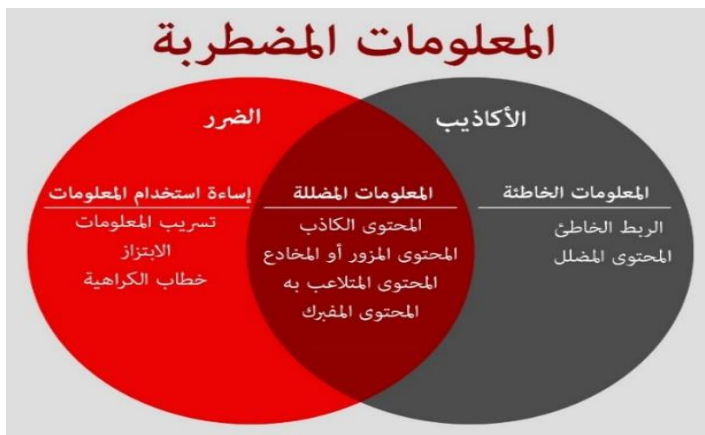
معلومات كاذبة + نية سيئة = معلومات مضللة.

معلومات كاذبة + إساءة فهمها من قبل المستخدمين (نية حسنة) = معلومات خاطئة.

معلومات حقيقية + نية إلحاق الضرر = إساءة استخدام المعلومات.



الشكل رقم (1) يوضح المعلومات المضطربة
(Claire Wardle & Hossein Derakhshan, 2017, p.5)



الشكل رقم (2) يوضح أنواع وأشكال المعلومات المضللة والخاطئة
(First Draft & Claire Wardle, 2017)

المبحث الثالث: الخبر الزائف... تحليل بنيوي: يُعدُّ مصطلح "الخبر الزائف" من أكثر المصطلحات الغامضة والمثيرة للجدل ولهذا أختلف الكثير من الباحثون والمهتمون والإعلاميون بخصوص تحديد معناه ومعالمه وإبعاده.

وفي هذا السياق يرى البعض أن "الخبر الزائف هو شكل جديد من أشكال الخبر" (Fake news, n.d.). وفي حين يذهب آخرون إلى ابعاد من ذلك إذ يرون أن الخبر الزائف هو ليس شكل من أشكال الخبر كما يتصور البعض لأن الخبر يُعدُّ "معلومات تُنتج طبقاً لمعايير صحافية" (Julie Posetti et al., 2018, p.7). إنَّ مفهوم الخبر الزائف يُعدُّ من أكثر المفاهيم المرتبكة (Elle Hunt, 2016). وهذا الإرباك المعرفي والمفاهيمي ربما يعزى إلى "المصطلح نفسه الذي يشير إلى عدة معاني مُتناقضة" (Josh Habgood-Coote, 2018, para.8). لذلك

يرى الباحث بأنه مصطلح غير مستقر من الناحيتين العلمية والتطبيقية. وفي هذا الجانب يرى البعض أن مصطلح "الخبر الزائف" يستخدم لوصف الأخبار المبنية على معلومات غير دقيقة أو تتضمن أخطاء ومغالطات مهنية غير متعمدة من قبل المؤسسات الإعلامية (Margaret Sullivan, 2017).

بينما يرى آخرون أنه عاده ما يستخدم للإشارة إلى عدة "أفعال وسلوكيات غير شرعية كانت موجودة منذ الأزل كالأكاذيب، والشائعات، التلاعب بالقصص من أجل التأثير على الرأي العام، المؤامرات، التضليل المعلوماتي... الخ" (Bente Kalsnes, 2018, para.1). وهذا ما ذهبت إليه البي بي سي (2018) إذ ترى أنه "من الدعاية إلى الخداع أصبحت الأخبار الزائفة مصطلحاً شائعاً لمجموعة من المعلومات الخاطئة أو المضللة التي يتم نشرها عبر الإنترنت غالباً لتحقيق مكاسب سياسية أو تجارية" (فقرة 1).

الشكل رقم (3) يوضح جذور الأخبار الزائفة



(البونسكو، 2014، ص 88)

وبناء على ما سبق يرى باحثون أمريكيون أنه بات من الضروري إعادة تحديد مفهوم الخبر الزائف بشكل دقيق عن طريق إعادة ضبط المصطلح نفسه (عبير حسين، 2017). ويبدو للباحث أنه من أجل تحليل مصطلح "الخبر الزائف" من أبعاده المتعددة وإظهار أوجه التمايز والاختلاف بينه وبين مفاهيم المصطلحات الأخرى لابد الرجوع إلى تفسير مفهوم الخبر نفسه.

فمن ناحية الرؤية القرآنية فقد ورد مصطلح "الخبر" في بعض الآيات القرآنية التي أكدت أن الخبر إذا لم يكن صادق فلا يعد خبر فالهدف من هذا الأخير هو إعلام الناس بالحقائق والأحداث الجيدة والسيئة على السواء (مرعى مدكور، 2002). أما الناحية اللغوية فإن الخبر هو "ما ينقل ويحدث به قولاً أو كتابة" كما أنه "قولٌ يتحمل الصدق والكذب لذاته" ("معنى حَبْرٌ"، د.ت.، فقرة 1). ولهذا فإن مفهوم الخبر من الناحية

اللغوية لا يتفق مع مفهوم الخبر من الناحيتين القرآنية والإعلامية إذ يرى الكثير من باحثوا الإعلام أن "هذا المعنى اللغوي الصرف معنى مضلل لأنه يخضع مفهوم الخبر لاحتمال الصدق أو الكذب في حين أن الخبر يجب أن يكون صادقاً وإلا فقد صفته كخبر فالخبر الكاذب ليس خبراً لأنه تقرير عن حدث أو واقعة غير حقيقية" (فاروق أبو زيد، د.ت.، ص44). فعندما لا يتوافر معيار الدقة في الخبر فإنه من المحتمل أن يتحول إلى شائعة قد تسهم في تدمير المجتمع (مرعى مذكور، 2002).

أضف إلى ذلك ثمة رؤية إعلامية متعمقة توضح أوجه التمايز بين الخبر وغيره من المصطلحات فبحسب هذه الرؤية أن "الخبر هو ما يحدده الصحفي أنه خبر وما ليس بخبر: الدعاية، والإعلان، التحليل، الرأي" (محمد كمال تولا، د.ت. ص1). ومن هذا المنطلق الإعلامي يمكن أن يستنتج الباحث أن الخبر لا يتعامل مع الأكاذيب ولا يهدف إلى الخداع والتضليل وفي الوقت نفسه فإنه مُنتج صحفي حساس لأي غلط أو خطأ فيه سواء كان مُتعمد أو غير مُتعمد فإنه من المرجح أن يتحول من خبر إلى دعاية أو شائعة ولهذا فإن الخبر يختلف اختلافاً جذرياً عن الأكاذيب والشائعات، الدعاية، الإعلان، التحليل، الرأي كونه يتعامل مع الحقائق ولا يتعامل مع الخيال.

وفي هذا الصدد يتفق الكثير من الباحثون والمختصون ومنهم البي بي سي (2018) على أن "نشر الحكومات للدعاية والأخبار الزائفة لتقويض أو لاستبعاد معارضيهما ليس بالأمر الجديد" (فقرة1). إذ تؤكد البي بي سي (2018) بأنها "تتابع تشويه الحقائق في وسائل الإعلام حول العالم منذ الثلاثينيات ما تغير هو مجموعة من الفرص والحوافز لنشر الأكاذيب بسرعة وعلى نطاق واسع عبر الحدود باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي" (فقرة1). وهذا ما ذهبت إليه مدونه فك الرموز لصحفية لوموند الفرنسية في تفسيرها لهذه الظاهرة إذ ترى أن "الخبر الزائف يستعير من الصحافة المهنية رموزها وطريقه تقديمها ليتظاهر بأنه عمل صحفي" (سانيتا جمبرغا وآخرون، 2017، ص27).

ويتفق الباحث تماماً مع رؤية لوموند إذ لاحظ الباحث أن المحتويات الزائفة واللاشرعية (كالأكاذيب، الدعاية وغيرهما) باتت تنتج وتنتكر في هيئة محتويات إعلامية (خبر، تقرير، مقالة... الخ) لتبدو وكأنها أخبار. فمنتجو هذه المحتويات عادة ما يختارون قصص قد تكون حقيقية أو خيالية ذات معايير إخبارية كالعاطفة، والصراع، الأهمية، التأثير... الخ. وفي الوقت نفسه يستخدمون بعض المعايير الإعلامية الإنتاجية التي يستخدمها الصحفيون عند إنتاج الرسالة الإعلامية "المحتوى الإعلامي" كالبساطة والاختصار والوضوح. وبهذه الطريقة يقع المستخدمون في فخ هذه المحتويات اللاشرعية ويطنون أنها محتويات إعلامية نشرتها المؤسسات الإعلامية. الجدير بالإشارة أن هذه المحتويات غير القانونية لا يمكن أن تصنف بأي شكل من الأشكال على أنها محتويات إعلامية كونها لا تتوافر فيها المعايير الأخلاقية ولذلك فإنها تُصنف ضمن المحتويات الاتصالية. وعليه فإن تعبير "الخبر الزائف" يعد مصطلح اتصالي وليس مصطلح إعلامي فالخبر والزيّف "الكذب" شيئان لا يجتمعان أبداً.

وهذا ما خلصت إليه السي إن إن وويلينهم (2016) Willingham and CNN في تقريرهما إلى أن المعلومات والحقائق المتعلقة بالأحداث التي يتم صياغتها في هيئة أخبار بطريقة منحازة وهو ما يعرف بـ "الأخبار المنحازة" أو بطريقة مضللة وهو ما يعرف بـ "الأخبار المضللة" تبقي في سياق المعلومات ولا يمكن أن

ترتقي لتصبح خبر "معلومات صحافية" ولهذا فإنها لا يمكن أن تُصنف ضمن أشكال الخبر كونها تخالف المعايير الإعلامية.

وفي السياق نفسه يؤكد توني هول (as cited in Nadeem Badshah, 2018) المدير العام لبي بي سي أن الأخبار الزائفة هي ليست نفسها الأخبار التي قد تحتوي على بعض المغالطات المهنية غير المتعمدة نظراً إلى أن المؤسسات الإعلامية بمجرد إدراكها للمغالطات وحتى الأخطاء فإنها تعترف بها وتعذر إلى المستخدمين في الوقت الذي تعيد به نشر الخبر من جديد بعد إعادة إنتاجه بدقة وأمانه.

وهذا ما ذهب إليه اليونسكو إذ تؤكد أن الخبر يعني المعلومات التي يمكن التحقق منها من أجل المصلحة العامة فالمعلومات التي لا تستوفي المعايير الصحافية لا يمكن أن تسمى (خبر). ومن هذه الرؤية الإعلامية فإن مصطلح "الخبر الزائف" يُعدُّ مُصطلح مثير للتناقض (مُتناقض لغوياً) وهذا التناقض نفسه قد يُسهم في تقويض الأخبار نفسها (Julie Posetti et al., 2018, p.7).

وذلك لأن اتهام الصحفيون على أنهم ينشرون أخبار زائفة قد يجعلهم يكافحون من أجل الحفاظ على المعايير الصحافية كالحقيقة والموضوعية والتفكير النقدي ولكن الوقت نفسه فإن استخدام مصطلح "الخبر الزائف" بصورة متزايدة لاتهامهم قد يقوض من التزامهم بتلك المعايير الصحافية نفسها-Joshua Habgood (Coote, 2018). وهذا ما أكدته الدراسات الإعلامية الحديثة من أن بعض السياسيون قد أسهموا في انتكاس الوضع الإعلامي عبر مهاجمتهم لوسائل الإعلام واتهامها على أنها "عدوة الشعب" وتنتشر أخباراً زائفة(فرانس 24 ، 2017).

وقد وجد بعضهم أن مصطلح "الخبر الزائف" يمثل فرصة سانحة "لاتهام الصحافة بتشوية الديمقراطية ونشر نظريات المؤامرة والكراهية العنصرية"(UN News,2018, para.3).وبالمقابل يرى باحثون أن "مثل هذه التصريحات تشير إلى عدائية تجاه المبادئ الأساسية وأهداف حرية الصحافة خاصة دور الإعلام الإخباري في محاسبة الحكومات على أقوالها وأفعالها" (فرانس 24 ، 2017 ، فقرة12). كذلك يرى بعض خبراء الأمم المتحدة المعنيين بحرية التعبير أن "هذه الهجمات تتعارض ... مع حرية الصحافة والقانون الدولي لحقوق الإنسان"(UN News, para.4).

فوفقاً لليونسكو (2016) تعدّ حرية الإعلام واحدة من الحريات الأساسية وحق من حقوق الإنسان وترتبط إلى حدّ كبير بالحق الأوسع نطاقاً في حرية التعبير. وتشمل الحق في البحث عن المعلومات والحصول عليها. ويعد هذا الحقّ مكملًا للحق بتبادل المعلومات أي الحق بمشاركة المعلومات مع الجمهور في إطار حرية الصحافة(فقرة1).

لذلك يرى الكثير من "الخبراء والصحفيون أن مصطلح الخبر الزائف أصبح يستعمل بصورة موسعة حتى فقد معناه..... ففكرة أن المصطلح بات يضّر أكثر ممّا ينفَع ليست بالجديدة" (Taylor Mulcahey, 2018, para.1).وهذا ما ذهب إليه توني هول (as cited in Nadeem Badshah, 2018) إذ يرى أن مصطلح "الخبر الزائف" قد أسهم وبصورة كبيرة في تناؤل ثقة المستخدمين بالصحافة"(para.1).وقد أصبح ".... ذريعة للرقابة في أيدي أعداء حرية الصحافة"(منظمة مراسلون بلا حدود ، 2017).

فوفقاً لتوني هول Tony Hall (as cited in Nadeem Badshah, 2018) أن مصطلح "الخبر الزائف" أصبح السلاح المفضل للأنظمة القمعية" (para.1). الذي باتت تستخدمه لملاحقة واستهداف وحبس الإعلاميين الشرعيين ("الأخبار الكاذبة"، 2018). كما بات يستعمل المصطلح نفسه كطريقة لتقويض سير أعمال المؤسسات الديمقراطية مثل المؤسسات الإعلامية ولتسويق الرقابة عليها وفي الوقت نفسه يستخدم كطريقة لتشوية سمعة الصحافة ولنزع الشرعية عنها (Taylor Mulcahey, 2018).

وبالمقابل ترى اليونسكو (2018) أن نزع الشرعية هو شكل خفيّ وفَعَالٌ من أشكال الدعاية ما يقلل ثقة الجمهور في وسائل الإعلام باعتبارها تؤدي وظيفة جماعية وحيوية لمراقبة الحكومة. إن نزع الشرعية وهو أمر خطير بما فيه الكفاية بحد ذاته يشجّع ويقوّي الهجمات التي ترتكبها فصائل أخرى في المجتمع على وسائل الإعلام (ص118).

"ويمكن اعتبار نزع الشرعية جزءاً من مشكلة أكبر من الاستقطاب السياسي والاجتماعي بما فيها الهجمات المستمرة على شرعية المؤسسات العامة بما فيها الهيئات القضائية المستقلة في جميع أنحاء العالم" (اليونسكو، 2018، ص 118).

الشكل (4) يوضح أثر نزع شرعية وسائل الإعلام على المجتمع



(اليونسكو ، 2018 ، ص118)

استناداً لما سبق فإن استخدم مصطلح "الخبر الزائف" بصورة متزايدة قد "يُضفي الشرعية على الدعاية" (Joshua Habgood-Coote, 2018, para.12). كما أن الاعتراف به يُعدُّ "خطر على الديمقراطية" (Sean O'Grady, 2017). وهذا الأمر دفع بالكثير من الإعلاميين والباحثين الغربيين إلى كتابة مقالات وتقارير إخبارية طالبوا وحثوا فيها على عدم استعمال مصطلح "الخبر الزائف". فمنهم الباحث كبير واردل Claire Wardle (2017) والصحافية مارغريت سوليفان Margaret Sullivan (2017). فمن جانبها قامت الحكومة البريطانية في أكتوبر في العام (2018) بحضر استخدام مصطلح "الخبر الزائف" في جميع إرجائها (Margi Murphy, 2018). وفي هذا الصدد ترى مارغريت سوليفان (Margaret Sullivan, 2017) أن "كل هذه المشاكل والقضايا واقعية ومناقشتها في غاية الأهمية لكن وضعها جميعها في الخلاط واستخدام

مصطلح واحد غير واضح يعبر عنها لن يجعل المجتمعات تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام" (para.17). ولهذا يرفض الكثير من المختصون والباحثون والإعلاميون مصطلح "الخبر الزائف". فمنهم كبير واردل وحسين درخشان (2017) Claire Wardle and Hossein Derakhshan، ومارغريت سوليفان Margaret Sullivan (2017)، وتوني هول Tony Hall (as cited in Nadeem Badshah, 2018)، وجيم فاندبيهي Jim VandeHei (بالإضافة إلى جوشوا هابجود كوت (2018) Joshua Habgood-Coote). إذ يؤكد كل من كبير واردل وحسين درخشان (2017) Claire Wardle and Hossein Derakhshan أنه مصطلح غير منطقي وخطئ لسببين: أولاً لأنه مصطلح غير دقيق على الإطلاق لوصف الكثير من الظواهر المتشعبة والمعقدة في بيئة المعلومات الملوثة. ثانياً أصبح يستعمله الكثير من السياسيين في جميع أنحاء العالم لوصف وانتقاد المؤسسات الإعلامية الشرعية عند تغطيتها لقضايا ومواضيع حساسة لا يوافقون عليها. وبهذه الطريقة يمكن أن يصبح هذا المصطلح ((الخبر الزائف)) أداة فعالة لتضييق الخناق على الصحافة وتقويض حريتها ومراوغتها (P.5).

فحسب كبير واردل (as cited in Harvard Kennedy School, 2018) إن الكثير من السياسيين غدو يستخدمون مصطلح "الخبر الزائف" كسلاح ضد حرية الصحافة وحرية التعبير عن الرأي وفي الوقت ذاته يستخدمونه بوصفة تعبير مختصر للإشارة إلى أي تغطيات إخبارية أو تقارير لا تروق لهم. وهذا الاستعمال المتزايد أثر بشكل كبير في المؤسسات الإعلامية فقد أظهرت الدراسات والأبحاث الإعلامية الحالية أن أغلب المستخدمين يظنون أن وسائل الإعلام الرئيسة تقوم بجمع ونشر المعلومات الزائفة (para.8) وبناء على ما سبق يرى كل من كبير واردل وحسين درخشان (2017) Claire Wardle and Hossein Derakhshan أن المصطلح البديل والجامع عن مصطلح "الخبر الزائف" هو مصطلح المعلومات المضطربة (p.5). فهذا الأخير مصطلح موسع لا يقتصر استعماله للإشارة فقط للسرد السياسي وإنما يتعدى ذلك ليشير إلى عدة ظواهر وقضايا كالمعلومات الكاذبة والمضللة التي يتم صياغتها على هيئة أخبار عن الأحوال الصحية للمشاهير أو حتى وفاتهم بالإضافة إلى الشائعات (أكاديمية بي بي سي، 2018). و"الاتهامات الكاذبة لأنشطة إجرامية يمكن أن تثير توترات عرقية تؤدي بدورها إلى العنف بين المجتمعات المختلفة" (أكاديمية بي بي سي، 2018، فقرة 5).

النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج البحث: توصل هذا البحث إلى عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها فيما يأتي:
- كان ولإزال الخبر عبارة عن معلومات بخصوص واقعة ما تُنتج طبقاً لمعايير إعلامية وأخلاقية فما يعرف بـ "الخبر المنحاز" و "الخبر المضلل" يعدان مصطلحان مغلوطن لأن المعلومات التي تنقل حقيقة ما بطريقة منحازة ومضللة تبقى في جانب المعلومات ولا يمكن أن ترتقي لتصبح خبر "معلومات صحافية".
- إن الخبر يتعامل مع الحقائق لا مع الخيال لذلك فهو يختلف تماماً عن الشائعة والدعاية والإعلان، التحليل، الرأي... الخ.

إن مصطلح "الخبر الزائف" ليس بالجديد بل كان يستخدم منذ القرن السادس عشر. كما أن تنكر الشائعة والدعاية والقصص المزيفة في هيئة أخبار ليست بالأمر الجديد.

-إنَّ الخبر الزائف هو ليس شكل جديد أو تقليدي من أشكال الخبر وأن ما موجود هو دعابة وشائعة ومعلومات كاذبة ومضللة تنتكر وتتخفى في هيئة أخبار.

-لا يوجد تعريف ثابت بالمطلق لمصطلح "الخبر الزائف". فهذا الأخير يعد من أخطر المصطلحات على الديمقراطية والصحافة والمجتمع وتتجسد آثاره السلبية الكبرى في الآتي:

أدى إلى تراجع الثقة بوسائل الإعلام.

أصبح السلاح المثالي للأنظمة القمعية.

شوه سمعة الصحافة وجعلها على المحك.

أصبح يستخدم لتسويق الرقابة على وسائل الإعلام ولنزع الشرعية عنها.

بات يستعمل لوصف المعلومات الخاطئة والمضللة ، الشائعة ، الدعاية... الخ.

أصبح يستعمله الكثيرون لوصف الأخبار والمعلومات التي لا تروق لهم.

قد يسهم في أضعاف الشرعية على الشائعة والدعاية وغيرهما.

غرس مفاهيم مغلوطة وهجينة عن الصحافة والخبر.

-يعد سحب الشرعية عن المؤسسات الإخبارية شكل سري ومؤثر من أشكال الدعاية.

-يرفض المختصون استخدام تعبير "الخبر الزائف" كونه مصطلح غير منطقي ويتنافى مع المعايير الإعلامية لذلك يطلقون بدلاً منه مصطلح "المعلومات المضطربة".

-يستخدم مصطلح "المعلومات المضطربة" لوصف الشائعات ، والدعاية ، التضليل الرقمي ، خطاب الكراهية ، التشهير ، الابتزاز ، تسريب المعلومات ، لأخبار التي تتضمن أخطاء غير متعمدة أو تضليل متعمد ، تنكر المحتوى المزيف في هيئة خبر... الخ.

-نحن نعيش في عصر المعلومات المضطربة.

-أوجدت المنصات الرقمية الاجتماعية فرصاً مبتكرة للممارسات الشرعية واللاشرعية ولهذا فإنها أسهمت في تزايد المعلومات المضطربة.

-توجد جهات فاعلة تقوم بمشاركة المعلومات الصحيحة والخاطئة عبر الإنترنت بهدف تشويش المستخدمين.

-تعد المعلومات المضطربة ظاهرة عالمية مقلقة لأنها يمكن أن تعرقل المسار الديمقراطي.

ثانياً: التوصيات: وفقاً للنتائج المهمة التي توصل إليها هذا البحث يوصي الباحث بالآتي:

-تمثل الخطوة الأولى في المحافظة على دور وسلطة الصحافة هي التوقف عن استعمال مصطلح "الخبر الزائف" لذا على الدول أن تقوم بحضر استعماله في جميع أرجائها.

-على الصحفيين والمستخدمين الابتعاد عن استخدام مصطلح "الخبر الزائف" للإشارة إلى أي أخبار أو معلومات لا تروق لهم أو يظنون أنها غير صحيحة.

-يعد توصيف "الخبر الزائف" على أنه شكل من أشكال الأخبار من المفاهيم الخاطئة لذلك على الصحفيين والباحثون تجنب إرساء مثل هذه المغالطات التي قد تسيء للصحافة.

-تصحيح المغالطات والأخطاء في بعض المفاهيم والتعريفات التي وصفت الدعاية والشائعة على أنهما أخبار غير صحيحه كونه تلك التوصيفات قد تكون غير منطقية فالخبر شيء والشائعة شيء آخر.

من الضروري أن توضح المؤسسات الإعلامية للمستخدمين بأنها لا تنشر قصص مزيفة وإنما توجد جهات تتحلل هويتها وتقوم بنشر معلومات كاذبة ومضللة ودعاية تحت ستار الأخبار من أجل تحقيق أهدافها. ضرورة توعية المستخدمون بان المحتويات على الإنترنت ليست جميعها أخبار بل هي مزيج من الأخبار والشائعات والدعاية... الخ.

أنشاء حملات إعلامية رقمية وميدانية تُسهم في رفع مستوى الوعي بمخاطر استخدام مصطلح "الخبر الزائف" والآثار الكبرى للمعلومات المضطربة.

على الصحفيون التمسك بالأخلاقيات كي لا يسهموا في تزايد المعلومات المضطربة.

تسخير التكنولوجيات الرقمية لمكافحة المعلومات المضطربة.

ضرورة سن قوانين وتشريعات جديدة تحكم وتنظم عملية إنتاج ونشر المعلومات الرقمية لحد من ظاهرة المعلومات المضطربة.

تأسيس مراكز بحثية متخصصة لمراقبة الحملات والطرائق التي تسهم في تصاعد المعلومات المضطربة ورصدها ومحاولة كشفها وتقنيدها قدر الإمكان.

إقامة دورات تغذي معارف الصحفيون وتطور مهارتهم وإمكاناتهم في التحقق الرقمي.

إجراء المزيد من الدراسات بخصوص المعلومات المضطربة مع الاستفادة من الأبحاث الراهنة في تطوير وبناء طرائق واستراتيجيات جديدة تسهم في الحد منها.

إدخال مساق التربية الإعلامية والرقمية ضمن مساقات المدارس والجامعات كافة وفق خطة مدروسة تسهم في الحد من ظاهرة المعلومات المضطربة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

أكاديمية بي بي سي (2018). محاربة الأخبار الزائفة [مقالة]. استرجع من

<https://www.bbc.co.uk/academy/ar/articles/art20181113103406143>

اليونسكو (2016). اليوم العالمي لحرية الصحافة 2016 [مقالة] استرجع من

<https://ar.unesco.org/lywm-llmy-lhry-lshf-2016/mwdy-lm-206>

اليونسكو (2018). الاتجاهات العالمية على صعيد حرية التعبير وتطوير وسائل الإعلام: التقرير العالمي 2018/2017 ، باريس.

بي بي سي (31 كانون الثاني 2017). مواقع التواصل الاجتماعي "منصات للأخبار الكاذبة" [مقالة]. استرجع من

<http://www.bbc.com/arabic/media-38813499>

تعريف ومعنى خَبَر في معجم المعاني الجامع - معجم عربي. استرجع من

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AE%D8%A8%D8%B1/>

دويتشه فيله (2017/6/1). تحذير من الأخبار الملققة في ألمانيا بعد نبأ كاذب عن إحراق كنيسة [خبر].

استرجع من <https://p.dw.com/p/2VPrd>

سانيتا جيمبرغا وآخرون (2017) ، معجم القراء ، رسالة اليونسكو- تطهير وسائل الإعلام من التلوُّث ، ع 2 ، بلا. PDF صحيفة العرب (08/03/2018) "الأخبار الكاذبة" تقدم خدمة للأنظمة المولعة باستهداف الصحافة [مقالة]. استرجع من

<https://alarab.co.uk/>

عبير حسين (2017/04/21). «الأخبار الكاذبة» تهديد لحق الحصول على الحقيقة [مقالة]. استرجع من

<http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/fa9b7b18-508f-4bf3-bcff-13b97c081d5b>

فاروق أبو زيد (د.ت)، فن الخبر الصحفي ، ط 2 ، عالم الكتب ، القاهرة.

- فرانس 24 (2017/05/03). حرية الصحافة عند أدنى المستويات حتى في أكبر الديمقراطيات [مقالة]. استرجع من <https://www.france24.com/ar/>
- فلاح الياس (12. إبريل. 2017). "الكذب وانشر" - سلاح الأثقياء لتحقيق مكاسب غير شرعية.. فما الحل؟ [مقالة]. استرجع من <https://p.dw.com/p/2b7SO>
- مرعى مذكور (2002)، الصحافة الإخبارية ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .
محمد كمال تولا ، بعض مهارات المراسل التلفزيوني ، سلسلة محاضرات ، pdf .
معهد مونتانيو (03 يونيو 2018). الفيس بوك وتحديات الحصول على المعلومة الصحيحة عبر الإنترنت [مقالة]. استرجع من <https://www.noonpost.com/content/23554>
- منظمة مراسلون بلا حدود (18 ديسمبر 2017). الأخبار الزائفة ، ذريعة للرقابة في أيدي أعداء حرية الصحافة [تقرير]. استرجع من <https://rsf.org/ar/news/les-fake-news-pretexe-a-la-censure>
- Alison Flood (2 November 2017). Fake news is 'very real' word of the year for 2017 [news] . Retrieved from <https://www.theguardian.com/books/2017/nov/02/fake-news-is-very-real-word-of-the-year-for-2017>
- Amol Rajan (16 January 2017). Fake news: Too important to ignore [article] . Retrieved from <https://www.bbc.com/news/entertainment-arts-38636042>
- AJ Willingham, CNN (18 November 2016). Here's how to outsmart fake news in your Facebook feed [article] . Retrieved from <https://edition.cnn.com/2016/11/18/tech/how-to-spot-fake-misleading-news-trnd/index.html>
- Bente Kalsnes (Sep 2018), Fake News, Oxford Research Encyclopedias, Retrieved from <http://oxfordre.com/communication/view/10.1093/acrefore/9780190228613.001.0001/acrefore-9780190228613-e-809>
- BBC (2 November 2017). What is 2017's word of the year? [article] . Retrieved from <https://www.bbc.com/news/uk-41838386>
BBC Academy (15 Mar 2018). Recognising fake news [article] . Retrieved from <https://www.bbc.co.uk/academy/en/articles/art20180313141008154>
- Claire Wardle, First Draft (February 16, 2017). Fake news. It's complicated [article] . Retrieved from <https://firstdraftnews.org/fake-news-complicated/>
- Claire Wardle, Hossein Derakhshan (2017). Information Disorder Toward an interdisciplinary framework for research and policymaking (report). Council of Europe.
- Divina Frau-Meigs (n.d.). Developing a critical mind against fake news [article] . Retrieved from <https://en.unesco.org/courier/july-september-2017/developing-critical-mind-against-fake-news>
- Damien Gayle (14 Oct 2017). Hillary Clinton: Brexit vote was precursor to US election defeat [article] . Retrieved from <https://www.theguardian.com/us-news/2017/oct/14/hillary-clinton-brexit-vote-was-precursor-to-us-election-defeat>
- Ethical Journalism Network (n.d.). The EJN Definition of Fake News [article] . Retrieved from <https://ethicaljournalismnetwork.org/tag/fake-news/page/2>
- Elle Hunt (17 Dec 2016). What is fake news? How to spot it and what you can do to stop it [article] . Retrieved from <https://www.theguardian.com/media/2016/dec/18/what-is-fake-news-pizzagate>
- Forrest Stroud (n.d.). fake news [article] . Retrieved from <https://www.webopedia.com/TERM/F/fake-news.html>
- Fake news (n.d.). Retrieved from https://en.wikipedia.org/wiki/Fake_news
- Harvard Kennedy School (Jan 31, 2018). Stop Calling It Fake News. [article] . Retrieved from

<https://hkspolicycast.org/stop-calling-it-fake-news-6c86f9647e63>

IBRAHIM Altay (19.11.2017). Combatting information disorder [article]. Retrieved from

<https://www.dailysabah.com/readers-corner/2017/11/20/combating-information-disorder>

Julie Posetti, et al. (2018), journalism, 'fake news' & disinformation, UNESCO, France.

JACOB SOLL (December 18, 2016). The Long and Brutal History of Fake News

[article] .Retrieved from <https://www.politico.com/magazine/story/2016/12/fake-news-history-long-violent-214535>

Joshua Habgood-Coote (July 27, 2018). The term 'fake news' is doing great harm [article] .

Retrieved from <https://theconversation.com/the-term-fake-news-is-doing-great-harm-100406>

Jim VandeHei (Oct 21, 2018). 4 ways to fix "fake news" [article] . Retrieved from

<https://www.axios.com/fake-news-fix-suggestions-politicians-social-media-f20fa11b-5a19-4015-bc30-fdc19896ca50.html>

Merriam-Webster (n.d.).The Real Story of 'Fake News' [article] .Retrieved from

<https://www.merriam-webster.com/words-at-play/the-real-story-of-fake-news>

Margaret Sullivan (January 8, 2017). It's time to retire the tainted term 'fake news' [article] .

Retrieved from https://www.washingtonpost.com/lifestyle/style/its-time-to-retire-the-tainted-term-fake-news/2017/01/06/a5a7516c-d375-11e6-945a-76f69a399dd5_story.html?utm_term=.034b0ece6d6c

Margi Murphy (23 October 2018). Government bans phrase 'fake news' [news] .Retrieved

from <https://www.telegraph.co.uk/technology/2018/10/22/government-bans-phrase-fake-news/>

Misinformation (n.d.)..Retrieved from <https://en.wikipedia.org/wiki/Misinformation>

Nadeem Badshah (Mon 8 Oct 2018). BBC chief: 'fake news' label erodes confidence in

journalism [news] . Retrieved from <https://www.theguardian.com/media/2018/oct/08/bbc-chief-fake-news-label-erodes-confidence-in-journalism>

Rory Cellan-Jones (22 September 2017). Fake news worries 'are growing' suggests BBC poll

[news]. Retrieved from <https://www.bbc.com/news/technology-41319683>

SINAN (14/01/2019). Understanding information disorder: three pillars for a new framework

[article] Retrieved from <https://teyit.org/en/understanding-information-disorder-three-pillars-for-a-new-framework/>

Sean O'Grady (9 February 2017). The term 'fake news' isn't just annoying, it's a danger to

democracy [article] . Retrieved from <https://www.independent.co.uk/voices/corbyn-keunssberg-trump-fake-news-danger-to-democracy-a7572176.html>

Taylor Mulcahey (October 26, 2018). As misinformation crisis deepens, 'fake news' becomes

less accurate [article] .Retrieved from <https://ijnet.org/en/story/misinformation-crisis-deepens-fake-news-becomes-less-accurate>

UN News (2018).Human rights experts denounce Trump's attacks against media [news] .

Retrieved from <https://news.un.org/en/story/2018/08/1016222>

منطقة " تيفاست " الأرض والهوية - مقارنة انثروبولوجية.

The region of " Théveste" land and identity- anthropological approach.

أ. عصام براهيم، جامعة - ابي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر

مقدمة:

تكمن أصالة منطقة " تيفاست " التي تمثل الإطار المكاني لهذه الدراسة ، في تنوعها الجغرافي ، ما بين التل والصحراء ، وهو تنوع يوحي بالاختلاف من حيث الطبيعة والمظهر والمناخ ، وبين نمطي عيش متناقضين الزراعة والاستقرار شمالاً والرعي والترحال جنوباً ، ولكنه يحيل أيضاً على التكامل والانسجام باعتبار أن المنطقتين الطبيعيين تشكلان وحدة طبيعية وبشرية متكاملة ، تميزت عبر التاريخ بالارتباط الوثيق والتبعية المتبادلة ، وهو ما سينعكس لا محالة على البنية القبلية في المنطقة ويساهم في نحت خصائصها .

سنحاول من خلال هذه البحث الخوض في دراسة التاريخ المحلي ، لمنطقة من مناطق المغرب الكبير ، وهي منطقة "تيفاست" - تبسة حالياً- هذه المنطقة الطرفية من التراب الجزائري المتاخمة للحدود التونسية ، والتي أثبتت الأبحاث الأثرية أنها من أقدم المناطق التي استقر فيها الإنسان ، كما عدت مدينة تيفاست من بين أقدم مدن شمال إفريقيا ، التي تأسست منذ القرن الرابع ق.م ، كما شكلت المنطقة على مر التاريخ موقع إستراتيجي ، كونها موقعاً مفصلياً هاماً يربط بين التل الشمالي والجنوب الصحراوي وهو خط تقاطع وموقع عبور هام للهجرات وللقوافل التجارية القادمة من البحر عبر الموانئ الجنوبية والشمالية ومعبراً للمنتوجات الوافدة من وإلى عمق الصحراء .

كما نسعى من خلال هذه البحث إلى الحفر في المحلي لرصد الخصوصيات الحضارية وفهم المنطق الداخلي لتاريخ المجتمعات ، بحثاً عن القيم الثابتة لبناء الهوية ، من خلال المقاربة الانثروبولوجية ، هذه المقاربة التي أصبحت الحاجة إليها اليوم أكثر إلحاحاً في ظل أزمة الهوية التي تعاني منها المجتمعات المحلية وفي ظل تأثير المنظومة العالمية الجديدة التي تسعى لتوحيد المفاهيم وتنميط السلوكيات لضرب الهويات المحلية وطمس الخصوصيات الحضارية للشعوب .

أولاً. جغرافية المنطقة: الإنسان والمجال: تقع منطقة تبسة ، في الجنوب الشرقي للقطر الجزائري و"تنحصر المنطقة فلكياً ما بين دائرتي عرض 24 شمالاً إلى 35 شمالاً ، وخط طول 4 شرقاً و6 شرقاً" (عبد السلام بوشارب ، 1998). كانت الإدارة الفرنسية تطلق على الإقليم الجغرافي لمنطقة تبسة "إسم الجنوب القسنطيني" ، ولئن كانت قسنطينة هي المقاطعة الرئيسية للشرق الجزائري وعاصمته الإدارية والاقتصادية ، فإن مدينة تبسة هي عاصمة شرق الشرق الجزائري وبوابته الرئيسية على البلاد التونسية. كما أن منطقة تبسة على حد تعبير (ستيفان غزال. Stéphane Gsell) عبارة عن باب طبيعي بين التل والجنوب ، وموقع إستراتيجي هام ، كونها موقعاً مفصلياً يربط بن الهضاب العليا ، والمجال الصحراوي وهو موقع عبور بين التل الشمالي والجنوب الصحراوي. وخط تقاطع يربط بين منطقتين طبيعيتين مختلفتين ، من حيث الطبيعة والمظهر والمناخ ، وكذلك بين نمطي عيش متناقضين ، في الشمال تغلب الرطوبة ، ونمط العيش المستقر ،

وتمثل الزراعة النشاط الطاعي، في حين تتميز المنطقة الجنوبية بمناخ صحراوي جاف، وبنمط عيش رعوي، يغلب عليه طابع البداوة والترحال.

تبلغ المساحة الإجمالية لمنطقة تبسة 14227 كم²، (علي سلطاني، 1994) وتمثل الجبال 50.42 بالمائة من مساحة الرقعة الجغرافية للمنطقة، فيما تمثل السهول ما نسبته 36.70 بالمائة، وتمثل الهضاب الصحراوية والمنخفضات والفجاج والأودية ما نسبته 12.88 بالمائة" (بيار كاستل، 2010)، وبذلك يتميز المجال في المنطقة بالتنوع والتباين حيث يجمع بين نظامين طبيعيين مختلفين، الإقليم التلي شمالاً والإقليم الصحراوي جنوباً.

يمثل الإقليم الشمالي مجال الهضاب العليا وهو منطقة سهول كبرى متنوعة الارتفاع تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتمثل أجود الأراضي الفلاحية الخصبة بالمنطقة والتي تنتج محاصيل هامة من القمح والشعير. تحيط بهذه السهول كتلتين جبليتين، وتمثل هاتين الكتلتين امتداداً للتواءات المتوازية للمنظومة الجبلية للكتلة الأوراسية، متوسط علو هذه الارتفاعات يتراوح ما بين 1200 و1400م ذات قمم يمكن أن يصل علوها 1600 إلى 1700م.

تتوفر هذه المرتفعات الجبلية على عشرات المغارات الباطنية والكهوف العميقة التي يمكن أن تأوي مئات الأفراد وآلاف الحيوانات ومنها الجمال وقطعان الماشية، إضافة إلى العديد من المغارات والكهوف الصخرية التي تنتشر في جبال المنطقة، لقد كانت هذه المغارات والكهوف الجبلية ملجأ للإنسان ما قبل التاريخ، واستمرت هذه الجبال رغم قساوة مناخها كمناطق معمورة ذات كثافة سكانية مرتفعة تجاوزت أحياناً السهول المتاخمة لها، وبذلك شكلت الجبال تاريخياً مناطق محصنة وملاذاً آمناً للمجموعات البشرية التي استوطنت المنطقة.

من جهة ثانية يمثل الإقليم الصحراوي المجال الواقع جنوب المنطقة، وهو مجال شاسع، تبلغ مساحته حوالي 92000 هكتار، ويمتد على حوالي 200 كلم من الشمال إلى الجنوب، وعلى قرابة 100 كلم من الغرب إلى الشرق. يغلب على هذا الفضاء الجفاف والأراضي القاحلة المستوية والرملية، "(إدريس رائي، 2016).

تخترق المجال الصحراوي شبكة هامة من المسالك، وهي "مسالك قديمة في معظمها، عبدتها قطعان الماشية من أغنام وماعرز وإبل عند تنقلاتها الموسمية بين مناطق التل الرطب صيفاً، والإقليم الصحراوي الجاف شتاء، وكذلك القوافل التجارية الصحراوية العابرة لهذا المجال الشاسع" (الأزهر الماجري، 2013)، ترتبط هذه المسالك بنقاط الماء كالآبار والعيون المتباعدة التي تشكلت حولها مجموعات قروية كما تمحورت حول هذه النقاط المائية المراعي الشتوية للمجموعات الرعوية والتي يكون استقرارها بهذا المجال ظرفياً لارتباطه بحركة الانتجاع الموسمية، كما شكلت هذه النقاط موقفاً هاماً للاستراحة والأمان للقوافل التجارية القادمة من البحر عبر الموانئ الجنوبية للبلاد التونسية كقابس و صفاقس ومعبراً للمنتوجات الوافدة من عمق الصحراء.

عرف المجال الجغرافي للمنطقة علاقة تكامل وانسجام بين التل الشمالي والجنوب الصحراوي بالرغم من تنوع هذا المجال واختلاف طوبوغرافيته بين منطقتين طبيعيتين مختلفتين، وكذلك بين نمطي عيش متناقضين، حيث تغلب في الشمال الرطوبة، ونمط العيش المستقر، وتمثل الزراعة النشاط الطاعي، في

حين تتميز المنطقة الجنوبية بمناخ صحراوي جاف ، وبمنط عيش رعوي ، يغلب عليه طابع البداوة والترحال ، إلا أن المنطقتين الطبيعيين تشكلان وحدة طبيعية وبشرية متكاملة ، تميزت عبر التاريخ بالارتباط الوثيق والتبعية المتبادلة للمجموعات الرعوية المتنقلة ، والمجموعات الزراعية المستقرة ، هذه المجموعات التي نظرت إلى هذا المجال الجغرافي من منطلق التواصل الذي تحكمه الحاجة المشتركة للسكان .

إلا أنه مع مستجدات القرن التاسع عشر سيرف المجال الجغرافي للمنطقة نوعاً من التفكك في نمط العيش ، نتيجة فصل المستعمر الفرنسي بعد سنة 1830 ، منطقة الهضاب العليا عن المجال الصحراوي ، انطلاقاً من تحديد الإقليم الجغرافي للمنطقة من خصائصه المادية وتجاهل أسلوب الحياة المنظم الذي انتهجته المجموعات القبلية على مر التاريخ ، الأمر الذي اضر بعلاقة التكامل والتجانس التي كانت قائمة بين هاتين المنطقتين الطبيعيين .

كان هذا الفصل ومنطق تجزئة الفضاء الذي تبناه الاستعمار يرتكز على اعتبار الفضاء مجرد معطى جغرافي ثابت ومحاييد ، وتجاهل الفضاء كإنتاج اجتماعي متحرك ، كما نظرت لذلك المقاربة الطبيعية ، التي تستند إلى نظرية الحتمية البيئية والتي اعتبرت تطور الثقافات عملية يتكيف الإنسان فيها مع عوامل مناخية أساسية ، وهو ما يؤكد مايك كرانغ (Grange Mice) "أن هذه المقاربة شكلت مبرراً ذاتياً للامبريالية الأوروبية يجعل عملية الاستيلاء السياسي تبدو نظاماً طبيعياً" (مايك كرانغ ، 2005). كما يمكن عد هذا الفصل للمجال الجغرافي امتداداً للنظرة الدونية التي وسمت المخيال الأوربي للقارة الإفريقية . هذه النظرة التي تجسدت في كتابات الجغرافيين القدامى "الذين شددوا على قسوة العوامل الطبيعية وإعاقتها لجميع أشكال تطور الحياة الجماعية وبروز الملكات المفضية للتخضر" (عادل النفاطي ، 2015).

وبذلك يتمظهر مدى التناقض بين رؤيتين مختلفتين للفضاء ، الرؤية الاستعمارية التي تبني على منطق الفصل بين فضاءات جغرافية وديمغرافية وثقافية متكاملة يسيطر عليها أسلوب حياة متماسك وظيفياً ، والرؤية المحلية التي يقودها منطق التواصل ، وتجاوز المدلول الضيق للوسط الطبيعي والتي لا ترى في هذا الفضاء غير امتداد طبيعي وديمغرافي لنفس المجال الذي تحكمه الحاجة المشتركة للسكان من جهة وعلاقات التبعية المتبادلة التي تربطهم من جهة ثانية .

بعد التعرض إلى أهم الخصوصيات الطبيعية لمنطقة تبسة ، سنتطرق إلى أهم المسارات والتجارب التي مرت بها المنطقة عبر تاريخها الطويل والمتنوع ، بدءاً من نشأت واستقرار المجموعات البشرية الأولى وصراعها مع الطبيعة ، وصولاً إلى صراعها مع ثقافة الآخر المستعمر الذي سعى إلى تجريبها من أراضيها ، ومن هويتها عبر سياسة المصادر والاجتثاث والتفكيك .

ثانياً- تاريخ المنطقة: الأرض والهوية:

تُعد منطقة تبسة من أقدم المناطق التي استقر فيها الإنسان ، "حيث أثبتت الأبحاث الأثرية وجود مجموعات بشرية من نوع الإنسان العاقل العاقل (Homo Sapiens Sapiens)" (العربي عقون ، 2008) ، عاشت في المنطقة قبل 30 ألف سنة مضت (محمد الكوخي ، 2014) ، أطلق على هذه الفصيلة البشرية تسمية "الإنسان العاتري" ، وتعد مواقع واد الجبانة ، الاويرة ، والداموس الأحمر في المنطقة مراكز الثقافة العاترية . ومن خلال استقراء المعطيات الأثرية من أدوات وعظام ورماد مطابخ الإنسان العاتري ونوعية الصناعات التي أنتجها ، أكد

الباحثين الأركيولوجيين أن هذه المجموعات البشرية "الإنسان النبادرتالي العاتري" كانت على قدر كبير من التنظيم، مارست الصيد والقتل والجمع والالتقاط معتمدة على المصادر المتوفرة لديها. كما دلت الأبحاث الأثرية أن "الإنسان العاتري النبادرتالي" تمكن من تجاوز مرحلة القنص والصيد إلى استئناس الحيوان ثم الزراعة الأمر الذي مهد له الاستقرار،

تؤكد الشواهد الأثرية أن ظهور الزراعة في منطقة تيفاست - تبسة - قديم يعود إلى النيوليثي وفجر التاريخ وما عرف بثورة إنتاج الطعام، وهذا استناداً لأثار التهيئة الزراعية في موقع تازبنت (العربي عقون، 2008)، إضافة إلى الأدوات الأثرية التي عثر عليها في القطع المهيأة والتي دلت على أن الزراعة في تلك الجهة تعود إلى فترة باكرة، استعملت فيها الأدوات الحجرية. "أما وجود مقبرة ميغاثية في جبل مستري المجاور فدل على وجود استقرار سكاني قديم أقام مجتمع فلاحي نشط، لم تكن الأعمال الزراعية فردية بل كانت تتم في إطار اجتماعي اقتصادي خاص، لا تزال بعض الجوانب منه (زراعة المدرجات) مستمرة في المناطق الجبلية" (قابريل كامبس، 2008)، كانت أقدم زراعة هي زراعة الحبوب (قمح وشعير).

أسس اللوييون منذ القرن الرابع ق.م. مدينة تيفست (تبسة) على السفح الشمالي لجبل الدكان أحد فروع جبال الأوراس، وحسب (ستيفان قزال. S. Gsell): "تعتبر مدينة تبسة من بين أقدم مدن شمال إفريقيا، ومن المرجح، أنه يمكن أن تكون سوقاً كبيرة تطورت إلى مدينة" (العربي عقون، 2008). ويقدر غابريال غامبس (Gabriel Camps) "عدد سكان مدينة تيفست بـ 15000 نسمة على الأقل في القرن الثالث ق.م.، كما امتدت تيفست خلال القرن الثالث ق.م. على 60 هكتاراً" (قابريل كامبس، 2008). ويرجع اسمها الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون -تيفست- حسب الترجمة اللوية القديمة: "بأنها تعني اللبوة- أنثى الأسد-" (علي سلطاني، 1994)، وهي من الحيوانات التي حفلت بها بيئتهم الطبيعية وسكنت قمم جبال الأوراس العالية. ليس من قبل المصادفة، أن تكون تسمية مدينة "تيفست" أنثوية، وربما يرجع ذلك إلى المكانة العالية التي احتلتها المرأة في المجتمعات القديمة، حيث كانت موضع رغبة واحترام ورهبة. تعكس هذه المكانة التماثل التي ابتدعتها الإنسان والتي جسدت صورة المرأة التي ترمز إلى الطبيعة والخصوبة والقوة الإلهية التي تتضمنها المرأة الأم. كانت هذه التماثل تعبيراً عن الديانات الزراعية التي تمحورت حول آلهة واحدة أطلقوا عليها "الأم الكبرى" أو "سيدة الطبيعة"، حيث قدس الإنسان المرأة مثل الأرض باعتبارها الأولى المعطاة وأصبح الاحترام الديني والتقديس لها الأساس في سلطتها وارتفاع مكانتها الدينية والاجتماعية وسياستها للدولة وإدارتها للطقوس الدينية.

يرى باخوفن (Jakob Bachofen) أن الاحترام والتقدير وسيطرة المرأة على المجتمع، ظهر مع بداية اكتشاف الزراعة واستقرار الإنسان على الأرض وظهور الدين، انطلاقاً من فكرة "أن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة"، هذا المبدأ الذي دفع الإنسان إلى تقديس الأرض ومثلها قدس الإنسان الأرض، قدس الأنثى-الأم، وكيف حياته على صورتها لأن الأم هي الأرض-الأصل، والأنثى هي صورة وخليفة للأم الأصل، ولهذا أصبحت مقدسة مثل الأرض باعتبارها الأولى المعطاة، وأصبح الاحترام الديني والتقديس لها الأساس في سلطتها وارتفاع مكانتها الدينية والاجتماعية.

لم يكن المجتمع اللويبي الذي تشكل منذ الألف الثانية قبل الميلاد في صورة المجتمع القبلي في منأى عن تقديس المرأة حيث ابتدع المخيال اللويبي تمثال في هيئة امرأة لها رأس لبوة وهي صورة الإلهة الأم المحلية "تانيت" التي "رأى فيها اللوبيون رمزا للقوى الكامنة في ظاهرة الإخصاب والإنتاج. لقد اعتبرت "تانيت" بالنسبة إلى اللوبيين ، "إلهة الأمومة والطفولة ، وسيدة القمر ، رمز الخصب والسلام والرخاء" (العربي عقون ، 2008). تظهر في بعض النصب وهي تحمل طفلا ، أو تتضرع إلى السماء محاطة بحمامة أو أزهار ورمز الطب Caducée أو نخلة أو رمانة وهي الرموز التي توجد في العديد من النصب إلى جانبها ، وتظهرها نصب أخرى بجسد لبوة وهو شكل استمر إلى الفترة الرومانية.

تؤكد المصادر التاريخية ، "أن الفينيقيين كانوا أول من وصل إلى المنطقة وذلك منذ حوالي 814 ق.م" (احمد عيساوي ، 2005) ، كانت العلاقات بين اللوبيين والفينيقيين خلال المرحلة المبكرة سلمية وودية حيث اتخذت طابعا اقتصاديا. استمرت العلاقات تجارية وسلمية إلى غاية القرن السادس قبل الميلاد حيث بدأت العلاقات تأخذ منحى جديدا. فبعد تغير قرطاج لسياستها من بحرية متنقلة إلى زراعية مستقرة ساءت العلاقة بين الدولة القرطاجية والمجتمع اللويبي نتيجة سيطرت القرطاجيين على ممتلكاتهم الزراعية وفرض الضرائب عليهم ، كما احتكروا التجارة وفرضوا قوانينهم في المبادلات التجارية ، إضافة إلى معاملة اللوبيين على أنهم طبقة ادني من الطبقة القرطاجية.

بلغ توتر العلاقة بين اللوبيين والقرطاجيين أوجه في القرن الثالث ق.م اثر الغزو القرطاجي للمدن اللويبية ، وقد احتفظت النصوص القديمة بغزوة القائد القرطاجي حانون لمدينة تيفست حوالي عام 247 ق.م ، وهي المدينة التي يسميها ديودور هيكاطومبيل(Hecatombylos) أي المدينة ذات المائة باب ، "أخذ منها حنون 3000 رهينة افتداهم أهاليهم فيما بعد ، وهذا دليل على ثراء سكانها وتأمينهم لمبالغ نقدية" (قابرال كامبس ، 2008). وبذلك دخلت تيفست تحت نفوذ قرطاج السياسي سنة 250 ق.م ، لتصبح المدينة مركزاً نشطا في المبادلات التجارية بينها وبين قرطاج ، "قدر عدد سكانها عندما غزاها القائد حانون القرطاجي ب15000 نسمة" (قابرال كامبس ، 2008) على الأقل في القرن الثالث ق.م.

كان للعلاقات الفينيقية اللويبية تأثيرات ثقافية ودينية عميقة الأثر ، استمرت منذ الألف الأولى ق.م إلى غاية القرن الخامس ق.م. في ود واحترام وسلام قبل أن تغير قرطاج سياستها ، حيث استفاد اللوبيين في علاقتهم مع الفينيقين في فك العزلة التي كانوا يعانون منها بسبب بعد منطقتهم الجغرافية عن منطقة حضارات الشرق الأدنى القديم ، كما أدى الاحتكاك الثقافي بين المجتمعين إلى رسوخ ثقافة مزدوجة الطابع: فينيقية ولويبية ، جاءت نتيجة تفاعل العناصر الثقافية الفينيقية مع الثقافة المحلية.

في العهد النوميدي شكلت مدينة تيفست أهم مدن إقليم الماصيل الشرقي للمملكة النوميدي ، "فبعد معركة زاما 201 ق.م ، على حدود تبسة ، انهزمت قرطاج ، وعمد ماسينيسا إلى بناء دولة وطنية على حساب ممتلكات قرطاج ، فأصبحت المنطقة تابعة لدولة ماسينيسا" (احمد عيساوي ، 2005). إلا أن تيفست تمتعت باستقلال ذاتي وإداري لتسيير شؤونها ، في ظل حكم قبلي ظلت تتحكم فيه أعراف القبيلة في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، "حيث كان على رأس المدينة مجلس "كبار الجماعة" Anciens الذي يمسك بزمام السلطة المحلية منذ القرن الثالث ق.م" (قابرال كامبس ، 2008).

شغلت مدينة تيفست قبيلة الموسولان ، والتي امتدت حسب غابريال كامبس في إقليمها "من حوض واد ملاق شرقا ، لتقترب حدودها في الشمال من مداوروش ، وتمتد غربا إلى عين كمال في منتصف المسافة بين تبسة وخنشلة ، وامتدت مضاربيها بين جنوب كرتن وجنوب الأوراس" (قابرال كامبس ، 2008). وصف بلينوس (Gaius Plinius Secundus) قبيلة المزالمة بأنها شعب كبير ، ويرى غامبس أن الموسولان عبارة عن كفيدرالية قبائل ، استقر بعضها داخل المدينة ، وظل العديد من أفراد القبائل يقطنون في الأرياف والقرى الصغيرة المجاورة لقربها من أراضيهم الزراعية.

بعد أن كان المجتمع المحلي ينعم باستقلاله الذاتي في ظل منظومة اجتماعية واقتصادية وسياسية نمت منذ عهد الملوك النوميدي ، حتى أضحي أفراد المجتمع مواطنين مهمشين ومسيطرًا عليهم في ظل الاستعمار الروماني ، الذي سيدوم قروناً طويلة ويحدث تأثيراً عميقاً في المنطقة على كل الصعد. لقد كانت الأرض قضية مركزية في الصراع بين الشعب النوميدي والاحتلال الروماني ، حيث قامت الإدارة الرومانية بنزع الملكية من القبائل ودفعت بها نحو الجبال والسهوب وبيافي الصحراء ، واعتبر القانون الروماني أرض البلاد المفتوحة ملكية عمومية للشعب الروماني ، وكان الاستيلاء على الأرض بموجب حق الفتح من أبرز أهداف الاحتلال الروماني منذ البداية.

كانت قبيلة الموسولان من أوائل القبائل التي تعرضت لنزع الملكية ، حيث تمت مصادرة جميع أراضيها الخصبة والأراضي الرعوية والغابات ، التي امتدت على طول وادي المثل (واد ملاق حالياً) وإجبارها على الرحيل إلى الأراضي الجبلية ، والتخوم الصحراوية ، "وبذلك اعتصم المزالمة في منطقة قسطل ، واستوطن جزء منهم ردحا طويلا من الزمن في جبل الدير وجبل مستيري". مارس جلهم الزراعة واختار العديد منهم صناعة الفخار كرد فعل على رفضهم للزراعة في أراضيهم المحتملة ، كما شكلت مواطنهم في الجبال معقل المقاومة ضد الوجود الروماني ، حيث قاومت قبيلة المزالمة سياسة نزع الملكية وكافة أشكال الحياة التي فككت أوصال القبيلة ، "وثارت ضد التوسع الروماني بقيادة تاكفاريناس 17-24م بأول معركة ضد القوات الرومانية" (محمد الكوخي ، 2014).

هكذا فانه منذ القرن الأول للميلاد ، اعتبرت تيفست مقاطعة رومانية ، شكلت مركزاً استراتيجياً للرومان ونقطة عبور هامة لمختلف المحاصيل القادمة من الجنوب التونسي باتجاه الشمال الإفريقي ، ووصلت إلى أوج ازدهارها الاقتصادي والتجاري والأمني ، "كما عرفت أوج ازدهارها العمراني والحضاري ، بلغ عدد سكانها مائة ألف ساكن ، إذ كانت تعتبر من أعظم بلاد إفريقيا الرومانية ازدحاما بالسكان بعد قرطاجنة" (احمد عيساوي ، 2005).

سنة 212م منح الإمبراطور كركلا حق المواطنة لجميع سكان الامبراطورية ، وعرفانا من أهالي تيفست شيذوا قوس النصر الذي تضمن نصا يعترف بالولاء والشكر لكركلا الذي قدم لهم ترقية اجتماعية وسياسية ، فالروماني بالتجنس أصبح مثل الروماني بالولادة ، "هذا الوضع القانوني الجديد مكن سكان تيفست من اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان والطبقة الأرستقراطية ، بعد أن منحوا الاسم الثلاثي المنصوص عليه في قانون الحالة المدنية الرومانية ، وأصبح لهم حق التملك وارتداء التوجا فخر اللباس الروماني. وإذا كان سكان المدينة قد نالوا المواطنة الرومانية واندمجوا في الوضع الجديد لنيل صفة المواطن الجيد ، فان الريف مركز الثقل

الديمقراطي ظل خارج هذه المواطنة، إذ احتفى المجتمع بأعرافه وتقاليده وانكفأ على نفسه في إطار القبيلة، بعد أن تمكن الاستعمار من تفكيك المقاومة وتبديد قواها.

مع تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، واتساع الهوة تدريجياً بين الطبقة الثرية من المترومنة والعمال الريفيين الأحرار الذين تدهورت أوضاعهم وازدادت سوءاً منذ بداية القرن الرابع، استدعم حركة الاحتجاج الديني (الدوناتيّة) بحركة احتجاج اجتماعية (ثورة الريفيين) واستجد الحركة الأولى في الثانية نعم السند. "سنة 479 م وصل النفوذ الوندالي إلى تبسة" (احمد عيساوي، 2005) كان رجال الدين الدوناتيون يرددون بان اجتياح الوندال هو عقوبة إلهية ضد جبروت الاستعمار الروماني وأعوانه من كبار الملاك وكهنة الكنيسة الكاثوليكية، وبذلك انظم عامة المضطهدين إلى الوندال للانتقام من استعمار خيم أكثر من خمسة قرون من القهر والعبودية، والاستيلاء على أملاكه التي اعتبرت حقوقاً مستردة وبذلك يكون هؤلاء قد استرجعوا أملاك إسلافهم. مع مجيء الاستعمار البزنطي وسيطرته على المنطقة سنة 534م والذي احيا النظام الروماني من جديد، سيواصل الشعب نضاله ضد القهر الاستعماري وصولاً إلى الفتح الإسلامي الذي أحدث انقلاباً جذرياً في المنطقة.

ثالثاً. منطقة تيفاست: نموذجاً للتخالف البربري/العربي: مع بداية القرن الثامن الميلادي، دخلت جيوش الفاتحين المنطقة بعد مد وجزر، حيث شهدت منطقة تيفاست أهم وأكبر مقاومة مسلحة واجهها العرب الفاتحون في شمال إفريقيا، ودخول المنطقة في المجال الحضاري الإسلامي، "ليتم فتح تيفاست نهائياً سنة 81هـ/701 م" (احمد عيساوي، 2005). هذا الفتح الإسلامي الذي أحدث انقلاباً جذرياً في المنطقة، فاندثرت قرطاج ليخلفها القيروان، وتغيرت تسمية النوميدي لتصبح البربر، واختفت تسمية تيفاست التي استمرت طيلة قرون خلال التاريخ القديم، وتحرفت مع مرور الزمن، بعد دخول العرب في السنة العامة، لتنتطق بـتيسة، بفتح التاء وكسر الباء وتشديد السين، حيث جاء ذكرها في أمهات الكتب التاريخية.

وصفها ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، فقال: "مدينة تبسة بفتح التاء وكسر الباء وتشديد السين المهمله، هي بلد شهير من بلدان شمال إفريقيا" (ياقوت الحموي، 1979)، وذكرها الوزير السراج في كتاب الحلل السندسية، فقال: "تبسة بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد السين المهمله هي بلد قديم به آثار الملوك القديمة" (الوزير السراج، 1970)، كما جاء ذكرها كذلك في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الإدريسي "باسم تبسة" (الشريف الإدريسي، 1975). وفي القرن الحادي عشر، كتبها أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك "تبسا" بالألف حيث قال عنها: "إنها مدينة كبيرة كثيرة الفواكه، مبنية بالصخر الجليل على نهر كبير كثير الفواكه والأشجار لاسيما الجوز الذي يضرب به المثل لجلاله وكبره وطيبه، وفيها أقباء يدخلها الرقاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء، يسع القبو الواحد ألفي دابة" (أبي عبيد البكري، 1992). ووصفها ليون الإفريقي بأنها "مدينة عريقة بناها الرومان في تخوم نوميديا بها أسوار عالية متينة سميقة، يسيل قرب المدينة نهر عظيم، يمر جزء منه بالمدينة" (حسن الوزان، 2000)، ووردت بتسميتها الحالية في كتاب تاريخ عبد الرحمان ابن خلدون الذي أكد أن "آثارها قد خرب أكثرها" (عبد الرحمان ابن خلدون، 1983).

تحدث المصادر التاريخية العربية بإسهاب عن عملية الفتح والمقاومة التي واجهها العرب الفاتحون تحت قيادة امرأة كانت تتزعم قبيلة جراوة والتي حاربت وقومها الجيوش العربية في جبال الأوراس بمنطقة تبسة،

هذه الهرة التي سميت بالكاهنة "استطاعت أن تجمع كتل القبائل الزناتية التي واجهت العرب وتكبد العرب خسائر فادحة وأجبرتهم على أقامت اتفاقية صلح لكن البربر بقيادة الكاهنة"، نقضوا الاتفاقية وقتلوا الصحابي الجليل عقبة بن نافع وثلاث مئة من صحبه الكرام، ليعاود المسلمون محاولة فتح تبسة بعد أن أعدوا العدة ونظموا الصفوف بقيادة حسان بن النعمان الغساني سنة 78هـ /698م الذي تمكن من قتل الكاهنة سنة 81هـ /701م (احمد عيساوي ، 2005) وأرسل رأسها إلى السلطان.

بعد انتهاء عهد الفاتحين ، ظلت تبسة تابعة لولاية القيروان تحت ظل الخلافة الأموية في الشام ، إلى غاية فترة حكم دولة الأغالبه الموالية للخلافة العباسية في بغداد ، ثم دخلت تحت نفوذ الدولة الفاطمية ، لتخضع بعدها لحكم المماليك الإسلامية المستقلة بداية بدولة بني زير ثم دولة الرستميين ثم الصنهاجيين . دخلت تبسة بعد ذلك في حكم الفاطميين الشيعة بقيادة أبو عبد الله الصنعاني حيث هاجمها واحتلها سنة 311/365هـ . ليستولي عليها بعد ذلك الهالليون في القرن الحادي عشر ميلادي .

لقد شكلت منطقة تبسة نقطة عبور استراتيجية للقبائل الهلالية باعتبارها باب طبيعي بين التل والجنوب ، وزحفها نحو المناطق الأخرى والقيام بأكبر عملية خلخلة عرفتها البنية القبلية في شمال إفريقيا ، حيث دمروا بشكل كامل التحالفات القبلية التي كانت تقوم عليها الإمارات السابقة ، وتغيير الخريطة القبلية لهذه المجتمعات المبنية على أساس العصبية القبلية ونشوء تحالفات جديدة على أساس الجوار والقرب الجغرافي .

"دخلت تبسة في ظل حكم الحماديين فالمرابطين فالموحدون ، التي بقيت تحت حكمهم إلى غاية 758هـ لحين تمكن الدولة الحفصية من الاستيلاء عليها" (احمد عيساوي ، 2005). عاشت المنطقة في ظل هذه المماليك في فوضى سياسية عارمة تخللتها عدة حروب وصراعات ضد السياسات التعسفية للحكام والولاة من فرض الضرائب والإتاوات ، وبين القبائل العربية الهلالية والقبائل البربرية من جهة أخرى ، ظلت تبسة في مرحلة مد وجزر إلى حين قدوم العثمانيين الأتراك إلى المنطقة سنة 1572م .

وجدت السلطة المركزية لبايك الشرق للإدارة العثمانية صعوبة كبيرة لبسط سيطرتها ونفوذها على المجتمع القبلي ، مع بروز القبيلة كرافضة لسلطة المركز التي حاولت مزاحمتها أو حتى إزاحتها من مجالات نفوذها ، خاصة في إطار الصراع بين أتراك الجزائر وأتراك تونس حول مسألة الحدود والسيادة الترابية ، حيث اعتمدت السلطة المركزية أدوات عديدة لتطويق القبيلة واحتوائها بشتى الوسائل بما فيها الأدوات العنيفة ، والخروق والثغرات في تعامل الأتراك مع السكان بحيث فرضوا عليهم ضرائب ثقيلة وغيرها من التجاوزات .

وفي غمرة الصراع بين الجنود الانكشارية والقبائل الهلالية من جهة والقبائل البربرية من جهة أخرى تحالفت القبائل ضد الأتراك واشتعلت العديد من الثورات بين قبائل المنطقة والأتراك . تذكر المصادر التاريخية أن القبائل الهلالية والقبائل البربرية شكلت حلف بربري عربي أطلق عليه الأتراك تسمية اللمامشة أو النمامشة بعد وقوع معارك بينهم وبين العثمانيين وكانت الحرب سجالا بينهم فصار القائد العثماني يسأل عن القبيلة في كل مرة ويقول: خبروني تلموشي لكي نمضي إليهم؟ فسماهم من ذلك اليوم بالمامشة .

كانت البنية القبلية في المنطقة في عهد الأتراك تتكون من ثلاث مجموعات قبلية ، قبيلة النمامشة ، وقبيلة أولاد سيدي عبيد وقبيلة أولاد سيدي يحيى ، تعتبر قبيلة النمامشة من كبريات قبائل الشرق الجزائري عرفت القبيلة بنزعتها الاستقلالية والتمردية ، ونزعتها القتالية مما جعلها قبيلة مهابة لدى القبائل المجاورة ، كما كانت

قبيلة النمامشة من أكبر القبائل المتمردة على سلطة بايات قسنطينة، شهدت قبيلة النمامشة الكثير من الحملات العسكرية كنوع من الردع والعقاب حيث طاردها علي باشا حاكم تونس سنة 1741، كما قاد صالح باي حاكم قسنطينة (1792-1771) حملة عسكرية ضدها انتهت بفشل ذريع، كما توالى الحملات من شاكر باي حاكم قسنطينة عام 1817 وحملة إبراهيم بن علي باي قسنطينة سنة 1822.

من جهة أخرى تعتبر قبيلة أولاد سيدي يحيى و قبيلة أولاد سيدي عبيد من القبائل الولائية المسالمة وهي عبارة عن عائلات مرابطية تدعي الأصول العربية وخصوصا الانحدار من آل البيت توافدت على المنطقة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، والتي تحولت تدريجيا عبر آلية الدمج والانصهار مع المجموعات المجاورة إلى قبائل محدودة عدديا ذات هوية قبلية دينية، لعبت زاوية سيدي يحيى وزاوية سيدي عبيد دورا هاما في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية في المنطقة، ظلت وسيطا بين السلطة والناس، ورعاية الفقراء والمساكين، وإسعاف اللاجئين وعابري السبيل، كما سعت لقضاء مصالح الطبقات الكادحة والمحرومة ومعالجة أوضاع المريدين في الحواضر والقرى والهداشر "وبذلك لعبت دورا كبيرا في أسلمة الأرياف مع الإبقاء على بعض الممارسات العقائدية السابقة للإسلام التي لا تضر بالإيمان" (العربي عقون، 2010). "لم يشعر سكان المنطقة البتة بالاعتراب الديني عند قبولهم بالإسلام، نظرا لحضور الديانات التوحيدية ضمن الموروث العقدي للمنطقة وعلى الخصوص المذهب الدوناتي".

من جهة أخرى عملت الزوايا على فض النزاعات بين السلطة والقبائل وبين القبائل العربية والبربرية، "وبذلك استطاعت الزوايا إضعاف العصبية القبلية لتحل محلها رابطة جديدة هي "رابطة الأخوة في الدين". هذه الرابطة التي ستساهم في تعريب معظم السهول والمناطق المنبسطة والصحراء في المنطقة في حين ظلت الجبال حصنا منيعا للغة والثقافة الأمازيغية. هكذا لعبت قبيلة أولاد سيدي يحيى وأولاد سيدي عبيد دورا بارزا في المنطقة ورغم أن القبيلتين ظلوا دائما بمنأى عن الخصومات التي كانت تنشب بين الأجوار، إلا أن تحالفهم مع المركز ضمن العلاقات التبادلية التي تحكم الطرفين، وهو ما أشار إليه جورج بالاندي (Georges Balandier) في هذا السياق إلى أن "المقدس والسلطة شريكان في تنظيم المجال والحفاظ على الأمن داخله". كان سببا في تعرض القبيلتين إلى العديد من الغارات خاصة قبيلة أولاد عبيد المحدودة عدديا، والتي لم يشفع لها ووقوفها مع السلطة حيث تعرضت قوافلها التجارية إلى الحجز من طرف صالح باي ومصادرة حمولاتها وكي جمالها بالنار. وبذلك باتت السمة الغالبة على العلاقة بين "المركزي" و"المحلي" هي الصراع و التوتر.

رابعا. في عهد الاستعمار الفرنسي: المنطقة الأولى أوراس النمامشة: وجهت فرنسا في 30 مارس 1846 حملة عسكرية ضخمة لاكتساح منطقة تسعة وإخضاع قبيلة النمامشة، واجهت السلطة الاستعمارية مقاومة عنيفة، اصطبغت بصبغة دينية جهادية، "باعتبار أن رفع راية الجهاد يعطي للمقاومة طابعاً دينياً مقدساً، ينأى بها عن الانتماءات العشائرية الضيقة ويساعد في نهاية الأمر، على تعبئة أكثر ما يمكن من المجموعات القبلية بقطع النظر عن إنتمايتها الأثنية". شارك كل السكان المحليين من نمامشة وأولاد سيدي عبيد وأولاد سيدي يحيى، ضد الكفار المحتلين، حيث تنامى وعيهم "بالأنا الجماعية" في تضاد مع "الأنا الغازية" التي أطلق عليها محليا اسم « الرومي ».

كان من الطبيعي أن يواجه الاستعمار في المنطقة – كما هو الحال دائما عبر التاريخ - بالمقاومة المسلحة ، لكن الاستعمار هذه المرة كان قويا جدا ومتفوقا بدرجة لا تقارن ، ولا طاقة للقبائل على إيقافه أو مقاومته ، فكان قادرا على قلب تاريخ المنطقة رأسا على عقب. كانت القبيلة: "روح المقاومة" ونواتها الصلبة ، حيث شكلت القبيلة عائقا جوهريا أمام التغلغل الفرنسي وكل تغلغل أجنبي عامة لذلك جند المستعمر كل آليات الإخضاع والهيمنة العسكرية والإدارية والقانونية لاجتثاثها وتدمير هياكلها ، وهو ما خضعت له قبيلة النمامشة ، كغيرها من القبائل. خضعت قبيلة النمامشة ، كغيرها من القبائل الجزائرية ، إلى إستراتيجية التفكيك والتقسيم وإعادة التركيب ، حيث دمر الاستعمار الفرنسي المجتمع القبلي بشكل منظم وبطريقة ممنهجة عبر ثلاث إجراءات قانونية كبرى ، تعتبر هذه القوانين الثلاث بمثابة سلاح حرب أشهرته فرنسا في وجه القبائل الجزائرية من اجل اجتثاثها في مرحلة أولى ، وإعادة تركيبها حسب تصوراتها ومصالحها ومنطقها الأمني ، في مرحلة ثانية ، عرفت هذه العملية بسياسة "التدمير من اجل البناء".

كان القائد العسكري (القرو) Allegro (1852-1855) مهندس تقسيم قبيلة النمامشة وتفكيك بنيتها التنظيمية والمجالية ، وضمن هذا السياق التجزيئي تم تقسيم القبيلة ، تعتبر سياسة اجتثاث المجموعات القبلية من مواطنها الأصلية ، وإعادة توطينها بالدواوير المستحدثة وإخضاعها إلى أجهزة رقابة إدارية وأمنية وتغيير شكل استقرارها ، ونمط عيشها ، من اعنف السياسات التي مارستها فرنسا بالجزائر ، والتي كانت لها عدة تبعات ، أبرزها أزمة 1867-1868.

هكذا أدت سياسة الاجتثاث والتهمجير والحصار داخل المحتشدات الجديدة ، إلى التقليل من إنتاج الحبوب ، وامتلاك الحيوانات والتخلي عن مخازن التهمين المتمثلة في المطامير والعولة والتي كانت تلعب دورا أساسيا في مواجهة السنوات الصعبة من قحوط وجفاف ومجاعات ، إضافة إلى السياسة الانتقامية التي اتبعها الجيش الفرنسي والمتمثلة في حرق الأرض وتدمير مخازن الحبوب عقاباً للقبائل الثائرة ، وبذلك القضاء على الحاضن الأساسي للقبيلة وتدمير آليات التضامن بين القبائل ، هذه الآليات التي لعبت الدور الأساسي في مواجهة الأزمات والتخفيف من حدتها ، هذه الأزمات التي لم تكن غريبة عن سكان المنطقة والمجتمعات المغاربية عموما ، ولم تكن تؤدي قبل دخول الاستعمار ، إلى كل هذا الموت والهلاك والانقراض وإخلاء الأرض وترك الأوطان.

بعد تدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التقليدية ، وإلغاء الهياكل التقليدية للقبيلة ومصادرة أراضيها وإقامة الحجز على جزء كبير من ثرواتها ، اعتمدت الإدارة الفرنسية النظام الإداري المعمول به في فرنسا الذي يعتمد على البلديات ، حيث تم ترقية حوز تبسة في عام 1885 إلى بلدية ، وبذلك نجح الاستعمار في تدمير البنية القبلية ، واستبدالها ببنية أخرى حديثة على النمط الأوروبي ، والتي فرضها على المنطقة بالقوة ولم يتأتى ذلك إلا بعد تفكيك البنية الديمغرافية لإحدى كبريات قبائل الشرق الجزائري ، " حيث بلغ تعداد قبيلة النمامشة خلال أواسط القرن التاسع عشر 120.000 نسمة" (الأزهر الهاجري ، 2013) ، اعتصم عدد منهم بالجبال وصحراء النمامشة وهجر العديد منهم إلى الشريط الحدودي والحق بعضهم الآخر بدوائر إدارية مختلفة ، ورضخ العديد منهم مع المجموعات البشرية الأخرى لمنطق الاستعمار واضطروا للخضوع له والتعايش معه كأمر واقع وشر لا بد منه. لقد استطاع المستعمر تحطيم القبيلة مجاليا وإداريا ولكنه لم يستطع

القضاء عليها ذهنياً حيث استطاعت البقاء على المستوى الثقافي- النفسي ، محصنة في إطار العائلة المؤسسة النواة.

تمكن الاستعمار من تحطيم المؤسسات التقليدية ، بعد أن سحق القبيلة تنظيمياً وعسكرياً ، وبالرغم من ما تعرضت له القبيلة من تفكيك على المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، إلا أن الأعراف والتقاليد القبلية استطاعت الصمود والبقاء على المستوى الثقافي- النفسي ، وبقيت القبيلة كأساس للالتحام والتضامن حية على مستوى الأذهان ، وظلت سلطة الفكر القبلي متمنعة عبر العائلة المؤسسة النواة ، "إن غياب القبيلة كمؤسسة اجتماعية واقتصادية ليس معناه غيابها كإطار للانتماء والهوية المحلية" ، لقد تصدعت القبيلة أمام الصدمة التي فرضها الاستعمار ، إلا أن الأعراف القبلية أبانت قدرتها على ضبط السلوك الفردي والجماعي وتوحيد الممارسات حسب قواعد ومعايير يصعب كثيراً على الأفراد الحياد عنها أو تجاهلها.

لقد استطاع الاستعمار فرض منطقته بالقوة من خلال سياسة التسلط على الأراضي ونهبها وسياسة الاقتلاع والاجتثاث والتجويد التي مارسها لزمان طويل ، إضافة إلى زرع الفتنة والتفرقة بين السكان بإقامة المنطق الثنائي الرامي إلى إقامة حدود بين بربر/عرب ، مدينة/بادية ، وخلق طبقة اجتماعية تابعة وغنية ، وتهميش الطبقات المستضعفة. كل هذه الأساليب والأدوات كان هدفها طمس الهوية على المستوى الديني واللغوي من جهة وتجزير الثقافة الأوربية من خلال المشروع الاستطاني التحديثي من جهة أخرى. وأمام العجز عن التأقلم مع الواقع الجديد المليء بالاحباطات ، شكل المجال الثقافي الملجأ الوحيد المتبقي للفرد المعزول والمحروم من ملجأه التقليدي وشبكة الأمان القديمة التي كان يحتمي بها.

في ظل هذا الإحباط والشعور بالدونية والسيطرة والعنف واغتصاب الأرض-الأم ، وتحت وطأة هذا الإحساس الذي لا يطاق ذله ، لم يجد الفرد أمامه سوى الانغلاق والمحافظة بالاندماج الكلي في عائلته عن طريق الإذعان والتمسك بالأعراف والتقاليد بحثاً عن الشعور بالانتماء والإحساس بالأمن والاطمئنان. وبذلك شكل الإطار الديني والثقافي إطار بديل عن الانتماء والهوية ، وبالرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي فرضها الاستعمار على المنطقة بالقوة ، إلا انه لم يستطع أن يغير كثيراً من تقاليد وعادات وثقافة سكان المنطقة. وبقيت البنيات التحتية التي أحدثها الاستعمار في العمق كياناً خارجياً غريباً مرفوضاً من طرف غالبية الناس ، رغم أنهم في النهاية اضطروا للخضوع له والتعايش معه كأمر واقع وشر لا بد منه.

يروى الضباط الفرنسيون انه: "كنا نسأل القبائل لماذا انتم مصرون على الدفاع عن القرى ضد جيش يقوده بوجو (Bugeaud)؟ فيجيبوننا كنا مستعدين للاستسلام أمام هذه القوات الضخمة ، لكن نساءنا كن يرفضن ذلك ويهددن بأنهن سيهجرنا إلى الأبد إذ لم نستمر في الدفاع". هذه هي المرأة اللبوة أو "اللبنة" بالتعبير المحلي التي أنجبت "أسود" الأوراس ، هؤلاء الرجال الذين كبدوا الاستعمار خسائر فادحة في العتاد والأرواح ، وخير دليل على ذلك التسمية التاريخية للولاية الأولى إبان الثورة التحريرية بـ"أوراس النمامشة" نظراً لما شهدته هذه المنطقة من معارك حامية الوطيس قامت على أراضيها ، لتستمر المقاومة التي ضعفت لكنها لم تمت لأنها تبث في الفرد منذ نشأته الأولى ، إلى غاية استعادة الأرض وبزوغ فجر الاستقلال.

خلاصة: لقد نجح الإنسان المحلي في تطويع الجغرافيا وإنتاج نموذج ثقافي يميزه عن الأنموذج الأوروبي الذي حاول المستعمر الفرنسي فرضه بالقوة من خلال إقامة نظام ثقافي مختلف جداً عن النظام الثقافي المحلي

الذي قاومت المجموعات القبلية في المنطقة للمحافظة عليه ، وبذلك يتظاهر مدى التناقض بين رؤيتين مختلفتين للفضاء ، الرؤية الاستعمارية التي تنبني على منطق الفصل بين فضاءات جغرافية وديمغرافية وثقافية متكاملة يسيطر عليها أسلوب حياة متماسك وظيفياً ، والرؤية المحلية التي يقودها منطق التواصل ، وتجاوز المدلول الضيق للوسط الطبيعي والتي لا ترى في هذا الفضاء غير امتداد طبيعي وديمغرافي لنفس المجال الذي تحكمه الحاجة المشتركة للسكان من جهة وعلاقات التبعية المتبادلة التي تربطهم من جهة ثانية.

كانت البنية الاجتماعية القبلية هي السائدة في المنطقة ، وظلت القبيلة تلعب أدوارا كبيرة وحاسمة في الحياة الاجتماعية والثقافية للأفراد ، عرفت تلك البنية عددا كبيرا من التحولات التاريخية الكبيرة التي أدت إلى تفككها وإعادة تركيبها مرات عديدة. لم يكن النسب فيها ورابطة الدم المحدد الوحيد لتشكيلها بل تدخلت في ذلك اعتبارات أخرى أهمها الجوار والتساكن واقتسام المجال الجغرافي المشترك. هذه الاعتبارات التي لعبت دورا هاما في حصول الانصهار السكاني وما يرافقه من انصهار ثقافي ، عبر تقويتها لعلاقات المصاهرة البينية وما يرافق ذلك من اختلاط في الأنساب القبلية القديمة وإعادة تركيب علاقات انساب جديدة وبالتالي ظهور قبائل وأحلاف جديدة ، مرتبطة بميزان القوى الديمغرافي وبذلك يكون العنصر الديمغرافي احد مجالات القوة أو الضعف في المجتمع الجزائري ما قبل الاستعمار.

وبذلك تعتبر قبيلة النمامشة كحفل بربري/ عربي نموذجا متميزا للانصهار الثقافي الذي حدث في المنطقة بين البربر والعرب وبذلك تشكيل أكبر قبيلة في شمال إفريقيا من منطلق "رابطة الأخوة في الدين" وبذلك تفنيد كل الأطروحات القديمة والمعاصرة التي تزعم التفرقة والعداء بين البربر والعرب.

قائمة المراجع:

- أبي عبيد البكري ، "المسالك و الممالك " ، ج2 ، تونس ، 1992 ، ص710.
- احمد عيساوي ، "مدينة تسة وأعلامها" ، دار البلاغة للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2005 ، ص19.
- إدريس رئيسي ، "القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجازة والإغارة (1830-1881)" ، الدار المتوسطة للنشر ، ط1 ، تونس ، 2016 ، ص23.
- الأزهر الماجري ، "القبيلة اللواتية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس 1890-1980 مسار التفكيك واليات المقاومة" ، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار ، تونس ، 2013 ، ص308.
- بيار كاستل ، "حوز تسة" ، ترجمة العربي عقون ، مطبعة بفيجة حسام ، الجزائر ، 2010 ، ص5.
- حسن الوزان ، "وصف إفريقيا" ، ج2 ، ترجمة ، محمد حجي ، محمد الأخضر ، بيروت ، لبنان ، 2000 ، ص431.
- الشريف الإدريسي ، "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" ، دار الكتب ، الجزائر ، 1975 ، ص23.
- عادل النفاتي ، "المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغرب ، حفريات في أدب الرحلة-القرن16" ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2015 ، ص17.
- عبد الرحمان ابن خلدون ، "العبر وديوان المبتدأ والخبر" ، ج07 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1983 ، ص32.
- عبد السلام بوشارب ، "تبسة معالم ومآثر" ، نشر المتحف الوطني للمجاهد ، ص09.
- العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2008 ، ص199-200.
- العربي عقون ، الامازيغ عبر التاريخ: نظرة موجزة في الأصول والهوية ، ط1 ، الدوخي للطباعة والنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، 2010 ، ص49.

- قابريال كامبس ، "في أصول بلاد البربر ماسينسيا أو بدايات التاريخ" ، ترجمة العربي عقون ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، ص 101.
- مايك كرانغ ، "الجغرافيا البشرية" ، ترجمة سعيد منتاق ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 2005 ، ص 24.
- محمد الكوخي ، "سؤال الهوية في شمال إفريقيا ، التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ" ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2014 ، ص 53.
- الوزير السراج ، "الحلل السندسية" ، ج 1 ، الدار التونسية ، تونس ، 1970 ، ص 206.
- ياقوت الحموي ، "معجم البلدان" ، ج 2 ، دار صادر للطباعة والنشر ، لبنان ، 1979 ، ص 13.

تطور الأمن الأوروبي 1648 – 1945 (الانتقال من مبدأ توازن القوى إلى نظام الأمن الجماعي)
Evolution of a European Security 1648 – 1945 (Transition from the principle of balance of
power to the collective security system)

د. بركة محمد ، كلية الحقوق و العلوم السياسية – جامعة سيدي بلعباس – الجزائر

يرى العديد من الكتاب بأن فكرة تحقيق الأمن الجماعي الأوروبي لم تبدأ إلا منذ نشوء الدولة بمفهومها الحديث في أوروبا ، ويجعلون نقطة بدايتها اتفاقية وستفاليا سنة 1648. تحاول هذه الورقة العلمية دراسة أهم المحطات التاريخية والمفصلية في تطور الأمن الأوروبي ودراسة مفهوم كل من سياسة توازن القوى ونظام الأمن الجماعي ، و التحول بالنظام القاري (الأوروبي) إلى نظام عالمي. مبدأ توازن القوى بعد اتفاقية وستفاليا: كان من نتائج ظهور الدول القومية و تأثرها بمبادئ ميكيافلي التي انتشرت بسرعة في إمارات إيطاليا و فرنسا و ألمانيا أن اندلعت الحرب في أوروبا و التي سميت بحرب الثلاثين (1648-1618) بين مجموعتين من الدول الأوروبية. مجموعة كانت توالي الكنيسة المسيحية و تدافع عن بقاء الدول في وحدة تحت لواء الكنيسة ، و مجموعة تدعو إلى الحرية الدينية و الاستقلال عن نفوذ الكنيسة (Onnekink, 2016, p.50-51-52).

تعتبر اتفاقية وستفاليا التي أنهت هذه الحرب نقطة تحول في تطور العلاقات الدولية ، و من أهم ما ترتب عليها إنشاء فكرة التوازن الدولي في أوروبا كوسيلة من وسائل حفظ السلم (هاردت ، ونيغري ، 2002 ، ص 23) و قد عرفه الدكتور غضبان مبروك بأنه "يعبر عن وضعية تواجد الدول في حالة معينة مثل حالة الحرب التي لا يكون فيها غالب أو مغلوب ، أو حالة السلم المشوبة بالحد و التخوف" (غضبان ، 1994 ، ص 342). إلا أن هذا النظام تعرض للكثير من الانتقادات لعجزه عن شرح الواقع ، يقول نيكولاس سبيكمان "لا يوجد هناك أمن حقيقي في كون الدولة قوية كقوة عدوها المحتمل ، هناك أمن فقط في أن تكون الدولة قوية أكثر" (Fiorina, 2016).

فبالرغم من أن مبدأ توازن القوى حكم فعلا العلاقات الأوروبية لأكثر من قرن و نصف قرن من الزمن ، كما أنه منع لمدة تزيد عن ثلاثة قرون انفراد دولة واحدة بالسيطرة العالمية ، إلا أنه انهار في العديد من المرات. لم يصمد نظام توازن القوى عندما حاول ملك فرنسا لويس الرابع عشر التوسع على حساب اسبانيا مفتنما فرصة النزاع حول العرش الاسباني ما بين عامي 1702 و 1713 (Dhondt, 2016, p1) ، لكنه فشل عندما تحالفت معظم الدول الأوروبية (السويد ، النمسا ، بروسيا ، هولندا ، البرتغال و غيرهم) ، و تم عقد معاهدة أوتراخت عام 1713 ، تم بموجبها إعادة تنظيم أوروبا و التأكيد على مبدأ توازن القوى .

ب وفاة لويس الرابع عشر فقدت فرنسا الكثير ، إذ تولى عرشها ملوك ضعاف ليسوا في مقدرة لويس الرابع عشر السياسية أو الحربية. و حينما أثقلت الملكية كاهل الشعب بالضرائب الباهظة فقدت محبة الشعب لها. و كان عليها أن تسلك أحد الطريقتين: إما أن تغير من سياستها ، أو أن تذهب إلى غير رجعة. و لم يكن في استطاعة

الملكية أن تغير من سياستها ، فلويس السادس عشر كان ضعيفا و لم يتحمل المسؤولية (عبد العزيز ، محمود حجر ، 2004 ، ص 27).

أخذت الأحداث تتسارع في فرنسا ففي الرابع عشر من جويلية هاجمت جماهير باريس قلعة سجن الباستيل ، الواقع شرقي العاصمة باريس الذي مثل صورة من صور الظلم الملكي الفرنسي ، بهدف الاستيلاء على الساحة الموجودة فيه ، و مثل ذلك البداية العنيفة للثورة الفرنسية. و أجبر الضغط الشعبي العائلة الملكية للعودة من فرساي إلى باريس حيث أصبحوا رهائن الحركة الثورية. وبعد حملة من الإعدامات حلت الجمعية التشريعية نفسها ، و جرت انتخابات جديدة تمخض عنها المؤتمر الوطني ، الذي استهل جلساته بإلغاء النظام الملكي في 21 سبتمبر 1792 و إعلان قيام الجمهورية ، كما قرر إعدام لويس السادس عشر ، حيث نفذ حكم الإعدام في ميدان الجمهورية في باريس بالمقصلة في 21 يناير 1793 (ذياب خاطر ، 2011 ، ص 53).
ليتم بعد ذلك إعدام زوجته الملكة ماري أنطوانيت في السادس عشر من نوفمبر 1793.

بحلول عام 1799 اعتلى سدة الحكم في الجمهورية الفرنسية أحد ضباط مدفعية لويس السادس عشر يدعى نابليون بونابرت الذي نصب نفسه إمبراطورا على فرنسا ، و ما لبث أن قام بغزو الدول المجاورة لفرنسا ، و نصب إخوته أصهاره ملوكا عليها ، و هكذا انحرف نابليون — في سبيل بناء إمبراطوريته المنشودة — عن مبادئ الثورة الفرنسية ، و على رأسها مبدأ القوميات ، إلى حد أنه نصب ملوكا على دول لا تربطهم بها أية رابطة حتى أنهم كانوا يجهلون لغة شعوبها ، كما جمع في الدولة الواحدة شعوبا تتنافر لغة و حضارة (نصار ، وهبان ، 2003 ، ص 26).

وهكذا اندلعت حرب بين فرنسا و الدول المجاورة لها ، استمرت الحرب حتى عام 1814 ، وفي النهاية دخلت الدول الأربع الكبرى: النمسا و إنجلترا و بروسيا و روسيا ، في محالفة عظمى بموجب معاهدة شومون (Chaumont) في 9 مارس ، و اتفق رأيها أولا على إسقاط نابليون ثم الحيلولة دون عودته هو و أسرته إلى فرنسا ، و قد كان أثر المحالفة مباشرا ، فقد قرر الحلفاء ، لم ينقض شهر مارس ، إعادة آل بوربون إلى فرنسا ، و احتلوا باريس بالفعل في 31 مارس 1814. وفي أبريل تنازل نابليون عن حقه و حق أسرته في العرش ، فجلس الحلفاء ليشكلوا خريطة أوربا من جديد وفقا لأهوائهم (عبد العزيز ، 2000 ، ص 29) ، و في الثالث ماي 1814 ، دخل لويس الثامن عشر باريس ، بينما نفي نابليون إلى جزيرة إلبا في اليوم التالي ، و عندئذ بدأت المفاوضات بين لويس الثامن عشر و الحلفاء لعقد معاهدة باريس الأولى ، أين تم إعادة فرنسا إلى حدودها التي كانت عليها عام 1792. و أصبح من الضروري عقد مؤتمر للتباحث في الشؤون الدولية لأوربا و تسوية النزاعات التي نجمت عن هذه الحروب الطويلة ، و وقع الاختيار على فيينا لتكون مقرا لهذا المؤتمر.

وبينما كانت المفاوضات تجري في مؤتمر فيينا عام 1815 ، بلغت أعضاء أبناء فرار نابليون من جزيرة إلبا و هروب لويس الثامن عشر من باريس ، و لكن المؤتمر واصل اجتماعاته و انتهت فترة المائة يوم باندحار نابليون الأخير في واترلو وإعادة لويس الثامن عشر إلى العرش (البيطار ، 2003 ، ص 222).

وفي 20 نوفمبر تم توقيع معاهدة باريس الثانية التي نصت على أن تدفع فرنسا غرامة حربية قدرها 700 مليون فرنك ذهبي ، و تعويضات أخرى ، كما نصت على أن تقبل فرنسا — لمدة خمس سنوات — قوات

الاحتلال في بعض المقاطعات الفرنسية. وفصلت عن فرنسا جميع الأراضي التي احتلتها في عهد الثورة و الإمبراطورية (المقرحي ، 1996 ، ص 347).

وبعد هزيمة نابليون النهائية تابع مؤتمر فيينا أعماله بشأن إعادة ترتيب شؤون أوروبا ، قام مؤتمر فيينا على أساسين هما: توازن القوى (Balance of power) و التعويضات (Compensation) ، قاعدنا الدبلوماسية في القرن الثامن عشر(عبد العزيز ، 2000 ، ص 34).

وتدعيما لقرارات المؤتمر اتفقت الدول المتحالفة و هي روسيا ، بروسيا ، النمسا ، بريطانيا ، على إقامة نوع جديد لتنظيم العلاقات الدولية و هو إنشاء الحلف المقدس للمحافظة على سلام أوروبا و سلام العالم كله و إقرار التدخل العسكري لتحقيق هذا الهدف إذا لزم ذلك.

وقد أدركت الدول حقيقة التعايش السلمي و التعاون بينها و ضرورة الحفاظ عليهما ، فسعت لإيجاد طرق سلمية لعدم الإخلال بهما ، تمثلت أساساً في اعتماد بعض الوسائل القانونية لحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية كالتحكيم أو الوساطة أو المساعي الحميدة ، و عُقدت العديد من المؤتمرات الدولية لتحقيق هذه الغاية كان أبرزها مؤتمر "لاهاي" عام 1907 الذي جمع 44 دولة (عامر ، 2007 ، ص 53).

حيث ساهمت المؤتمرات الدولية في تعزيز العلاقات الأوروبية آنذاك و تنميتها بين الدول و في اعتماد نظام التمثيل الدبلوماسي الدائم بينها ، كما تم الانتقال من الدبلوماسية التقليدية التي كانت تتسم بإبرام عدد محدود من الدول لمعاهدات بينها إلى دبلوماسية المؤتمرات الدولية التي يشارك فيها عدد أكبر من الدول إضافة إلى منظمات دولية مثلها هو عليه الوضع حالياً (أبو هيف ، 1990 ، ص 28). و هكذا أصبحت المؤتمرات سمة بارزة للدبلوماسية خاصة في الفترة الممتدة ما بين سنة 1840 و 1909 ، لدرجة أن إحدى الدراسات أثبتت أن معدل عدد المؤتمرات وصل إلى 18 مؤتمراً سنوياً (فرج ، 2007 ، ص 38).

لكن أهم هذه المؤتمرات كان مؤتمراً لاهاي الأول و الثاني لعامي 1899 و 1907 ، باعتبارهما كانا سببا في تطور العلاقات الدولية و التنظيم الدولي و باعتبارهما قد وضعا القواعد القانونية الدولية فيما يتعلق بالحرب و السلم و حل النزاعات الدولية سلمياً.

يمكن القول أن مبدأ توازن القوى لعب دوراً لا يستهان به في السياسة الدولية منذ القرن السابع عشر و خاصة منذ معاهدة وستفاليا عام 1648. و قد أعلن للمرة الأولى في معاهدة أوترخت Utrecht عام 1713 بين اسبانيا و انجلترا ، ثم راح يتبوأ مكانه في الوثائق و المحادثات الدبلوماسية في فترة مؤتمر فيينا. ففي معاهدة باريس الموقعة في 30 ماي عام 1814 جاء أن *une paix solide fonde sur une juste répartition des forces entre tes puissances* و ظل مبدأ توازن القوى بعد مؤتمر فيينا يعتبر قاعدة السلوك السياسي الكبير التي ينبغي على الدول التزامها بكل دقة. و في سبيل تحقيق التوازن الأوربي تمسكت أوروبا بمبدأين يضيفان على التوازن الاستقرار الذي تسعى إليه و هما: مبدأ الشرعية *principe de la légitimité* و فكرة التضافر الأوربي Concert Européen(عبد العزيز ، محمود حجر ، 2004 ، ص 12-13). إلا أن هذا النجاح لم يكتب له البقاء بعد أن اندفعت أوروبا و العالم إلى أتون حرب و صفت بالعالمية.

نظام الأمن الجماعي في عهد عصبة الأمم: في 28 جوان 1914 اغتيل ولي عهد الإمبراطورية النمساوية – المجرية الأرشيدوق فرديناند عندما كان يقوم بزيارة لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة. و كان هذا الحادث واحد

من حوادث الاغتيالات السياسية المألوفة إلا أنه سرعان ما انتهى إلى حرب عالمية كبرى (البيطار، 2003، ص1260).

اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى سنة 1914 بين ألمانيا والنمسا والإمبراطورية العثمانية وبلغاريا و المجر من جهة و بين دول الحلفاء فرنسا و إنجلترا و إيطاليا و الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان من جهة أخرى ، و انتهت هذه الحرب بهزيمة المعتدي (الجهة الأولى) و بفرص خمس معاهدات للصلح على الدول الخمس المنهزمة ، و ظلت مؤسسة العلاقات الدولية هامشية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

بمجرد انقضاء الحرب العالمية الأولى ، اجتمعت الدول في مؤتمر "باريس" سنة 1919 ، بغية عقد اتفاقيات الصلح ، و تولدت الفكرة حينها بضرورة إنشاء منظمة دائمة تتولى مهمة الحفاظ على السلم و الأمن في العالم فضلاً عن تنمية العلاقات الدولية و تكريس سياسة التعايش السلمي فيما بينها (اسكندري ، بوغزلة ، 1997، ص47). فعندما انعقد مؤتمر فرساي للسلام سعت الولايات المتحدة إلى توظيف نتائج الحرب لتحويل نمط العلاقات الدولية نحو نموذج يقوم على المثالية بدلا من الواقعية ، عن طريق الضغط باتجاه اعتماد المبادئ الأربعة عشر التي طرحها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون في مجرى الحرب القائمة على تبادل المنافع الجيوبوليتيكية (بسيوني عرفة ، 2011 ، ص18).

بفضل أفكار الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون تم في عام 1919 إنشاء أول منظمة دولية ذات اتجاه عالمي و ذات طابع سياسي هي منظمة "عصبة الأمم" ، يعد إنشاؤها نقطة تحول بارزة في تاريخ العلاقات الدولية ، الأمر الذي أدى إلى ضرورة تنازل الدول عن بعض حقوق السيادة التقليدية ، و وضع القيود على حق اللجوء إلى الحرب لتسوية المنازعات على صعيد العالم من جديد ، و ظهور مبدأ الأمن الجماعي (حمه جان ، 2010 ، ص42-41).

يعتبر الأمن الجماعي نظاما تتعهد فيه الدول الأعضاء في المجتمع الدولي بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية و بالعمل على حل نزاعاتها بالطرق السلمية ، و تلتزم بالعمل الجماعي ، وفقا لقواعد القانون الدولي و ميثاق الأمم المتحدة ، لمواجهة العدوان و غيره من حالات تهديد السلم و الأمن الدوليين أو الإخلال بهما (بن صديق ، 2012 ، ص21). حتى أن عهد عصبة الأمم (المصادق عليه في 28 جوان 1919 و دخل حيز النفاذ في 10 يناير 1920) يجد مصدره في العديد من المبادئ التي تبنتها اتفاقية وستفاليا من قبل (Blin, 2006, p.168) ، لاسيما المواد 10 ، 11 ، 12 ، 16 (Le Pacte de la Société des Nations) <http://digital.library.northwestern.edu/league/le000003.pdf>

Article 10 : Les membres de la Société s'engagent à respecter et à maintenir contre toute agression extérieure l'intégrité territoriale et l'indépendance politique présente de tous les Membres de la Société. En cas d'agression, de menace ou de danger d'agression, le Conseil avise aux moyens d'assurer l'exécution de cette obligation.

Article 11 : Il est expressément déclaré que toute guerre ou menace de guerre, qu'elle affecte directement ou non l'un des Membres de la Société, intéresse la Société tous entière et que celle-ci doit prendre les mesures propres à sauvegarder efficacement la paix des nations.

Article 12 :1. Tous les membres de la Société conviennent que, s'il s'élève entre eux un différend susceptible d'entraîner une rupture, ils le soumettront soit à la procédure de l'arbitrage, soit à l'examen du Conseil. Ils conviennent encore qu'en aucun cas ils ne doivent recourir à la guerre avant l'expiration d'un délai de trois mois après la sentence des arbitres ou le rapport du Conseil.

2. Dans tous les cas prévus par cet article, la sentence des arbitres doit être rendue dans un délai raisonnable et le rapport du Conseil doit être établi dans les six mois à dater du jour où il aura été saisi du différend.

Article 16 : Si un Membre de la Société recourt à la guerre, contrairement aux engagements pris aux articles 12, 13 ou 15, il est ipso facto considéré comme ayant commis un acte de guerre contre tous les autres Membres de la Société.

وعقد العديد من المؤتمرات و المواثيق الدولية في هذا الشأن كميثاق "بريان كيلوج" "Briand Kellogg" لمنع الحرب و اعتبارها جريمة دولية سنة 1928 ، و ميثاق "جنيف" لتسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية في نفس السنة (اسكندري ، بوغزالة ، 1997 ، ص49).

رغم المبادئ التي تعهدت الدول بالالتزام بها ، إلا أن جهود عصبة الأمم في مجال تحقيق السلم ، و تعزيز العلاقات الدولية باءت بالفشل ، نتيجة لتنامي النزعة الاستعمارية لدى الدول الكبرى ، و صارت العلاقات الدولية تقوم على أساس الهيمنة و القوة ، و انهارت بذلك عصبة الأمم عام 1939 مع اندلاع الحرب العالمية الثانية.

نظام الأمن الجماعي في عهد الأمم المتحدة: في أول سبتمبر 1939 هاجمت القوات الألمانية بولندا ، فلم تجد انجلترا و فرنسا إلا إعلان الحرب على ألمانيا ، و هكذا بدأت الحرب العالمية الثانية. و قد اعتبر دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية ، سببا في ظهور المدرسة المثالية ، بل عندما تركت المدرسة الواقعية مسؤولية تسيير الأمور في الدولة على أيدي الدول العظمى ، فإن المثالية الجديدة طالبت بحل القضايا العالمية من قبل الإرادة الجماعية للمجتمع الدولي ، فتم إنشاء هيئة الأمم المتحدة.

كانت الشرارة الأولى لإنشاء منظمة الأمم المتحدة تلك الوثيقة الشهيرة التي وضعها تشرشل وروزفلت ، و التي عرفت بميثاق الأطلسي ، والتي نصت على إيجاد (نظام عام للأمن قائم على قواعد أوسع) ، ثم كانت الخطوة الثانية في شهر يناير سنة 1942 ، في تصريح الأمم المتحدة ، و الذي هيأت مشروعه دائرة الدولة الأمريكية ، و وقته جميع الدول التي تحارب الأنظمة النازية و الفاشية ، ثم الخطوة الثالثة في مؤتمر موسكو في نوفمبر سنة 1943 ، بحضور وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتي ، وقرروا خلاله إحداث منظمة دولية تقوم على أساس المساواة بين جميع الدول المسالمة (الدوري ، 1992 ، ص22).

ثم تم التأكيد على هذا القرار في مؤتمر طهران في نوفمبر 1943 أيضا ، و بحضور روزفلت ، و ستالين ، و تشرشل. وخلال شهر ديسمبر سنة 1943 ، شكلت هيئة دراسات مركزها واشنطن ، و ذلك من أجل وضع المبادئ التي ستقوم عليها المنظمة الدولية "الأمم المتحدة" ، وعملت هذه الهيئة على مرحلتين: الأولى استمرت من 21 إلى 28 من شهر سبتمبر سنة 1944 ، و المرحلة الثانية استمرت من 29 إلى 7 أكتوبر من نفس السنة ، و عقدت الاجتماعات في فندق دومبرتن أوكس بواشنطن ، و نتج عن هذه الاجتماعات الاتفاق على إنشاء

المنظمة الدولية، وأوكل إلى هذه الأخيرة مهام تنظيم العلاقات الدولية، وحفظ السلام في العالم (زاقود، 2012، ص 44).

كما نتج عن ذلك إعطاء الدول الأربع الممثلة في اجتماعات اللجنة بالإضافة لفرنسا، حق العضوية الدائمة في مجلس الأمن. ثم عقد مؤتمر يالطا في فبراير 1945، و تم خلاله الاتفاق على طريقة التصويت التي سبق و أن اختلفوا بشأنها قبل ذلك، و في مؤتمر سان فرانسيسكو في 25 أبريل سنة 1945، واستمر لمدة شهرين، أعد ميثاق المنظمة الدولية الجديدة، بحضور ممثلين عن واحد وخمسين دولة. و الذي تم إقراره في 26 جوان 1945 وأصبح نافذا في 24 أكتوبر 1945، حيث تضمن الميثاق ديباجة و 111 مادة، بالإضافة إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية جزءا متما للميثاق و المكون من 70 مادة.

أعلنت شعوب الأمم المتحدة أنها قد آلت على نفسها أن « نقتد الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف » (ديباجة ميثاق الأمم المتحدة)، وأكدوا على « إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان»، و على ضم « قوانا كي نحفظ بالسلم و الأمن الدولي » (ديباجة ميثاق الأمم المتحدة).

لقد تناول الميثاق في مادته الأولى و الثانية أهداف و مبادئ المنظمة الدولية، فانطلاقا من ديباجة الميثاق و المادة الأولى منه يمكن تحديد أهداف منظمة الأمم المتحدة بأنها، حفظ السلم و الأمن الدوليين، تحقيق التعاون الدولي، إنماء العلاقات الودية بين الأمم، تحقيق التعاون الدولي في الشؤون الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الإنسانية، جعل الأمم المتحدة مرجعا لتنسيق جهود الدول و توجيهها لخدمة الغايات المشتركة (ميثاق الأمم المتحدة)، أما المادة الثانية فنصت على مبادئ الأمم المتحدة كما يلي: "تعمل الهيئة و أعضاؤها في سعيها وراء المقاصد المذكورة في المادة الأولى وفقاً للمبادئ الآتية: تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها.

لكي يكفل أعضاء الهيئة لأنفسهم جميعاً الحقوق و المزايا المترتبة على صفة العضوية يقومون في حسن نية بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق.

يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم و الأمن و العدل الدولي عرضة للخطر.

يمنتع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق و مقاصد "الأمم المتحدة".

يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى "الأمم المتحدة" في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق، كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملاً من أعمال المنع أو القمع.

تعمل الهيئة على أن تسير الدول غير الأعضاء فيها على هذه المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ السلم و الأمن الدولي.

ليس في هذا الميثاق ما يسوغ "للأمم المتحدة" أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، و ليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع".

بتأسيس الأمم المتحدة تكون العلاقات السياسية الدولية قد أخذت منحى جديدا قائما على أساس نبد القوة وعدم استخدامها أو التلويح بها في العلاقات الدولية. إلا أن كثيرا من المبادئ والقرارات لم تترجم إلى الواقع العملي. و هكذا لم تستطع أن تقوم بأداء دورها المنطلق من المبادئ والأهداف التي قامت عليها بشكل كامل (فرج ، 2007 ، ص 42).

فلقد جاهدت المنظمة الدولية ، كي تبقى ودية لميثاقها وملتزمة بالقوانين التي سنت لحماية الأمن الدولي ونشر العدالة بين البشر من خلال الأجهزة والفروع التابعة لها ، ولكن الواقع الدولي ، وصراع القوى الكبرى ولعبة التوازن والمصالح الخاصة بهذه القوى ، أثرت جميعها مباشرة على دور المنظمة وفعاليتها ، لابل كانت في صميم إنشائها وتركيبها. فالمنظمة ولدت كتعبير عن "تحالف متوازن" بين القوى الكبرى المنتصرة في الحرب وإرادتها ومصالحها ، عبرت عنه من خلال أجهزة المنظمة ، وتوجهاتها العامة ، سواء في هيكلتها البنوية ، أم في إطار عملها ، وقدرتها على فرض قوانينها ، وتطبيقها في ما بينها ، وعلى الدول الأخرى (علو ، 2007 ، ص 95).

أصبحت العلاقات الدولية تدور حول محورين رئيسيين أحدهما العلاقات الأمريكية – السوفيتية أو العلاقات بين الشرق والغرب ، و الآخر العلاقات بين الشمال والجنوب أو بين الدول الغنية والدول الفقيرة أو دول العالم الثالث. وإذا كان العلاقات في المحور الأول تدور حول خلافات وقضايا سياسية وإيديولوجية تتبلور بصفة خاصة في مشاكل الأمن القومي والعسكري والحد من الأسلحة الإستراتيجية ومناطق النفوذ ، فإن العلاقات في المحور الثاني قد أخذت صبغة اقتصادية لأنها ركزت على العلاقات الاقتصادية الدولية و مشاكل التنمية التي تواجه العالم الثالث (العقابي ، 2010 ، ص 62).

أثارت انتهاء مرحلة الحرب الباردة وزوال نظام القطبية الثنائية والتطورات التي حدثت بعد ذلك جدلا فكريا وسياسيا حول مستقبل العلاقات الدولية في المرحلة الراهنة و آفاق النظام العالمي الجديد الذي بشر به بعد الحرب الباردة. ولكن مع ذلك يمكن أن يلخص أبرز ملامحها في أن العلاقات الدولية تمر بحالة من السيوولة والغموض ، و تزايد التناقضات في المجتمع الدولي بين الاتجاه إلى العولمة والتكامل ، و بين ظواهر التفنيت والتشردم ، و تراجع الأهمية النسبية لعوامل القوة العسكرية في مقابل القوة الشاملة للدولة ، و تنامي أهمية العامل الاقتصادي والتكنولوجي ، و زيادة ظاهرة الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول ، و انسحاب المفهوم التقليدي للسيادة القومية المطلقة للدولة ، و بروز قيم سياسية واجتماعية كالديمقراطية و حقوق الإنسان و البيئة و المجتمع المدني (طلعت ، 1998 ، ص 8).

لقد أصبح العالم يقف على أعتاب مرحلة جديدة تؤثر على مسار حركة الأحداث وأنماط التفاعل بين القوى و المجتمعات السياسية الدولية و العالمية و الإقليمية على حد سواء ، وبدأت طبيعة النزاعات و الصراعات تتغير بسرعة حيث أصبحت هناك زيادة و تعقيد في أعداد هذه الأزمات ، و بدأت التصورات المختلفة لشكل العلاقة المستقبلية ، و هل هناك إمكانية للتصدي للمشكلات الدولية كالبينة و التلوث و الطاقة و الأمراض و الإرهاب و التنمية.

قائمة المراجع :

أبو هيف ، علي صادق (1990). القانون الدبلوماسي. منشأة المعارف. الإسكندرية. جمهورية مصر العربية.
اسكندري ، احمد ، وبوغزالة ، ناصر (1997). القانون الدولي العام. مطبوعات الكاهنة. الجزائر.

- البيطار ، فراس(2003). الموسوعة السياسية والعسكرية. ج 1. دار أسامة للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- الدوري ، عدنان طه مهدي(1992). العلاقات الدولية المعاصرة. منشورات الجامعة المفتوحة. طرابلس. ليبيا.
- العقابي ، علي عودة(2010). العلاقات الدولية ، دراسة تحليلية في الأصول و النشأة و التاريخ و النظريات. ط 1. دار الرواد للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان. بغداد. العراق.
- المقرحي ، ميلاد أ(1996). تاريخ أوروبا الحديث 1453 – 1848. ط 1. منشورات جامعة قار يونس. بنغازي. ليبيا.
- بسيوني ، عبير عرفة علي رضوان(2011). السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي و العشرين. ط 1 ، دار النهضة العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- بن صديق ، محمد(2012). الأمن الجماعي و التطورات الدولية المعاصرة. ط 1. دار النهضة العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- حبه جان ، بيشرو(2010). تطور القانون الدولي العام في ظل تطور النظام العالمي الجديد. منشورات مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية. السلبيانية. العراق.
- ذياب خاطر ، نصري(2011). تاريخ أوروبا الحديث. ط 1. الجنادرية للنشر و التوزيع. عمان. الأردن.
- زاقود ، عبد السلام جمعة(2012). العلاقات الدولية في ظل النظام العالمي الجديد. ط 1. دار زهران للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- طلعت ، عبد المنعم(1998). إدارة المستقبل ، الترتيبات الآسيوية في النظام العالمي الجديد. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- عامر ، صلاح الدين(2007). مقدمة لدراسة القانون الدولي العام. دار النهضة العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- عبد العزيز عمر ، عمر(2000). تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. جمهورية مصر العربية.
- عبد العزيز ، عمر ، و حجر ، جمال محمود(2004). صورة من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. جمهورية مصر العربية.
- غضبان ، مبروك(1994). المجتمع الدولي: الأصول و التطور و الأشخاص (منظور تحليلي تاريخي و اقتصادي و سياسي و قانوني). ج 1. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- فرج ، أنور محمد(2007). نظرية الواقعية في العلاقات الدولية – دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة-. ط 1. مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية. السلبيانية. العراق.
- نصار ، ممدوح ، ووهبان أحمد(2003). التاريخ الدبلوماسي ، العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815 – 1991. ط 1. كتب عربية للنشر الإلكتروني. الإسكندرية. جمهورية مصر العربية.
- هاردت ، مايكل ، ونيغري ، أنطونيو ، تعريب جتكر فاضل(2002). الإمبراطورية -إمبراطورية العولمة الجديدة-. ط 1. مكتبة العبيكان. المملكة العربية السعودية.
- علو ، أحمد(2007). "إستراتيجية الأمن الجماعي ما بين تعدد الأقطاب و القطب الواحد". مجلة الدفاع الوطني اللبناني: 62: 85-125.
- ميثاق الأمم المتحدة الموقع في 26 جوان 1945 ، المعدل ديسمبر 1963 ، المعدل ديسمبر 1965 ، و دخل حيز النفاذ في 12 جوان 1968.
- Blin, A. (2006). 1648, La paix de Westphalie ou la naissance de l'Europe politique moderne. Edition Complexe. Bruxelles. Belgique.
- Onnekin, D. (2016). War and Religion after Westphalia, 1648–1713. Routledge. New York. USA.
- Fiorina, Jean-François. (2016). "CLES – Comprendre Les Enjeux Stratégiques –" Note hebdomadaire d'analyse géopolitique n° 189.
- Dhondt, F. (2016). "Les traités d'Utrecht et la hiérarchie des normes". Working papers. CONTEXTUAL RESEARCH IN LAW. VRIJE UNIVERSITEIT BRUSSEL. BRUSSEL.

آليات مكافحة الجريمة السيبرانية في التشريع الجزائري Mechanisms to combat cybercrime in Algerian legislation

د. النحوي سليمان

أ. طاهري عبد المطلب

كلية الحقوق جامعة الأغواط -الجزائر

مقدمة:

لقد أدى التطور التكنولوجي في هذا العصر إلى ظهور وسائل تقنية حديثة ومتطورة ، لعل أهمها جهاز الحاسب الآلي وشبكة الانترنت ، وعملت هذه الوسائل على تغيير حياة الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية حتى أصبحت من ضروريات الحياة لما تقدمه من خدمات متنوعة . وعلى الرغم من الدور الإيجابي الذي تمارسه هذه الوسائل إلا أنها لا تخلو من السلبيات ، وتتمثل هذه السلبيات في ظهور مجموعة من الجرائم ترتبط ارتباطا وثيقا بهذه الأجهزة والشبكات ، اصطلح على تسميتها بالجرائم السيبرانية ، بحيث أصبحت في وقتنا الحاضر خطرا حقيقيا يهدد مصالح الأفراد والدول في جميع المجالات ، وأصبح لزاما على الدول مواجهة هذا التهديد بسن قوانين تجرم هذه الظاهرة ، وتستحدث قواعد إجرائية تتماشى مع طبيعة هذه الجريمة ، وتعد الجزائر من بين الدول التي سارت على هذا النهج من خلال تعديل قوانينها انطلاقا من تعديل قانون العقوبات من خلال القانون رقم 06-23 المؤرخ في 20-11-2006 وإدراجه لجريمة المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات ضمن نطاق التجريم ، وصولا إلى القانون رقم 09-04 المؤرخ في 05-08-2009 المتضمن للقواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها ، والذي أتى بآليات مستحدثة تتماشى مع طبيعة الجريمة السيبرانية ، وفي هذا الإطار يمكن أن نطرح التساؤل الآتي:

ما هي الآليات الإجرائية التي أقرها المشرع الجزائري لمكافحة الجريمة السيبرانية؟

وللإجابة على هذا التساؤل ، اعتمدنا الخطة التالية:

المبحث الأول: الوسائل الإجرائية التقليدية وصلاحياتها في مكافحة الجريمة السيبرانية

المطلب الأول: التفتيش وضبط الأدلة الجنائية في البيئة الرقمية

المطلب الثاني: المعاينة في البيئة الرقمية

المطلب الثالث: الخبرة في مجال الجريمة السيبرانية

المبحث الثاني: الوسائل الإجرائية المستحدثة لمكافحة الجريمة السيبرانية

المطلب الأول: اعتراض المراسلات

المطلب الثاني: نظام التسرب

المطلب الثالث: نظام المراقبة الإلكترونية

المبحث الأول: الوسائل الإجرائية التقليدية وصلاحياتها في مكافحة الجريمة السيبرانية
لطالما أثارت الإجراءات التقليدية جدلا فقهيا كبيرا من ناحية صلاحيتها في البيئة الرقمية، وسنكتفي في هذا المقام بدراسة الإجراءات التقليدية المتمثلة في التفتيش والمعاينة والخبرة، وذلك لعلاقتها المباشرة بالبيئة الرقمية وقابلية تطبيق قواعد هذه الإجراءات، ومن جهة أخرى سنستبعد الشهادة والاعتراف والاستجواب باعتبارها لا تثير أي صعوبات في اتخاذها نظرا لخضوعها للقواعد العامة المقررة لها قانونا.

المطلب الأول. التفتيش وضبط الأدلة الجنائية في البيئة الرقمية: يعتبر التفتيش من أهم إجراءات التحقيق، لأنه غالبا ما يسفر عن أدلة مادية تؤيد نسبة الجريمة إلى المتهم، فيعرف التفتيش بصفة عامة بأنه: "البحث في مكنون سر الأفراد عن دليل للجريمة المرتكبة، أو هو البحث عن الدليل..."، وعرف أيضا بأنه: "البحث عن الأشياء المتعلقة بالجريمة لضبطها وكل ما يفيد في كشف حقيقتها ويجب أن يكون للتفتيش سند من القانون"، وعليه يتضح أن التفتيش ما هو إلا وسيلة إجرائية تستهدف ضبط أشياء مادية تتعلق بالجريمة وتفيد في كشف حقيقتها، إلا أن ذلك يتنافر مع طبيعة الجريمة السيبرانية، وهو ما يدفعنا لطرح السؤال التالي: ما مدى قابلية أنظمة الحاسب الآلي وشبكاته للتفتيش؟.

أولا. مدى خضوع أنظمة الحاسب الآلي للتفتيش: يقصد بالتفتيش في البيئة الرقمية إجراء يسمح بجمع الأدلة المخزنة أو المسجلة بشكل إلكتروني، أو هو التفتيش عن معطيات الحاسب الآلي غير المادية والمخزنة في الجهاز أو المخزنة في الأقراص (نعيم سعيداني، 2013، ص 178)، وبناء على ذلك يمكن القول أن تفتيش أنظمة الحاسب الآلي يكون بإحدى صورتين:

الصورة الأولى: تتمثل في تفتيش المكونات المادية لجهاز الحاسب الآلي، والمكونات المادية عبارة عن مجموعة من الوحدات المتصلة فيما بينها بشكل يجعلها تعمل كنظام متكامل وهي: وحدات الإدخال مثل الفأرة ولوحة المفاتيح، ووحدات الإخراج مثل شاشة الحاسب الآلي والطابعة، وأخيرا وحدة الذاكرة. وبناء على هذه الصورة لا توجد أي صعوبة عند معاينة القائمين على التفتيش لمسرح الجريمة الواقعة على المكونات المادية للحاسب الآلي، نظرا لعدم التعارض بين تفتيش المكون المادي لجهاز الحاسب الآلي، مع مفهوم التفتيش التقليدي، لأنه يمثل في ذاته بحثا عن الأدلة المادية، وكل ما يتطلبه إجراء التفتيش في هذه الحالة أن يتم وفقا للقواعد القانونية التي تحكم هذا الإجراء.

الصورة الثانية: تتمثل في تفتيش المكونات المعنوية لجهاز الحاسب الآلي، والمكونات المعنوية عبارة عن مجموعة من البرامج والأساليب المتعلقة بتشغيل وحدة معالجة البيانات، وتنقسم إلى كيانات أساسية تضم البرامج الضرورية التي يتم من خلالها تشغيل واستخدام جهاز الحاسب الآلي، وكيانات تطبيقية تضم برامج يمكن للمستخدم من أن ينفذ بواسطته عملا معينا (ممدوح عبد الحميد عبد المطلب، 2006، ص 69).

وبناء على الصورة الثانية، فقد ثار خلاف فقهي حول إمكانية تفتيش العناصر المعنوية و غير المادية للحاسب الآلي، إذ رأى جانب من الفقه أنه متى كانت الغاية من التفتيش ضبط الأدلة المادية التي تقيد في الكشف عن الحقيقة، فإن هذا المفهوم يمتد حتى يشمل جميع المعلومات والبيانات الرقمية بمختلف أشكالها (نعيم سعيداني، 2013، ص 177)، وسبب ذلك أن القوانين الإجرائية عندما تنص على إصدار الإذن بضبط أي

شيء، فإن ذلك يجب تفسيره بحيث يشمل جميع المعلومات والبيانات المادية أو المعنوية (مصطفى محمد موسى، 2005، ص 192)

ومن جهة أخرى ذهب رأي آخر إلى عدم انطباق المفهوم المادي على بيانات الحاسب الآلي غير المحسوسة (المعنوية)، لذلك فإنه يقترح لمواجهة هذا القصور التشريعي النص صراحة على أن تفتيش الحاسب الآلي لا بد أن يشمل المواد المعالجة عن طريق الحاسب الآلي أو بياناته (نبيلة هبة هروال، 2007، ص 199).

وعليه، يتضح موقف المشرع الجزائري من خلال القانون 04-09 المتعلق بالقواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها، إذ نص صراحة على تفتيش أنظمة الحاسب الآلي، وذلك بموجب نص المادة 05 منه، بحيث يجوز للسلطات القضائية المختصة وكذا ضباط الشرطة القضائية، في إطار قانون الإجراءات الجزائية، الدخول بغرض التفتيش ولو عن بعد إلى منظومة معلوماتية أو جزء منها وكذا المعطيات المعلوماتية المخزنة فيها، وكذا منظومة تخزين معلوماتية.

ثانياً. مدى خضوع شبكات الحاسب الآلي للتفتيش: مما لا شك فيه أن طبيعة الجريمة السيبرانية قد زادت من الصعوبات التي تواجه القائمين على هذا الإجراء، فالبيانات التي تحتوي على أدلة قد تتوزع عبر شبكات الحاسب الآلي في أماكن قد تكون على مسافات بعيدة عن الموقع المادي الذي يتم فيه التفتيش، كما قد يكون الموقع الفعلي للبيانات والمعلومات ضمن الاختصاص القضائي لدولة أخرى، وهو ما يعقد ويصعب من هذه العملية، وعلى هذا الأساس نميز بين احتمالين اثبتين في تفتيش شبكات الحاسب الآلي:

الاحتمال الأول: أن يكون الحاسب الآلي للمشتبه فيه أو المتهم متصلاً بحاسب آلي آخر أو نهاية طرفية موجودة في مكان آخر داخل الدولة، وبناء على هذا الاحتمال الذي يشكل عائقاً أمام السلطات القائمة على التفتيش، عمدت بعض التشريعات الإجرائية إلى حل هذه المشكلة من خلال نصها على إجازة تفتيش أنظمة الحاسب الآلي، وتسجيل كل البيانات اللازمة كأدلة إثبات لإدانة المتهم أمام المحكمة، وهو نفس المسار الذي اتخذه المشرع الجزائري، (عبد الله أوهابيه، 2008، ص 266).

إذ نص في الفقرة الثانية من المادة 05 من القانون رقم 04-09 على أنه "في حالة تفتيش منظومة معلوماتية أو جزء منها وكذا المعطيات المعلوماتية المخزنة فيها، إذا كانت هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن المعطيات المبحوث عنها مخزنة في منظومة معلوماتية أخرى، وأن هذه المعطيات يمكن الدخول إليها انطلاقاً من المنظومة الأولى، يجوز تمديد التفتيش بسرعة إلى هذه المنظومة أو جزء منها بعد إعلام السلطة القضائية المختصة مسبقاً بذلك".

الاحتمال الثاني: اتصال الحاسب الآلي للمشتبه فيه أو المتهم بحاسب آلي آخر أو نهاية طرفية موجودة في مكان آخر خارج الدولة، وهو أن يقوم مرتكبي الجريمة السيبرانية بتخزين بياناتهم في أنظمة معلوماتية خارج إقليم الدولة بهدف عرقلة سلطات التحقيق في جمع الأدلة (خالد ممدوح إبراهيم، 2009، ص 182)، لذا ولحل هذه المسألة يمكن القول أن تفتيش أنظمة الحاسب الآلي العابر للحدود لا بد أن يتم في إطار اتفاقيات تعاون ثنائية أو دولية تميز هذا الامتداد، وبالتالي لا يجوز القيام بذلك التفتيش العابر للحدود في ظل غياب تلك الاتفاقية، أو على الأقل الحصول على إذن من الدولة الأخرى (نبيلة هبة هروال، 2007، ص 223)، ولمواجهة هذا الاحتمال نجد أن المشرع الجزائري قد أجاز تفتيش الأنظمة المتصلة حتى ولو كانت متواجدة

خارج الإقليم الوطني ، وهو ما نصت عليه الفقرة الثالثة من المادة 05 من القانون 04-09 السابق الذكر ، بحيث " إذا تبين مسبقاً بأن المعطيات المبحوث عنها والتي يمكن الدخول إليها انطلاقاً من المنظومة الأولى ، مخزنة في منظومة معلوماتية تقع خارج الإقليم الوطني ، فإن الحصول عليها يكون بمساعدة السلطات الأجنبية المختصة طبقاً للاتفاقيات الدولية ذات الصلة ووفقاً لمبدأ المعاملة بالممثل " .

ثالثاً. إمكانية ضبط الدليل الجنائي في البيئة الرقمية: يترتب على التفتيش نشوء الحق في ضبط الأشياء التي تفيد في الكشف عن الجريمة المرتكبة ، وذلك بوضع اليد على أي شيء يتصل بالجريمة التي وقعت من أجل الكشف عن الحقيقة وعن مرتكبها(خالد عياد الحلبي ، 2011 ، ص 157).

وفي هذا الصدد لا تثير عملية الضبط أي صعوبة إذا ما تعلق في ضبط المكونات المادية للحاسب الآلي ، بل يقع الإشكال في مدى صلاحية العناصر و المكونات المعنوية للضبط ، لهذا فقد انقسم الفقهاء في هذا الأمر إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لا يمكن تصور إجراء الضبط على الكيانات المعنوية وذلك لانفء الكيان المادي عنها ، بالإضافة إلى أن البيانات والمعلومات لا تعتبر من قبيل الأشياء المادية ، وبالتالي لا يقع الضبط عليها ، ولتجاوز هذا الإشكال اقترحوا أن يتدخل المشرع ويوسع من دائرة الأشياء التي يمكن أن يرد عليها الضبط ، لتشمل جميع البيانات والمعلومات الرقمية بكافة أنواعها(بكري يوسف بكرى ، 2011 ، ص 67).

الاتجاه الثاني: يرى أنصار هذا الاتجاه أنه لا يوجد ما يمنع من أن يرد الضبط على البيانات والمعلومات الرقمية ، وذلك أن الغاية من التفتيش هو ضبط الأدلة المادية التي تفيد في كشف الحقيقة ، وبالتالي يمتد هذا المفهوم ليشمل جميع البيانات الرقمية بمختلف أشكالها(خالد عياد الحلبي ، 2011 ، ص 158).

وعليه تدخل المشرع الجزائي لحل هذا الإشكال ، وذلك ما نص عليه في المادة 06 من القانون 04-09 ، بحيث " عندما تكتشف السلطة التي تباشر التفتيش في منظومة معلوماتية معطيات مخزنة تكون مفيدة في الكشف عن الجرائم أو مرتكبها ، وأنه ليس من الضروري حجز كل المنظومة ، يتم نسخ المعطيات محل البحث ، وكذا المعطيات اللازمة لفهمها على دعامة تخزين إلكترونية تكون قابلة للحجز والوضع في أحرار وفقاً للقواعد المقررة في قانون الإجراءات الجزائية " ، زيادة على ذلك ونظراً إلى الطبيعة التقنية والفنية التي تميز الدليل الجنائي ، فإن عملية الضبط تستوجب بعض الإجراءات الخاصة لحمايته والحفاظ عليه من العبث والتلف ، وهو ما نص عليه المشرع من خلال نص المادة 06 في فقرتها الثانية من القانون رقم 04-09 " إذ يجب في كل الأحوال على السلطة القائمة على التفتيش والحجز السهر على سلامة المعطيات في المنظومة المعلوماتية التي تجري بها العملية " ، ومن بين هذه الإجراءات: ضبط الدعائم الأصلية دون نسخها ، عدم تعريض الأقراص والأشرطة الممغنطة لدرجات الحرارة العالية ولا إلى الرطوبة ، وأيضاً عدم الضغط عليها بوضع أشياء ثقيلة .

المطلب الثاني. المعاينة في البيئة الرقمية: يقصد بالمعاينة في علم التحقيق الجنائي "مشاهدة المكان الذي ارتكبت فيه الجريمة وعمل وصف شامل له ، سواء بالكتابة أو بالرسم التخطيطي أو بالتصوير لإثبات حالته بالكيفية التي تركها بها الجاني " (علي حسن محمد الطوالة ، 2008 ، ص 19) ، لذا تعتبر المعاينة وسيلة جد

هامة لتكوين الفكرة الأولى عن كيفية ارتكاب الجريمة ، بالإضافة إلى أنها تعد من أهم مصادر الأدلة الجنائية المادية ، ولكن هل يمكن أن نتصور القيام بإجراء معاينة في البيئة الرقمية؟ .

أولا. صلاحية المعاينة في كشف وضبط الأدلة الجنائية: بالرغم من أن المعاينة تعتبر من أهم إجراءات التحقيق ، إلا أن البعض يرى أن دورها يتضاءل في الكشف عن الجريمة السيبرانية ، وسبب ذلك أن الجريمة التقليدية تجري غالبا على مسرح جريمة تخلف آثار مادية ، وهذا المسرح يعطي المجال أمام جهة البحث والتحري في الكشف عن غموض الجريمة ، على عكس مسرح الجريمة السيبرانية الذي يتضاءل فيه دور المعاينة ، بسبب أن هذا النوع من الجرائم قلما يترك آثار مادية ، بالإضافة إلى إمكانية التلاعب في الأدلة عن بعد عن طريق محوها أو إتلافها ، وعليه يمكن القول أنه ينبغي على القائمين بعملية المعاينة التعامل مع مسرح الجريمة السيبرانية على أنه مسرحان: (بكري يوسف بكري ، 2011 ، ص 68).

مسرح تقليدي (مادي): ويشمل هذا المسرح جميع المكونات المادية للحاسب الآلي ، ويمكن أن يحتوي على آثار مادية مثل بصمات الجاني أو وسائط تخزين رقمية ، أو أوراق .
مسرح افتراضي (رقمي): ويقع داخل العالم الافتراضي (الرقمي) لجهاز الحاسب الآلي ، ويحتوي على جميع المعلومات والبيانات الرقمية المخزنة فيه والتي تفيد في التحقيق .

ثانيا. إجراءات المعاينة في البيئة الرقمية: حتى تصبح لمعاينة مسرح الجريمة السيبرانية فائدة عملية في الكشف عن ملابسات الجريمة ، ينبغي مراعاة العديد من الإجراءات والخطوات الفنية ، منها ما يكون قبل القيام بإجراء المعاينة ، ومنها ما يكون بعدها .

الإجراءات والخطوات الفنية المتخذة قبل القيام بإجراء المعاينة: عادة ما تكون هذه الإجراءات والخطوات تحضيرية ، غرضها تهيئة الوسائل البشرية والمادية للقيام بإجراء المعاينة ، ويتم ذلك بإعداد خطة عمل تحتوي على إعداد شامل للأدوات المستعملة في المعاينة ، وتقسيم المهام بين الفنيين القائمين على هذا الإجراء (علي حسن محمد الطوالة ، 2008 ، ص 24) ، بالإضافة إلى توفير معلومات مسبقة عن مكان الجريمة وعن نوع وعدد الأجهزة المراد معاينتها ، وذلك لتحديد إمكانيات التعامل معها فنيا من حيث الضبط والتأمين وحفظ المعلومات ، وتأمين التيار الكهربائي تجنباً لتلفها ، كما أنه يجب في هذه المرحلة توفير الاحتياجات الضرورية من الأجهزة والبرامج للاستعانة بها في الفحص والتشغيل وفك التشفير(عبد الفتاح بيومي حجازي ، 2006 ، ص 378).

الإجراءات والخطوات الفنية المتخذة أثناء القيام بإجراء المعاينة: بعد القيام بالإجراءات التحضيرية التي سبق ذكرها ، يقوم الفنيون القائمون على إجراء المعاينة بتصوير جهاز الحاسب الآلي وكافة مكوناته المادية (خالد ممدوح إبراهيم ، 2009 ، ص 197) ، مع التركيز على تصوير الأجزاء الخلفية له ومراعاة تسجيل وقت وتاريخ ومكان التقاط كل صورة ، (المرجع نفسه ، 2009 ، ص 197). زيادة على ذلك القيام بملاحظة وإثبات حالة التوصيلات والكابلات المتصلة بكل ملحقات الحاسب الآلي ، وأيضا التحفظ على محتويات سلة المهملات من الأوراق الملقاة أو الممزقة ، وكذا الشرائط والأقراص المضغوطة وفحصها ، بعد ذلك يتم البحث في جهاز الحاسب الآلي . بعد تشغيله طبعا . عن الأثار الرقمية التي خلفها المستخدم ، وذلك باستعمال كافة الوسائل التقنية كالدخول إلى السجلات والملفات ، وفي هذه المرحلة يجب تعطيل حركة الاتصالات السلكية

واللاسلكية بشبكة الإنترنت تجنباً لتلف الدليل الجنائي الرقمي أو التلاعب به وتخريبه عمداً عن بعد ، وفي حالة ضبط معلومات أو بيانات رقمية ، يجب مراعاة قواعد تحريز الأدلة الجنائية الرقمية التي تتطلب تخزينها عناية فائقة للدعائم المادية وفحصها واستعمالها لاحقاً.

المطلب الثالث. الخبرة في مجال الجريمة السيبرانية: الخبرة القضائية هي استشارة فنية يستعين بها القاضي أو المحقق لمساعدته في تكوين عقيدته نحو المسائل التي يحتاج تقديرها إلى معرفة أو دراية علمية خاصة (نعيم سعيداني ، 2013 ، ص149) ، ومنه فالخبرة وسيلة لتحديد التفسير الفني للأدلة بالاستعانة بالمعلومات العلمية ، وهي في حقيقتها ليست دليلاً مستقلاً وإنما هي تقييم فني لهذا الدليل (عبد الفتاح بيومي حجازي ، 2006 ، ص382).

لذا ما أهمية الخبرة في مجال الجريمة السيبرانية ؟ ، وما هي الضوابط التي تحكم عمل الخبير ؟ .
أولاً. أهمية الخبرة في مجال الجريمة السيبرانية: الخبير هو شخص مختص في مجال من المجالات الفنية أو العلمية أو غيرها من المجالات الأخرى ، ويستطيع من خلال ما لديه من معلومات وخبرة إبداء رأي في أمر من الأمور المتعلقة بالقضية التي تحتاج إلى خبرة فنية خاصة (خالد ممدوح إبراهيم ، 2009 ، ص205) ، وإذا كانت الاستعانة بخبير فني في المسائل الفنية البحتة في الجرائم التقليدية أمر ضروري ، فإن الاستعانة به في مجال الجريمة السيبرانية أكثر من الضروري (خالد عباد الحلبي ، 2011 ، ص168) ، وذلك بسبب الطبيعة التقنية للجريمة وأيضاً خصوصية الأدلة الفنية التي تتطلب مهارة ودراية كبيرة في مجال الحاسب الآلي ، ولهذا كان لزاماً أن يتم اللجوء إلى خبير فني ومتخصص.

ونظراً لطبيعة عمل الخبير في هذا المجال ، اهتم المشرع الجزائري بتنظيم أعمال الخبرة وكيفية اللجوء إليها وذلك من خلال المواد من 143 إلى المادة 156 من قانون الإجراءات الجزائية ، بحيث نصت المادة 143 من نفس القانون أنه " لجهات التحقيق أو الحكم عندما تعرض لها مسألة ذات طابع فني أن تأمر بنذب خبير إما بناء على طلب النيابة العامة وإما من تلقاء نفسها" ، ومن جهة أخرى أيضاً نص المشرع من خلال نص المادة 05 في فقرتها الأخيرة من القانون رقم 04-09 المتضمن للقواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها بأنه " يمكن للسلطات المكلفة بالتفتيش تسخير كل شخص له دراية بعمل المنظومة المعلوماتية محل البحث أو بالتدابير المتخذة لحماية المعطيات المعلوماتية التي تتضمنها ، قصد مساعدتها وتزويدها بكل المعلومات الضرورية لإنجاز مهمتها" ، ومنه يمكن القول أنه يوجد دائماً هناك حاجة ماسة إلى خبراء وفنيين من أجل القيام بالعديد من المهام التقنية مثل الكشف عن الأدلة الجنائية الرقمية وتحليلها ، أو إصلاح الدليل وإعادة تجميعه من المكونات المادية للحاسب الآلي ، أو التأكد من أن الدليل لم يتم العبث به (علي حسن محمد الطوالة ، 2008 ، ص145).

ثانياً. الضوابط القانونية التي تحكم عمل الخبير في مجال الجريمة السيبرانية: مما لا شك فيه أنه عند قيام الخبير بمزاولة مهامه يجب أن تتوفر مجموعة من الضوابط القانونية والفنية ، والضوابط القانونية هي أن يتم اختياره من قائمة الخبراء المعدة سلفاً ، وهو ما نصت عليه المادة 144 من قانون الإجراءات الجزائية ، بحيث يختار الخبراء من الجدول الذي تعدده المجالس القضائية بعد استطلاع رأي النيابة العامة... واستثناء يجوز للجهات القضائية بصفة استثنائية أن تختار بقرار مسبب خبراء ليسوا مقيدين في أي من هذه الجداول ، ويجب

على الخبير أيضا أن يكون قد أدى اليمين القانونية وذلك لكي لا يترتب على عمله البطالان ، وهو ما نصت عليه المادة 145 من نفس قانون ، وذلك بأن يحلف الخبير المقيد لأول مرة بالجدول الخاص بالمجلس القضائي يمينا أمام ذلك المجلس (المرجع نفسه ، 2008 ، ص146) ، وبعد ذلك يقوم بمزاولة مهامه المحددة له ، وبمجرد انتهائه من عمله يعد تقريرا كتابيا مفصلا لما توصل إليه من نتائج ، ويودعه خلال المدة المحددة له في الأمر أو الحكم بالندب ، وأما الضوابط الفنية فيجب على الخبير أن يكون ملما بكل ما يتعلق بالحاسب الآلي وملحقاته ، بالإضافة إلى وجوب تمكنه وفهمه للبيئة التي يعمل فيها ، والقدرة على أداء المهام الموكلة له دون أن يترتب على ذلك ضررا للدليل الجنائي الرقمي المراد استخلاصه (خالد ممدوح إبراهيم ، 2009 ، ص149).

ومن جهة أخرى تماشيا مع اتجاه تطوير وتكوين خبراء متخصصين في مجال مكافحة الجريمة السيبرانية ، بادرت مختلف الدول بإنشاء وحدات متخصصة في مجال البحث والتحري ، وكانت الجزائر من بين هذه الدول التي أنشئت وحدات متخصصة ضمن جهاز الشرطة والدرك الوطني لمكافحة الجريمة السيبرانية ، وتجسد ذلك بعد إنشاء المعهد الوطني للأدلة الجنائية وعلم الإجرام تحت وصاية القيادة العامة للدرك الوطني ، بموجب المرسوم الرئاسي رقم 183-04 المؤرخ في 26/06/2004 (فاطمة زهرة بوعناد ، 2013 ، ص68) ، بحيث نصت المادة 04 من نفس المرسوم على العديد من المهام الموكلة إلى المعهد أهمها إجراء الخبرات والفحوص العلمية بناء على طلب من القضاة والمحققين أو السلطات المؤهلة ، بالإضافة إلى المساعدة التقنية والفنية أثناء القيام بالتحريات باستخدام مناهج الشرطة العلمية والتقنية الرامية إلى تجميع وتحليل الأشياء والآثار والوثائق المأخوذة من مسرح الجريمة ، ويضم هذا المعهد على قسم الإعلام الآلي المختص بالتحقيق من خلال جمع الأدلة الجنائية الرقمية وتحليلها.

وبالإضافة إلى المعهد الوطني للأدلة الجنائية وعلم الإجرام ، تم استحداث أيضا المعهد الوطني للبحث في علم التحقيق الجنائي تحت وصاية المديرية العامة للأمن الوطني ، بموجب المرسوم الرئاسي رقم 432-04 المؤرخ في 29/12/2004 ، بحيث نص أيضا في المادة 05 على مجموعة من المهام من بينها إعداد تقارير الخبرة ، وأيضا القيام بالتكوين وتجديد المعارف في ميدان علم التحقيق الجنائي والإجرام ، ويحتوي هذا المعهد على مصلحة الخبرات الخاصة بالدلائل التكنولوجية (كاظم محمد عطيات ومحمد رضوان هلال ، 2014 ، ص45) ، بحيث تكلف بتحليل الدلائل المادية التي تم جمعها على إثر معاينة المخالفات والتحريات في ميدان الجريمة السيبرانية وإعداد تقارير الخبرة.

كما استحدث القانون رقم 09-04 المتضمن للقواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها من خلال المادة 13 الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحته ، وتتولى هذه الهيئة العديد من المهام التي تدخل ضمن إطار مكافحة الجريمة السيبرانية ، ولعل أهمها ما أتت به المادة 14 الفقرة (ب) إذ تتولى مساعدة السلطات القضائية ومصالح الشرطة القضائية في التحريات التي تجريها بشأن الجرائم ذات الصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال بما في ذلك تجميع المعلومات وإنجاز الخبرات القضائية ، وقد صدر التنظيم الخاص بهذه الهيئة من خلال المرسوم

الرئاسي رقم 15-261 المؤرخ في 08/10/2015 المحدد لتشكيلة وتنظيم وكيفية سير الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها (نبيلة هبة هروال ، 2007 ، ص 219).

المبحث الثاني: الوسائل الإجرائية المستحدثة لمكافحة الجريمة السيبرانية

الوسائل الإجرائية المستحدثة بغرض مكافحة الجريمة السيبرانية هي عبارة عن أساليب محددة بموجب القانون ، تهدف إلى إثبات وقوع الجريمة وتحدد شخصية مرتكبها عن طريق استخدام تقنيات وبرامج إلكترونية مختلفة ، وذلك تماشيا مع إرادة المشرع في مكافحة الجريمة السيبرانية.

ومنه فقد استحدثت المشرع الجزائري وسائل إجرائية هي: نظام اعتراض المراسلات و نظام التسرب ، الذي جاء بهما القانون رقم 06-22 المؤرخ في 20/12/2006 ، المعدل والمتمم للأمر رقم 66-155 المتضمن قانون الإجراءات الجزائية (كاظم محمد عطيات ومحمد رضوان هلال ، 2014 ، ص 45) ، ومن جهة أخرى تم استحداث أيضا الإجراء المتمثل في نظام المراقبة الإلكترونية الذي نص عليها القانون رقم 09-04 المؤرخ في 05/08/2009 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها(خالد ممدوح إبراهيم ، 2009 ، ص 172).

المطلب الأول. نظام اعتراض المراسلات: تعتبر عملية اعتراض المراسلات من بين أهم الإجراءات المستحدثة لها لها من أهمية وفائدة في جمع الأدلة الجنائية الرقمية ، ومنه يجب علينا التطرق إلى هذا الإجراء من خلال مفهومه وشروطه وكيفية القيام به.

أولا. مفهوم عملية اعتراض المراسلات: من أهم الآليات في التشريع الجزائري نظام الاعتراض و التسجيل و الالتقاط للمراسلات و الأصوات و الصور ، حيث أنه بالرجوع لنص المادة 65 مكرر5 من القانون 06.22 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006 نجدها تنص أنه " إذا اقتضت ضرورات التحري في الجريمة المتلبس بها ؛أو التحقيق الابتدائي في جرائم : المخدرات ،الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية أو الجرائم الهامة بالمعالجة الآلية للمعطيات أو جرائم تبييض الأموال أو الإرهاب أو الجرائم المتعلقة بالتشريع الخاص بالصرف و كذا جرائم الفساد ؛ يجوز لوكيل الجمهورية المختص أن يأذن بما يأتي:

- اعتراض المراسلات التي تتم عن طريق وسائل الاتصال السلكية و اللاسلكية ،

-وضع الترتيبات التقنية ،دون موافقة المعنيين من أجل التقاط الصور و تثبيت و بث و تسجيل الكلام المتفوه أو التقاط صور لشخص أو عدة أشخاص يتواجدون في أماكن خاصة أو عمومية أو التقاط صور لشخص أو عدة أشخاص يتواجدون في مكان خاص.."

و يبدو من خلال النص أن المشرع الجزائري لم يعرف نظام اعتراض المراسلات حيث تعرف لجنة الخبراء في البرلمان الأوربي المجتمعة بستراسبورغ بتاريخ 06/10/2006 اعتراض المراسلات بأنه " عملية مراقبة سرية للمراسلات السلكية و اللاسلكية و ذلك في إطار البحث و التحري عن الجرائم و جمع الأدلة و المعلومات حول الأشخاص المشتبه فيهم ارتكابهم أو في مشاركتهم في ارتكاب الجرائم ".(فوزي عمارة ، 2010 ، ص 238).

و بالرجوع لنص المادة 65 مكرر 05 فهي تحدد هذا المجال في جرائم محددة بذاتها ؛ و هي جرائم المخدرات و الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية ،الجرائم الهامة بالمعالجة الآلية للمعطيات جرائم تبييض الأموال ، الإرهاب و الجرائم المتعلقة بالتشريع الخاص بالصرف و جرائم الفساد.

فلا يمكن أن يتعدى هذا النظام إلى جرائم أخرى فهو يتعلق فقط بهاته الجرائم السبعة ، ويبدو أن المشرع الجزائري قد راعى الكثير من الاعتبارات للأخذ بالمفهوم الحصري للجرائم في هذا الخصوص و نعتقد أن ذلك يعود للأسباب التالية:

الأول: أن هاته الجرائم تعد جرائم خطيرة بذاتها و هي جرائم يرتكبها أشخاص محترفون و تتوافر لديهم مؤهلات خاصة بالإضافة إلى أن اثبات هذا النوع من الجرائم يتطلب أساليب خاصة. أورد المشرع الجزائري في القانون رقم 01.06 المتعلق بالوقاية من الفساد و مكافحته مصطلحا قريبا مما استعمله في نص المادة 65 مكرر 05 في الإجراءات الجزائية و هو مصطلح " التردد الإلكتروني " حيث تنص المادة 56 من قانون الوقاية من الفساد أنه "...يمكن اللجوء إلى التسليم المراقب أو اتباع أساليب تحر خاصة كالتردد الإلكتروني و الاختراق ... " و هناك في الفقه الجزائري من يسمي نظام الاعتراض و التسجيل بنظام المراقبة الإلكترونية.

الثاني: أن نظام اعتراض المراسلات و تسجيل الأصوات و التقاط الصور يعد من الناحية الشكلية اعتداء واضحا على الكثير من المبادئ الدستورية المستقرة و خاصة منها حرمة الحياة الخاصة و الحق في الخصوصية ، تنص المادة 39 من الدستور الجزائري " لا يجوز انتهاك حرمة حياة المواطن الخاصة و حرمة شرفه و يحميها القانونو سرية المراسلات و الاتصالات الخاصة بكل أشكالها مضمونة." و ضرورة الحصول على الأدلة بالطرق المشروعة و غيرها..

وبالتالي كان من الضروري تحديد نطاق هذا الإجراء و لإفقدت تلك المبادئ جوهرها و مضمونها و الغاية المرجوة منها ؛ و جدير بالذكر هنا أن المشرع الجزائري كان أمام ضرورة إجراء موازنة بين حماية تلك المبادئ الدستورية التي تحمي الحقوق الشخصية للأفراد و بين مقتضيات حماية المجتمع مما يتهدده من جرائم في حياته و بيئته و اقتصاده بل في وجوده فكان الواضح أن ترجح الكفة لحماية المصلحة العامة للمجتمع في دفع الجريمة عنه ؛ أما عن محل الاعتراض فإن نص المادة 65 مكرر 5 قد حدد هذا المحل في المراسلات السلوكية و اللاسلوكية و هو ما يمكن أن نتوقعه في صورتين:

مراقبة اعتراض و تسجيل الاتصالات عبر الهاتف ؛

مراقبة و اعتراض الوسائل الأخرى كالفاكس و التلكس و الانترنت و غيرها من وسائل الاتصال . و يمكن الرجوع لتحديد معنى الاتصالات السلوكية و اللاسلوكية لنص المادة 08 من القانون رقم 03.02 المؤرخ في 05 أوت 2000 المحدد للقواعد المتعلقة بالبريد و المواصلات السلوكية و اللاسلوكية التي تنص " كل تراسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات كتابات صور أو معلومات مختلفة عن طريق الأسلاك أو البصريات أو اللاسلكي الكهربائي أو أجهزة أخرى كهربائية." على أن كيفية الاعتراض قد تتم بطرق و كفاءات جد متطورة خاصة في أيامنا هذه. وعند استقراء نصوص قانون الإجراءات الجزائية (فاطمة زهرة بوعناد ، 2013 ، ص71) ، نجد أن المشرع لم يعرف بهذا الإجراء ، بل اكتفى بوضع تنظيم لهذه العملية من المادة 65 مكرر 05 إلى غاية المادة 65 مكرر 10 ، و ترك أمر تعريفه للفقه ، و من خلال نص المادة 65 مكرر 05 من نفس القانون ، نجد أن عملية اعتراض المراسلات يقصد بها: "اعتراض أو تسجيل أو نسخ المراسلات التي تتم عن طريق قنوات أو وسائل الاتصال السلوكية و اللاسلوكية ، وهذه المراسلات هي عبارة عن بيانات قابلة للإنتاج و التوزيع ، التخزين ، الاستقبال و العرض" (عبد الفتاح بيومي حجازي ، 2006 ، ص321).

وإذا بحثنا في مفهوم المراسلات، نجد أن المادة 9 الفقرة 6 من القانون رقم 03-2000 المؤرخ في 2000/08/05 والمتضمن تحديد القواعد العامة المتعلقة بالبريد وبالمواصلات السلكية واللاسلكية (خالد ممدوح إبراهيم، 2009، ص285)، قد نصت على تعريف المراسلات إذ أنها: "اتصال مجسد في شكل كتابي يتم عبر مختلف الوسائل المادية التي يتم ترحيلها إلى العنوان المشار إليه من طرف المرسل نفسه أو بطلب منه. لا تعتبر الكتب والمجلات والجرائد واليوميات كمادة مراسلات"، ومنه فقد حصرت المادة "المراسلات" في الشكل الكتابي فقط، إلى أن جاءت المادة 2 الفقرة "و" من القانون رقم 09-04 المتعلق بالقواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها، التي وسعت من المفهوم التقليدي، وأدخلت الاتصالات الإلكترونية في مفهومها تماشيا مع التطور التكنولوجي، إذ أنها: "أي ترسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات أو كتابات أو صور أو أصوات أو معلومات مختلفة بواسطة أي وسيلة إلكترونية".

ثانيا. شروط القيام بعملية اعتراض المراسلات: حدد المشرع من خلال قانون الإجراءات الجزائية شروط القيام بهذا الإجراء، كونه يشكل انتهاكا لحرمة الحياة الخاصة للأفراد، واعتداء على سرية مراسلاتهم واتصالاتهم التي كفلها الدستور الجزائري لسنة 1996 من خلال المادة 46، إذ نصت على أن سرية المراسلات والاتصالات الخاصة بكل أشكالها محمية (نعيم سعيداني، 2013، ص166)، لذا فقد وضع المشرع شروطا قانونية بهدف منع التعسف في استعمالها، وتمثل هذه الشروط في الحصول على إذن من وكيل الجمهورية، أو من قاضي التحقيق إذا تم فتح تحقيق قضائي (خالد ممدوح إبراهيم، 2009، ص302)، زيادة على ذلك أن يكون الإذنتكوتوباولمدة أقصاها 4 أشهر، قابلة للتجديد حسب مقتضيات البحث والتحري، وأيضا وجوب تضمنه على كل العناصر التي تسمح بالتعرف على الاتصالات المطلوب التقاطها والأماكن المقصودة (إبراهيم بلعليات، 2012، ص304)، وفي الأخير أن يكون هذا الإجراء في الجرائم المحددة بموجب المادة 65 مكرر 5، والتي من بينها الجرائم الهامة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات.

ثالثا. كيفية اعتراض المراسلات في الجريمة السيبرانية: بعد سلوك الطريق القانوني للقيام بهذا الإجراء، نستطيع القول أن هذه العملية عادة ما تنصب على رسائل البريد الإلكتروني (E-mail)، والتي تحتوي على العديد من المعلومات كتاريخ إنشاء الرسالة وتاريخ إرسالها أو تلقيها، وكذا عنوان المرسل وعنوان المرسل إليه، ولكن تبقى المعلومات التي تحتويها حاشية رسالة البريد الإلكتروني هي الأهم، بحيث تتضمن على عنوان (IP) لمرسل الرسالة، بحيث هذا العنوان يتكون من أربعة أجزاء، يشير الجزء الأول من اليسار إلى المنطقة الجغرافية، والجزء الثاني لمزود الخدمة، والثالث لمجموعة الحاسبات الآلية المترابطة، وأما الجزء الرابع يحدد الحاسب الآلي الذي تم الاتصال منه (عبد الفتاح بيومي حجازي، 2006، ص331).

المطلب الثاني. نظام التسرب: نظم المشرع الجزائري هذا الإجراء من خلال المواد 65 مكرر 11 إلى غاية المادة 65 مكرر 18 منقانون الإجراءات الجزائية، وسنتناول في العرض الموالي مفهوم هذا الإجراء وشروطه وكيفيته.

أولا. مفهوم نظام التسرب: عرفت المادة 65 مكرر 12 من قانون الإجراءات الجزائية التسرب بأنه: "قيام ضابط عون الشرطة القضائية تحت مسؤولية ضابط الشرطة القضائية المكلف بتنسيق العملية، بمراقبة الأشخاص والمشتبه في ارتكابهم جنائية أو جنحة بإيهامهم أنه فاعل معهم أو شريك لهم أو خاف"، فالتسرب إذن هو تلك

العملية المحضر لها مسبقا ، تهدف إلى التوغل داخل خلية إجرامية ومعرفة نشاطاتها ، والكشف عن الأشخاص المتورطين سواء كانوا فاعلون أصليون أم شركاء ، وذلك بتوفير جميع الوسائل البشرية والتقنية اللازمة.

مبررات نظام التسرب: لنظام التسرب مبررات كثيرة يمكن أن نذكر منها ما يلي:

- ظهور الكثير من صور الإجرام الخطير الذي يهدد المجتمع في مختلف ميادين الحياة و الذي أصبح يعتمد أساليب متطورة وإمكانات كبيرة جدا.

- عدم قدرة الأساليب التقليدية للاستدلال و التحري و ضبط الجرائم التصدي لهذا النوع من الإجرام الهدام الذي يستهدف مقدرات الأمة.

- ضرورة حماية المجتمع من كل ما يتهدهه من جرائم خطيرة و بذل كل المساعي و الجهود لذلك خاصة و أن نظام التسرب أصبح الوسيلة الوحيدة لقمع هذا النوع من الإجرام المستحدث.

مجال نظام التسرب: هو نفس مجال نظام اعتراض المراسلات و التقاط الصور و تسجيل الأصوات فهو لا يمكن أن يتعدى نطاق الجرائم الواردة بنص المادة 65 مكرر 05 الأنفة الذكر.

ثانيا. شروط القيام بعملية التسرب: تتمثل شروط القيام بعملية التسرب وفقا لما نص عليه قانون الإجراءات الجزائية في الإجراءات التالية:

- مباشرة التسرب من طرف ضابط عون ضابط شرطة قضائية تحت مسؤولية ضابط الشرطة القضائية و الواضح بالنسبة لهذا الشرط أن المشرع الجزائري قد وسع المجال من حيث الأشخاص المعتمد عليهم في نظام التسرب على عكس نظام المراقبة الإلكترونية أين حصره في نطاق ضباط الشرطة القضائية دون غيرهم من الأعوان و غيرهم؛

- استصدار إذن مكتوب بالتسرب:

- طبقا لنص المادة 65 مكرر 11 " يجوز لوكيل الجمهورية أو لقاضي التحقيق بعد إخطار وكيل الجمهورية أن يأذن تحت رقابته حسب الحالة بمباشرة عملية التسرب ، و كغيره من الاذن المتعلقة بالإجراءات عادة فهو إذن مشروط بالشروط التالية:

- ضرورة أن يكون الإذن مكتوبا لا شفاهة

- ضرورة أن يكون الإذن محددًا لأسباب إصداره

- ضرورة أن يشتمل الإذن على كل البيانات المطلوبة من تحديد نوع الجريمة و هوية الفرد المتسرب و الإجراءات المطلوبة.

- ضرورة تحديد المدة في الإذن و التي لا يمكن أن تتجاوز أربعة (4) أشهر قابلة للتمديد

- ضرورة إيداع نسخة من الإذن بالتسرب في ملف الإجراءات بعد انتهاء عملية التسرب.

ثالثا. كيفية التسرب في الجريمة السيبرانية: إن عملية التسرب في نطاق الجريمة السيبرانية تتمثل في دخول ضابط أو عون الشرطة القضائية إلى العالم الرقمي مثل الانترنت ، وذلك باختراقه لمواقع معينة وفتح ثغرات إلكترونية فيها ، أو اشتراكه في محادثات غرف الدردشة والظهور بظهر كما لو كان فاعلا مثلهم ، مستخدما أسماء أو صفات وهمية ، بهدف الحصول على معلومات هامة تقيد التحقيق.

المطلب الثالث. نظام المراقبة الإلكترونية: تم استحداث هذا الإجراء بموجب القانون رقم 04-09 المتعلق بالقواعد الخاصة بالوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها.

أولا. مفهوم المراقبة الإلكترونية: من خلال استقراء نصوص القانون رقم 04-09 السابق الذكر، لم يعرف المشرع المراقبة الإلكترونية بل ترك أمر تعريفها للفقه، بحيث أنها: "عمل أمني أساسي له نظام معلومات إلكتروني، يقوم فيه المراقب (بكسر القاف) بمراقبة المراقب (بفتح القاف) بواسطة الأجهزة الإلكترونية وعبر شبكة الإنترنت، لتحقيق غرض محدد وإفراغ النتيجة في ملف إلكتروني، وتحرير تقارير بالنتيجة"، وبناء على هذا التعريف، يمكن القول أن المراقبة الإلكترونية وسيلة من وسائل جمع البيانات والمعلومات عن المشتبه فيه، بحيث يقوم بها مراقب إلكتروني يتمثل في ضابط من ضباط الشرطة القضائية ذي كفاءة تقنية عالية وباستخدام تقنيات وبرامج إلكترونية، ومن جهة أخرى بالرجوع إلى القانون رقم 04-09، نجد أن المشرع الجزائري لم يعتبر هذا الإجراء طريقة من طرق الحصول على الأدلة الجنائية الرقمية فقط، بل أدرجه أيضا ضمن التدابير الوقائية من الجريمة السيبرانية حماية للنظام العام من التهديد، وهذا وفقا لما أتت به نص المادة 4 من نفس القانون، إذ يمكن القيام بهذا الإجراء للوقاية من الأفعال الموصوفة بجرائم الإرهاب أو التخريب أو الجرائم الماسة بأمن الدولة، وكذا في حالة توفر معلومات عن احتمال اعتداء على منظومة معلوماتية على نحو يهدد النظام العام أو الدفاع الوطني أو مؤسسات الدولة أو الاقتصاد الوطني.

ثانيا. شروط القيام بعملية المراقبة الإلكترونية: حدد المشرع الجزائري شروطا للجوء إلى تقنية المراقبة الإلكترونية، وهي أن يتم تنفيذ هذه العملية تحت سلطة القضاء وبإذن منه، وهو ما نصت عليه المادة 4 من القانون رقم 04-09 المذكور، بحيث لا يجوز إجراء عمليات المراقبة إلا بإذن مكتوب من السلطة القضائية المختصة، وفي حالة الوقاية من الأفعال الموصوفة بجرائم الإرهاب أو التخريب أو الجرائم الماسة بأمن الدولة يتم منح إذن لمدة 6 أشهر قابلة للتجديد على أساس تقرير يبين طبيعة الترتيبات التقنية المستعملة والأغراض الموجهة لها، وزيادة على ذلك أن تكون هناك ضرورة تتطلب هذا الإجراء، وذلك عندما يكون من الصعب الوصول إلى نتيجة تهم مجريات التحري أو التحقيق دون اللجوء إلى المراقبة الإلكترونية، وهو ما نصت عليه المادة 4 من خلال الفقرة "ج" من نفس القانون.

خاتمة: من خلال ما تقدم عرضه يمكن القول أن الجزائر قد خطت خطوات كبيرة في مجال مكافحة الجريمة السيبرانية، انطلاقا بسن قوانين ترم هذه الظاهرة، وأيضا استحداث قواعد إجرائية حديثة تتماشى مع طبيعة الجريمة وخصوصيتها، إلا أن ذلك لا يكفي على اعتبار أن الجريمة السيبرانية تتميز بالتطور نتيجة اتساع سيطرة البيئة الرقمية على حياة الإنسان وأصبحت جزء لا يتجزأ من حياته، لذا اقترح توصيات نراها مناسبة لمواصلة السير في اتجاه مكافحة الجريمة السيبرانية:

- العمل على التحديث الدوري للقواعد الإجرائية تماشيا مع نسق تطور الجريمة السيبرانية.
- تكثيف الدورات التدريبية وورشات العمل الخاصة بمكافحة الجريمة السيبرانية لدى القضاة والمحامين.
- تحقيق التعاون والتنسيق بين جهاز العدالة والشركات المزودة لخدمة الاتصالات السلكية واللاسلكية وشبكة الإنترنت، وذلك بتقديم جميع المعلومات التي تفيد في التحقيق.

تعزيز التعاون مع البلدان الأخرى وأخذ الخبرات عنها سواء في مجال إعداد الخبراء المتخصصين أو في مجال تبادل المعلومات.

ضماما للتوازن بين مكافحة الجريمة السيبرانية وحماية الحق الخصوصية.

-التشجيع على التبليغ عن الجرائم السيبرانية لتجميع المعلومات ، وإتاحة التبليغ عنها عن بعد.

-الاعتماد على آليات ناجحة في توعية المجتمع عن مخاطر الجرائم السيبرانية ، وذلك من خلال تفعيل دور المؤسسات التربوية والتعليمية مثل المسجد والمدارس ، ووسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة.

قائمة المراجع:

-الأمر رقم 66-155 المؤرخ في 08/06/1966 ، المتضمن قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، الجريدة الرسمية رقم 48 ، الصادرة بتاريخ 10/06/1966 ، المعدل والمتمم.

-القانون 01-16 المؤرخ في 06/03/2016 ، المتعلق بالتعديل الدستوري الجزائري ، الجريدة الرسمية رقم 14 ، الصادرة في 07/03/2016.

قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14/04/2007 والمتعلق بتنظيم الأقسام والمصالح والمخابر الجهوية للمعهد الوطني للبحث في علم التحقيق الجنائي ، الجريدة الرسمية رقم 36 ، الصادرة بتاريخ 03/06/2007 ، ص 14.

-إبراهيم بلعليان (2012) أركان الجريمة وطرق إثباتها في قانون العقوبات الجزائري ، دار الخلدونية ، الجزائر.

بكرى يوسف بكرى (2011) التفتيش عن المعلومات في وسائل التقنية الحديثة ، دار الفكر الجامعي ، مصر .

خالد عياد الحلبي ، (2011) إجراءات التحري والتحقيق في جرائم الحاسوب والانترنت ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن.

خالد ممدوح إبراهيم ، (2009) فن التحقيق الجنائي في الجرائم الإلكترونية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر الجامعي ، مصر.

عبد الفتاح بيومي حجازي ، (2006) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ، الطبعة الأولى ، دار الفكر الجامعي ، مصر .

عبد الله أوهابية ، (2008). شرح قانون الإجراءات الجزائية (التحري والتحقيق) ، الطبعة الرابعة ، دار هومة ، الجزائر.

علي حسن محمد الطوالة ، (2008). التفتيش الجنائي على نظم الحاسوب والإنترنت (دراسة مقارنة) ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب الحديث ، الأردن.

فاطمة زهرة بوعناد (2013). "مكافحة الجريمة الإلكترونية في التشريع الجزائري" ، مجلة الندوة للدراسات القانونية ، العدد الأول ، (دون دار نشر) ، الجزائر.

كاظم محمد عطيات ومحمد رضوان هلال (2014). "كيفية التعامل التقني والأمن مع أوعية الجريمة الرقمية في مسرح الجريمة لضمان حيدة الدليل المستخلص" ، المجلة العربية الدولية للمعلوماتية ، العدد 5 ، المجلد 3 ، السعودية.

مصطفى محمد موسى (2005) ، المراقبة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت ، دراسة مقارنة بين المراقبة الأمنية التقليدية والإلكترونية ، دار الكتب القانونية ، مصر.

ممدوح عبد الحميد عبد المطلب (2006) البحث والتحقيق الجنائي الرقمي في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ، دار الكتب القانونية ، مصر.

نبيلة هبة هروال (2007) ، الجوانب الإجرائية لجرائم الإنترنت في مرحلة جمع الاستدلالات (دراسة مقارنة) ، الطبعة الأولى ، دار الفكر الجامعي ، مصر.

نعميم سعدياني (2013). آليات البحث والتحري عن الجريمة المعلوماتية في القانون الجزائري ، (رسالة ماجستير) ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر.

الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي دراسة ميدانية لحالتين عياديتين بمؤسسة الطفولة المسعفة بمدينة - ورقلة

depressive response of adolescences in a moral hazard A field study of two clinical cases at
the Childhood Foundation in Ouargla

ط. د. مـونه زهور ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر
د. بن مجاهد فاطمة الزهراء ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر

مقدمة:

إن كل فرد على وجه الأرض وفي كل زمان و مكان يمر بمراحل نمو أساسية ، وتدرج من المرحلة الجنينية ومرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة ثم مرحلتي الرشد ومرحلة الشيخوخة ، ولكل منها خصائص مختلفة وفي هذه السلسلة نجد مرحلة المراهقة والتي تعتبر فترة إنمائية يمر بها الفرد بين الطفولة و سن الرشد و تعتبر مرحلة هامة من مراحل النمو ، لها تغيرات عميقة جسدية نفسية واجتماعية ، فهي تتميز بعدم الاستقرار وكثرة الرغبات المتعارضات ، حيث يسعى المراهق في هذه الفترة إلى حب الاطلاع و معرفة ومواكبة كل جديد ، كما يتعرض للكثير من الضغوطات و المشاكل المتعلقة بطبيعة المرحلة في حد ذاتها أو المتعلقة بالمحيط الأسري الذي يعيش فيه أو مجتمعه ، حيث نجد ظاهرة تعرض المراهق لوضعية الخطر المعنوي و هي آفة خطيرة أصبحت أكثر انتشار في الآونة الأخيرة و أصبحت تهدد الأسرة و المجتمع ، خاصة و هي منتشرة عند أهم فئة من المجتمع وهي فئة المراهقين مما يؤدي إلى التأثير على سواء و اضطراب شخصيتهم ، ولعل من أهمها الحالات الاكتئابية و من هذا المنطلق فإننا بحثنا يخص دراسة الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي.

إشكالية الدراسة:

التعرض للخطر المعنوي هو ظاهرة منتشرة و تمس العديد من أفراد المجتمع و الأطفال و المراهقين فتعرض صحتهم و أخلاقهم و تربيتهم للخطر فقد يتعرضون للحرمان من التعليم و الغذاء العلاج أو الاستغلال الجنسي أو العمالة و تعاطي المخدرات حيث نجد من ضمن هذه الفئة. الفتيات في سن المراهقة المبكرة والفاقدات لسند الأسري أو اللواتي كان حملهن خارج إطار الزواج الشرعي فيجدن أنفسهن ضحية المخاطر المنتشر في الشارع مما يؤدي بهم الوضع إلى العيش في مؤسسة الطفولة المسعفة فكل هذه المخاطر الاجتماعية بالإضافة إلي العيش في مختلف المؤسسات الإيوائية قد يساهم في ظهور الاضطرابات النفسية كالأعراض الاكتئابية و المشكلات الاجتماعية و السلوكية هذا حسب دراسة قام بها سخيطة 2007 سنة في جمهورية مصر العربية هدفت إلى التعرف على المشكلات النفسية والسلوكية التي يعانيها الأطفال و المراهقين من فاقد الرعاية الوالدية والمودعين في مؤسسات الإيواء وسبل الوقاية من انحرافهم. وقد تكونت عينة الدراسة من 170 طفلا وطفلة من عمر 7 سنوات حتى 18 سنة. وتم استخدام دراسة الحالة. وأظهرت نتائج الدراسة أن

النسبة الأكبر من الأطفال فاقدى الرعاية الوالدية تعاني اضطرابات السلوك تليها الاضطرابات الانفعالية ثم الاضطرابات الجنسية (كمال يوسف بلان ، 2011).

أما دراسة العربي 1994 بعنوان أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل هدفت الدراسة السيكولوجية المتعمقة للأطفال اللقطاء والبناء النفسي الذي يوضح ديناميات الشخصية لديهم ولتحقيق ذلك الهدف استخدمت الباحثة اختبار المصفوفات المتتابعة المتضمن م ا رفق ، وذلك لتثبيت مستوى الذكاء واستمارة البيانات الشخصية من إعداد أفرد سان ، واختبار الشخصية الإسقاطي مغامرات خروف القدم السوداء لكورمان واختبار رسم الأسرة لكورمان على عينة تكونت من 100 طفل قسمه على مجموعتين إحداها تجريبية وتضمنت 50 طفلا محرومين من أبويهم والأخرى ضابطة وشملت 50 طفلا يعيشون مع أسرهم. وقد خرجت النتائج أن صورة الذات لدى الأطفال المحرومين من أبويهم تعيش في مشاعر البؤس والانزعاج وغياب السند والأمن لافتقاد الصورة الوالدية المطمئنة كما تسيطر عليها مشاعر الذنب والقلق والحزن والدونية وانخفاض تقدير الذات لغياب الجانب النرجسي ، كما لم يتمكن هؤلاء الأطفال من إقامة علاقة عاطفية مستقرة في الموضوع بسبب تعدده داخل المؤسسة الإيوائية . أما المجموعة الضابطة لم تبدو عليها مثل هذه المشاعر إذ أنها تجاوزت المرحلة الأودوبية التي تعتبر عاملاً هاماً في نمو الشخصية ، والتي لم تستطع المجموعة التجريبية تخطيها بسبب ضعف الأنا وانسحاب الطاقة الليبيدية مع الموضوع وتوجيهها نحو الذات (الجرجواي ، 2011). ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: هل تظهر الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي والتي تتجلى في أعراض الانعزالية ، انخفاض تقدير الذات ، انخفاض المزاج و الطاقة و فقدان المتعة ؟

فرضية الدراسة:

نتوقع أن تظهر الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي و يتجلى ذلك في أعراض الانعزالية ، انخفاض تقدير الذات ، انخفاض المزاج و الطاقة و فقدان المتعة.

الإجابة على تساؤل الدراسة و الذي يبحث عن الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي و التي تبرز في أعراض الانعزالية ، انخفاض تقدير الذات ، انخفاض المزاج و الطاقة و فقدان المتعة. بالإضافة إلى التحقق من فرضية الدراسة المتمثلة في توقع ظهور هذه الأعراض لدى حالات الدراسة.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة الحالية على المستوى النظري فيما يلي:

- المساهمة في إثراء البحث العلمي.
- إضافة مرجع يعتمد عليه في دراسة موضوع حالات الخطر المعنوي و التي تركز على الحالة النفسية الناتجة عن التعرض لمثل هذه الوضعية.

- إضافة مرجع يعتمد عليه في دراسات تركز على فئة المراهقات في المرحلة المبكرة.

كما تتضح الأهمية العملية للدراسة فيما يلي:

- موضوع الدراسة يمس ظاهرة اجتماعية خطيرة و هذا يستوجب الاهتمام بها حيث أن نتائجها تؤثر سلباً على المجتمع.

- تسليط الضوء و الاهتمام بموضوع الاستجابة الاكتئابية لفئة المراهقات في خطر معنوي من خلال استعمال رائز خروف القدم السوداء.

- ارتفاع نسبة الأطفال و المراهقين المصنفين في حالة خطر معنوي في السنوات الأخيرة.
- لفت انتباه الجهات المسؤولة لهذه الوضعيات و التأكيد على خطورة الظاهرة.

حدود الدراسة: اشتملت هذه الدراسة على حالتين من الحالات المتواجدة بمؤسسة الطفولة المسعفة بمدينة ورقلة خلال سنة <2018 ابتداء من شهر جانفي إلى غاية شهر أفريل. حيث تتراوح أعمارهم ما بين 12 إلى 13 سنة من جنس إناث، بعدما اشتملت الدراسة على ثلاث حالات في البداية و بقرار من قاضي الأحداث تم خروج حالة واحدة من المؤسسة.

التعاريف الإجرائية:

الفتاة المراهقة: هي الفتاة التي تبلغ من العمر ما بين 12 و 13 سنة لم يحققن بعد الاستقلالية الذاتية و التي تتضح من خلال مشكلات سلوكية انفعالية جسدية اجتماعية و نفسية بين الانتقال من مرحلة الطفولة و الاعتماد على الأبوبين إلى مرحلة الرشد و الاعتماد على النفس ، و المتواجدة بمؤسسة الطفولة المسعفة و تعرف على ذلك من خلال أداتي الملاحظة و المقابلة الإكلينيكية.

الخطر المعنوي: هو معايشة الفرد وضع يمس باستقراره و أمنه و صحته و أخلاقه كفقدان السند العائلي الذي يميز حالات الدراسة.

الاستجابة الاكتئابية: هو اضطراب يتمثل في الشعور الدائم بالحزن و العزلة و مشاعر الذنب و فقدان المتعة و التقييم السلبي لذات وغيرها ، و التي تظهر لدى المراهقات في خطر معنوي حيث يتم تشخيصه من خلال الحوصلة النفسية المستندة على النسبة المئوية المستخرجة من تحليل مضمون المقابلة الإكلينيكية و الاستجابات الدالة على الاكتئاب في لوحات رائر خروف القدم السوداء ، و الحصول على الدرجة 10 فأكثر بمقياس بيك للاكتئاب.

الانعزالية: هو الانفصال عن الأفراد المحيطين الذي يميز المراهقات في خطر معنوي من خلال عدم مشاركتها في النشاطات و التهاور معهم المحيطين بما فيهم الأطفال المقيمين و المربيات و يتم تشخيص ذلك من خلال كل من النسبة المئوية المرتفعة في بعد الانعزالية المتضمن لمحاو المقابلة الإكلينيكية ، و الاستجابات الدالة على وجود مشاعر الاستبعاد و العزلة في رائر خروف القدم السوداء ، و تقدير درجة بند فقدان الاهتمام بالآخرين بالدرجة ما بين 01 إلى 03 في مقياس بيك للاكتئاب.

انخفاض تقدير بالذات: هو الشعور بعدم الأمن مع المحيطين و عدم الاطمئنان الداخلي و التقييم السلبي للذات الذي يفقد القدرة على مواجهة صعوبات المحيط الخارجي الذي تواجهه المراهقة في خطر معنوي و الذي يستدل عليه من خلال الحوصلة النفسية و المستندة على كل من النسبة المئوية المرتفعة في بعد انخفاض تقدير الذات المتضمن لمحاو المقابلة الإكلينيكية ، و الاستجابات الدالة على وجود مشاعر الذنب و العدوانية المرتدة على الذات في رائر خروف القدم السوداء ، و تقدير كل من بند مشاعر الإثم أو بند عدم حب الذات أو بند انعدام القيمة ما بين الدرجة 01 إلى 03 في مقياس بيك للاكتئاب.

انخفاض المزاج و الطاقة: هو أن تكون المراهقة في خطر معنوي تعاني من الشعور الدائم بالحزن و الرغبة الغير مبررة في البكاء و الإحساس بالتوتر و عدم القدرة على القيام بأبسط النشاطات اليومية حيث يتم تشخيص ذلك من خلال النسبة المئوية المرتفعة في بعد انخفاض المزاج و هبوط الطاقة و المتضمنة لمحاو

المقابلة الإكلينيكية ، والاستجابات الدالة على وجود المشاعر الاكتئابية في اللوحات الدالة على ذلك في رائر خروف القدم السوداء ، و تقدير كل من بند الحزن أو بند التشاؤم أو بند البكاء وبند فقدان الطاقة أو بند الإرهاق ما بين الدرجة 01 إلى 03 ، في مقياس بيك للاكتئاب.

فقدان المتعة: هو عدم القدرة على الاستمتاع بكل النشاطات التي تشكل متعة بالنسبة للآخرين و يستدل على ذلك من خلال الحوصلة النفسية المستندة على النسبة المئوية المرتفعة في بعد فقدان الشعور بالمتعة ونمط الحياة اليومية و المتضمنة لمحاوّر المقابلة الإكلينيكية ، والاستجابات الدالة على وجود مشاعر فقدان المتعة في رائر خروف القدم السوداء ، و تقدير كل من بند فقدان الاستمتاع أو بند زيادة أو قلة النوم أو بند ضعف أو زيادة الشهية ما بين الدرجة 01 إلى 03 في مقياس بيك للاكتئاب.

الإطار النظري:

تمهيد: يعتبر الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية المهددة لوحدة الفرد النفسية و الجسمية وأكثرها انتشارا في الأوساط الاجتماعية فيمس جميع الفئات العمرية (الطفولة ، المراهقة ، الرشد ، الشيخوخة). ومختلف الطبقات الاجتماعية ، وهذا يعني أن كل فرد منا قد يكون عرضة للاكتئاب في أي مرحلة من مراحل حياته هذا من وجهة ومن جهة أخرى تبدو خطورة هذا الاضطراب في طبيعته كاضطراب يحمل في طياته أفكارا سواء تتضمن في محتواه رسم أو تحديد خطة لنهاية حياة الفرد وذلك بالانتحار ، إضافة إلى تجمع الأعراض الخاصة به والتي يتم تصنيفها إلى أنواع وذلك حسب مدتها وشدتها ومدى تأثيرها على الصحة النفسية والعقلية و الجسدية للفرد ، حيث تظهر هذه الأعراض وفقا لمجموعة من الأسباب تسمى بالزملة الاكتئابية. وستناولنا من خلال هذا الفصل: مفهوم الاكتئاب ، النظريات المفسرة للاكتئاب ، أنواعه و أعراضه ، عوامله و مدى انتشاره.

مصطلح الاكتئاب في الطب النفسي له أكثر من معنى و تدور هذه المعاني حول نفس المفهوم حيث يتمثل في أحد التقلبات المعتادة للمزاج استجابة لموقف تصادفه في حياتنا يدعو إلى الشعور بالحزن و الأسى مثل فراق صديق أو خسارة مالية ، و قد الاكتئاب أحيانا مصاحب الإصابة بأي مرض آخر مزمن أو خطير، أما المفهوم الأهم للاكتئاب هو وصفه كأحد الأمراض النفسية المعروفة ، و يتميز بوجود مظاهر نفسية و أعراض جسدية سيتم الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد. (لطي الشربيني.2001. ص71)

أنواع الاكتئاب

الاضطراب الاكتئابي الجسيم:

A.تواجد خمسة (أو أكثر) من الأعراض التالية لنفس الأسبوعية ، والتي تمثل تغيرا عن الأداء الوظيفي السابق ، على الأقل أحد الأعراض يجب أن يكون إما (1) مزاج منخفض أو (2) فقد الاهتمام أو متعة.
(1)مزاج منخفض معظم اليوم ، كل يوم تقريبا ، ويعبر عنه إما ذاتيا (مثل الشعور بالحزن أو بالفراغ أو اليأس) أو يلاحظ من قبل الآخرين (مثل أن يبدو دامعا).
(2)انخفاض واضح في الاهتمام أو الاستمتاع في كل الأنشطة أو معظمها وذلك معظم اليوم في كل يوم تقريبا ،(ويستدل على ذلك بالتعبير الشخصي أو بملاحظة الآخرين).

- (3) فقدان وزن بارز بغياب الحمية مع الطعام ، أو كسب وزن (مثل التغير في الوزن لأكثر من 5 % في الشهر) أو انخفاض الشهية أو زيادتها ، كل يوم تقريبا .
- (4) أرق أو فرط نوم كل يوم تقريبا .
- (5) هياج نفسي حركي أو خمول ، كل يوم تقريبا (ملاحظ من قبل الآخرين ، وليس مجرد أحاسيس شخصية بالتململ أو بطء).
- (6) تعب أو فقد الطاقة كل يوم تقريبا .
- (7) أحاسيس بانعدام القيمة أو شعور مفرط أو غير مناسب بالذنب (والذي قد يكون توهمًا) كل يوم تقريبا ، وليس مجرد لوم الذات أو شعور بالذنب لكونه مرضا .
- (8) انخفاض القدرة على التفكير أو التركيز ، أو عدم الحسم ، كل يوم تقريبا (إما بالتعبير الشخصي أو بملاحظة الآخرين).
- (9) أفكار متكررة عن الموت (وليس الخوف من الموت فقط) ، أو تفكير انتحاري متكرر دون خطة محددة ، أو محاولة انتحار أو خطة محددة للانتحار .
- B-تسبب الأعراض انخفاضا واضحا في الأداء الاجتماعي أو المهني أو مجالات الأداء الهامة الأخرى .
- C-لا تعزى الأعراض لتأثيرات فيزيولوجية لمادة (مثل سوء استخدام عقار ، تناول دواء) أو عن عرض حالة طبية أخرى . المعايير A-B تشكل نوبة اكتئابية جسيمة (الحامدي ، 2015 ، ص 148).
- اضطراب اكتئابي مستمر(سوء المزاج): يعتبر هذا الاضطراب دمجا للاضطراب الاكتئابي الجسيم المزمن حسب الدليل الرابع واضطراب سوء المزاج .
- A-مزاج منخفض معظم اليوم أكثر الأيام ، لمدة سنتين على الأقل ، كما يستدل عليه إما بالوصف الذاتي أو بملاحظة الآخرين لذلك .
- B-وجود اثنين (أو أكثر) مما يلي أثناء انخفاض المزاج:
- (1) ضعف شهية أو زيادة في الأكل .
 - (2) أرق أو فرط نوم .
 - (3) انخفاض الطاقة أو تعب .
 - (4) انخفاض الشعور بقيمة الذات .
 - (5) انخفاض الشعور بقيمة الذات .
 - (6) مشاعر انعدام الأمل (اللاجدوى).
- C- الشخص أثناء فترة سنتي الاضطراب (سنة واحدة بالنسبة للأطفال والمراهقين) أبدا من الأعراض المدرجة في المعياريين A-B لمدة تزيد عن شهرين متواصلين .
- A-معايير نوبة اكتئابية جسيمة قد تتواجد باستمرار خلال العامين .
- B-لم توجد أبدا نوبة هوسية أو نوبة تحت هوسية ، كما لم تتحقق أبدا معايير اضطراب المزاج الدوري .
- C-لا يفسر الاضطراب بشكل أفضل بوجود مستمر للفصام الوجداني ، الفصام أو الاضطراب التوهمي ، أو غيرها من اضطرابات طيف الفصام المحددة وغير محددة والاضطرابات الذهانية الأخرى .

D- لا تتجم الأعراض عن تأثيرات فيزيولوجية مباشرة لمادة (مثل سوء استخدام عقار ، تناول دواء) أو عن حالة طبية أخرى (مثل قصور الدرق).

E-تسبب الأعراض انخفاضاً واضحاً في الأداء الاجتماعي أو المهني أو بحالات الأداء الهامة الأخرى (الحامدي، 2015، ص151)

أعراض الاكتئاب

الأعراض الجسمية:

-انقباض الصدر والشعور بالضيق.

-فقدان شهية الأكل ونقص في الوزن

-الصداع والتعب دون مبرر له.

-الضعف الجنسي والنشاط العام. (الوافي ، 2016 ، ص255).

الأعراض النفسية:

-ظهور البؤس واليأس والأسى وهبوط الروح المعنوية والحزن الشديد وتقلب المزاج وعدم ضبط التنفس.

-الشعور بعدم القيمة الاجتماعية وضعف الثقة في النفس والشعور بالنقص

-الفتور والانطواء والانسحاب والانعزال والصمت

-التشاؤم المفرط فيه وخيبة الأمل والنظرة الحزينة للحيلة.

-نقص الميول والاهتمام واللامبالاة.

-صعوبة التركيز والتردد وقلة الكلام والشعور بالذنب. (الوافي ، 2016 ، ص256)

الأعراض الانفعالية: وتتضمن فقدان القدرة على الاستمتاع بمرح في الحياة ، وإنخفاض الثقة بالنفس.

الأعراض المعرفية: وتتضمن سلبية مفهوم المريض لذاته ، وتوجيه اللوم لنفسه ، وتضخيم المشكلات ، وانعدام القدرة على اتخاذ القرارات والحسم ، وضعف الإحساس بالقيمة الذاتية(الخالدي ، 2015 ، ص211).

الاكتئاب عند الطفل و المراهق: يصيب الاكتئاب طفلاً من كل 50 تحت سن 12 ، و يصيب مراهقاً من كل

عشرين ، و قد يكون الاكتئاب في هذه الفئة العمرية من أي نوع سواء الاكتئاب كهجمة كبرى أو صغرى أو

ضمن اضطراب المزاج أحادي أو ثنائي القطب و كذلك تكدر المزاج ، و كثيراً ما يعاني الأطفال المراهقون و لا

يكثر أحد لمعاناتهم ، إذ تعد الأسرة هذه المظاهر غير مفهوم وغالباً ما ينظر إليها أطباء الأسرة و أطباء

الأطفال على أنها مرحلة في النمو لا داعي للاكتراث لها ، رغم أن الطفل و حتى بعض المراهقين قد لا يعبرون

بكلمات واضحة عن مشاعر الاكتئاب ، و لكن دراستهم تتأثر و تفهمهم الاجتماعي و علاقاتهم تتأثر و قد

يتجهون إلي الانحراف السلوكي ، أو يتعاطون المؤثرات العقلية أو يحاولون الانتحار ، و قد يختلط الاكتئاب مع

القلق و المرض العضوي كالسكري و غيره ، وهناك من الأعراض ما هو مشترك مع البالغين ولكن بعض

الأعراض تخص الأطفال أو المراهقين دون الكبار. من الأعراض المشابهة للكبار: المزاج الحزين و الاضطراب ، و

فقدان المتعة في الهوايات ، و تغير الشهية ، و الوزن ، و النوم ، و الكسل ، و الخمول ، و التهيج ، و الشعور

بعدم جدوى الحياة و تأنيب الضمير ، و الصعوبة في التركيز ، و تكرار أفكار الانتحار. و أما الأعراض الخاصة في

الأطفال و المراهقين فهي:

- الشكوى من أعراض عضوية غير محددة مثل التعب ، و الصداع ، و آلام العضلات ، و آلام المعدة.
- التغيب عن المدرسة و ضعف التحصيل.
- التفكير في الهروب من البيت و الحديث عن ذلك و محاولته.
- نوبات الصراخ و التذمر و الشكوى و البكاء.
- الشكوى المتكررة من الملل.
- عدم الاهتمام باللعب مع الأصدقاء.
- استعمال المواد الطيارة و المؤثرات العقلية و الكحول.
- العزلة الاجتماعية.
- الخوف من الموت.
- الحساسية الشديدة للرفض أو الفشل.
- زيادة العدوانية و الغضب و الضجر.
- السلوك المستهتر.
- مشاكل في العلاقات.

ومن المهم جدا أن يتم تمييز الحالة بشكل مبكر قبل أن تؤثر على حياة الطفل و المراهق فيمتنع عن الدراسة و ينزوي و يتأخر عن ركب أقرانه. ونرى أن بين الأطفال دون الثانية عشر يتساوى الأولاد و البنات في انتشار الاكتئاب ، و لكن بين المراهقين فإن النسبة تتغير لتصبح ضعف النسبة بين البنات عن الأولاد ، و كأن ذلك تمهيد للنسبة بين الكبار و التي تصل إلى ثلاثة أضعاف بين النساء مقارنة بالرجال(وليد سرحان ، 2001. ص 87).

تعريف المراهقة

التعريف اللغوي: لقد وردت كلمة المراهقة في بعض الآيات القرآنية و هي بمعنى : الاقتراب ، قال تعالى: بعد بسم الله الرحمن الرحيم (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة يونس: الآية 26] ، وهنا معناها: لا يقرب وجوههم ، وقد تعني التعب و الاجهاد. ويقول الله تعالى: (قَالَ لَا تَأْخُذْ بِلِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقْ فِي مِمَّا أَمْرِي غَسْرًا) [سورة الكهف الآية 72] وفي قوله تعالى: (وَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِهِ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) [سورة الجن الآية 06]. ومعناه هنا: تعبا (إيمان أبو غربية. 2007. ص 175).

والمراهقة من الرهق ، و يقال أرهقه الأمر بمعنى أتعبه واحتمل منه مالا يطيق ، و أرهق الأمر دنا منه واقترب(عبد المنعم الحنفي . 2002. ص 100).

المراهقة Adolescence كلمة لاتينية الأصل مشتقة من الفعل Adolescere و الذي يعني « النمو نحو الرشد » وتعتبر المراهقة في كل المجتمعات فترة من النمو و التحول من عدم نضج الطفولة إلى نضج الرشد و فترة إعداد للمستقبل ، و بهذا المعنى فإنها تعتبر بمثابة الجسر الواصل بين مرحلتي الطفولة و الرشد ، و الذي لا بد للأفراد من عبوره قبل أن يكتمل نموهم و يتحملون مسؤوليات الكبار في مجتمعهم(مريم سليم . 2002. ص 21).

التعريف الاصطلاحي: المراهقة هي الفترة من العمر المتعبة للصبى لأنه فيها يبلغ مبلغ الكبار ، و يدنو ويقترّب من الرشد. و المراهقة ثلاث فترات ، في البداية تكون بواكير المراهقة ، ثم المراهقة المتوسطة ، و أخيرا المراهقة المتأخرة و تبكر المراهقة فتأتي قبل سن العاشرة ، و قد يتأخر حتى نحو الخامسة عشر و الغالب أن يكون البلوغ في السن بين الثانية عشر والثالثة عشر(عبد المنعم الحنفي ، 2002 ، ص100).

الحاجات النفسية في مرحلة المراهقة: يصاحب التغيرات التي تحدث مع البلوغ تغيرات في حاجات المراهقين ، و لأول وهلة تبدو حاجات المراهقين قريبة من حاجات الراشدين ، إلا أن المدقق يجد فروقا واضحة خاصة بمرحلة المراهقة ، و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الحاجة و الميول و الرغبات تصل في مرحلة المراهقة إلى أقصى درجة من تعقيد و يمكن تلخيص حاجات المراهقين فيما يلي:

الحاجة إلى الأمن: وتتضمن الحاجة إلى المن الجسمي و الصحة الجسمية ، و الحاجة إلى الشعور بالامن الداخلي ، الحاجة إلى البقاء حيا. الحاجة إلى تجنب الخطر و الألم ، الحاجة إلى الحياة الأسرية الآمنة و المستقرة و السعيدة.

الحاجة إلى الحب و القبول: و تتضمن الحاجة إلى الحب و المحبة ، الحاجة إلى القبول و التقبل الاجتماعي ، الحاجة إلى الأصدقاء ، الحاجة إلى الانتماء إلى الجماعات.

الحاجة إلى تحقيق الذات: و تتضمن الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة الرفاق ، و القيمة الاجتماعية ، الحاجة إلى الشعور بالعدالة في المعاملة.

الحاجة إلى الإشباع الجنسي: تتضمن الحاجة إلى التربية الجنسية ، و الحاجة إلى اهتمام الجنس الآخر و حبه ، الحاجة إلى التخلص من التوتر ، الحاجة إلى التوافق الجنسي الغيري.

الحاجة إلى النمو العقلي: و تتضمن الحاجة إلى التفكير و توسيع قاعدة الفكر و السلوك الحاجة إلى التنظيم ، الحاجة إلى تحصيل الحقائق ، الحاجة إلى تفسير الحقائق ، الحاجة إلى الخبرات الجديدة و التنوع ، الحاجة إلى التقدم الدراسي و إلى النجاح.

الحاجة إلى تأكيد و تحسين الذات: الحاجة إلى النمو و الحاجة إلى أن يكون الفرد سويا و عاديا ، الحاجة إلى التغلب على العوائق و المعوقات ، الحاجة إلى توجيه الذات(حامد عبد السلام زهران ، 2001 ، ص436).

الدراسة الميدانية: يعتبر الجانب التطبيقي للدراسة جانب مهم في إنجاز البحث العلمي فهو يبرز لنا النتائج **منهج الدراسة:** يعتبر اختيار المنهج الذي نستخدمه للدراسة أمرا يتم تحديده من خلال طبيعة المشكلة التي يكون الباحث بصدد دراستها إذ يمثل المنهج عموما طريقة يسلكها الباحث بهدف الوصول إلى نتائج معينة ، و طبيعة الدراسة الحالية تعتمد على النهج العيادي حيث يحدد بأنه الطريقة التي تتناول السلوك الإنساني من منظور خاص ، بحيث تكشف و بدقة عن (كينونته و رغباته و مشاعره) هذا من جهة ، و من جهة أخرى تكشف عن الصراعات السيكلوجية المسببة لجملة سلوكياته و صيرورتها و من ثمة سبل التخلص منها و هذا ما أكده حامد عبد السلام زهران في تحديده لذلك:

1. تجميع المعلومات و مراجعاتها.

2. دراسة المعلومات و تحليلها.

3. تنظيمها و تحديد الدلالات العيادية التفسيرية. (حامد عبد السلام زهران ، 1997)

حالات الدراسة: تتكون مجموعة حالات الدراسة الحالية حالتين من الحالات المتواجدة بمؤسسة الطفولة المسعفة بمدينة ورقلة ، تتراوح أعمارهم ما بين 12 إلى 13 سنة من جنس إناث حيث كانت العينة تتكون من ثلاث حالات في البداية و بقرار من قاضي الأحداث تم خروج حالة واحدة من المؤسسة و قد تم اختيار هذه المجموعة بالطريقة القصدية و تسمى هذه الطريقة كذلك بالمقصودة أو الاختيار بالخبرة أو الغرضية لأنها تحقق غرض الباحث و هي تعني أن أساس الاختيار خبرة الباحث و معرفته بأن هذه المفردة أو تلك على أساس أنها تمثل مجتمع الدراسة و تحقق أغراضها(داود بن درويش ، ص75).

خصائص حالات الدراسة: من خلال الجدول الآتي نقوم فيه عرض لبعض خصائص حالات الدراسة و التي تتكون من حالتين عياديتين .

جدول (رقم 01) يوضح خصائص حالات الدراسة وفق بعض الخصائص

الإقامة قبل الالتحاق بالمؤسسة	عدد الإخوة		تاريخ الالتحاق بالمؤسسة	المستوى الدراسي	السن	
مع الأم البديلة	0	من الأم البيولوجية	سنة 2015	السنة الثالثة متوسط	13 سنة	الحالة 1
	3	من الأم الكفيلة				
مع الأم البيولوجية	0	من الأم البيولوجية	سنة 2016	السنة الرابعة ابتدائي	12 سنة	الحالة 2
	0	من الأم الكفيلة				

يوضح الجدول رقم (01) بعض الخصائص المتعلقة بحالات الدراسة ، حيث تبلغ الحالة الأولى 13 سنة و هي تدرس في السنة الثالثة متوسط و التحقت بمؤسسة الطفولة المسعفة سنة 2015 بعد أن كانت تعيش مع الأم البديلة مع ثلاث إخوة. أما الحالة الثانية فتبلغ من العمر 12 سنة ، و تدرس في السنة الرابعة ابتدائي و قد التحقت بالمؤسسة سنة 2015 بعد أن كانت تعيش وحيدة مع الأم البيولوجية.

وصف أدوات الدراسة

المقابلة الإكلينيكية النصف موجهة: تعتبر المقابلة الإكلينيكية من التقنيات التي تساعدنا في جمع المعلومات عن المفحوص و فهم جوانب الشخصية بشكل أفضل. و قد اعتمدنا في هذه الدراسة على المقابلة الإكلينيكية النصف موجهة بهدف البحث باعتبارها الأنسب و هذا بالنسبة للمنهج و الأهداف و التي هدفنا من خلالها لما يلي :

- التقرب من المربيان بهدف جمع البيانات الخاصة بحالات الدراسة.
- التهديد لإجراء تطبيق الأدوات الاسقاطية (رائز خروف القدم السوداء) باعتبار هذه خطوة مهمة من أجل الدراسة.

- جمع المعلومات المتعلقة بالأعراض الاكتئابية والمتمثلة في الانعزالية، انخفاض تقدير الذات، انخفاض المزاج والطاقة وفقدان المتعة لدى المراهقات في خطر معنوي والمقدمات بمؤسسة الطفولة المسعفة. ولقد احتوى دليل المقابلة على مجموعة من الأسئلة نصف موجهة كما تمثلت محاور المقابلة فيما يلي:

المحور الأول: في الجانب العلائقي

- هل تكون في أغلب الحالات منعزلة؟
- كيف هي قدرتها على تكوين علاقات؟
- كيف تقضي أوقات الفراغ؟

المحور الثاني: في جانب تقدير الذات

- هل تتحدث عن نفسها بعبارات سلبية؟
- هل تقوم بإلقاء اللوم على نفسها؟
- كيف تقارن نفسها بالآخرين؟
- هل تتحدث عن طموحات المستقبلية؟
- هل لديها رغبة في فقدان الحياة؟

المحور الثالث: في الجانب المزاجي النشاط في الحياة

- هل تبدو باكية أو تبكي في بعض الأحيان؟
- كيف يبدو مزاجها عموماً؟ مبتهيج / حزين؟
- هل تشارك الأطفال في النشاطات؟

- هل تبدو متحمسة أثناء القيام ببعض النشاطات؟
- هل يبدو عليها الفتور والتعب في غالب الأحيان؟

المحور الرابع: الشعور بالمتعة ونمط الحياة اليومية

- كيف هو سلوكها تجاه الاعتناء بنظافتها الشخصية؟
- هل تبدو أنها تستمتع ببعض النشاطات وتفضلها؟
- كيف هو سلوكها تجاه تناول الوجبات وأوقات نومها؟
- هل لاحظتم تغير في وزنها؟

طريقة التطبيق: في المرحلة الأولى قمنا بتقسيم مضمون نص المقابلات الإكلينيكية نصف موجهة بهدف البحث إلى مجموعة عبارات ذات معنى تم تجزئة هذه العبارات ضمن فئات، ثم حساب تواترها ونسبتها المئوية بهدف تكميمها فلقد قمنا بتشكيل هذه الفئات وفقاً للمعنى الذي تصب فيه العبارات المقسمة ووفقاً للأبعاد المتضمنة في الفرضية العامة لدراسة وهذا في إطار جدول معد لهذا الهدف وتمثل الأبعاد في ما يلي:

البعد الأول: العلاقات والميل للانعزالية

البعد الثاني: انخفاض تقدير الذات

البعد الثالث: انخفاض المزاج وهبوط في الطاقة

البعد الرابع: فقدان المتعة

كما قمنا بإدراج كل العبارات ضمن فئات كما وجدنا أنه يتعذر إدراج البعض منها في الأبعاد الأربعة الأساسية نقوم بإدراجها ضمن بعد جديد معنون بمواضيع أخرى ، أما القانون الخاص بحساب النسبة المئوية فيتمثل فيما يلي:

$$\text{الفئة} = \text{ك} / \text{X 100} \quad \text{البعد} = \text{ك} / \text{مج ت X 100}$$

ك = تكرار الفئة

ك = مجموع تكرارات الفئات الخاصة بالبعد

مج ت = مجموع تكرارات كل الفئات

وبعد تطبيق هاتين المرحلتين تأتي في الأخير عملية تفسير النتائج المتحصل عليها تفسيراً كيفياً و نعتماً فيه على ربط الفئات والأبعاد مع بعضها حتى تتمكن من القيام بقراءة صحيحة لشخصية المفحوصين.

اختبار خروف القدم السوداء:

التعريف بالاختبار: هو من أهم الروائز الإسقاطية التي صيغت لدراسة الأطفال و المراهقين دراسة معمقة. فهو لا يجتاز فقط حدود الحياة النفسية الواعية لينيرنا حول البنية النفسية اللاواعية للشخصية في كليتها وفي ديناميكيتها ، و إنما يتخصص في دراسة أنماط تكيف الطفل مع البيئة المحيطة ، و أسباب تثبيته على مرحلة ما من مراحل نموه ، و آلياته الدفاعية و موقفه من عالمه الشخصي أي من نزواته و أزماته و دفاعاته و من الصراعات القائمة بينها ، والحلول التي لجأ إليها للخروج من هذه الصراعات(باسمة المنلا ، 1955 ، ص1) فشخصيات الرائز هي حيوانات أليفة. و هذا الترميز بالحيوان يسهل تماهي الطفل به. فهو لا يحتفظ في التعبير عن مآزمه لأنه لا يعتبر نفسه مستهدفاً أو معنياً بمشاهد و حوادث اللوحات و بالشخصيات التي تعيش القصة ، التي لا صلة له بها إطلاقاً. فهو لا يدرك الترميز الإسقاطي الذي تقدمه الحيوانات ، فاللوحات التي يتكون منها الرائز تقوم على رموز و مثيرات هدفها تنشيط أوالية الإسقاط و تسهيل عودة المكبوت(باسمة المنلا ، 1955 ، ص1) بالإضافة إلى ذلك يتميز هذا الرائز بخاصية فريدة و هي أنه يستجوب لوعي الطفل حول ماضيه و حول الأحداث اللاواعية التي عاشها و حول قدرته على تخطي هذه الأحداث و حول الأسلوب الذي تعاطي به مع تجربة استبعاده عن محيطه العائلي ، الرائز يأخذ إذا قيمة كبيرة في دراسة الأطفال الذين تعرضوا لظروف عائلية مأساوية(باسمة المنلا ، 1955 ، ص2).

وبما أن الاختبار يقوم على مرحلتين جوهريتين قوام الأولى سرد قصص عن اللوحات و قوام الثانية تصنيف اللوحات وفق الاختبارات العاطفية ، فإن الهدف من هذه المراحل هو الكشف عن التأرجح الدينامي الذي يحصل بين نزوات المفحوص من جهة و بين دفاعاته من جهة ثانية. فبينما نراه في المرحلة الأولى يعبر عن دوافعه و دفاعاته بشكل فح و مبهم ، نراه في المرحلة الثانية يدرك أنه مستهدف و معني ، فيحاول صياغة تسويات نستدل منها على مقدار نضج الأنا ، و على نمط المصالحة القائمة بين مختلف أركان الشخصية(باسمة المنلا ، 1955 ، ص3).

يتكون هذا الرائز من 17 بقياس 13X18 سم تدور كلها حول خروف له قدم سوداء يبدأ الرائز دائماً بلوحة تمهيدية تعرضها أولاً على الطفل ، و هي لوحة محايدة ، لا توحى .خلاقاً للوحات الأخرى .بأية نزوات محددة ، و لا تقوم الشخصيات فيها بأية حركة أو نشاط(باسمة المنلا ، 1955 ، ص43).

صدق اختبار خروف القدم السوداء: هذا الشرط يتطلب أن يتحلى الاختبار بمستوى جيد من الصدق أي أن يقيس فعليا ما وضع لأجل قياسه، و اختبار خروف القدم السوداء، ككل اختبار إسقاطي، لا يقدم أبدا معطيات لها طابع اليقين المحقق، و بالتالي فإن ما يقدمه اختبار خروف القدم السوداء من معلومات حول أركان الشخصية، و حول مآزم المفحوص، و علاقته بمحيطه الأسري هي معلومات محتملة، مرجحة، و غير مطلقة. و لكننا نستطيع بعد ذلك أن نحولها إلى حقائق بالاعتماد على طريقة التقاء المؤشرات، أي عن طريق التحقق من النتائج التي حصلنا عليها في هذا الاختبار بالاستعانة إما بالتحليل العيادي للمفحوص، و إما باختبارات أخرى تقيس نفس الظاهرة. فإذا أعطت هذه الاختبارات نتائج متقاربة، عندها فقط يمكننا القول أن الاختبار الذي نستعمله يتميز بمستوى جيد من الصدق. فأحدى الميزات الأساسية لاختبار خروف القدم السوداء أنه ينيرنا حول شخصية المفوض، و حول المنشأ النفسي للإشكال أو الاضطراب. و هذا يعني أن إحدى الشروط المبدئية لهذا الإختبار أنه يميز بين المفحوصين الأسوياء المتكفين إلى حد ما ضمن بيئتهم الاجتماعية، و بين المفحوصين الذين يعانون من إشكالات نفسية و علائقية متنوعة (فاطمة الزهراء بن مجاهد. 2005. ص22).

تطبيق الاختبار

تقنية رائز خروف القدم السوداء: يبدأ الرائز بأن نقدم للمفحوص اللوحات دون أي تسلسل محدد، و نقول له أن المطلوب منه بكل بساطة أن يرتجل قصة عن كل لوحة، و يجب أن يتوفر أمام المفحوص طاولتان، إحداهما كبيرة تسمح بأن نمد عليها أولا كل الصور، و الثانية في متناول نظر الطفل أيضا نمد عليها فيما بعد اللوحات التي رفض المفحوص الحديث عنها (باسمة المنلا، 1955، ص52).

و من الضروري كذلك تهيئة الطفل للاختبار بأن نضعه في أجواء من الثقة و الألفة و الاسترخاء، و يفترض بالفاحص أن يتحلى بما يسمى « بالحياد المرحب » بحيث لا يؤثر على المفحوص، و لا يوحي له بأية إجابة، و أن تكون نبرة أسئلته كلها محايدة، و يكون الكلام مع المفحوص بهدوء و دفاء، و أن لا يظهر أية دهشة أو استغراب إذا أعطى المفحوص أجوبة غريبة، بل عليه أن يؤكد له أن الأجوبة على هذا الرائز كلها جيدة، إنه لا يوجد إجابات سيئة و إجابات جيدة كما هو الحال في المدرسة، فالإجابات كلها جيدة. و نبدأ تطبيق الرائز بأن نقدم للطفل اللوحة التمهيدية قبل أن نمد أمامه اللوحات الأخرى (باسمة المنلا، 1955، ص52).

و يجب الإشارة إلى أنه يجب التقييد بأسئلة هذا الرائز و ذلك عند إعطاء اللوحة التمهيدية و يجب إعطاء اللوحات للطفل دون أي ترتيب و أن يروي قصة عن كل لوحة معينة أو يرفض الحديث عنها و الصورة التي رفض المفحوص الحديث عنها نضعها في طاولة خاصة و أن نسأله بعد سرد قصصه عما إذا كان يريد التحدث عن الصور المرفوضة بعدها نجمع كل اللوحات في رزمة واحدة و أن نطلب من المفحوص أي الصورة مفضلة لديه و أي شخصية يريد أن يكون في الصورة، و هذا بعد أن يضع المفحوص الصور التي يحبها في جهة و التي لا يحبها في جهة أخرى، و ندعوه ان يختار الصورة التي يحبها أكثر ثم التي تليها و هكذا و نفس الامر مع الصور الغير محبوبة، و بعدها تأتي أسئلة التوليف و التي حددها المؤلف أما النتائج فتستخرج كلها في جدول يدون فيه كل إجابات العميل.

مقياس بيك للإكتئاب: اعتمدنا في هذه الدراسة على مقياس بيك للإكتئاب باعتباره مقياس مناسباً لهدف الدراسة و المتمثل دراسة الاستجابة الإكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي وهو و يساهم في تدعيم النتائج المتوصل إليها من خلال الملاحظة و المقابلة الكلينيكية و رائز خروف القدم السوداء.

تعريف بمقياس بيك للإكتئاب: تم تصميم المقياس في صيغته الأولى في عام 1961 استناداً إلى الملاحظات العيادية للمرضى الاكتئابيين وتم تحديد أكثر الأعراض أو الشكاوى انتشاراً لديهم ، وصنفت في 21 بنداً تقيس المزاج الحزين والتشاؤم والفشل وعدم الرضى ومشاعر الذنب والبكاء والتهيج أو القابلية للإستئثار و الإنسحاب الإجتماعي وعدم القدرة على اتخاذ القرار واضطرابات النوم وفقدان الشهية والوزن.

ويشير أحمد عبد الخالق إلى وجود عدة ترجمات عربية مختلفة للمقياس منها من إعتد الصيغة المنشورة في عام 1961 ومنها من اعتمد القائمة المختصرة المستخرجة من عينات أمريكية ومنها من اعتمد الترجمة الحرفية دون القيام بإجراءات اختبار للتكافؤ ومنها من اعتمد في الترجمة على البيئة المحلية التي يصعب فهمها من قبل مفحوصين من بيئات عربية أخرى (سامر جميل رضوان .1999. ص8).

وفي هذه الدراسة تم استخدام الصيغة المنشورة في عام 1987 التي وردت في دليل التعليمات الصادر عام 1993 وتحتوي على 21 بنداً تتدرج الإجابة عن كل بند بين (0 - 3) والتي قام أحمد عبد الخالق بتعريبها وتقنينها ونشرها في عام 1996 بتصريح من أرون بيك.

صدق وثبات المقياس في البيئة الجزائرية:

الصدق: قام الباحث بحساب معامل الصدق بطريقتين الأولى عن طريق الصدق التلازمي فحسب المعامل بطريقة بيرسون من الدرجات الخام بين مقياس بيك للإكتئاب ومقياس التقدير الذاتي للإكتئاب لزونج وهو من تعريب و إعداد رشاد عبد العزيز موسى 1988 على عينة متكونة من 43 طالبا و طالبة من معهدي العلوم الإجتماعية و الإقتصاد في جامعة باتنة ، فوصل معامل الارتباط بين المقياسين إلى 0.825 وهو دال عند مستوى الدلالة . 0.01 والثانية عن طريق الإتساق الداخلي و هي إحدى طرق حساب صدق التكوين.حيث تم حساب معامل الارتباط بطريقة بيرسون من الدرجات الخام بين درجة كل عبارة و الدرجة الكلية للمقياس على عينة متكونة من 82 طالبا و طالبة 34 ذكر ، و 48 أنثى من معاهد العلوم الإجتماعية و الري و الإقتصاد و اللغات و العلوم الدقيقة ، فيتبين من خلال معاملات الثبات و الصدق التي تم استخراجها لهذا المقياس أنها كانت كلها مرتفعة و دالة إحصائياً ، وهذا ما يجعل هذا المقياس صالحاً للإستخدام في البيئة الجزائرية.

الثبات: قام بشير معمره 1998 بحساب الثبات على عينة متكونة من 63 طالب وطالبة 28 من الذكور و 35 من الإناث من السنوات الأربعة لمعهدي العلوم الإجتماعية و الآداب و اللغة العربية في جامعة باتنة بفواصل زمني بين التطبيقين تراوح بين 18 يوماً و 27 يوماً فوصل معامل الارتباط بين التطبيقين بطريقة بيرسون من الدرجات الخام إلى 0.832 و هو دال عند مستوى الدلالة 0.01 . (بشير معمره ، 1998 ، ص153)

أبعاد المقياس

1 . الحزن 2 . الفشل 3 . مشاعر الإثم 4 . عدم حب الذات 5 . الأفكار و الرغبات الانتحارية 6 . التهيج أو الإستئثار 7 . التردد 8 . فقدان الطاقة 9 . القابلية للغضب 10 . صعوبة التركيز 11 . فقدان الاهتمام بالجنس .

12. التشاؤم . 13. فقدان الاستمتاع . 14. مشاعر العقاب . 15. نقد الذات . 16. البكاء . 17. فقدان الاهتمام . 18. انعدام القيمة . 19. زيادة أو قلة النوم . 20. ضعف أو زيادة الشهية . 21. الإرهاق أو الإجهاد .

مفتاح التصحيح:

9 - 0 = لا يوجد اكتئاب / 15 - 10 = اكتئاب بسيط / 23 - 16 = اكتئاب متوسط

36 - 24 = اكتئاب شديد / 37 فأكثر = اكتئاب شديد جدا

تحليل ومناقشة نتائج الحالات

تقديم الحالة الأولى:

الحالة الأولى تبلغ من العمر 13 سنة متمدرسة بالسنة الثالثة متوسط و لها تحصيل دراسي جيد جدا تتصف بالسلوك الهادئ و المنعزل في المدرسة مع الزملاء و الأساتذة و ليس لديها مشكلات تأديبية داخل المؤسسة التحقت الحالة بمؤسسة الطفولة المسعفة سنة 2015 بعد أن عاشت لمدة 10 سنوات مع الأم البديلة الكبيرة جدا في السن حيث قامت بإحضارها إلى المؤسسة بسبب كبر الحالة في السن و عدم قدرتها على التكفل بها و صعوبة ظروفها المعيشية حيث كانت هذه الأم البديل تتكفل بالحالة بعد أن تخلت عنها. أودعتها الأم البيولوجية عندها حيث كانت الأم رافضة لهذه المولودة و منعت من العيش مع أسرتها بسبب إنجابها للبنات عن طريق علاقة خارج إطار الزواج ، فالحالة ليس لديها أي علاقة بأبها و لا يوجد أي زيارات لها ، فهي حاليا تعيش ظروف اجتماعية صعبة ، و للحالة إخوة كانت تعيش معهم في الأسرة البديلة ، و في المؤسسة يلاحظ عليها الهدوء و العزلة و تقلبات انفعالية.

عرض نتائج تحليل مضمون المقابلة الاكلينيكية نصف موجهة بهدف البحث

النسبة المئوية لبعد العلاقات و الميل للعزلة	37.25 %
النسبة المئوية لبعد إنخفاض تقدير الذات	17.64 %
النسبة المئوية لبعد إنخفاض المزاج و هبوط في الطاقة	27.45 %
النسبة المئوية لبعد فقدان الشعور بالمتعة و نمط الحياة اليومية	17.64 %

يتضح من خلال إجراءات المقابلة و تحليل مضمون المقابلة أن المفحوصة تميل إلى العزلة بشكل كبير و يظهر ذلك من خلال صعوبة تكون العلاقات مع الآخرين و الحذر من ذلك و الذي قد يكون سببه المحيط و الظروف التي نشأت فيها الحالة و الذي يتسم بالغياب الكلي للأب و الأم و العيش في أسرة غريبة عنها و يكون هذا العيش بمقابل مادي ، كما تتصف الأسرة البديلة بأن الأم كانت كبيرة جدا في السن مما يجعلها تتكفل بالحالة بصعوبة و تكون حذرة و خائفة خوف شديد من بناء الحالة لعلاقات خارجية و التي من شأنها أن تلحق بالأم البديلة مشكلات مع الآخرين أو أن يتعرف عليها المحيطين بها و تطرح تساؤلات عن نسبها ، كما أن العيش مع الإخوة اللذين هم أبناء للأم البديلة يجعلها تشعر بالاختلاف عنهم في المعاملة من طرف الأم ، وبهذا تلجأ الحالة إلى العزلة عنهم و عن الآخرين ، كما أن التغير من أسرة الأم البديلة إلى الأسرة البديلة في مؤسسة الطفولة المسعفة جعل الحالة تجد صعوبة في التكيف مع الآخرين كالمربيات و الأطفال المقيمين في المؤسسة و الزائرين فالحالة ترى أنه فرد مفوض من طرف الأبوين اللذان تخلوا عنها و يلي بعدها الأم البديلة التي أودعتها بالمؤسسة بحجة صعوبة تكاليف العيش فهذا يجعلها ترفض الاندماج مع المحيطين بها بالإضافة

إلى التساؤلات والحوارات المطرحة مع الأقران في المدرسة و ما تلاحظه من علاقات أسرية مع أقاربها كذلك تجد نفسها مختلف عنهم في جانب الحديث عن الأم و الأب و المنزل و الاخوة فهذا يجعلها تتجنب التواصل معهم بقصد تجنب الحديث عن وضعها الخاص ، و هذا ما يجعلها تتميز بتقدير سلبى لذات .

عرض نتائج رائز خروف القدم السوداء

اللوحات المحبوبة		اللوحات غير المحبوبة	
.حلم الأم	(خ ق س)	.المعركة	(خ ص أ 1)
.الرضاعة (1)	(خ ق س)	.المعلف	(خ ص أ 2)
.الألعاب القذرة	(الأب)	.حلم الأب	(خ ق س)
.الحمل	(الأم)	.القبلة	(خ ص أ 1)
.العربة	(الأم)	.الليل	(خ ق س)
.الرحيل	(خ ق س)	.التردد	(الأم)
.الحفرة	(القوي)	.الرضاعة (2)	(خ ص أ 2)
. الوزة	(القوي)	.المعزة	(القوي)

جدول رقم (03) يوضح تصنيف اللوحات و تماهيات الحالة الأولى في كل لوحة من لوحات ال رائز .

*مجموع اللوحات المحبوبة:

اللوحات المحبوبة 8: لوحات

اللوحات غير المحبوبة 8: لوحات

*مجموع التماهيات:

خروف القدم السوداء 5: مرات

القوي 3: مرات

الأم 3: مرات

الأب 1: مرة

لا أحد 0: مرة

الخروف الأبيض الصغير 5: مرات

عرض نتائج رائز خروف القدم السوداء: ما يلاحظ في آيين الحالة الأولى عدد التماهيات المقدره بخمس (5) و هو يشير إلى ضيق كبير ومشاعر الذنب القوية ، كما نلاحظ كذلك العدوانية التي توجهها الحالة للأب من خلال لوحة الألعاب القذرة و تصنيفها إياها على أنها غير محبوبة وإعطائها متنا أجوف و هروبي في لوحة حلم أب ، كما تظهر المشاعر الاكتئابية بارزة في لوحة الرحيل و لوحة القبلة و لوحة التردد التي جاء فيها المتن بضياح الخروف و إتقائه بعائلته و هو إشارة إلى وجود دفاع قوي ضد الشعور بالعزلة و الشعور بالنبذ و الحرمان حيث قدمت المفحوصة متونا تبني فيها تكوينا عكسيا ضد الشعور بالاكتئاب ، كما يظهر الاكتئاب كذلك في أسئلة التوليف حيث جاء في الإجابة عن تعليمة تخيل حلم آره خ ق س ب (موت الأبوين و بيع الإخوة في السوق و بأن خ ق س قد خسر كل شيء) ، كما أن التماهي بالأبيض الصغير قد جاء بمعدل 5 مرات في كل من

لوحة المعركة ، المعلق ، القبله ، الليل ، رضاعة 2 و هو تماهي هروي حيث تحمي المفحوصة نفسها من مشاعر الذنب .و من خلال لوحة الساحرة و التمنيات المعنوية و الأخلاقية التي تدل على مشاعر الذنب و الرغبة في التحلي بالفضيلة بالإضافة إلى التمنيات المادية و المتمثلة في تغير أوضاع العائلة إلى الأحسن و هذا ما يشير إلى وجود مشاعر إكتئابية لدى الأطفال و المراهقين المقيمين بالمؤسسات الإيوائية و المحرومين من عائلاتهم.

عرض نتائج مقياس بيك للإكتئاب

الدرجة	البعد	الرقم	الدرجة	البعد	الرقم
0	التشاؤم	12	1	الحزن	01
2	فقدان الاستمتاع	13	0	الفشل	02
0	مشاعر العقاب	14	0	مشاعر الإثم	03
2	نقد الذات	15	0	عدم حب الذات	04
0	البكاء	16	0	الأفكار و الرغبات الانتحارية	05
2	فقدان الاهتمام	17	3	التهييج أو الاستثارة	06
0	انعدام القيمة	18	0	التردد	07
3	زيادة أو قلة النوم	19	0	فقدان الطاقة	08
2	ضعف أو زيادة الشهية	20	2	القابلية للغضب	09
1	الإرهاق أو الإجهاد	21	0	صعوبة التركيز	10
			3	فقدان الاهتمام بالجنس	11
12			9		
الدرجة الكلية = 21					

الجدول رقم(04) يوضح استخارج نتائج مقياس بيك للإكتئاب الخاص بالحالة الأولى

عرض نتائج مقياس بيك للإكتئاب: يتضح من خلال خطوتي إستخراج و تحليل نتائج مقياس بيك للاكتئاب أن المفحوصة قد حصلت على الدرجة الكلية للمقياس و المقدره بدرجة 21 فهذه الدرجة محصورة ما بين 16 إلى 23 درجة و هذا ما يشير إلى أن الحالة تعاني من إكتئاب متوسط و هذا حسب معايير تصحيح المقياس ، فالهالة تعاني من مشاعر الحزن و سرعة الاستثارة و شدة القابلية للغضب بالإضافة لفقدان الإستمتاع و الاهتمام والإحساس بالإرهاق و الإجهاد و تعاني من مشكلات في النوم و الشهية ، فالهالة مقيمة بالمؤسسة منذ سنتين و نصف بعد أن كانت تعيش منذ ميلادها مع الأم البديلة ، و هي أم لأبناء آخرين و كانت الحالة تعيش معهم في منزل واحد أي أنهم إخوى من الأم البديلة ، و كانت هذه العائلة تعيش ظروف معيشية صعبة بالإضافة إلى سن والدتهم المتقدم و عجزها عن التكفل المادي و التربوي بالحالة فهذا الوضع يعتبر من العوامل التي تجعل الحالة تعاني من سرعة الاستثارة و شدة القابلية للغضب ، فالتنافس الأخ و بينها و بين هؤلاء الإخوة في ضل غياب الأم البيولوجية و حضور الأم البيولوجية بالنسبة للإخوة يجعل الحالة تعاني من فقدان الحب و فقدان السند و هذا ما يجعلها تكون أكثر عدوانية و سرعة إستثارة على

الآخرين بهدف تعويض النقص العاطفي و فقدانها للسند والدعم. و الحالة تعاني من فقدان الإستمتاع و فقدان الإهتمام و هذا ما قد يكون استجابة لموفق التخلي عنها والمكرر ، فهي متخلى عنها كونها مجهولة النسب و الغياب التام من طرف الأب المجهول ، و هي متخلى عنها من طرف الأم البيولوجية من بعد ولادتها مباشرة ، و متخلى عنها من طرف الأم البديلة بعد أن عاشت معها لمدة 10 سنوات و كل هذه المحطات من صدمات النبذ و العزل يجعل الحالة تتوقع النبذ والإستبعاد في م ا رحل قادمة من حياتها ، و عدم العيش في وضع مستقر.

عرض و تقديم الحالة الثانية:

تقديم الحالة الثانية: الحالة الثانية و هي أنثى عمرها 12 سنة ، تتمدرس في السنة الرابعة ابتدائي و كانت قد التحقت بالسنة الثالثة ابتدائي عن طريق إجراء اختبار إثبات مستوى ، وللحالة مستوى دراسي جيد جدا ، كما يتصف سلوكها داخل المؤسسة بالهدوء و علاقات مبنية على الاحترام مع العمال و علاقات إيجابية مع الزملاء في المدرسة و المؤسسة و لم تتعرض الحالة إلى أي مشكلات في المدرسة أو إحالة إلى مجلس تأديبي ، وكان التحاقها بالمؤسسة سنة 2016 عن طريق الضبطية القضائية بعد أن كانت وحيدة رفقة الأم - التي تعاني من أوضاع صحية متدهورة - في حالة تسول فقد عاشت ظروف عائلية قاسية معها لمدة 10 سنوات حيث قام أحد المتضامنين بالتكفل بها عندما عثر عليها مع أمها و هو حاليا من يقوم بزيارتها في المؤسسة.

عرض نتائج تحليل مضمون المقابلة الاكلينيكية نصف موجهة بهدف البحث

النسبة المئوية لبعء العلاقات و الميل للعزلة	24.13%
النسبة المئوية لبعء إنخفاض تقدير الذات	20.68%
النسبة المئوية لبعء إنخفاض المزاج و هبوط في الطاقة	22.41%
النسبة المئوية لبعء فقدان الشعور بالمتعة و نمط الحياة اليومية	5.17%

يتضح من خلال إجراء المقابلة الإكلينيكية نصف موجهة و تحليل مضمونها أن المفحوصة تميل إلى العزلة بشكل كبير و قد يتضح ذلك من خلال كلا من صعوبة تكوين العلاقات مع الآخرين و صعوبة التكيف و الانعزالية ، وهذا ما قد يكون ناتج عن المحيط والظروف التي نشأت فيها الحالة و الذي يتسم بالغياب الكلي للأب و بالإضافة إلى العيش وحيدة مع الأم و غياب السند العائلي لولادتها و فقدان المدخول المادي الذي يضمن لها العيش ، كما أن الحالة لم تتعود على الإحتكاك بالأطفال من أقرانها و ليس لها إخوة في مرحلة طفولتها و هذا ما قد يجعلها تجد صعوبة في تقبل الآخرين ، كما تتلقى الحالة بشكل دائم تحذيرات في المؤسسة من طرف المشرفين بخصوص الحذر من التواصل مع المقيمين الجدد اللذين يدخلون و هم يحملون الكثير من السلوكات الشاذة و التي من شأنها أن تؤثر على سلوكها ، بالإضافة إلى أن الحالة تتناهب نوبات من البكاء بعد إتحاقها بالمؤسسة و هذا ما قد يكون سببه الصراع و صعوبة تحملها الانفصال عن والدتها و تقييمها السلبي لذاتها بسبب إدراكها لوضع التسول و التشرذ الذي كانت تعيش عليه من قبل.

عرض نتائج رائز خروف القدم السوداء

اللوحات المحبوبة		اللوحات غير المحبوبة	
.حلم الام	(خ ق س)	.المعركة	(خ ص أ1)
.الرضاعة (1)	(خ ق س)	.المعلف	(خ ص أ1)
.الالعب القذرة	(خ ق س)	.حلم الأب	(خ ق س)
.الحمل	(الأم)	.القبلة	(خ ق س)
.العربة	(خ ق س)	.الليل	(خ ق س)
.الرحيل	(خ ق س)	.التردد	(خ ق س)
.الحفرة	(خ ق س)	.الرضاعة (2)	(خ ق س)
.الوزة	(خ ق س)	.المعزة	(خ ق س)

*مجموع اللوحات المحبوبة و غير المحبوبة:

اللوحات المحبوبة: 5 لوحات.

اللوحات غير المحبوبة: 6 لوحات

اللوحات التي تم رفض الحديث عنها: 6 لوحات

*مجموع التماهيات:

خروف القدم السوداء: 13 مرات

الخروف الأبيض: 2 مرة

القوي: 0 مرة

الأم: 1 مرة

لا أحد: 0 مرة

يتميز آيين الحالة الثانية بتوظيف متطرف لخروف القدم السوداء حيث كانت قد تماهت به لمرات متعددة ولكنها لا تحمل نفسها مسؤولية ما يجري في اللوحات من خلال رفض 13 لوحة من بين 17 لوحة ، فإن صد المفحوصة و ضعف أنها يرغمانها على اللجوء إلى إستعمال تماهيات مشروطة و هكذا فإن الحالة وظفت إلى أقصى حد النشاط الذي يقوم به خروف القدم السوداء 13 مرة .فخروف القدم السوداء هو المستبعد في لوحة التردد وهو في موقف الرضاعة الوحيد في لوحة الرضاع (1) (وهو المعتدى عليه في لوحة الوزة وهو العاصي الذي عوقب بالوقوع في الحفرة في لوحة الحفرة و هو متلقي العقاب بالهجر والاستبعاد في لوحة العربة وهو الخروف النظار المذنب في شكل رقابة ممارسة على الفضولية الممنوعة في لوحة الليل وهو الساعي إلى الاستقلالية و تغيير المحيط في لوحة الرحيل و هو المعتدى على الأهل في لوحة الألعاب القذرة و هو الخروف النظار الآثم في لوحة القبلة و هو الرضاع في لوحة الرضاعة 2 و هو الخروف المذنب في علاقته بالأم البديلة في لوحة المع ازة و هو الذي يحلم بالأم و الأب في كلا من لوحتي حلم الأم و حلم الأب و بهذا فإن الحالة تحافظ على تماهياتها ب خ ق س دون أن تحمّل الخروف مسؤولية ما يحدث ، و هذا يبين ضعف الأنا و صده للعقوبة و هكذا ترفض الحالة سرد قصص عن كل هذه اللوحات ، و هذا الصد يشير إلى إنتشار مشاعر الذنب على

لوحات الرائد بكامله بحيث يضرب الصد أغلب متون اللوحات ، مما ينتج متون إكتتابية وهذا ما يبرز بأن المفحوصة قلقة و مكتئبة و منسحبة.

عرض نتائج مقياس بيك للإكتئاب

الدرجة	البعد	الرقم	الدرجة	البعد	الرقم
0	التشاؤم	12	0	الحزن	01
0	فقدان الاستمتاع	13	0	الفشل	02
0	مشاعر العقاب	14	2	مشاعر الإثم	03
3	نقد الذات	15	0	عدم حب الذات	04
0	البكاء	16	0	الأفكار و الرغبات الانتحارية	05
2	فقدان الاهتمام	17	3	التهيج أو الاستثارة	06
0	انعدام القيمة	18	1	التردد	07
0	زيادة أو قلة النوم	19	0	فقدان الطاقة	08
0	ضعف أو زيادة الشهية	20	0	القابلية للغضب	09
0	الإرهاق أو الإجهاد	21	0	صعوبة التركيز	10
			0	فقدان الاهتمام بالجنس	11
5			6		
الدرجة الكلية =11					

جدول رقم (07) يوضح إستخراج نتائج مقياس بيك للإكتئاب

يتضح من خلال خطوتي إستخراج وتحليل نتائج مقياس بيك للإكتئاب أن المفحوصة

قد حصلت على الدرجة الكلية للمقياس و المقدرة بدرجة 11 فهذه الدرجة محصورة ما بين 10 إلى 15 درجة و هذا ما يشير إلى أن الحالة تعاني من إكتئاب بسيط و هذا حسب معايير تصحيح المقياس ، فالحالة تعاني من مشاعر الذنب و تقييم سلبي لذات و تواجه صعوبة في اتخاذ القرارات و فقدان الإهتمام و كذلك سرعة التهيج و الاستثارة فالحالة قد عاشت في ظروف أسرية متذبذبة منذ ميلادها حيث كان يسودها الرفض من طرف الأسرة و المجتمع للأم و البنت ، و عاشت الأم مع البنت منفصلة عن أسرتها و تلقت الكثير من المشكلات الاجتماعية حيث كانت الحالة هي كذلك معرضة لهذه المشكلات من ميلادها إلى أن بلغت من العمر 10 سنوات و خلال هذه السنوات لم تكن تحظى بالعيش بين الأب و الأم في منزل يحميها من كل العواقب و يوفر لها الحب و الإهتمام و علاقات عاطفية مشبعة مع الأقارب و الأقران فلقد تعرضت لمعاملة قاسية من طرف الأم و عاشت معاناة الغياب التام للأب ، و التسول و التشرذم و هذا جعل الحالة تفقد تقديرها لذاتها و تفقد ثققتها بنفسها ، و بالآخرين فأصبحت في صراع بين الإشباع لحاجتها للحب و الحنان من طرف الأم و لكنها تعرضها للخطر ، و بين العيش داخل مؤسسة إيوائية التي تحميها من أخطار الشارع و توفر لها المأكل و المشرب دون معاناة ، و لكنها تبقى هنالك محرومة من أمها التي تعتبر هي الوحيدة التي ترتبط بها كما أن مقارنة الحالة

لنفسها بالأقران تجد نفسها كانت سبب لوقوع مشاكل لوالديها ، و أنها لا تحظى بالامتيازات التي يحظى بها أي مراهق ، و هذا ما يجعلها تشعر بالذنب إزاء وجودها في الحياة كما أن غياب الأم عنها بعد إلحاقها بمؤسسة الطفولة المسعفة فقد أصبحت تعاني من فقدان السند الذي تثق به رغم أن وجودها مع والديها يعرضها للخطر ، فهي أصبحت تعيش في مؤسسة تختلف فيها شخصيات و معتقدات المهربات و أسلوب تعاملهن فهذا قد يؤثر في قدرتها على تحمل توجهاتهن و إرشاداتهن المختلفة في طرحهن ، بالإضافة إلى عدد الأطفال و اختلاف أعمار الوافدين للمؤسسة واختلاف شخصياتهم و تربيتهم ، و أخلاقهم و خباياهم السلبية في الحياة ، فهذا ما قد يجعلها سريعة الاستئثار و يزيد من قابليتها للغضب تجاه كل هؤلاء الأفراد .

مناقشة النتائج على ضوء الفرضية والدراسات السابقة: تشير فرضية الدراسة بأننا نتوقع ظهور الاستجابة الاكتئابية التي تتجلى في كلا من أعراض الانعزالية ، انخفاض تقدير الذات ، و انخفاض المزاج و الطاقة ، فقدان المتعة لدى الفتاة المراهقة في حالة خطر معنوي .

وللتأكد من صحة الفرضية قمنا بإجراء كلا من المقابلة الكلينيكية نصف موجهة بهدف البحث وتطبيق كلا من الاختبار الإسقاطي رائر خروف القدم السوداء ومقياس بيك للاكتئاب .

إذ وضحت نتائج تحليل مضمون المقابلة الكلينيكية نصف موجهة بهدف البحث أمام الفرضية التي تنص على توقع ظهور الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات اللواتي في خطر معنوي و التي تتجلى في كلا من الانعزالية ، التقدير السلبي للذات ، انخفاض المزاج و الطاقة ، فقدان المتعة أن الحالتين يظهر لديهما حالة الإنعزالية عن الأفراد المحيطين في مؤسسة الطفولة المسعفة من فئة الأطفال و المهربات و الزملاء في المحيط المدرسي بالإضافة إلى صعوبة التكيف وتكوين علاقات مع الأفراد الجدد في محيطهم ، حيث يظهر ذلك في قلة المشاركة في النشاطات الجماعية و قلة التماهي معهم كما إتضح ذلك من خلال اختبار خروف القدم السوداء في استجاباتهم على لوحات التردد المتعلق

بسحق المستبعد وكذلك رفض سرد قصص عن معظم اللوحات و صد قوي لنزواتها بالنسبة للحالة الثانية و المتون الهروبية لحماية النفس من مشاعر ذنب قوية و من تحمل مسؤولية أفعال البطل بالنسبة للحالة الأولى. و هذا ما توصلت إليه دراسة (مكاوي سنة 1987) أن السلوك الاجتماعي أفضل لدى الأطفال العاديين مقارنة بأطفال المؤسسات الإيوائية .

ووضحت كذلك نتائج تحليل المقابلة أن الحلتين يظهر لديهما انخفاض تقدير الذات فقد قدرت نسبة التقييم السلبي لذات لدى الحالة الأولى بـ 77.77% و لدى الحالة الثانية بـ 75% و هي نسب مرتفعة جدا ، كما توضح ذلك أيضا في مقياس بيك للاكتئاب من خلال إجابة الحالة الأولى على بعد نقد الذات بعبارة (أنقد نفسي على كل أخطائي) ، و إجابة الحالة الثانية على بعد مشاعر الإثم بعبارة (أشعر بتأنيب الضمير أغلب الوقت) و بعد نقد الذات بعبارة (ألم نفسي على كل ما يحدث من أشياء سيئة) و حسب تحليل نتائج اختبار خروف القدم السوداء يتبين كذلك أنه لدى الحالتين إنخفاض تقدير الذات و مشاعر الذنب و العدوانية الموجهة نحو الأب و نحو الأم و ارتداد العدوانية على الذات بالإضافة إلى الإستجابات على لوحة الرحيل و لوحة المعززات المثيرة لمشاعر الإثم ، و هذه النتائج تتفق مع دراسة (Seligman 1990) التي مفادها الأطفال أبناء المطلقين الذين يعيشون بعيدا عن آبائهم أنهم أقل نجاحا في الدراسة و تقديرهم لذاتهم أشد إنخفاضا ، و تتفق أيضا مع دراسة

جرين 1981 التي تنص نتائجها على ارتباط الإنخفاض في تقدير الذات بالمستويات المرتفعة في الاكتئاب لدى المراهقين.

أما النتائج المتعلقة بإنخفاض المزاج وهبوط الطاقة فقد أظهرت نتائج المقابلة أنها قدرت لدى الحالة الأولى بـ 27.45% و عند الحالة الثانية بـ 22.41% و هي نسب مرتفعة نسبياً و يتجلي هذا في مواجهة الحالتين لصعوبات في ممارسة النشاطات اليومية مثل ترتيب الغرفة وتنظيفها وترتيب الأغراض الشخصية ، الاعتناء بالنظافة الشخصية ، المزاج المكتئب و مشاعر الحزن التي تلازمهم و نوبات البكاء و حسب نتائج اختبار خروف القدم السوداء نجد بعض الإستجابات الدالة على المزاج المكتئب و مشاعر الحزن في كل من لوحة الرحيل و لوحة الساحرة حيث كانت الأمنيات ذات معاني أخلاقية و أمنيات مادية حول تغير أحوال العائلة إلى الأحسن و ذلك في إستجابة كل من الحالة الأولى و الثانية و كذلك عدد التماهيات بخروف القدم السوداء الذي يفوق 5 تماهيات و الدالة على الاكتئاب ، و هذا ما يتفق مع ما توصلت إليه نتائج دراسة (العربي، 1994) بعنوان " أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل " ومفادها أن صورة الذات لدى الأطفال المحرومين غارقة في مشاعر البؤس والانزعاج وغياب السند والأمن لافتقاد الصورة الوالدية المطمئنة كما تسيطر عليها مشاعر الذنب والقلق و الحزن والدونية وانخفاض تقدير الذات لغياب الجانب النرجسي ، وكما لم يتمكن هؤلاء الأطفال من إقامة علاقة عاطفية مستقرة في الموضوع بسبب تعدده داخل المؤسسة.

أما نتائج فقدان الشعور بالمتعة فقد كان تقديرها منخفض من خلا تحليل مضمون محتوى المقابلة إذ قدر لدى الحالة الأولى بـ 17.46% و الحالة الثانية بـ 5.17% و قدر البند المتعلق بفقدان المتعة لدى الحالة الأولى بالدرجة 2 و رغم عدم وجود لوحات صريحة تدرس موضوع فقدان المتعة في اختبار خروف القدم السوداء إلا أن وجوده لدى الحالتين يتبع ما تم التوصل إليه من نتائج الحزن و فقدان الاهتمام بالآخرين والنشاطات اليومية و الجماعية ، و بالتالي تتحقق الفرضية التي تنص على توقع وجود الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي و الذي يتجلي في الانزعالية و انخفاض تقدير الذات و هبوط المزاج و الطاقة و فقدان المتعة.

خلاصة عامة:

يمثل البحث العلمي في حياتنا أهمية كبيرة في الوصول إلى فهم الظواهر وتفسيرها و التنبؤ بها كما تكمن أهميته كذلك في كونه الوسيلة الأساسية لتطور و السعي إلى التغيير للأحسن ، و تعتبر ظاهرة تعرض المراهقين للخطر المعنوي إحدى الظواهر التي تهدد إستقرار الأسرة و تماسك المجتمع ، فهي ظاهرة تؤدي إلى عجز المراهق عن النمو والتطور بالشكل السوي الذي يؤهله الأهلية المتميز لدخوله في مستقبل جيد ، يجعله فرداً ذو فعالية إيجابية لحياته الشخصية و معيشته الأسرية وتفاعله مع المجتمع ، كما أن هذه الظاهرة تشكل كذلك عبئاً إقتصادياً على مؤسسات الدولة التي تعمل على إيوائهم ، و ينتج عنها كذلك أفراد ليس يعانون من التعرض للخطر المعنوي فقط بل و أصبحوا يعانون من اضطرابات نفسية و جسدية صعبة.

لذلك قمنا في دراستنا هذه بدراسة الاستجابة الاكتئابية لدى المراهقات في خطر معنوي دراسة تحليلية نفسية بمدينة ورقلة بمؤسسة الطفولة المسعفة ، باعتبار أن هذا النوع من الاضطرابات أي الاكتئاب بين المراهقات في خطر معنوي من فاقداً السند العائلي و المقيّمات بمؤسسات الطفولة المسعفة هو من أصعب

الاضطرابات التي يمكن أن ترافق الفرد إلى غاية مرحلة الرشد، و تشكل له صعوبة بالغة في تطوره النفسي و المعرفي و الصحي و قد تؤدي به إلى الانتحار كذلك، و هو من أكثر الاضطرابات انتشارا لدى هاته الفئة. لقد استكشفنا في دراستنا و لدى حالات الدراسة أن المراهقات اللواتي هن في حالة خطر معنوي تظهر لديهن الاستجابة الاكتئابية و هذا ما تم التحقق منه عن طريق الملاحظة وإجراء تحليل مضمون المقابلة الكلينيكية و تطبيق رائج خروف القدم السوداء و مقياس بيك للإكتئاب، و أن أبرز أعراض الاستجابة الاكتئابية التي تمت دراستها هي الميل للإنعزالية و التي لها علاقة فقدان السند العائلي و مشاعر الخوف من المحيط و مشاعر الذنب. و انخفاض تقدير الذات و التقييم السلبي لها و الذي له علاقة بمشاعر تأنيب الضمير المتعلق بالصراع حول توجيه العلاقة مع الأم و كون وجددهم في الحياة الذي سبب لها مشكلات و كونهم مجهولي النسب. و انخفاض المزاج و مشاعر الحزن و هبوط الطاقة، و هذا ما له علاقة بمشكلات تشكل الهوية لديهن. و فقدان الاستمتاع بالحياة و أداء النشاطات اليومية، و هذا ما قد يكون متعلق بعدم القدر على إتخاذ القرارات و تشكيل علاقات إجتماعية و العجز عن البدء في تشكيل مشروع حياة.

و لقد خلصت الدراسة إلى خطورة التعرض للخطر المعنوي المتمثل في فقدان السند العائلي و العيش خارج الإطار الأسري للمراهق في ظهور الأعراض الاكتئابية لدى المراهقات التي قد تؤدي بهم إلى الادمان على المخدرات أو الانتحار في سن المراهقة، و بالتالي انتشار الظاهرة إلى ما هو أكثر تعقيدا و ما يشكل أعباء أخرى على أفراد المجتمع من أطفال و مراهقين و حتى من هم في مرحلة الرشد.

و اعتمادا على هذه النتائج التي تبقى محدودة بمنهج البحث و حالات الدراسة نقترح:

إجراء هذه الدراسة على عينة أوسع على مستوي فئات عمرية مختلفة و مناطق متفرقة و هذا ما يساهم في تصميم و سائل بحث مخصصة لاستكشاف الأفراد اللذين هم في خطر معنوي و التحقق من احتمالية إصابتهم بالإكتئاب و هذا ما ساعد في تقديم العلاج المبكر و حمايتهم من الخطر.

-البحث عن العوامل المساهمة في إنتشار ظاهرة الخطر المعنوي و تعرض الأطفال و المراهقين لذلك و العمل على الحد من إنتشارها.

-دراسة العوامل المساهمة في ظهور الأعراض الاكتئابية لدى المراهقين في خطر معنوي بما فيها الانعزالية عن الأفراد المحيطين و انخفاض تقدير الذات و مشاعر الذنب إرتداد العدوانية على الذات و على كل من الأب و الأم.

-دراسة خصوصية الأعراض الاكتئابية لدى كلا من المراهقين في خطر معنوي المقيمين في المؤسسات الإيوائية و المقيمين مع عائلاتهم.

قائمة المراجع

-القرءان الكريم.

-الحمادي. أنور(2015): الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية DSM-5، بيروت. ط1. دار العربية للعلوم ناشرون.

-باسمة المنلا(1995). رائج خروف القدم السوداء دراسة في سيكولوجية الطفل المحروم من الحب. دار النهضة العربية للطباعة و النشر. لبنان. بيروت.

-كمال يوسف بلان(2011). الاضطرابات السلوكية و الوجدانية لدى الاطفال المقيمين في دور الإيتام من وجهة نظر المشرفين عليهم. مجلة جامعة دمشق - المجلد 27 - العدد الأول + الثاني 27/03/2018 www.damascusuniversity.edu.sy

- عبد الفتاح عبد الغني الهمص ، زياد علي الجرجاوي(2011). درجة تقبل اللقطاء في المجتمع الفلسطيني دراسة سيكولوجية مقارنة. غزة. فلسطين. www.qou.edu 27/03/2018
- لطفي الشرييني(2001). الاكتئاب المرض و العلاج ، الناشر منشأة المعارف جلال حزي وشركاه.
- الوافي ، عبد الرحمان(2016). مدخل إلى علم النفس. الجزائر. ط7. دار هومة للنشر والتوزيع.
- الخالدي ، أديب محمد(2015) ، علم النفس الإكلينيكي ، عمان ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع وطباعة.
- وليد سرحان. جمال الخطيب. محمد حباشنة(2001). الاكتئاب. دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان. الأردن.
- عبد المنعم الحنفي(2002). الموسوعة النفسية الجنسية. مكتبة مديولي للنشر و التوزيع. مصر. القاهرة
- حامد عبد السلام زهران(2001). علم النفس النمو الطفولة و المراهقة. ط5 ، عالم الكتب للنشر. مصر. القاهرة.
- فاطمة الزهراء بن مجاهد(2005). دراسة بعض سمات الطفل المعتدى عليه جسديا بالتكرار رسالة ماجستير ،. جامعة منتوري. قسنطينة
- سامر جميل رضوان(1999). الصورة السورية لمقياس بيك للإكتئاب دراسة ميدلنية على عينة من طلاب جامعة دمشق. <http://jes.ksu.edu.sa> 27/03/2018

شارل بودليير بين التحديث الشعري والأصالة

Charles Baudelaire between poetic modernization and originality

د.زهية سويسبي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة- الجزائر

مقدمة:

تجسدت فكرة التحديث في الأدب الأوربي عموما والشعر الفرنسي على وجه الخصوص من خلال الثورة على أسس ومبادئ الفكرية ، والكلاسيكي والرومانسي للذات سيطرا على الساحة الأدبية منذ قرون خلت. فلقد تظاهر هذا التحديث من خلال تفاعل المذاهب الأدبية المختلفة التي ثارت على كل الأشكال القديمة والموروثات البالية ، ومن بين هذه المذاهب الأدبية التحديثية ، أذكر منها الرمزية والدادائية والسريالية. وكانت الرمزية الفرنسية حركة أدبية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ، ومن أهم شخصيات الحركة الرمزية: شخصية شارل بودليير / وستيفان مالاميه / وبول فيرلين / وأرتور رامبو، وكل هؤلاء أرادوا أن يحرروا تقنيات الشعر من الأساليب التقليدية لإيجاد تراكيب من الشعر تتمتع بحرية أكبر. ويعد بودليير من أكبر شعراء الرمزية ، والذي يصفه الكثير من النقاد بالحدائي الأول ، وذلك بجعل الشعر الحديث شعرا مدينيا بامتياز ، يرفض القيود الشكلية والأسلوبية المتوارثة. والعديد من الدراسات بينت تأثير الآداب القديمة على الأجيال الرومانسية والرمزية ، منهم الشاعر شارل بودليير الذي درس الأساطير القديمة في المرحلة الثانوية ، وقرأ روائع أعمدة الأدبين اليوناني والروماني في لغتها الأصلية والمترجمة بفضل معرفته للغتين اليونانية واللاتينية ، وقد ارتبطت الحدائث بالشاعر بودليير ، حيث بدأت تباشيرها الأولى في الأدب والفكر والفن على يده ، وقد تأخر ظهورها إلى منتصف القرن التاسع عشر ، بعدما شهد المجتمع الغربي تحولات في أنماط فكرية وحضارية ، وقد استخدم هذا المصطلح (الحدائث) في مقاله عن كونسطنطين "عيز" C. Guys "رسام الحياة الحديثة" (Charles Baudelaire, 1999) ، والحدائث في نظر الشاعر بودليير كل ما هو عابر وسريع الزوال ، والحديث عنده هو المؤقت والزائل والهارب النسبي من الجمال ، والمتنوع مع كل عصره. (سوزان برنار، ص65). وقد ظهرت ملامح الحدائث عند بودليير في التخلي عن أنبية القصيدة القديمة ، وابتكار لغة معقدة وصور غريبة ، والبحث عن المجهول للوصول إلى الجديد ، والهروب من الواقع المرير إلى عوالم خيالية مثالية أفضت به إلى معانقة التصوف ، كما ارتكزت حدائث بودليير على تجربته الشعرية في مكوناتها المختلفة الاجتماعية والفكرية والثقافية.

إشكالية البحث: يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل أبعاد شعر شارل بودليير من حيث السياق واللفظ والمعنى ، وأن منهج البحث يقتضي منا أن نسأل عن ماهية طبيعة الشعر ، الذي وظفه الشاعر بودليير في السياق الشعري الجديد؟ وهل استطاع بودليير أن يكسر الرتابة الشعرية القديمة ويحدث شعرا حديثا ، يخدم المجتمع عن طريق قصيدة النثر؟

وهل يمكن اعتبار شارل بودليير هو المنظر الأول لقصيدة النثر؟ أم هناك شاعر آخر سبق بودليير تنسب إليه

ريادة وتأسيس قصيدة النثر؟ وإلى أي مدى أسهم الشاعر شارل بودلير في إظهار جماليات قصيدة النثر؟ وهذا ما سنتعرف عليه من خلال البحث والتحليل.

منهج الدراسة: تماشياً مع أهداف وطبيعة موضوع الدراسة الحالية (التحديث الشعري والأصالة لدى بودلير)، ثم اعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، الذي يهتم بمقارنة النصوص التقليدية في شعر شارل بودلير بالنصوص الجديدة من حيث الصياغة والشكل، للكشف عن النمطين الشعريين المختلفين، ومدى الارتباط بين هذه المتغيرات الشعرية.

1. نبذة عن حياة شارل بودلير: الأدب الفرنسي من أثرى آداب الأمم، يتضمن أعمالاً رائعة في الشعر الغنائي والمسرحية والرواية والقصة، وهو أكبر آداب تأثيراً في العالم، فالحركات الأدبية والفكرية والفرنسية مثل الكلاسيكية والواقعية والرمزية، ألهمت أعمال كثير من أدباء العالم.

ومن بين الشعراء الذين أنجبهم فرنسا: شارل بودلير من مواليد سنة 1821 بباريس، ناقد فني وشاعر، فقد أباه في مرحلة الطفولة سنة 1828، وقد تزوجت أمه للمرة الثانية بالقائد في الجيش الفرنسي، الذي كان رمزاً للبرجوازية، مما جعل بودلير لا يستلطفه كثيراً، لحدة طباع الشاعر ومزاجيته، كما درس بودلير في ثانوية لويس الأعظم بفرنسا، أين اكتشف المذات الجسدية والحسية، وافته المنية في مقتبل عمر سنة 1867 بباريس عن عمر يناهز 46 سنة (<http://ar.wikipedia.org/wiki>)

2. قراءة في ديوان شارل بودلير (أزهار لشر): يعتبر شارل بودلير من أبرز شعراء القرن التاسع عشر، ومن رموز الحداثة في العالم، ولقد كان شعر بودلير متقدماً عن شعر زمانه، فلم يفهم جيداً إلا بعد وفاته. وإن أول ما لفت انتباهنا في بداية الأمر ما جاء في إحدى هوامش الترجمة لمحمد عيتاني في الأصل الفرنسي *je dédie (ces malades fleurs)* وترجمتها الحرفية: "أهدي الأزهار المعتلة المريضة"، على أن كلمة *mal* الفرنسية، تعني الشر، أو الأذى كما تعني الألم والمرض، وأراد بودلير إهداء قصائده لصديقه الشاعر "تيوفيل غوتيه" وأن يودع نبرة أسمى وتوجع في اسم ديوانه (محمد عيتاني، 1987).

وظهر ديوان شارل بودلير في بداية الأمر بعنوان "*les lesbiennes*" أي السحاقيات سنة 1845، وقد رافق ظهوره ضجة كبيرة اهتزت لها فرنسا آنذاك، مما انجر عن ملاحقة بودلير قضائياً ومحاكمته وإدانته أمام محاكم نابليون بونابرت الثالث لاحتواء ديوانه على موضوعات تمس الأخلاق، حينها حاول بودلير تغيير العنوان إلى *les limbes* سنة 1848، وفي الأخير استقر بودلير عند عنوان "أزهار الشر" (Charles baudlaire, 1961).

كما أن بودلير غريب في تذوقه للجمال، لأن الجمال في نظره هو النور الذي ينبثق من الظلمات، والطيش والتلاعب، وعدم الوفاء، قيم جمالية سامية وهو ما يؤكد "... أن سيرة صاحب أزهار الشر هي سيرة الذين سعوا، فأخفقوا فاستعدبوا إخفاقهم، وتألّموا واستمروا في ألّهمهم، سيرة حب لم يتخذ مجراه الطبيعي، فأخذ يسير بصاحبه نحو الدمار ويفرقه في الآثام، ويجعله من ناحية أخرى، يحاول التضليل والتعمية، سيرة حب لم يستطع أن يسير سيرا طبيعياً سهلاً، فصار ملتويًا شاذًا معقدًا" (مصطفى القصري، 1981).

وكان الشاعر بودلير يرى أن الحياة الباريسية غنية بالموضوعات الشعرية الرائعة، وهي قصائد التي أضيفت إلى أزهار الشر، تعبر عن التناقضات الاجتماعية في المدن الباريسية الكبرى، والصراع الطبقي الحاد في المجتمع منها قصيدة: "هايل Gaïn وقابيل Abel et"، الشهداء والمعذبون هم حتما البروليتاريون الذين

عبر عنهم بولدبير بجنس قابيل المنبوذ اجتماعيا ، والبرجوازيون هم جنس هايبيل المفضل ، يبقى جنس قابيل في المرتبة السفلى من سلم المجتمع يتعذب ، بينما يحظى جنس هايبيل بكل ما جادت به الدنيا ، صراع طبقي يحكمه النفوذ وحب المال. يتمرد جنس قابيل وينادي بالانتقام ممن استحوذ على حقه وحرمه من الحياة الكريمة ، داعيا إلى ثورة اجتماعية وسياسية شاملة ضد طغيان ربّ العمل .

النص المترجم:

جنس هايبيل ، أنظر إلى بذورك

وماشيتك تعود بالخير ،

جنس قابيل ، أحشاؤك ،

تعوي من الجوع مثل كلب عجوز.

جنس قابيل ، إلى السماء اصعد ،

وعلى الأرض ارم الربّ! (ترجمة الباحثة زهية سويسبي).

النص الأصلي Abel et Gain

Race d'Abel, vois tes semailles

Et ton bétail venir a bien ; (Charles Baudelaire, 2006, p177)

Race de Gain, tes entrailles

Hurlent la faim comme un vieux chien.

Race de Gain, au ciel monte,

Et sur la terre jette Dieu! (Charles Baudelaire, 2006, p178)

لم تجد الطبقة البروليتارية منقذا من براثن الفقر سوى الشيطان بعدما سقطت نظريات أقل ما يقال عنها إنها تخدم الطبقة الحاكمة ، وفي قصيدة "تراتيل الشيطان Les Litanies de Satan يظهر الشيطان المخلص الوحيد من البؤس ، ويتحول من صورته الجهنمية إلى صورة ملكية في نظر بولدبير .

النص المترجم:

أنت ، أكثر علما وأجمل ملاك (...)

أيها الشيطان ، ارحم بؤسي الطويل. (...)

أنت الذي يعرف كل شيء ، الملك الأكبر للأشياء تحت أرضية ،
شاف أليف للقلق الإنساني (ترجمة الباحثة ، زهية سويسبي).

Les litanies DE Satan

O toi le plus savant et le plus beau des anges

O Satan, prends pitié de ma longue misère!

Toi qui sais tout, grand roi des choses souterraines,

Guérisseur familier des angoisses humaines, (Charles beaudlaire, 2006, p179)

في سنة 1857، انتقل الشاعر الفرنسي شارل بودليير من خلال ديوانه "أزهار الشر" إلى الرومانسية، ومنها استلهم مبادئه وأفكاره وآراءه من الغنائية الشعرية. ويقترح لنا الشاعر بودليير نظرة مزدوجة في عالم الشعر وهي:

1/ ملازمته للشعر، ونقل لنا عالم من السواد والتوتر والضبابية.

2/ مناشدته للجمال والغناء، والتحرير إلى الفنية المثالية، إلا أن الشاعر بودليير استوحى قصيدة الجمال من العنصر الثاني فيما يلي:

النص المترجم "الجمال" **la beauté**

أنا جميلة يا بشر مثل حلم الحجر،

وصدري، حيث يتألم كل واحد بالتناوب،

وهو مصدر إلهام الشاعر للحب

الأبدي، والصمت والنظر.

أنا أتفاخر بزرقه السماء مثل أبا الهول الغامض؛

أنا أُوحد القلب من ثلج بياض الجع؛

أنا أكره الحركة التي تحوّل الخطوط،

وأنا لم أبك أبدا ولم أضحك أبدا.

الشعراء أمام مواقف العظيمة،

ويبدو لي أن الاقتراض من أعظم نصب تذكاري،

وتستهلك أيامهم في دراسات التقشف؛ (ترجمة الباحثة زهية سويس)

النص الاصيلي

Je suis belle, o mortels! Comme un rêve de pierre,

Et mon sein, ou chacun s'est meurtri tour à tour,

Est fait pour inspirer au poète un amour.

Eternel et muet ainsi que la matière.

Je trône dans l'azur comme un sphinx incompris ;

J'unis un cœur de neige a la blancheur des cygnes ;

Je hais le mouvement qui déplace les lignes,

Et jamais je ne pleure et jamais je ne ris.

Les poètes devant mes grandes attitudes,

Que J'ai Lair d'emprunter aux plus fières monuments,

Consommeront leurs jours en d austères études ; (Charles Baudelaire, 2006, p47)

والنص الذي بين أيدينا من البحر الألكسندرين (Alexandrin) مكوّن من رباعية وثلاثية، بشكل منتظم في

مجموعه، مؤظفا القافية مثل قوله: tour / amour/ pierre/ matière ويشير إلى استخدام المجاز في تصوير

الجمال ، ويقصد به جمال المرأة الذي يشبه حلم الحجر بصيغة الضمير المتكلم ، ما يدل على تأثر الشاعر بودليير بالجمال ، توظيفه التشبيه في عدة أسطر قوله: أفتأخر بزرقه السماء مثل "أبا الهول الغامض" ، كما لجأ إلى تكرار الضمير المتكلم أنا ، وعدد تواتره خمس مرات في النص. وغالبا ما يلجأ شعراء المذهب البرناسي (هو مذهب فكري فلسفي فرنسي) إلى الأساطير القديمة. وليس من المستغرب أن يستحضر الشاعر بودليير أبا الهول في قصائده ، وهذا الكائن الهجين ؛ نصف إمرة ونصف أسد ونصف طير ، وهو معروف بقسوته وامتناعه للألم. والجمال معبود من طرف الجميع ، كما تشير إليها الدوال التي اقترحها الشاعر بودليير في: البجع / قلب من ثلج / اللازوردية / تعبر عن مدلولات: البياض / والنقاء / ووظيفة الجمال في رأي بودليير ذو قيمة عالية ورائعة ، تجسد للجمال - بامرأة خالدة كما وظف أبا الهول ، وهو تمثال جامد يرمز لآلهة الكمال ، وقد أراد بودليير أن يخلق شكلا جديدا للشعر ، ينادي بشاعريته حتى وهو يكتب النثر ، ويظهر التشكيل الشعري الجديد لدى بودليير في قدرته على صياغة القصيدة الشعرية من الأبعاد النثرية الكلاسيكية التي تعد الجملة الخطابية العادية ركنيتها الأساسية.

ويستحق بودليير الريادة في التأسيس والتأصيل والإبداع معا بفراة لا ينازعه فيها أحد ورغم هذا ، فإن المتمق في واقع قصيدة النثر في الشعرية الفرنسية لا يمكنه ، إلا أن يسند عملية تفعيل لجنس الأدبي الهجين إلى شارل بودليير ؛ فكل ما قام به لويس بتران هو الإيحاء والإشارة والتجريب .

3. شارل بودليير وقصيدة النثر: إن ظهور مصطلح "قصيدة النثر" سبق أطروحة (سوزان برنار) أزيد من قرنين ونصف ، بحيث ظهرت قصيدة النثر مع شعراء انحدروا من الفترة الرومانسية أو أعقبوها ، كما حددها لنا ج. مازلييرا ، J. mazaleyrat ، الذي له رأي خاص حتى في تجربة بودليير ونرفال ورامبو ، يقول عن قصيدة النثر إنها: "نوع متحرك ولد بقلم بعض الكتاب المنحدرين من الرومانسية ، أمثال ألو يزوس بتران ، وموريس دوغيران Maurice de Guerin ، واستثمر عرضا من طرف نرفال Narval روبرودليير ، ورامبو إلى أن قدم فيه كل من ليون بول فارغ Léon- Paul Frague وماكس جاكوب Max Jakob في القرن العشرين أحسن الأمثلة" (dictionnaire le robert, 1994).

ويعتقد الكثير أن شارل بودليير هو رائد قصيدة النثر في الشعرية الغربية ، فيؤرخون لأول قصائده النثرية ب "قصائد ليلية" لعام 1857 م ، ولكن المتتبع لتاريخ هذا الجنس الشعري المبتكر ، يدرك أن شاعرا آخر غير بودليير هو الذي أسس المعالم الأولى لقصيدة النثر ؛ إنه الشاعر الفرنسي لويس بتران ، louis Bertrand ، كما يحلو للناقدة والأديبة الفرنسية سوزان برنار تسميته ، فقد كتب مجموعة بتران وكانت هذه الموسوعة ذات شعرية واحدة بعنوان "جاسبير الليل (Gaspard de La Nuit)" ، وهي البداية التي انطلقت منها قصيدة النثر الفرنسية ، و"قد لفتت هذه البداية الأنظار ، وأحدثت الصدمة المتوقعة لكل بداية مغامرة ، وفرضت نفسها على الحضور الشعري تدريجيا ، وقد تصاعد حضورها على نحو خاص حين تأثر بودليير بقصائدها وأعجب بتلك المحاولة التي كانت تمثل نقطة انطلاق للاتجاه الجديد ، تماما كما فعل من جاء بعد بودليير من الشعراء الكبار ، أمثال "رامبو ، وملازميه ولوتريامون (عبد العزيز موافي ، 2000). وقد خصت سوزان برنار بتران بمبحث الزيادة والسبق ، في مدخل الجزء الأول من كتابها (قصيدة النثر من بودليير حتى الوقت الراهن) ، واعتبرته الرائد الأول لقصيدة النثر دون منازع.

وقد كتب برتران مجموعة شعرية واحدة خلال حياته وذلك بين الفترة الممتدة بين (1828م و1841)، تاريخ وفاته، لكن كتابه الأول والأخير الموسوم بـ جاسبار الليل، لم ير النور إلا بعد وفاته، حيث أشرف على إصداره كل من "فكتور بافي و"دافيد دانفر"، وهما صديقان وفيان لم يدركا أنهما بتحقيق وصيته، يفتحان أفقا، لم يحلم به الشعر من قبل.

ولاشك أن برتران ما كان يستحق هذه المهانة، (...إني أعتقد أن "جاسبار الليل" سيظل فصلا أبديا للتاريخ الأدبي وذلك، لأن ثمة شعرا مكتوبا بالثر يبدأ في جاسبار الليل، ولأن برتران "هو المبدع الحقيقي لقصيدة النثر باعتبارها نوعا أدبيا") (سوزان برنار، 1998، ص691).

وقد حددت سوزان برنار قصيدة النثر بأنها "...قطعة نثر موجزة بما فيه الكفاية، موحدة، مضغوطة كقطعة من بلور... خلف حر ليس له من ضروري غير رغبة المؤلف في البناء خارجا عن كل تحديد. وشيء مضطرب إحياءاته لانهاية" (سوزان برنار، ص61).

و قد فرض بودلير نفسه كمؤسس لقصيدة النثر، و أراد أن يؤسس غنائية حديثة تتماشى و ظروف الحياة الجديدة في القرن التاسع عشر، و وجد في الشكل الحر وسيلة جديدة في إعادة بعض التيمات المطروقة في ديوانه الشعري فجاءت قصائده النثرية نظيرة للقصائد الشعرية وفق نظرية "التراسلات"، رغم وجود بعض الفروق البسيطة بينهما، وقد استعمل بودلير عنوانين في حياته وهما: سأم باريس، و قصائد نثرية صغيرة (Nicola Vallet, 1994). كما أضفى بودلير على خصوصيتها مبدأ "التقطع" أو "الانقطاع" « les petits poèmes en prose »، مقدمة "قصائد نثرية صغيرة"، (Charles baudlaire, 1983) مع العلم أن مصطلح "قصائد نثر صغيرة" الوارد في عنوان عمله المعروف في هذا الإطار سأم باريس le spleen de paris، ليس هو كتاب شعري حمل تلك الصفة، حيث تشير سوزان برنار إلى أن برتران ألف قبل ذلك "قصائد نثر صغيرة"، في شكل "بالادات نثرية" مستوحاة من ترجمات البالادات الألمانية والفرنسية، والبالاد، هو النص الذي يشبه الموالم القصصي في العربية، وهو الشكل الذي استوحاه ورد زورت وكوليريدج في ثورتها على الجمود الكلاسيكي ([http:// ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)). وأن كتاب بودلير يضم قصائد ليس بينها أي رابط في الموضوعات، بحيث تتوزع على شكل إحياءات مصادرها من فضاء الشارع والمحيط الباريسي، من عالم الأحلام والوعي والفلسفة، فإن الرابط الوحيد بينها في تقييم المعجم السالف، هو الشكل الجديد جذريا (le Robert dictionnaire, 1994) وما ميز بودلير عن غيره، هو ذلك الغلبان الاضطراب الذي عانى منه في شتى مناحي الحياة، فأثر ذلك كله على أدبه تأثيرا بالغا، وما انعكس بشكل جلي في إنتاجه الإبداعي. كما لم يختلف بودلير شأن أدياء عصره في نقل تلك الأجواء والتحويلات التي طرأت على بيئته والتأثر؛ بتناقضاتها وأزماتها. فكان هو الآخر متناقضا في أقواله وسلوكه ومواقفه.

لقد خص بودلير فضاء مدينة باريس عاصمة الثورة الفرنسية بمجموعة قصائد نثرية سماها (لوحات باريسية) tableau parisiens، تنقل تأرجحه بين فضائين باريس / بودلير، ظل الشاعر يعيش فضاءه الذي حاول الخروج من حالة الانتحار مرات ثم معانقة الذات والآخرين الهامشين مرات أخرى. (باريس القديمة لم تعد موجودة يتغير شكل المدينة وحسراته بشكل أسرع من الفؤاد الفاني)، بمثل هذا القول الشعري يعلن

الشاعر انفصاله عن باريس ، الفضاء المتغير لإيقاعه الخاص مقابل إيقاع حياة الشاعر المضبوط بحدود دقات الفؤاد المرصود للفضاء (حركة الزمن)، ولا يبدو أن عدم الألفة والتنافر كموقف قبلي من الشاعر هي العامل الحاسم في هذه الحركة الشعرية ، بل هو التغير الذي لم يلب رؤيا الشاعر ، وحدد له موقعا خلف الواجهة الباريسية ، متوحدا ومندسا بين الحشود في آن واحد. إن تبني بودلير ومن معه من الشعراء الرمزيين الذي اقتفوا أثره ، وساروا على خطاه لنموذج قصيدة النثر وثورتهم على النمطية العروضية التقليدية المتمثلة في البحر الألكسندران ، (Alexandrin) الذي ظل مسيطراً على الحركة الشعرية منذ عهد الرومان ، ما هو إلا تعبير عن واقع فكري واجتماعي جديدين ، ينطلق فيهما الشاعر من ذاته المبدعة الراجبة في التحديث ، نفوراً من صلابة (الوزن والبحر).

ومن أشهر قصائده النثرية هي قصيدة "الأرامل" ، طريقته في توحيد المرعب بالهزلي بحرية أكبر مما لاحظناه في قصائد الشعر ، فقد وجد في الاسترسال كثيراً من الحرية والتفاصيل والتهكم أي حرية الاسترسال في التعبير بعيداً عن صرامة التقيد بالشكل (الوزن والقافية) ، كما تعبر قصيدة "الأرامل" Les Veuves عن صورة أخرى للنساء المحرومات اللواتي يناضلن من أجل البقاء دون طموح أو حلم يضيء حياتهن السوداء ، تبدو عليهن ملامح الكآبة والبأس ، يقصدن حدائق باريس العمومية للتخفيف من وطأة الأحزان والمحن.

النص المترجم:

وتبدأ القصيدة بوصف فوفنارغ Vauvenargues لمعالم الإحباط والحزن ، ويتناول مختلف الموضوعات منها ظاهرة البؤس الكامن: « ... بالنسبة إليّ لن أدخل أبداً إلى لوكسمبورغ أو إلى الحدائق العمومية الأخرى كي لا أكون محاطاً بكل أنواع البؤس الأصم الذي يرهق الرجال ، وألا تحذرنني الأشياء المختلفة أو تحدثني عن الفواجع التي أجهلها..... » ، ترجمة (الباحثة زهية سويسي).

النص الأصلي "الأرامل"

Vauvenargues dit que dans les jardins publics il est des allées hantées principalement par l'ambition déçue, par les inventeurs malheureux, par les gloires avortées, par les cœurs brisés, par toutes ces âmes tumultueuses et fermées, en qui grondent encore les derniers soupirs d'un orage et qui reculent loin du regard insolent des joyeux et des oisifs. Ces retraites ombreuses sont les rendez-vous des éclopés de la vie, (Charles Baudelaire, p96).

وفي القصيدة النثرية "الأرامل" les veuves ، يُوحد شارل بودلير الرعب بالهزلي بحرية أكبر مما لاحظناه في قصائد الشعر ، فقد وجد في الاسترسال كثيراً من الحرية والتفاصيل والتهكم ، أي حرية الاسترسال في التعبير بعيداً عن صرامة التقيد بالشكل. ولوحات قائمة يرسمها شارل بودلير لباريس الحديثة في ظل الإمبراطورية الثانية ترجمتها مجموعة "التمرد" بنبرتها العنيفة ، تصدرها قصيدة "جحود القديس بطرس" Le Reniement de Saint- Pierre ، تتناول مآسي المعذبين الذين يستشهدون يوماً تحت أسواط الجوع والعطش دون أن يلتفت إليهم جلادو الشعب من الحكام والتجار ، فهم يعبرون عن سخطهم واللعنات فقط:

النص المترجم:

شبهات الشهداء والمعذبين

سقفونية مسكرة دون شك ،
بما أنه رغم الدم الذي تكلفه شهوتهم ،
لم تشبع منه السماوات بعد (ترجمة الباحثة زهية سويس)
النص الأصلي:

Sanglots des martyrs et des suppliciés les
Sont une symphonie enivrante sans doute,
Puisque, malgré le sang que leur volupté coute,
Les cieus ne s'en sont point encore rassasiés! (Charles Baudelaire, 2006, p176)

كما وصف بودلير في مقال له حول "بعض الكاريكاتوريين الفرنسيين" نقشا لدوميه يصور استعراض جنائزيا لعربات الموتى، و يبين فيه طريقة الفنان في معالجة مواضيعه المستوحاة من واقع الحياة السياسية والاجتماعية في قالب ساخر يمزج فيه الرعب بالفكاهة، يتحدث بودلير عن هذا النقش الذي له صلة بداء الكوليرا، ففي مكان عام تغمره الحرارة والضوء وتحت سماء متألقة وظلال صافية، توضع جثة عفنة في عرض باب تدخل منه امرأة تسد أنفها وفمها، يرسم في جانبه عربات للموتى مشدودة إلى أحصنة رديئة، وكلب في وضعية سيئة، ومنها استلهم أبيات قصيدة السأم LXII Spleen.

النص المترجم:

وعربات للموتى، دون طبل ولا موسيقى،
تستعرض ببطء في روعي: الأمل،
مهزوم، يبكي، والقلق فطيع، مستند،
على جمجمتي المنحنية يفرس رايته السوداء (ترجمة الباحثة زهية سويس).
النص الأصلي

Et de long corbillards, sans tambours ni musique.
Défilent lentement dans mon âme ; L'espoir,
Vaincu, pleure, et l'Angoisse atroce, despotique,
Sur mon crane plante son drapeau noir (Charles Baudelaire, 2006, p111)

ما يميز بودلير في دوميه عبقرية مبكرة كرسام كاريكاتوري وفيلسوف استطاع أن يبسط تحليل القضايا الإنسانية عن طريق السخرية والتهمك، فقد استهوى الرسم الكاريكاتوري منذ صغره لما فيه من النقد الساخر، ونستطيع أن نعتبر القوائد النثرية القصيرة "سأم باريس" ذات طابع كاريكاتوري بفضل السخرية التي تطفح بها، كما نقرأ في قصيدة "أشعار حول بوتري السيد أونوري دوميه de M. Honoré Vers pour le Portrait Daumier" أبياتا يُثني فيها شارل بودلير على فن دوميه، ويمدح أسلوبه الساخر الذي يعلم القارئ كيف تستمد الحكمة عن طريق الضحك، مبينا الطاقة الخلاقة التي يمتلكها هذا الرسام من أجل تصوير قضايا الإنسان المعاصر.

أما هاجس الطبيعة، فنجد في قصيدة "هاجس Obsession".

أكرهك ، أيها المحيط! وثباتك وضجارتك ،
يجدهما فكري فيه ، هذا الضحك المرّ
لرجل مهزوم ، مليء بالشهقات والشتائم ،
أسمعه في ضحك البحر الكبير ، (ترجمة الباحثة زهية سويسبي)
النص الأصلي

Je te hais, océan! Tes bonds et tes tumultes,
Mon esprit les retrouve en lui ; ce rire amer
De l'homme vaincu, plein de sanglots et d'insultes,
Je l'entends dans le rire énorme de la mer. (Charles baudlaire,2006, p113)

يستولي على شارل بودلير هاجس الطبيعة العدائية التي تكنّ له العداوة وتثير فيه الرعب والخوف باستمرار ،
ليعلن في قصيدة " هاجس" من أزهار الشر عام 1860 كرهه للغابات الكثيفة الطويلة والبحار والمحيطات ،
وكل عناصر الطبيعة المخيفة التي لم تعد تقوم بوظيفتها القديمة ، ألا وهي السلوة والعزاء القديمة للقلب
المحزون ، حيث كانت معبداً طاهراً يشعر فيه الإنسان بالأمن والأمان. كما تحدث بودلير عن الخمرة
واستعرض مزاياها ومحاسنها ، وتحدث أيضا عن الحشيش والأفيون وذكر فوائددهما على الإنسان المدمن ، ولم
يفغل أضرارهما الوخيمة جسميا ونفسيا.

خاتمة: إن الحرية التي أنبت عليها قصيدة النثر ، هي ما جعلها تبدو معقدة أمام الشاعر والناقد على حد سواء ،
وهذا ما دفع شاعر قصيدة النثر إلى التعويض عنها بعناصر فنية وجمالية ذات كثافة فائقة ، وعلى الرغم أن
شارل بودلير قد وفق في كتابة بعض المقطوعات النثرية الرائعة ، إلا أنها لم ترق إلى مصاف روائعه الشعرية
الموزونة. لكن هذا الزعم لا ينفي إمكانية كتابة قصيدة النثر خالية من الوزن مبنية على الإيقاع الداخلي ، وقد
حدث أن كتب قلة من الشعراء الحدائين الأقطاب قصيدة النثر اعتمدت على عنصر الإيقاع الداخلي موظفة
كل المستويات الدلالية والنحوية والصرفية الرمزية ، بذلك عدت قصيدة لا يقدر عليها إلا شاعر متميز متفرد.
المصطلحات الواردة في المقالة:

العروض: métrique

حر: libre

الحركة: voyelles

الحرف: consonnes

الوزن: mesure

البحر: vers

التفاعيل: pieds

القاوية: Rime

المتحرك: mue

قائمة المراجع:

- سوزان برنار ، جمالية قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا ، ترجمة مجيد مغماس ، بغداد ، مطبعة الفنون .
-سوزان برنار(1998) ، قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا ، ترجمة راوية صادق ، مراجعة رفعت سلامة ، القاهرة ، دار الشقيقات للنشر والتوزيع .
-شارل بودلير(1976) ، لوك ديكون ، ط1 ، ترجمة عادل ، كميل داغر ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
-شارل بودلير(1981) ، زهور الألم ، ترجمة مصطفى القصري ، المغرب ، منشورات مرسيم .
-شارل بودلير(1987) ، أزهار الشر ، ط1 ، ترجمة محمد عتاني ، دار الفارابي .
-عبد العزيز موافي(2000) ، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة .
- Charles Baudelaire(1999) , Ecrit sur l'art, librairie générale François.
Charles Baudelaire(1961), ouvres complets, bibliothèque de la pléiade Gallimard.
Charles Baudelaire(1983), petits poème en prose, Paris, Flammarion.
Charles Baudelaire(2006), les fleurs du mal, l'université Paris –IV Sorbonne, Edition Larousse.
-Charles Baudelaire, Le Spleen de Paris, introduction par David Scott, et Barbara Wright, paris, Flammarion.
-Charles Baudelaire(2006), les fleurs du mal , Charles Baudelaire.
-Nicola Vallet, (1998), petite poème en prose Charles Baudelaire, connaissance d'une œuvre, Bréal,Irue de Rome.
-Le Robert(1994), Dictionnaire Historique de la langue française, Tome2, Paris, p15/58
-Le Robert, dictionnaire(1994), de grandes œuvres de la littérature. paris, sous la direction Henri Mitterrand, édition.
-Charles Baudelaire,(2006),les fleurs du mal, université paris IV Sorbonne, Editions Larousse ,
-Site électronique : ([http:// ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki))

الإدارة الإستراتيجية للرأسمال البشري ودورها في تعزيز أداء و حكامه القطاع العام بالمغرب Strategic human resources management as a key driver for enhancing the performance and governance of Moroccan public institutions

د. اخلفو محمد

المدرسة الوطنية للتجارة والتسيير بالجديدة ، جامعة شعيب الدكالي - المغرب

مقدمة

يكتسي الرأسمال البشري أهمية قصوى داخل المنظمات سواء كانت عمومية أو خاصة ، فتنميتها وتدييره استراتيجيا يسهم في الرفع من أداءها وبالتالي يعزز من حكامتها. إلا أن الممارسات الحالية لتدبير الموارد البشرية في القطاع العام المغربي تستدعي التحسين وإعادة الصياغة ، لكونها مبنية على نهج إداري يركز على تطور الرتب ؛ من خلال مقارنة كمية و رؤية وظيفية بحتة ، تحصر وجود الموظف داخل الإدارة ومساره المهني في تخصيص بسيط في الميزانية (منصب مالي).

إن السياق المتغير للإدارة بالإضافة إلى تحديات تنميتها على المستوى الجهوي ، يفرض تغييرا جوهريا في طرائق تدبير الموارد البشرية وهو ضرورة ملحة في الوقت الحالي وليس اختيارا. حيث أن ظهور مفهوم التدبير القائم على الأداء ، فضلاً عن التخطيط القطاعي واختيار الجهوية المتقدمة كطريقة للإدارة على المستوى الترابي ، يلزم الإدارة على إجراء مراجعة شاملة لممارساتها في مجال تدبير الموارد البشرية.

وبالتالي ، فإن اعتماد إدارة استراتيجية للموارد البشرية قائمة على نهج بالكفايات ، لهو السبيل الوحيد لتلبية احتياجات تنمية المرفق العمومي ومتطلبات تطور صلاحيات واختصاصات كل من الإدارة المركزية والترابية. من هذا المنطلق ، سنقوم بتشخيص لواقع الادارة المغربية من حيث تدبير الموارد البشرية ، مع الأخذ بعين الاعتبار سياقها المتطور والمشاريع الإصلاحية والأوراش الكبرى التي ستؤثر على الهياكل المركزية والجهوية للمرافق العمومية. هذا ، باعتقاد تحليل شامل للممارسات التدييرية المتعلقة بإدارة الموارد البشرية (التوظيف ، التكوين ، إدارة المسارات الوظيفية) مع اقتراح توصيات وتدابير عملية وإجرائية والتي من شأنها أن تحسن وتجدد هذه الممارسات ، من خلال تكييفها مع النهج القائم على الكفاءات مع مراعاة الحاجة إلى تحسين مخططات تنمية الموارد البشرية.

المبحث الأول: الأسس النظرية للإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية

إن الربط بين الاستراتيجية وتدبير الكفاءات كان موضوع عدة أبحاث علمية بدءا ب Penrose سنة 1959 و مروا ب (1984) Wernerfelt ثم (1990) Prahalad & Hamel و Barney سنة 1991. إن العمل التركيبي الذي قام به كل من الباحث Le Boulaire و Retour في 2008 ، والذي يحدد ثلاثة نماذج للعلاقة بين إدارة المهارات أو الكفاءات (الكلاسيكي ، الناشئ والمختلط) ، له أهمية بالغة ويشكل أحد الأركان المهمة لإطارنا النظري.

فالنموذج الكلاسيكي (Le modèle déduit) المسمى *top-down* يرى بأن الكفاءات الفردية يجب أن تتبع وتتماشى مع التوجهات الاستراتيجية للمنظمة (Porter,1980 ; Réale & Dufour, 2006) ، إلا أن التحدي الرئيسي الذي يواجه وظيفة الموارد البشرية في هاته الحالة هو تحديد الكفاءات اللازمة لدعم الخيارات الاستراتيجية للمنظمة وتطويرها وتعبئتها في الوقت المناسب (ريالي ودوفور ، 2006).

في حين يعتبر النموذج التصاعدي *bottom-up* الكفاءات كقدرة استراتيجية من خلال نظرية الموارد أو Resource-Based View (Barney, 1991 ; Prahalad & Hamel, 1990 ; Teece & al., 1997).

إلا أن هناك عدة انتقادات وجهت لهذا النموذج الناشئ (Le modèle émergent) كصعوبة تحديد طبيعة الموارد التي هي في مركز هذا الطرح (Kraaijenbrink et al.,2010).

أما النموذج المختلط (Le modèle mixte) ، فجاء لدمج النموذجين السابقين من خلال التوافق بين الأبعاد الداخلية و الخارجية للتدبير الاستراتيجي (Amit et Schoemaker, 1993).

في هذا الصدد ، يمكن اعتبار الاستراتيجية عمومًا على أنها تمتلك القدرة على الجمع بين القرارات قصيرة الأمد التي تهدف إلى التوافق مع التوجهات الإستراتيجية الكبرى والقرارات طويلة الأمد القائمة على الاستثمار في كفاءات المنظمة (Loufrani-Fedina و Aldebert ، 2013).

لأسباب ثقافية وأخرى متعلقة بالأدوات المتاحة ، بما في ذلك صعوبة قياس تأثيرها الحقيقي (Le Louarn و Wils ، 2001 ، Krohmer و Retour ، 2006) ، تعاني هذه النماذج النظرية أحيانًا من عجز في التثبيات التجريبي (Le Boulaire و Retour ، 2008).

بعد بسط أهم الأسس النظرية للتدبير الاستراتيجي للموارد البشرية بشكل موجز وعام ، سنقوم في المبحث الموالي بدراسة تطبيقية لهذه النظريات في القطاع العام المغربي ، من خلال تشخيص دقيق لواقع تدبير الموارد البشرية داخل القطاعات الوزارية بالمغرب على أن نقترح إجراءات عملية ، ونخرج بتوصيات من شأنها أن ترفع من نجاعة الأداء العمومي للمنظمات العمومية المغربية.

المبحث الثاني: تشخيص واقع تدبير الموارد البشرية داخل القطاعات الوزارية بالمغرب والإجراءات العملية المقترحة

الفقرة الأولى: من أجل استراتيجية و سياسة تدبيرية للرأسمال البشري مبنية على النجاعة والفعالية إن تشخيصا لحالة القطاعات الوزارية ، يبين أن الإدارة العمومية المغربية تتبنى نهجًا أفقيًا لأداء مواردها البشرية من خلال الرغبة في اعتماد أدوات ثابتة في تسيير الموارد البشرية رغم أن السياق العام يفرض عدة تغيرات إستراتيجية (الاستراتيجيات القطاعية ، عدم تركيز العمليات الإدارية ، اللامركزية ، إلخ). ونتيجة لذلك ، لم تعد الإدارة الحالية للموارد البشرية تلائم الحاجة الملحة إلى التغيير الذي أملتته التوجهات الحكومية الجديدة التي تتبنى الجهوية المتقدمة. مما يشكل ورشا كبيرا يتطلب مستوى عاليًا من الاستجابة وقدرة كبيرة على تطوير العنصر البشري ليكون في مستوى هذا التحدي.

من أجل بلوغ مستوى من الفعالية ، يجب على القطاعات الوزارية أن تأخذ في الاعتبار التوجهات الإستراتيجية للحكومة وتعمل على بلورتها على مستوى المخطط القطاعي الخاص بها ؛ مما سيصبح مرجعا أساسيًا لأي تدبير استراتيجي للموارد البشرية ، مع إعادة هيكلة المصالح الخارجية فيما يتعلق بضرورة تدبير العنصر البشري

لتنمashi وروح المقتضيات الجديدة لدستور الفاتح من يوليوز 2011 ؛ حيث نص الفصل الأول منه على أن نظام الحكم بالمغرب نظام ملكية دستورية ، ديمقراطية برلمانية واجتماعية. يقوم النظام الدستوري للمملكة على أساس فصل السلط ، وتوازنها وتعاونها ، والديمقراطية المواطنة والتشاركية ، وعلى مبادئ الحكامة الجيدة ، وربط المسؤولية بالمحاسبة (الفصل الأول من الدستور ، 2011) . وكذا متطلبات الإصلاح الترابي للمملكة الذي يقوم على أساس تنظيم لا مركزي ، يقوم على الجهوية المتقدمة .

على مستوى الممارسات المتعلقة بإدارة الثروة البشرية ، يلاحظ بأن سياسة تدبير الموظفين لم يتم صياغتها والتعبير عنها بشكل واضح ، ويمكن تفسير ذلك ، في حالة عدة قطاعات وزارية ، على أن التغيير في التكوين السياسي للمسؤولين الكبار (الوزير والكتاب العامون) يعني تغييراً في التوجهات السياسية لكل قطاع وزاري ، وفقاً للأهداف المسطرة من طرف الأغلبية الحكومية. وعليه ، فإن المخططات القطاعية المعتمدة لأهم الوزارات وكذلك الإرادة القوية في إصلاح الميزانية (إصلاح القانون التنظيمي المتعلق بقوانين المالية) تهدف إلى توفير إطار مرجعي قائم على منطق النتائج ، مما سيوجه طريقة عمل كبار المسؤولين الذين سيتعاقبون على تدبير مختلف القطاعات. لكن وعلى الرغم من وجود سياسة شاملة ، إلا أنه لم يتم صياغة الشق المتعلق منها بسياسة الموارد البشرية .

من أجل تبني سياسة متماسكة للموارد البشرية بين جميع الإدارات ، يجب على وزارة اصلاح الإدارة والوظيفة العمومية أن تشرف على سياسات الموارد البشرية للإدارات العمومية من أجل تحسين مردودية العنصر البشري على المستوى الجهوي. بحيث تمارس هذه الوزارة دورها الاستشاري فيما يتعلق بأي تعاقد محتمل بين الإدارات ، باعتبار أن لديها نظرة شاملة على الموارد البشرية لمختلف الإدارات ومتطلباتها على مستوى كل جهة. هذا يتطلب أيضاً التنسيق مع وزارة الاقتصاد والمالية وباقي القطاعات الوزارية وتقوية التعاون فيما بينها في أفق تعزيز اليات التعاقد واستحضار البعد الجهوي أثناء بلورة استراتيجية تدبير الثروة البشرية داخل القطاع العام .

ومن جهة يلاحظ أن القطاعات الوزارية ليس لها نفس المقاربة التدييرية للعنصر البشري. فرغم أن بعض الإدارات تقوم بتحديث مرجع الوظائف والكفاءات (REC) ومتابعة سيرورة التوظيف مما يمكن مديري الموارد البشرية من تطوير مستقبل الموارد البشرية. إلا أن تنفيذ هذه المخططات لا تزال مرتبطة باعتمادات الميزانية والمناصب المالية التي تخصصها وزارة المالية ، مما يعيق من مرونة إدارة الموارد البشرية ويحد من فعاليتها. وبالتالي ، فإن هامش التصرف المحدود في الميزانية يضعف فعالية الإجراءات المتخذة من طرف المديرية الجهوية ، مما يمنعها من لعب دورها بالكامل في بلورة الاستراتيجية القطاعية ، وكنموذج لذلك مخطط المغرب الأخضر بالنسبة لوزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات .

وتأسيساً على ما سبق ، فإن اعتماد الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية وتنفيذ سياسة فعالة لتدبيرها داخل القطاعات الوزارية مرتبط بثلاثة عناصر أساسية كما يلي :

- تبني نهج كفي في إدارة الموارد البشرية ذو بعد جهوي وترابي: من خلال تطوير استراتيجية الموارد البشرية مما يتمشى و احتياجات الإدارة المركزية والمديريات الجهوية و الإقليمية ، عن طريق إنشاء لوحات تحكم مع مؤشرات دقيقة تجمع بين الجوانب الكمية والكيفية ، ومن هنا تكمن أهمية تطوير مراجع وظيفية

شاملة تغطي جميع الهياكل الإدارية. لكن المقاربة الكمية لوحدها لا تكفي لوضع توقعات منطقية و تحديد الاحتياجات الحقيقية في الموارد البشرية. من هنا تكمن أهمية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية الذي يجب ان يظل قريباً من الحد الأقصى للاحتياجات على المستوى الترايبي ، وذلك في إطار عدم التركيز وتعزيز استقلالية الإدارة الترابية والمصالح الخارجية (المديريات الجهوية والمصالح الاقليمية). مما سيمكن من صياغة استراتيجية للموارد البشرية خاصة بها بما يتماشى مع احتياجاتهم الحقيقية بتنسيق مع الإدارة المركزية ، مما سيمكنهم من تلبية احتياجاتهم التنموية جهويا وتحسين مستوى الخدمات المقدمة للمرتفقين .

- استقلالية مالية موجهة من أجل تدبير فعال للموارد البشرية : فارتباط القطاعات الوزارية بوزارة المالية من حيث الميزانية يحد من بلورة سياسة تدييرية واضحة للموارد البشرية. وعليه يجب تقويض اعتمادات الميزانية فيما يتعلق بمختلف جوانب إدارة الموارد البشرية ، وذلك بتقليل الرقابة القبلية على الميزانية وتعزيز الرقابة البعدية أو باعتماد مراقبة معدلة للنفقات فيما يتعلق بتسيير الموارد البشرية. وكذا تفعيل مقتضيات القانون التنظيمي للمالية 13-130 فيما يتعلق بالبرمجة المتعددة السنوات واستحضار البعد البشري أثناء صياغتها.

- تحسين التواصل مع الموظفين فيما يتعلق باستراتيجية تدبير الموارد البشرية : حيث يمكن التواصل فيما يتعلق بالاستراتيجيات القطاعية الموظفين من التركيز بشكل أفضل وتوجيه جهودهم نحو خدمة الاستراتيجية العامة للإدارة. كما يمكن أن يسمح تواصل الموارد البشرية لكل موظف من معرفة دوره في المشروع التنظيمي ، والوسائل المتاحة له ومكانه في التنظيم الداخلي لإدارته ، فالتواصل حول مساطر العمل سيمكن من هيكلة عمل الموظفين واكتساب المهارات الإجرائية اللازمة لتحسين الأداء داخل العمل. بالإضافة إلى ذلك ، فإن وضوح المساطر يسهل عملية التمكّن من العمل ، مما سيمكن من بلورة الإدارة بالأهداف في سياق المقاربة الموجهة نحو تعزيز أداء الموظف خدمة للصالح العام. نظام يعرف فيه الجميع ما هي واجباتهم ومهامهم والأهداف السنوية التي يصبون لتحقيقها.

الفقرة الثانية: اتجاهات حديثة في تدبير الموارد البشرية في القطاع العام المغربي

- تعزيز المقاربة بالكفاءات في تدبير الرأسمال البشري : فعلى الرغم من إعداد مراجع الوظائف والكفاءات على مستوى القطاعات الوزارية ، إلا أنها لم يكن لها تأثير كبير على التنظيم الداخلي للعمل. يلاحظ كذلك أن هناك اختلافا في طرق إعداد هذه المراجع ، مع ما يصاحب ذلك من معيقات منهجية مما يشكل تحديا كبيرا أمام إعداد المرجع المشترك للوظائف بين جميع الإدارات . يمكن الإشارة كذلك الى أن المعيار الوحيد المعتمد لتقييم كفاءة الموارد البشرية هو التنقيط وهو غير مبني على معايير دقيقة وأهداف محددة. وعملية التقييم هاته لا يتبعها أي إجراء لاحق (التدريب ، تغيير الوظيفة ، ونقل المهارات ، ...).

بغية تبني المقاربة بالكفايات والحد من اختلالات تدبير العنصر البشري وجب اعتماد ما يلي :

- تغليب منطق المهنة على منطق الفئة : تعدد الفئات داخل الوظيفة العمومية يعيق من عمل الإدارة ، وعليه وجب اعتماد المقاربة بالكفاءات والتدبير المبني على المشاريع ، واعتماد نصوص قانونية تنظم هذه المقاربة في أفق اعتماد منطق التدبير بالنتائج.

- إعادة النظر في منظومة تقييم الموظفين : تجدر الإشارة هنا إلى أن تبني التدبير القائم على النتائج يستلزم إدخال نظام التدبير بالأهداف بالنسبة للموظفين ، حيث أن اعتماد النقطة السنوية التي يضعها الرئيس

المباشر في تحديد مسار وترقية الموظف يظل شيئاً وجب مراجعته ، باعتماد طرق حديثة في التنقيط مبنية على التحفيز والتي من شأنها قياس المردودية الحقيقية للموظفين .

- إعادة النظر في الطرق المعتمدة في عملية التوظيف وإدماج الموظفين : رغم أن التوظيف بالمباراة (مرسوم رقم 2.11.621) يشكل مكسباً أساسياً في طريقة التوظيف إلا أنه وجب إعادة النظر في بعض المساطر خصوصاً الشق المتعلق منها بالتعيين في مناصب المسؤولية والمناصب العليا. علاوة على ذلك وجب إعداد مخططات مضبوطة للوافدين الجدد فيما يتعلق باستحداث طرق جديدة غير طريقة المصاحبة والمعتمدة حالياً في بعض الإدارات فقط .

- مراجعة طريقة التكوين والتكوين المستمر : حيث من المفترض أن تقوم الإدارات العمومية بتطوير مخططاتها القطاعية المرتبطة بالتكوين المستمر على أساس خططها الاستراتيجية ، من أجل تأهيل مواردها البشرية في إطار المرسوم المنظم لهذه العملية ، وذلك بموجب اتفاقات الشراكة مع الإدارات الأخرى. كما ينص المرسوم رقم 2-05-1366 على جميع الأحكام المتعلقة بأجر الموظف وتعويضه أثناء التكوين ، أي كانت مدته. وفي إطار عملية التعاقد والتعاون بين الإدارات ، يجب وضع مخططات جهوية للتكوين تكون مشتركة وتستجيب لمختلف حاجيات الموظفين وتعالج النواقص في الكفاءة المطلوبة. هذا دون إغفال أهمية التكوين عن بعد باستعمال الوسائل التكنولوجية والمعلوماتية الحديثة.

- من تدبير الرتب نحو تدبير المسارات المهنية : فبدية يجب مراعاة معيار الشفافية و الاستحقاق في تدبير العنصر البشري وفي الولوج إلى مناصب المسؤولية ، ولا يجب حصر المسار المهني في الترقية في الرتب فقط. ورغم وجود مرسوم ينظم عملية التعيين في مناصب رؤساء المصالح والأقسام رقم 2.11.681 بتاريخ 25 نونبر 2011 ، إلا انه يلاحظ غياب معايير دقيقة ومضبوطة في التقييم والترقي ويتم حصر الترشيح فقط في معيار الاقدمية والرتبة أو الفئة الوظيفية التي ينتمي إليها المترشح.

ومن هنا تكمن أهمية إعادة النظر في طرق التعيين المعتمدة ، ومن جهة أخرى ، يجب اعتماد التخطيط الاستراتيجي للمسارات المهنية قصد اعداد الخلف وتشجيع الحركة الأفقية عوض الحركة العمودية المعتمدة حالياً ، و تشجيع الحركة الواسعة بين الوزارات والإدارات لتحفيز الموظفين على الالتزام والبقاء الوظيفي ، مع إعادة النظر في طريقة التقييم واعتماد المقابلات الشفوية السنوية لتحديد حاجيات الموظفين ومعرفة تطلعاتهم المهنية .

- مأسسة الممارسات الأخلاقية في تدبير الموارد البشرية في القطاع العام (اخلفو، 2016): فالدراسات الحديثة أكدت أن المناخ الأخلاقي السائد داخل المنظمة والأخلاقيات المهنية المطبقة ، لها تأثير كبير على الأداء الفردي في العمل داخل المؤسسات والمقاولات العمومية المغربية (EEP). حيث أن البحوث السابقة التي تناولت النتائج الفردية والتنظيمية للأخلاقيات المهنية نادراً ما أحاطت بإشكالية الميكانيزمات والمحددات الوسيطة التي قد تؤثر على الأداء الفردي الوظيفي ، وتحديدًا في القطاع العام. من هذا المنطلق وجب بلورة نموذج بحث للتبادل الاجتماعي داخل العمل ، الذي يفترض من خلاله أن الثقة التنظيمية تلعب دور الوسيط في العلاقة الكائنة بين مناخ الأخلاقيات السائد والأداء الفردي لأطر ومدبري الشأن العام.

- اعتماد آليات التحفيز والإنصات وإشراك الموظفين في صنع القرار : من خلال تحفيز الموظفين الأكفاء ومكافأتهم والاعتراف بمجهوداتهم ، وجعل الادارة في خدمتهم وقريبة منهم ومن تطلعاتهم والاهتمام بالجانب الاجتماعي ، وكذا اشراكهم في مختلف القرارات الاستراتيجية المهمة للإدارة وجعلهم قوة اقتراحية ؛ بغية رفع أداءهم الوظيفي والتزامهم تجاه المنظمة التي ينتمون إليها والقطع مع الممارسات القديمة التي من شأنها أن تحد من مردوديتهم وحافزيتهم داخل العمل ، لجعل خدمة المصلحة العامة تسمو على كل مصلحة شخصية ضيقة.

خاتمة

يهدف هذا المقال إلى تقديم توضيحات حول طبيعة العلاقة القائمة بين تدبير الكفاءات البشرية داخل القطاع العام و الاستراتيجية. وتجلى أهمية هذا الموضوع في الدور المركزي للموارد البشرية في تنفيذ أي سياسة عمومية. كما تعد الوظيفة العمومية جدرة بالاهتمام بالنظر إلى ارتفاع كتلة الأجور والطلب المتنامي على مرفق عمومي ذو جودة عالية. فحسب تقرير المجلس الأعلى للحسابات حول نظام الوظيفة العمومية بالمغرب الصادر بتاريخ أكتوبر 2017 ، فقد انتقلت كتلة الأجور بين سنتي 2008 و 2016 من 75 إلى 120 مليار درهم ، وهو ما يمثل ارتفاعا من 11,38 إلى 11,84 بالمائة من الناتج الداخلي الخام. وخلال هذه الفترة ، ارتفعت نفقات الموظفين بمعدل نمو سنوي بلغ 5,3 بالمائة ، مقابل معدل نمو سنوي للناتج الداخلي الخام في حدود 3,92 بالمائة. حيث أوصى هذا التقرير بضرورة تصميم ووضع استراتيجية شمولية لإصلاح نظام الوظيفة العمومية تشمل مخططات عمل دقيقة وتحدد الأهداف والأولويات وكذا الإطار الزمني المناسب ، مع الأخذ بعين الاعتبار التأثير المتوقع على الميزانية وتحديد المسؤول عن كل عملية.

وعليه ، فان تبني استراتيجية لتدبير الموارد البشرية يشكل حيز الزاوية من أجل ادارة عمومية فعالة وفاعلة في محيطها الاقتصادي والاجتماعي ، وهذا لن يتم إلا باعتماد مقاربة استراتيجية للرأسمال البشري في مختلف القطاعات الوزارية على المستويين التراي والمركزي ، من خلال تشخيص واقع الممارسات التدييرية الحالية والاختلالات المرتبطة بتدبير العامل البشري بغية العمل على تجاوزها بانتهاج سياسة تدييرية واضحة ودقيقة ، مبنية على المقاربة بالكفاءات.

من أجل ذلك ، وبعد التشخيص الذي أنجزناه اقترحنا بعضا من التوصيات الأساسية نجملها كما يلي : تبني نهج كفي في إدارة الموارد البشرية ذو بعد جهوي وتراي ، استقلالية مالية موجهة من أجل تدبير فعال للموارد البشرية و تحسين التواصل مع الموظفين فيما يتعلق باستراتيجية تدبير الموارد البشرية. ومن جهة أخرى ، وجب تعزيز المقاربة بالكفاءات في تدبير الرأسمال البشري من خلال تغليب منطق المهنة على منطق الفئة و إعادة النظر في طريقة تقييم الموظفين وربط الترقية بالاستحقاق وفي الطرق المعتمدة في عملية التوظيف وإدماج الموظفين. هذا ، دون اغفال مراجعة طريقة التكوين والتكوين المستمر و الانتقال من تدبير الرتب نحو تدبير المسارات المهنية واعتماد الوسائل التكنولوجية الحديثة لدعم هذا التحول.

وفي إطار الجهوية المتقدمة وجب إعادة هيكلة الوظيفة العمومية الترايية ، حيث نجد أنه في الإدارة المحلية لا تتناسب الموارد البشرية من حيث الأعداد والكفاءات مع المهام المنوطة بالجماعات الترايية أو تلك التي

يمكن أن تسند إليها تماشيا مع منطق التدبير التراخي الجديد واللاتمركز الإداري وتشجيع حركة الموظفين قطاعيا ومجاليا.

وختاما ، واعتبارا لعمق التحديات الاقتصادية والاجتماعية للمغرب ، يجب أن تتطور ثقافة الإدارة العمومية للمشاركة في منطق التدبير المبني على الأداء والنتائج. وهذا لن يتأتى إلا بالعمل على مأسسة الممارسات الأخلاقية في تدبير الموارد البشرية في القطاع العام و اعتماد اليات التحفيز والإنصات وإشراك الموظفين في صنع القرار ، مع ربط المسؤولية بالمحاسبة.

قائمة المراجع

- Akhlaffou, M. El wazani, Y. & Souaf M. (2016). Ethical dimension and performance of public organizations: Effect of the institutionalization of ethical practices on the Moroccan public sector. *International Research Journal of Engineering and Technology, IRJET*, Volume: 03, Issue: 12.
- Akhlaffou, M. El wazani, Y. & Souaf M. (2016). L'importance de la dimension éthique dans la performance et la gouvernance des organisations publiques: l'apport de l'institutionnalisation des pratiques éthiques dans le secteur public marocain. *European Scientific Journal, ESJ*, vol.13, No.1.
- Amit R., Schoemaker P. J. (1993). « Strategic assets and organizational rent », *Strategic Management Journal*, vol. 14, n° 1, 33-46.
- Barney J. (1991). « Firm resources and sustained competitive advantage », *Journal of Management*, vol. 17, 99-120.
- Constitution Marocaine, juillet 2011.
- Décret n°2.11.621 relatif aux conditions d'accès par voie de concours.
- Décret n°2.11.681 en date du 25 novembre 2011 (nominations au poste de Chef de Division et Chef de Service).
- Décret n°2-05-1366 du 2 Décembre 2005 relatif à la formation continue des fonctionnaires et agents de l'Etat.
- Kraaijenbrink J., Spender J.C., Groen A.J. (2010). « The resource-based view: a review and assessment of its critiques », *Journal of Management*, vol. 36, n° 1, 349-372.
- Le Boulaire M., Retour D. (2008). « Gestion des compétences, stratégie et performance de l'entreprise : quel est le rôle de la fonction RH ? », *Revue de Gestion des Ressources Humaines*, vol. 70, 51-68.
- Le Louarn J.-Y., Wils T. (2001). L'évaluation de la gestion des ressources humaines. Du contrôle des coûts au retour sur l'investissement humain, Liaison, Paris.
- Loi n°130-13 concernant la Loi organique relative à la loi des finances.
- Loufrani-Fedida S., Aldebert B. (2013). « Le management stratégique des compétences dans un processus d'innovation: le cas d'une TPE touristique », *Revue de Gestion des Ressources Humaines*, vol. 89, 56-73
- Penrose E.T. (1959). The theory of the growth of the firm, John Wiley, New York.
- Porter M. E. (1980). Competitive Strategy, Free Press, New York.
- Prahalad C.K., Hamel G. (1990). « The core competence of the corporation », *Harvard Business Review*, vol.3, 79-91.
- Rapport de la Cour des Comptes sur le système de la fonction publique Marocaine, Octobre 2017.
- Réale Y., Dufour B. (2006). Le DRH stratégie : le nouveau mix stratégique des ressources humaines, Editions d'Organisation, Paris.
- Réale Y., Dufour B. (2006). Le DRH stratégie : le nouveau mix stratégique des ressources humaines, Editions d'Organisation, Paris.
- Retour D., Krohmer C. (2006), « La compétence collective, maillon clé de la gestion des compétences », pp. 139-173, in DEFELIX C., KLARSELD A., OIRY E. (2006), *Nouveaux regards sur la gestion des compétences*, Paris, Vuibert, 2006
- Teece D. J., Pisano G. P., Shuen A. (1997). « Dynamic capabilities and strategic management », *Strategic Management Journal*, vol. 18, n° 7, 509-533.
- Wernerfelt B. (1984). « A resource-based view of the firm », *Strategic Management Journal*, vol. 5, n° 2, 171-180.

التكيف المدرسي لدى التلاميذ المراهقين ذوي وصم الرسوب دراسة ميدانية لدى بعض التلاميذ بولاية

قالمة

أ.د بوفولة بوخميس ، جامعة الحاج لخضر باتنة 1-الجزائر

ط.د. موبيان علي ، جامعة 08 ماي 1945 قالمة -الجزائر

مقدمة:

تعتبر المدرسة البيئة المناسبة التي تقوم بعملية التربية و نقل الثقافة المتطورة و توفير الظروف المناسبة للنمو البدني والعقلي والنفسي والاجتماعي ، وعندما يبدأ الطفل تعليمة في المدرسة يكون قد قطع شوطا لا بأس به في التنشئة الاجتماعية في الأسرة فهو يدخل المدرسة مزودا بالكثير من المعلومات و المعايير الاجتماعية و القيم و الاتجاهات.

والمدرسة توسع دائرة هذه المعلومات في شكل منتظم ، حيث يتفاعل التلميذ مع مدرسه و وزملائه و يتأثر بالمنهج الدراسي بمعناه الواسع علما وثقافة وتنمو شخصيته من كافة الجوانب.

وبالنظر إلى المدة الزمنية الطويلة التي يقضيها الفرد في المدرسة و لفترات مستمرة و منتظمة ، لذا فهي تعد من ابرز واهم المحطات التي تحوي مراحل النمو الجسدي و النفسي والانفعالي للفرد ، وخاصة مرحلة المراهقة التي تعتبر المرحلة الأكثر تعقيدا وحساسية في حياة الفرد .

تعرف مرحلة المراهقة على أنها¹ مرحلة الانتقالية بين الطفولة و الرشد ، تبدأ منذ البلوغ ، إلا أن فترتها تعرف تغييرا غير مستقر ، يتضمن مجموعة من الصعوبات التي ترتبط بعملية التكيف ، إذ يجد المراهق نفسه فجأة في مواجهة مجموعة من المشاكل المدرسية و الوظيفية و السلوكية.

ولا يقتصر دور المدرسة فقط على عملية تحصيل المعلومات من أجل اجتياز الاختبارات و الفحوص ، بل يتعدى إلى تلبية الحاجيات النفسية للتلاميذ ، والتي تقدر تهمل في بعض الأحيان من طرف المدرسين والأولياء خاصة وإن وجد تدني في مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ الأمر الذي يدفعهم إلى استعمال طرق كلاسيكية من أجل رفع مستوى التحصيل الدراسي ، وغالبا ما تكون هذه الطرق و الأساليب مؤذية كالعقاب البدني و النفسي و الضغط المستمر على التلميذ طوال المسار الدراسي.

والكل يدرك ما معنى أن يضطر التلميذ للتعايش وفق نموذج محدد من طرف الأولياء و المدرسين طوال حياته الدراسية ، و بعد خروج عنه انحرافا غير مقبول لا في المدرسة ولا في الأسرة ولا باقي المجتمع ، وما يتبع ذلك من أحكام و إعفاءات تدل على التدني و الاختلاف ، فتلتصق به وصمة ضعف التحصيل الدراسي ، وسوء السلوك .

¹ D.Pierre (Male). Psychothérapie de l'adolescent. Paris 1980.P.5 et 6⁷

يعتبر الوصم ظاهرة اجتماعية بامتياز ، تفشت داخل مدارسنا جراء الجهل بالآثار المدمرة لهذه الظاهرة المتواترة من جيل إلى آخر ، يعتبر الوصم صفة تحط بشدة من قيمة الفرد و تحوله من شخص "عادي" إلى شخص "ناقص" و "غير عادي" ليتم اختصاره في نهاية الأمر في عنوان سلبي (ناقص أو ضعيف و دون المستوى).

والوصمة النفسية هي: وصف² يشوه ويخزي الإنسان بشكل عميق ، وهي الشعور السيئ الذي يلتصق بالفرد ، ويقف عائقاً في طريقه تجاه حياة مجتمعية ، غير منقوصة ، وتقاس بالدرجة على مقياس الوصم . وللوصم عدة أنواع: الوصمة الاجتماعي ، الوصمة الجسمية ، الوصمة الذاتية ، الوصمة العقلية ، الوصمة العرقية ، الوصمة اللغوية .

والوصم الذي يمارسه المعلم أو الولي على التلميذ الراسب أو المعيد للسنة عامل يجعله يعيدها مرة أخرى ، وتصبح هذه الفرصة من إيجابية إلى سلبية وهذا راجع إلى المتصورات الأساتذة و الأولياء ، حول التلاميذ الراسبين أو المعيدين مما يخلف آثار سلبية في التوازن النفسي للتلميذ ، فتسبب له القلق و فقدان الثقة بالنفس والمشك في قدراته بحيث يعتبرها فشك شخصي مما يجعل محيطه المدرسي أو العائلي أكثر سلبية و إحباط .

الإشكالية:

إن أهم ما يميز أغلب التلاميذ المراهقين خلال مراحلهم الدراسية وخاصة مرحلة الثانوي هو محاولة تكيفهم مع واقعهم الجديد و ذلك بإظهارهم لقدراتهم وسماتهم المزاجية الحسنة والعادات الشخصية ومستوى التحصيل العالي ، وكل هذا الأمر لا يرتبط بالجانب العقلي للتلميذ وحسب و إنما يمتد على جوانب أخرى ، وهذا ما أشارت إليه عديد الدراسات الحديثة و التي أكدت على إلى أهمية الجوانب النفسية ، و تكيف التلميذ ضمن مكونات المدرسة ، حيث أثبتت هذه الدراسات أن التلاميذ المتفوقين دراسياً يمتازون من حيث مستوى إحساسهم بالأمن النفسي والاجتماعي ، كما يمتازون بالثقة بالنفس والتكيف الاجتماعي السوي مع الآخرين ، في حين أظهرت نتائج بعض الدراسات أن المتأخرين دراسياً يعانون بعض المشكلات النفسية كتنقص في التكيف و إحساس عميق بعدم الثقة بالنفس الاجتماعي وشعور بالحرمان أو عدم الشعور بالأمن³.

والمشكل الحقيقي لدى التلاميذ المعيدين أو الراسبين لا يكمن فقط في تدني مستوى التحصيل ، وإنما في وصمة الضعف الدراسي و الرسوب ، و الآثار النفسية لهذه الوصمة على شخصية التلميذ و خاصة التلميذ المراهق ، و ذلك لحساسية المرحلة العمرية التي يعيشها .

ويعد وصم الرسوب احد الأساليب التربوية الخاطئة التي يلجأ إليها الوالدين في تربية وتنشئة المراهق والتي من شأنها أن تؤدي إلى حدوث صراعات داخل الأسرة بين المراهق ووالديه ، و كذلك في الوسط المدرسي بين التلميذ و مدرسيه أو أقرانه .

² Goffman, Erving(1963): STIGMA Notes on the Management of Spoiled Identity, Published by the Penguin Group, England

³ الطحان ، محمد خالد. (1982) تربية المتفوقين عقماً في البلاد العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس .

التساؤل العام: هل للتلاميذ ذوي وصم الرسوب صعوبات في التكيف داخل الوسط المدرسي؟
التساؤلات الجزئية:

-هل توجد فروق في مستوى التكيف لدى أفراد عينة البحث حسب الجنس؟.

-هل توجد فروق في مستوى التكيف لدى التلاميذ المراهقين باختلاف مستواهم الدراسي؟.

فرضيات الدراسة:

-توجد فروق في مستوى التكيف لدى أفراد عينة البحث حسب الجنس.

-توجد فروق في مستوى التكيف لدى التلاميذ المراهقين باختلاف مستواهم الدراسي.

أهداف الدراسة:

-مستوى التكيف الدراسي لدى التلاميذ لدى التلاميذ المراهقين.

-الفروق في مستوى التكيف لدى أفراد عينة البحث حسب الجنس.

-الفروق في مستوى التكيف لدى التلاميذ المراهقين باختلاف مستواهم الدراسي.

مصطلحات الدراسة:

التكيف المدرسي: ⁴ هو نتاج أساسي لتفاعل الفرد مع المواقف التربوية، وينظر إلى عملية التكيف الدراسي بأنها محصلة تفاعل عدد من العوامل هي: القدرات العقلية، والميول التربوية، والاتجاهات نحو النظام الجامعي، والحالة النفسية، والظروف الأسرية بشكل عام، ولعل أكثر العوامل ارتباطاً بالتكيف الدراسي هو القدرة التحصيلية لدى الطلبة. ويؤكد الريحاني، (1987، ص638). (على أن التكيف الدراسي هو مؤشر على التكيف العام للشخص وعلى صحته النفسية.

وصم الرسوب: إن الوصم الدراسي هو إحساس يستهدف بعض الطلاب، أو بالأحرى مجموعات من الطلاب، يجعلهم حساسين للظواهر النفسية والاجتماعية المختلفة التي قد تؤثر على تعلمهم وتعليمهم واحترامهم لذاتهم، و الخوف من عدم استيعاب ما يقدم للطلاب الراسب هو تأكيد الصورة التي يتخيلها عن نفسه ومجموعته، وهذا ما يرفع من حساسية التعامل مع الطلاب الراسبين.⁵

مرحلة المراهقة: المراهقة مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد⁶، وهي مجموعة من التغيرات في نمو الفرد الجسدي والعقلي والنفسي والاجتماعي، فهي مرحلة الانتقال التي يصبح فيها المراهق رجلاً.

منهجية الدراسة:

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي نظراً لملائمته أهداف الدراسة.

مجتمع الدراسة: تمثل مجتمع الدراسة في التلاميذ المتمدرسين في الطور الثانوي بولاية قالمة الواقعة بالشرق الجزائري.

⁴ الطاهر، محمد سليم (1988). (الفروق في التكيف الأكاديمي بين المتفوقين وغير المتفوقين من طلبة بالجامعة الأردنية الذكور والإناث في التخصصات المختلفة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية التربية، ص 25

⁵ (e.g., Crocker, Major, & Steele, 1998 ; Croizet & Martinot, 2003 ; Steele, Spencer, & Aronson, 2002)

⁶. حامد زهران، مرجع سابق، ص 289.

عينة الدراسة: تكونت عينة البحث من مجموع التلاميذ المتمدرسين في أربعة مؤسسات تربوية في ذات الولاية والبالغ عددهم 120 تلميذ ، حيث أن الجدول أدناه يوضح عددهم وتصنيفهم. الجدول رقم (01): يوضح تصنيف أفراد عينة البحث.

النسب المئوية	العدد الكلي	التصنيف حسب المستوى			المؤسسة
		أولى	ثانية	ثالثة	
%33.33	40	14	11	15	ثانوية الخوارزمي قالمة
%12.5	15	05	06	04	ثانوية زريمش عيسى
%25	30	11	09	10	ثانوية علاوة غجاتي
%29.1	35	11	08	16	ثانوية زغدودي أحمد
%100	120	المجموع			

أداة الدراسة: بعد الاطلاع على الأدب النظري المتعلق بهذه الدراسة ، وكذا مسح بعض الدراسات الميدانية في البيئة العربية والجزائرية ، قام الباحثان باستخدام مقياس التكيف الحياة المدرسية الذي تم تكيفه انطلاقا من مقياس التكيف في الحياة الجامعية ، إذ تم التوصل إلى الصورة النهائية للمقياس بعد عرضه على بعض المحكمين و الأساتذة من ذوي الكفاءة و الاختصاص ، و الذي تكون من 51 فقرة في صورة 3 محاور كالتالي: - التكيف النفسي - التكيف المدرسي - التكيف الاجتماعي.

حيث اتفق المحكمون بناء على الصورة الأولى للمقياس أن الطلبة الحاصلين على أكثر من 153 درجة يكون تكيفهم مرتفع.

أما الطلبة الحاصلين على اقل من 153 درجة يكون تكيفهم ضعيف.

عرض وتحليل النتائج:

الجدول رقم (2)

التكيف	الدرجة الكلية التكيف المدرسي	درجة التكيف الدراسي	درجة التكيف النفسي	درجة التكيف الدراسي الاجتماعي
التلاميذ ذوي الصفة العادية	196.35	60.11	64.13	61.30
التلاميذ ذوي وصم الرسوب	87.81	54.23	55.82	56

أشارت نتائج التحليل الإحصائي المتحصل عليها إلى أن متوسط درجات التكيف الدراسي لدي الطلبة الذين لا يعانون من وصم الرسوب هو 196.35 وهو أعلى من الوسط النظري لمقياس التكيف الذي اتفق عليه

المحكومون انه 153 أما الطلبة الذين يعانون من وصم الرسوب فقد بلغ متوسط درجاتهم 87 و هو اقل من الوسط النظري ، وجاءت النتائج موزعة على محاور المقياس كالتالي :

حيث بلغ متوسط درجات التكيف الدراسي لدى التلميذ ذوي وصم الرسوب 54.23 مقارنة بالتلاميذ العاديين الذين بلغ متوسط درجات التكيف الدراسي عندهم 60.11

أما درجات التكيف النفسي لدى التلميذ ذوي وصم الرسوب 55.82 مقارنة بالتلاميذ العاديين الذين بلغ متوسط درجات التكيف النفسي 64.13

كذلك درجات التكيف الاجتماعي لدى التلميذ ذوي وصم الرسوب 56 مقارنة بالتلاميذ العاديين الذين بلغ متوسط درجات التكيف الاجتماعي 61.30.

قائمة المراجع

-الطحان ، محمد خالد(1982) ، تربية المتفوقين عقيماً في البلاد العربية ، المنظمة العربية لهترية والثقافة والعموم ، تونس.
-الطاهر ، محمد سليم (1988) ، الفروق في التكيف الأكاديمي بين المتفوقين وغير المتفوقين من طلبة بالجامعة الأردنية الذكور والإناث في التخصصات المختلفة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية التربية.
-حامد زهران(1987) ، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر.

D.Pierre (Male). Psychothérapie de l'adolescent. Paris 1980.P.5 et 6

Goffman, Erving(1963): STIGMA Notes on the Management of Spoiled Identity, Published by the Penguin Group, England

e.g., Crocker, Major, & Steele(1998); Croizet & Martinot, 2003 ; Steele, Spencer, & Aronson, 2002).

استبانة التكيف للحياة الجامعية

مجلة جامعة دمشق - المجلد 20- العدد الثاني 2004 محمد أحمد الرفوع- أحمد عودة القرارة

استبانة التكيف للحياة الجامعية

أختي الطالبة:

تحية وبعد،

تحتوي هذه الاستبانة على عدد من الفقرات تتصل بالتكيف للحياة الجامعية، لذا يرجو الباحثان وضع إشارة (X) في المكان الذي ترينه مناسباً. راجيان أن تكون الإجابة دقيقة وعلمية وصريحة خدمة للبحث العلمي.

ولك جزيل الشكر

الكلية:.....

المعدل التراكمي:.....

المستوى: أولى ثانية ثالثة

ملاحظة: تكون الإجابة بالشكل الآتي:

الرقم	الفقرات	تنطبق تماماً	تنطبق كثيراً	تنطبق أحياناً	تنطبق نادراً	لا تنطبق
1	أشعر بالارتياح عند وجودي في الكلية		X			
2	أشعر بعدم رغبتني بتخصصي			X		

الرقم	الفقرات	تطبيق تماما	تطبيق كثيرا	تطبيق أحيانا	تطبيق نادرا	لا تطبيق
1	أشعر بأنني غير مرغوب بي من قبل زميلاتي					
2	أشعر بالخجل عندما أناقش موضوع الدرس أمام زميلاتي					
3	أشعر بالارتباك إذا فكرت باقتراح فكرة لأبدأ بها المناقشة مع زميلاتي					
4	أواجه صعوبة في الحصول على المراجع والكتب					
5	أشعر بالوحدة حتى أشاء وجودي مع زميلاتي الطالبات					
6	أجد صعوبة في المادة التي أدرسها					
7	أشعر بأنني شخصية ثانوية في الفعاليات التي يقوم بها زميلاتي الطالبات					
8	أشعر بأنني أتصرف مع زميلاتي بطريقة اندم عليها					
9	أجد صعوبة في المواد التي أدرسها					
10	يسعدني و يحبني الأساتذة					
11	أشعر بالارتباك عندما يوجه المدرس لي الأسئلة					
12	أستمتع بكتابة الأبحاث والتقارير للمواد الدراسية					
13	يؤلمني إهمال زميلاتي لأرائي					
14	أشعر أنني لا أستطيع تحقيق طموحي الدراسي					
15	أفتخر بانتمائي إلى كليتي الجامعية					
16	بضايقتني تدني مكانتي الاجتماعية بين زميلاتي الطلبة					
17	أشعر بأنه ليس لدي دافع حقيقي للدراسة					
18	أعاني من كثرة الامتحانات خلال الفصل الدراسي					
19	علاقتي بزميلاتي في الدراسة ليست على ما يرام					
20	أشعر بأن حياتي الجامعية مليئة بالتفاؤل والأمل					

					21	استمتع بالمناقشات العلمية خلال محاضرات بعض الأساتذة
					22	أشعر بضيق عندما التقى بطلبة جدد
					23	أشعر بالحرمان من أشياء كثيرة متوفرة عند زميلاتي
					24	أجد صعوبة في طريقة تدريس بعض الأساتذة
					25	أشعر بالمتعة عندما قضى الوقت مع زميلاتي الطالبات في الجامعة
					26	أشعر بالارتياح عندما أكون داخل الجامعة
					27	أشعر أن الأساتذة يتقهمون مشكلاتنا الدراسية
					28	يسعدني مشاركة زميلاتي في الأنشطة الاجتماعية
					29	أفكر في دروسي لدرجة لا أستطيع معها النوم
					30	أشعر أن الخدمات الإرشادية التي تقدم للطلبة من قبل الأساتذة قليلة
					31	يسعدني دعوة زميلاتي لمشاركتهن في رحلة جماعية
					32	أجد صعوبة كبيرة في تحمل الضغوط التي أتعرض لها في الجامعة
					33	أشعر بالمتعة خلال وجودي في المحاضرة
					34	يسعدني أن يكون معظم أصدقائي من طلبة الجامعة
					35	أشعر أن تقتي بنفسك ضعيفة
					36	أشعر أن نتائج الدراسة ضعيفة أمام الجهد الكبير الذي أبذله
					37	أشعر بالضيق عند وجودي بالتجمعات الطلابية
					38	بضايقتي ضعف قدرتي على الاتزان الانفعالي

					39	يكسبني التحاقني بالجامعات خيرات ومهارات جديدة
					40	أشعر بالانزعاج لضعف قدرتي بالمشاركة في الأنشطة الرياضية
					41	تقلقتني أحلام اليقظة المتعلقة بالأمور العاطفية والتفكير بالمستقبل
					42	أقوم بإنجاز واجباتي الدراسية ذاتيا
					43	أشعر بالانسجام مع جو الجامعة
					44	أشعر بأنني شديدة الرغبة في جذب عاطفة زميلاتي الطالبات
					45	أشعر بنشاط وهمة عندما يبدأ اليوم الدراسي
					46	أشعر بأن معظم الطلبة لا يستمعون بالحديث معي
					47	أشعر بأنه لا أحد يفهمني من زميلاتي الطالبات
					48	أحاول استثمار الوقت الذي أخصمه للدراسة بصورة صحيحة
					49	أشعر أنني لا أتمتع بشخصية اجتماعية
					50	أشعر بالرغبة في الانتقال إلى جامعة أخرى
					51	يؤسفني أنني أرح شعور زميلاتي دون قصد

القطب المينائي طنجة المتوسطي واستراتيجية إعادة التوقيع في مضيق جبل طارق
د:عليو لريح كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان-المغرب
ذ: الرواص بدرالدين طالب باحث في سلك الدكتوراه

The Tangier Mediterranean port and the relocation strategy in the Strait of Gibraltar

Ali Boulerbah - Badreddine Rouass

University Abdelmalek Essaadi -Tetouan- Morocco

مقدمة:

أصبحت الموانئ في الفترة المعاصرة مشاريع اقتصادية حاسمة في تقوية الاقتصادات الوطنية والرفع من قدراتها التنافسية. والبحث عن موقع في شبكة التجارة العالمية، لتوفير قيم مضافة وتنشيط القطاعات الاقتصادية المحلية، وفتح آفاق واعدة للسكان المحلية، وتنمية المجالات الترابية الهشة. ويعتبر مينائي الجزيرة الخضراء وطنجة المتوسطي من أهم الموانئ المتوسطية اللذان يسهران على تنشيط الملاحة بمضيق جبل طارق. وإذا كان ميناء الجزيرة الخضراء أهم ميناء إسباني، ورائد الملاحة التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، فإن إنجاز ميناء طنجة المتوسطي، كمشروع استراتيجي مينائي مغربي، بجوار ميناء مدينة سبتة المحتلة على مضيق جبل طارق، يهدف إلى تفعيل السياسة المينائية، من أجل تطوير النظام المينائي الوطني، من خلال الرفع من القدرات التنافسية للموانئ المغربية أمام الموانئ الإسبانية خاصة ميناء الجزيرة الخضراء، واحتكار جزء من تجارة الحاويات العابرة لمضيق جبل طارق. وبديلا اقتصاديا حديثا، لمسار متعثر وفاشل لمفاوضات سياسية بين المغرب وإسبانيا. كما يجسد البعد المتوسطي للمغرب من خلال البحث عن موقع جديد في حوض البحر الأبيض المتوسط انسجاما مع السياسة المتوسطية، وهذا ما سيساهم في إنعاش الحركة التجارية بالصفة الجنوبية من الحوض المتوسطي، والبحث عن تموقع جديد للمغرب في مضيق جبل طارق الذي يعرف تطورا مستمرا في ظل عولمة التجارة البحرية.

أولا: موقع المغرب الاستراتيجي على مضيق جبل طارق: معبر دولي عبر التاريخ للتجارة العالمية وللحضارات الإنسانية القديمة:

1. موقع المغرب الاستراتيجي في حوض البحر الأبيض المتوسط وعلى مضيق جبل طارق: يقع المغرب في وضعية جيوسياسية متميزة واستثنائية على حوض البحر الأبيض المتوسط. هذا الحوض الذي شكل "العمود الفقري لمنظومة متوسطية منعزلة نسبيا عن المراكز الحضارية الأخرى في جنوب شرق آسيا، تشبه إلى حد الآن المنظومة العالمية الحديثة، التي تشكلت منذ عهد النهضة الأوروبية، وانتشرت مظاهرها كإنتشار التبادل التجاري، والثروة التجارية (أمين، سمير، ياشير، فيصل، 1988، ص: 08). إضافة إلى الظهور قوى بحرية عظيمة أهمها بريطانيا التي كونت أسطولا بحريا أساسه السفن التجارية، وتعاظمت أهمية الاستراتيجية مع فتح قناة السويس سنة 1869م (أريسون، سارة، 2005، ص: 213).

لقد حاول الجغرافة منذ العصر القديم ، إبراز خصائص الحوض المتوسطي ، وضبط مساحته وتعيين حدوده . حيث انطلقت المحاولات العلمية مع أرسطو في القرن 07 قبل الميلاد الذي أشار إلى البحر ، حين أكد أن الماء أصل كل أشكال الحياة . وفي العصر الوسيط ، تمكن الجغرافة المسلمون من وضع حدودا جغرافية دقيقة للبحر المتوسط وخبروا سواحل ، كما ضبطوا أماكن اتساعه وضيقة بالقياس : "عرض هذا البحر يختلف ، فأما أول خروجه من البحر الأعظم ما بين جزيرة طريف وقصر مصمودة ، فعرضه خمسة فراسخ وهو أضيق مكان وهو آخر الزقاق . أما عرضه ما بين سبتة والجزيرة الخضراء فثمانية فراسخ وهو آخر الزقاق ، وعرضه ما بين المارقة وبادس ثلاثون فرسخا ، وما بين المرية ووهران خمسون فرسخا"¹.

كما شكّل إشراف المغرب على الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق أساس موقعه الاستراتيجي ، وبؤرة الاهتمام بساحليه المتوسطي والاطلسي ، المطلين على مضيق جبل طارق في أقصى غرب البحر الأبيض المتوسط كقناة ضيقة مضغوطة بين الساحلين الإيبيري شمالا والساحل المغربي جنوبا ، تربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي . كما استفاد المغرب من التحولات التاريخية التي عرفتها سواحله المتوسطية والاطلسية في العصر الحديث ، إذ ارتقت أهميتها تدريجيا في إطار المبادرة البرتغالية إلى اكتشاف المجال الأطلسي ، كمرحلة أولى نحو تأسيس تجارتها مع الهند الشرقية والغربية (أميلي حسن ، 2011 ، ص:20).

لقد مثل المغرب إذن ، "نقطة اهتماما لاتحاد الأوربي ، نظرا لمجموعة من العوامل أهمها الموقع الاستراتيجي المتميز بالمجال المتوسطي والعالمي (عائشة الورد ، 2012 ، ص 02). هذا الموقع حاول استثماره من أجل خلق علاقات متوازنة مع المجتمع الدولي ، ومواكبة التغيرات السريعة التي تعرفها التجارة الدولية مع بداية القرن 21 ، إضافة إلى تحولات طارئة في قطاع النقل البحري ، تجلت في النقل متعدد الوسائط لتلبية حاجيات التجارة العالمية ، وظهور أنماط جديدة من النقل البحري مثل تجارة الحاويات التي انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الخمسينات ، والتي أخضعت أرباب السفن لصيانة اساطيلهم ، وإعادة تهيئة الموانئ ، ووضع خطوط نقل بحرية خاصة بالمسافنة ، تسهر على تنشيطها شركات نقل ضخمة .

خصائص مضيق جبل طارق معبر دولي للتجارة العالمية: يقع مضيق جبل طارق في أقصى القسم الجنوبي الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط . ويمتد على طول مسافة 23 ميلا بحريا ، وعرض 24 ميل . ويمتد المضيق في مدخله الغربي ، بين رأس الطرف الأغر TRAFALGAR في الضفة الشمالية الإسبانية ، ورأس "اسبارتيل"² في الضفة المغربية الجنوبية .

لقد صار مضيق جبل طارق محورا حاسما لتنشيط المبادلات التجارية ، وتأمين العبور بين الشرق والغرب ، ومجالا متوسطيا وفضاءا للتجمعات العسكرية ، التي ظهرت إبان الاستعمار الفرنسي والإسباني ، ومجالا للتنافس البحري بين القوى الاستعمارية خاصة بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي عقد سنة 1906 الذي ساهم في

1- الفرسخ يساوي ثلاثة أميال ، والمرحلة تساوي ثلاثين ميلا .

2 - رأس اسبارطيل رأس صخري يطل على مضيق جبل طارق في ضفته الجنوبية . يقع غرب مدينة طنجة في أقصى الشمال الغربي من المغرب .

تقسيم سواحل المضيق بين الإمبراطوريات الاستعمارية خاصة الفرنسية والإسبانية والبريطانية. وفي هذا الإطار يجب الإشارة إلى أن الممرات التجارية الدولية مثل قناة السويس ومضيق جبل طارق، صارت تشكل حلقة وصل بين المحاور التجارية البحرية القديمة الرابطة بين الشرق والغرب. كما يتميز المضيق بتعدد مخاطر الإبحار فيه، خاصة مدخله الغربي عند القدوم من المحيط الأطلسي، نظرا لوجود رياح قوية ينتج عنها حركة بحرية قوية تشكل خطرا على السفن الصغيرة، ويحول دون عبور السفن بين الضفتين من جهة، والخروج نحو المحيط الأطلسي (Marie, Nora, 2009, p.01). ولهذا فإن السفن العابرة للمضيق تضطر عند بلوغها للجزء الغربي من المضيق، إلى الإنتظار داخل بعض المرفأئ الأمنة حتى تتحسن الأحوال الجوية (الدحاني، عبد الإلاه، 2004، ص. 29).

يمكن القول إن ورغم الرياح القوية عند جزء المضيق الغربي، التي تعتبر من أهم الإرغامات الطبيعة التي تميز مضيق جبل طارق، والتي تؤثر سلبا على الملاحة في المضيق، والتي تتطلب تجهيزات تكنولوجية تسمح بالتخفيف من آثارها خاصة وسائل الاتصال والتدخل السريع. لكن رغم ذلك نجح مضيق جبل طارق في تجاوز العراقيل الطبيعية والإنخراط في شبكة الطرق البحرية، وغدا ممرًا بحريا من أهم الممرات البحرية في العالم، التي تربط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، بفضل موقعه الاستراتيجي، ووجود شركات نقل عملاقة، وظهور موانئ ضخمة ذات معايير دولية، ليصبح محطة استراتيجية لخدمة عولمة التجارة الدولية. فكيف تحول من ممر بحري إلى محطة بحرية معولمة. وماهي تجليات العولمة في التجارة البحرية بمضيق جبل طارق؟

مضيق جبل طارق: من ممر بحري دولي إلى محطة لخدمة عولمة التجارة الدولية: لقد صار المضيق محطة خدمات العولمة، حيث أن أرباب النقل الدوليين الذين اعتادوا تنشيط النقل عبر مينائي جبل طارق والجزيرة الخضراء، ومجالا بحريا للتخزين وإعادة التوزيع الحاويات العالمية، ومجالا لانشطة التموين، إذ صار أول منطقة في حوض البحر الأبيض المتوسط في تموين السفن والتزود بالوقود، ومرفقا ضروريا للصيانة البحرية.) (Marei Nora، 2012 p : 05).

الجدول رقم1: توزيع نسبة السفن العابرة لمضيق جبل طارق حسب الصنف سنة 2015

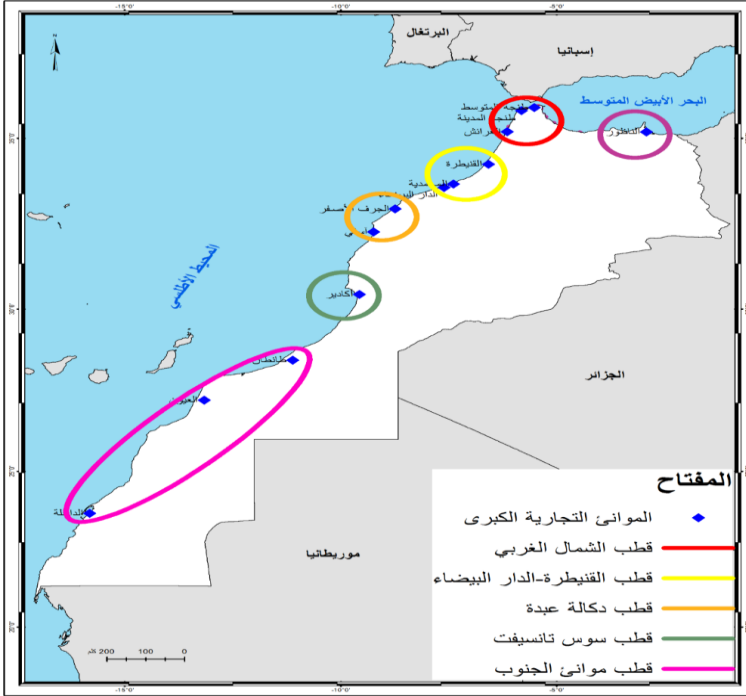
نوع السفن	2015	2016
سفن العبور الخاصة بالمسافرين	31.4	32,3
الحاويات	19.4	18,8
ناقلات بترول	3.1	2,9
ناقلات الكيماويات	7.9	8,1
ناقلات الغاز	3.0	3,0
نقل البضائع غير المعبأة	11.3	10,7
سفن نقل بضائع متنوعة	14.2	12,3
أصناف أخرى	4.6	6,4
المجموع	%100	100%

المصدر: وزارة التجهيز والنقل واللوجيستيك. التقرير السنوي لأنشطة مركز المراقبة الترايبية البحرية بمدينة طنجة.

من خلال الجدول رقم 01 نلاحظ أن مضيق جبل طارق قد عرف عبور عدد مهم من السفن بلغ في مجملها 100 ألف سفينة سنويا، أهمها سفن العبور التي تسهر على تنشيط العبور بين موانئ المغرب وإسبانيا، وسفن الحاويات التي تعمل على تنشيط المسافنة بفضل وجود سفن وشركات عملاقة مثل الشركة النرويجية الأمريكية مايرسكسيالاند SealandMaersk.

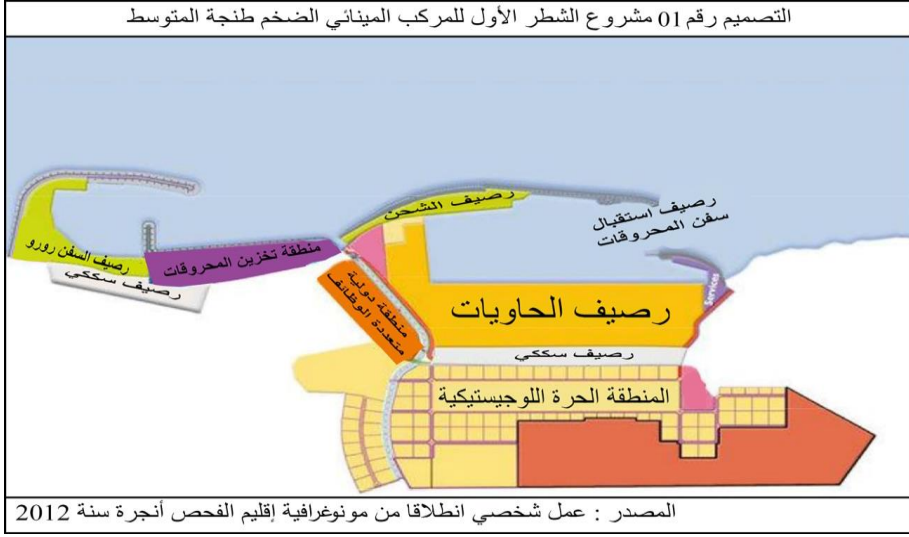
الاستراتيجية المينائية والأقطاب المينائية المتخصصة: الاستراتيجية الوطنية لإصلاح الموانئ سياسة عمومية في قطاع الموانئ، تهدف إلى إصلاح النظام المينائي المغربي، وتحقيق رؤية استراتيجية مستقبلية، الرامية إلى إنشاء موانئ ضخمة ومتخصصة، بمعايير دولية، فعالة ومحفزة للتنافسية الاقتصادية الوطنية، ومحركة للتنمية الجهوية. وقد استهدفت الاستراتيجية المينائية إنشاء أقطاب مينائية، بالسواحل المغربية، التي تشكل تجمع حي واقتصاديا واستراتيجيا لموانئ جهة أو منطقة ماحول ميناء واحد أو عدة موانئ رئيسية (وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك: الإستراتيجية الوطنية للموانئ في أفق سنة 2030. ص:22) مندمجة مع مرامي الجهوية الموسعة، وقادرة على الرفع من القدرات التنافسية للنظام المينائي المغربي، ومؤهلة للتنافس مع الموانئ الدولية الأخرى، وقابلة للتكيف مع التحولات التي تعرفها التجارة البحرية العالمية في ظل العولمة، وتأهيل الاقتصاد الوطني لمواكبة التطورات التي يعرفها الاقتصاد العالمي مع تطبيق اتفاقيات التبادل الحر. كما تشكل هذه الأقطاب بدائل واقعية لأنماط العلاقات بين المجالات الترابية والموانئ من جهة، وإعادة الاهتمام بالموقع الاستراتيجي الذي يلعب دورا مهما في وضع الموانئ كآليات اقتصادية للموقع خاصة في مضيق جبل طارق كثنائي محور بحري عالمي يربط بين القارات الأربع، ويربط بين المحور البحري الإمبراطوري الشرقي، والمحور الأطلسي الغربي. وأثناء قراءتنا للخريطة رقم 02 تم إنشاء ستة أقطاب مينائية متخصصة ومتكاملة فيما بينها، حيث سيسهر القطب الجنوبي الذي يتزعمه ميناء الداخلة على تمتين العلاقات التجارية مع دول افريقيا. أما قطب دكالة الذي يتزعمه ميناء أسفي سيتكلف بتصدير الخامات، وقطب الدار البيضاء بتصدير المواد الفلاحية والصناعية، وتأمين الخطوط البحرية العابرة للمحيط الأطلسي. ويراهن المغرب على تطوير القطب المينائي الشمالي الغربي الذي يتزعمه القطب المينائي طنجة المتوسطي الذي يوجد في موقع استراتيجي على مضيق جبل طارق، وبمحاذاة مدينة سبتة المحتلة، من أجل امتصاص إشعاع المدينة الاقتصادي، ومحاورة نشاط التهريب، واحتكار جزء من نشاط مسافنة الحاويات في مضيق جبل طارق، ومنافسة ميناء الجزيرة الخضراء كميناء رائد في النظام المينائي الإسباني، وتطوير العلاقات التجارية عبر خطوط بحرية منتظمة مع الاتحاد الأوروبي ودول حوض البحر الأبيض المتوسط.

الخريطة رقم 1: توزيع الأقطاب المينائية وفق الاستراتيجية المينائية في أفق سنة 2030



المصدر : عمل شخصي اعتمادا على خريطة التقسيم الإداري للمغرب لسنة 2016

ثانيا: دراسة أنشطة ميناء الجزيرة الخضراء والميناء المتوسطي وإبراز مظاهر التكامل والتنافس بينهما:
مكونات القطب المينائي طنجة المتوسطي: يجسد المركب المينائي طنجة المتوسط صورة واضحة للتحويلات الاقتصادية التي يعرفها المغرب، والتي تسير نحو الإصلاح والتقدم والانفتاح الجاد والهرج على أساس قاعدة (رايح – رايح)، والرهانات التي يأمل تحقيقها عبر تطوير قطاع النقل البحري واللوجستيك، والرفع من المستوى التنافسية، خاصة مع آثار التحويلات الدولية والعولمة والشراكة، والانفتاح على المحيط الدولي، والانخراط في مسلسل العولمة والتجارة الدولية وتجسد الخيارات الاستراتيجية الوطنية على أعلى مستوى. كما يعتبر مشروعا استراتيجيا، للتموقع في مضيق جبل طارق، واحتكار جزء من تجارة الحاويات في حوض البحر الأبيض المتوسط الذي ظلت تحتكره الموانئ الإسبانية خاصة ميناء الجزيرة الخضراء. لذلك فإن أي غياب لمشروع مينائي مغربي خاصة على المناطق الحدودية المتوسطية، سيسمح للجارا الإسبانية في الاستمرار في الهيمنة على التجارة البحرية بمضيق جبل طارق، خاصة فيما يتعلق بمسافنة الحاويات التي تعتبر رائدة النظام المينائي الإسباني بمضيق جبل طارق ومحور الجزيرة الخضراء-طنجة-الدار البيضاء. وهو ما كان من شأنه أن يُبقَى القطاع المينائي المغربي خاضعا للتبعية عوض أن يكون عنصرا مبادرا ومحركا للاقتصاد الوطني.



من خلال التصميم رقم 01 يتكون القطب المينائي طنجة المتوسطي من عدة مكونات أهمها: الميناء المتوسطي الأول الذي تأسس سنة 2007، والذي يتكون من عدة أرصفة أهمها رصيف الحاويات ورصيف البضائع الغير

المعبأة Vrac، ورصيف السيارات الصناعية، ورصيف المسافرين، ورصيف المحروقات. أما الميناء المتوسطي الثاني الذي افتتح سنة 2019، فيتكون من أرصفة أهمها رصيف الحاويات. من هنا يمكن القول إن القطب المينائي طنجة المتوسطي ميناء ضخم متخصص في مسافنة الحاويات وفق توجهات الاستراتيجية الوطنية للهوانئ. فهاهي حجم الاستثمارات المرصودة للقطب المينائي طنجة المتوسطي؟

الجدول رقم 2: تطور حجم الإستثمارات المرصودة في الميناء طنجة المتوسطي ما بين 2015 و2017 بمليار

درهم

السنوات	2015	2016	2017
الجزيرة الخضراء	80	85	93
الميناء طنجة المتوسطي	50	64	88

Source : www.tmpa.ma/Rapport-dactivites-TMPA consulté le :14-06-2018:

23-10-2017http://www.apba.es/fr/estatistique.consulté le:

من خلال الجدول رقم 02 نلاحظ أن الاستثمارات المرصودة للمينائين تباينت من ميناء لآخر من سنة لأخرى، حيث شكلت اعلى ارتفاع لها سنة 2017 بفضل ارتفاع الطلب على الخدمات المينائية بالمينائين، و ظهور شركات عملاقة للنقل البحري لاستغلال الأرصفة الخاصة بمسافنة الحاويات أهمها شركة الكورية هانجين والنرويجية مايرسك. لكن ما يلاحظ أن الاستثمارات المرصودة بميناء الجزيرة الخضراء ما زالت مرتفعة، وذلك راجع إلى رغبة الوكالة المينائية لخليج الجزيرة الخضراء إلى الرفع من القدرات التنافسية للميناء، وتوسيع مساحة الأرصفة الخاصة بالحاويات، ليستمر في احتكار المسافنة في مضيق جبل طارق، خاصة وأن الشطر

الثاني للقطب المينائي طنجة المتوسطي ، سينطلق في العمل سنة 2019 مما سيشكل عنصر قوة لتقوية القدرات المينائية للقطب المينائي طنجة المتوسطي.

الصورة رقم 1: الشطر الأول من القطب المينائي طنجة المتوسطي أول منصة لوجيستسكية في افريقيا



تبين الصورة الأزصفة المكونة للشطر الأول من القطب المينائي طنجة المتوسطي وهي رصيف الحاويات على اليمين ، ورصيف السيارات في الوسط ، ورصيف البضائع المختلفة. الصورة بعدسة الطالب الباحث الرواص بدر الدين (2016-06-23)

ميناء الجزيرة الخضراء رائد النظام المينائي الاسباني وسيد مضيق جبل طارق: يعتبر ميناء الجزيرة الخضراء أول ميناء في إسبانيا، وأهمها في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وفي مضيق جبل طارق ، حيث كان ميناء صغيرا في بداية القرن التاسع عشر ، لكنه سرعان ما سيعرف تطورا سنة 1965 في إطارسياسة تنمية الأقطاب الصناعية التي نهجها الرئيس فرانكو. فبرز ميناء الجزيرة الخضراء كميناء ذات أهمية وطنية ، وتم إنشاء القطب الصناعي الجديد في الميناء قبالة صخرة جبل طارق ، وعهدت الحكومات الإسبانية المتعاقبة بنشر معالم ومشاريع البنية التحتية لربط الميناء بالشبكة الاقتصادية الاسبانية.ومع تطور تجارة الحاويات في مضيق جبل طارق ، صار ميناء الجزيرة الخضراء أول مينائي إسباني في مسافنة الحاويات ، ومن الموانئ الخمسة في النظام المينائي الأوروبي إلى جانب الميناء الإيطالي جاوتاورو ، والهولندي روتردام (Marie, nora,2008, p :05).

مظاهر التكامل والتنافس بين ميناء الجزيرة الخضراء والميناء المتوسطي: يعتبر ميناء الجزيرة الخضراء ميناء إسبانيا رئيسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط ، راكم تجارب طويلة في تطوير الخدمات المينائية . كما أن الميناء يشكل رهان الدولة الاسبانية للتحكم في مضيق جبل طارق ، والهيمنة على النقل البحري بحوض البحر الأبيض المتوسط. في حين يعتبر القطبالمينائي طنجة المتوسطي ميناءا ضخما حديث العهد، لكنه يظل الرهان الاستراتيجي للمغرب كبديل اقتصادي قريب من ميناء مدينة سبتة المحتملة ، واحتكار جزء من نشاط الحاويات العابرة لمضيق جبل طارق ، وألية لخلق تنافسية مستقبلية على مستوى الخدمات البحرية.

الجدول رقم 3: تطور الرواج التجاري بمينائي طنجة المتوسطي والجزيرة الخضراء سنة 2017 بمليون طن

2017	الموانئ
102.3	الجزيرة الخضراء
50	طنجة المتوسطي

23-10-2017Source:http://www.apba.es/fr/estativique.consulté le:

www.tmpa.ma /Rapport-dactivités-TMPA-consulté le :10-07-2018

من خلال الجدول رقم 03 نلاحظ أن الرواج التجاري يتباين حسب المينائين ، حيث يبلغ 102.3 مليون طن بميناء الجزيرة الخضراء ، وهو رقم يجسد تراكم تاريخي لميناء رائد منذ الستينات ، في حين يبلغ حجم الرواج المينائي في ميناء طنجة المتوسطي 50 مليون طن. الذي ما زال يجتهد سنة بعد أخرى ، للرفع من حجم رواج التجاري ، واستقطاب شركات أخرى التي ستساهم في شحن كميات أخرى من البضائع ، وهذا يعني أن الرواج التجاري ما زال مرتفعا في الميناء الاسباني ، نظرا لارتفاع حجم البضائع المشحونة به من جهة ، وتزايد حجم الحاويات ، وهذا ما سنلاحظه في الجدول التالي.

الجدول رقم 4: تطور عدد الحاويات بميناء طنجة المتوسطي ما بين 2011 و 2018 بمليون حاوية

2017	2016	2015	
4.975.787,00	4.801.122,00	4.201.421,00	الجزيرة الخضراء
3.300.000	2.832.308	2.838.883	طنجة المتوسطي

Source : www.tmpa.ma /Rapport-dactivités-TMPAconsulté le :14-06-2018

من خلال الجدول رقم 04 يلاحظ أن عدد الحاويات عرف تطورا في ميناء الجزيرة الخضراء ، إذ ارتفع العدد من أكثر من 04 ملايين حاوية سنة 2014 إلى 4.975.787,00 حاوية سنة 2017 ، وذلك بفضل عمليات التوسعة التي قامت بها الوكالة المينائية لخليج الجزيرة الخضراء. في حين بلغ ارتفاع عدد الحاويات بميناء طنجة المتوسطي من 03 مليون حاوية سنة 2014 إلى 3.300.000 حاوية سنة 2017. ويجب التذكير إلى ميناء الجزيرة الخضراء قد راكم تجربة مينائية منذ سنة 1965 ، في حين تمكن القطب المينائي طنجة المتوسطي في ظرف 12 سنة في بلوغ إلى أكثر من 03 مليون حاوية ، وسيرتفع في حلول سنة 2020 إلى أكثر من 09 مليون حاوية ، وهذا ما يثير مخاوف المسؤولين في ميناء الجزيرة الخضراء.

الصورة رقم 2: الرصيف الجديد لنشاط الحاويات بميناء الجزيرة الخضراء



رصيف جديد لنشاط الحاويات بعد عملية التوسعة التي عرفها ميناء الجزيرة الخضراء إبان انطلاق عمل القطب المينائي طنجة المتوسطي. الصورة بعدسة الطالب الباحث الرواص بدر الدين بتاريخ :

03- 07 - 2019

الجدول رقم 5: نشاط العبور من مينائي طنجة المتوسطي والجزيرة الخضراء ما بين سنة 2014 و2017 بالالف

2017	2016	2015	الميناء
2.829,62	2 720 746	2 399 002	طنجة المتوسطي
118.394.00	109.535,00	127.126,00	الجزيرة الخضراء-ميناء طنجة المتوسطي
130.263.00	146.495.00	132.342.00	الجزيرة الخضراء - سبتة

Source : <http://www.tmpa.ma/connexions-maritimes/> consulté le :14-06-2018

<http://www.apba.es/fr/estatistique> consulté le: 2017-12-23

من خلال الجدول رقم 05 ، نلاحظ أن حركة العبور بين ميناء الجزيرة الخضراء وميناء طنجة المتوسطي قد تراجعت من 2.000.363 سنة 2014 إلى 130.263.00 مسافرا سنة 2017. مقابل ذلك ، فقد عرفت حركة العبور بين ميناء طنجة المتوسطي وموانئ إسبانيا تطورا ، إذ ارتفعت من 2164 798 سنة 2014 إلى 2.829,62 سنة 2017. ويعود ذلك إلى الاتفاقيات التي أبرمها ميناء طنجة المتوسطي مع ميناء الجزيرة الخضراء وموانئ إسبانية ، مثل ميناء برشلونة وقادس وموتريل . كما ساهم نمو نشاط العبور السياحي ما بين ميناء طنجة وميناء طريفة ، وبين ميناء طنجة المدينة وميناء جبل طارق في تقليص نشاط العبور.

الجدول رقم 6: عدد السفن التي رست بميناء الجزيرة الخضراء وطنجة المتوسطي ما بين سنة 2013 و2017

2017	2016	2015	2014	الميناء
2.450,00	2.428,00	2.270,00	2.099,00	الجزيرة الخضراء
14380	13990	12300	11900	طنجة المتوسطي

Source :<http://www.apba.es/fr/estatsistique.p> : consulté le: 2017-12-23

www.tmpa.ma /Rapport-dactivités-TMPA-consulté le : 10-07-2018

ومن خلال الجدول رقم 06 يتبين أن نشاط الرسو بميناء الجزيرة الخضراء قد عرف بدوره تراجعاً من 2.099 سفينة سنة 2014 إلى 2.450 سفينة سنة 2017. بينما عرف ميناء طنجة المتوسطي نمواً من 11900 سفينة سنة 2014 إلى 14380 سفينة سنة 2017. ويعود ذلك إلى تراجع عدد سفن الحاويات التي تعتبر من السفن الأكثر رسواً في موانئ مضيق جبل طارق، والتي صارت ترغب في الرسو في ميناء طنجة المتوسطي منذ سنة 2007 للاستفادة من انخفاض تكلفة ومدة الشحن، خاصة بعد الإزدحام الذي صار يعرفه ميناء الجزيرة الخضراء، إذ اضطر إلى توسيع أرصفة الحاويات على حساب البحر، لكن رغم عمليات التوسعة وإعادة الإنتشار، فقد صار الميناء أكثر اكتظاظاً وتلوثاً، وضجيجاً، وتزايد عدد المناهضين للوضع البيئي المزري التي أصبح يعيشها ميناء الجزيرة الخضراء.

الجدول رقم 7: تطور عدد السيارات الصناعية المشحونة من ميناء طنجة المتوسطي والجزيرة الخضراء ما بين

2014 و2017

الموانئ	2014	2015	2016	2017
طنجة المتوسطي	250.000	260.000	320.000	371.000
الجزيرة الخضراء	270.000	23.098	57.058	56.313

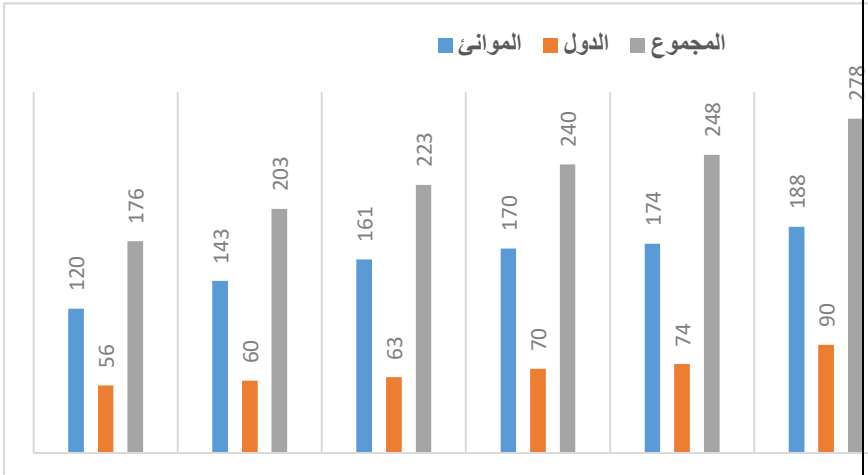
Source : <http://www.tmpa.ma/connexions-maritimes/consulté> le :14-06-2018

<http://www.apba.es/fr/estatsistique>.consulté le: 2017-12-23

يتبين لنا من خلال الجدول رقم 07، أن ميناء الجزيرة الخضراء قد عرف تراجعاً على مستوى شحن السيارات الصناعية نحو مينائي طنجة المتوسطي وسبتة، إذ انخفض من 270.000 سيارة سنة 2014 إلى 56.313 سيارة سنة 2017. ومقابل ذلك، عرفت مسافنة السيارات الصناعية بميناء طنجة المتوسطي ارتفاعاً من 250.000 سيارة سنة 2014 إلى 371.000 سيارة سنة 2017. ويعود ذلك الارتفاع إلى عدد السيارات الصناعية المعالجة في الميناء المتوسطي والتي هي من إنتاج مصنع رونو الذي احتفل سنة 2017 بإنتاجه لمليون سيارة، ومعالجة الميناء للسيارات العابرة خاصة بعد فتح خط بحري سنة 2017 بين ميناء طنجة المتوسطي وميناء فيغو في أقصى الشمال الشرقي الإسباني³، والذي سيعمل على تأمين سلاسل التهمين من السيارات الصناعية الموجهة نحو أوروبا الغربية. كما تم ربط الميناء طنجة المتوسطي سنة 2016 بالخط البحري الرابط بين الهند وأوروبا، حيث سيسهر الميناء المتوسطي على استقبال سفن ضخمة متخصصة في لنقل السيارات الصناعية (car carrier)، وتنشيط مسافنتها؛ ومنها: سيارات من نوع هيونداي الكورية وسيارات G.M.C الأمريكية نحو الأسواق الخليجية.

³ هذا الخط الجديد ستسهر على تامينه الشركة الاسبانية للنقل البحري سواردياز SUARDIAZ وذلك بتأمين الخط البحري مرتين في الأسبوع، وتوفير سفينتين مختصة في شحن الاليات ذات قدرة استيعابية لحمل 1000 سيارة و40 شاحنة

المبيان رقم 1: تطور شبكات الربط البحري بين ميناء طنجة المتوسطي والعالم ما بين سنة 2013 و2018



Source : <http://www.tmpa.ma/connexions-maritimes/> consulté le: 22-06- 2018

من خلال المبيان رقم 01 نلاحظ أن عدد خطوط الربط البحري بين ميناء طنجة المتوسطي والعالم قد عرفت ارتفاعا من 176 بلدا وميناء سنة 2013 إلى 278 بلدا وميناء في منتصف سنة 2018. هذه الخطوط ستساهم في ربط القطب المينائي طنجة المتوسطي بأضخم موانئ العالم ، وبالتالي استقطاب شركات جديدة للعمل والرسو في الميناء المتوسطي. وهذا ما سيسمح للقطب المينائي من احتلال مرتبة مهمة ضمن الموانئ الأربعين الأكبر ضخامة في العالم.

نتائج وتوصيات:

إن دراسة مقارنة بين مينائي طنجة المتوسطي والجزيرة الخضراء ، تهدف إلى إبراز نوع العلاقة التي تربط المينائين الموجودين في نفس المحور التجاري البحري الرابط بين الشرق والغرب بمضيق جبل طارق. وقد خلصنا إلى أن العلاقة لم تبلغ بعد إلى علاقة تنافس حقيقي ، بل تنافس في بعض الأنشطة المينائية مثل نشاط عبور المسافرين ونشاط النقل الدولي البري transport international routière ، وتعاون على مستوى مراقبة المضيق. لكن مازال ميناء الجزيرة الخضراء ذا تاريخ في ميدان الخدمات المينائية والبحرية ، الذي ترتكز أنشطته على تجارة المسافنة خاصة الحاويات⁴ ، وتمكن بفضل هذه التجارة من التفوق على الموانئ الإيطالية. ومازال الميناء يحتكر الرواج التجاري بمضيق جبل طارق. كما أن دراسة تطور عدد السفن التي رست بميناء

⁴ - تمكنت شركة مايرسك Maersk عبر استراتيجيتها الأفقية من تغطية كاملة للنشاط المينائي بحوض البحر الأبيض المتوسط ، بحيث أن المناطق اللوجيستكية وضعت على أهم المحاور التجارية العالمية شرق-غرب هذا الموقع إلى جانب موقع الميناء طنجة المتوسطي في مركز العبور الدولي المتوسطي ، جعل كل سفن الحاويات لا تنحرف عن المحور شرق - غرب وبالتالي المشاركة في النشاط الدائري لهذ المحور الدائري.

الجزيرة الخضراء ، تبين تراجعاً نسبياً غير معلن لأهمية تجارة الحاويات التي كانت تشكل العمود الفقري لميناء الجزيرة الخضراء ؛ ولهذا فإثناء ميناء طنجة المتوسطي المتخصص في المسافنة بالضفة الجنوبية من مضيق جبل طارق ، سيؤثر سلباً على الرواج التجاري بالموانئ الإسبانية ، خاصة عندما سيفتح الشطر الثاني من القطب المينائي سنة 2019. كما ساهم القطب المينائي طنجة المتوسطي في الرفع من الاستثمارات الموجهة لتنمية النشاط الاقتصادي بجهة طنجة تطوان الحسيمة التي أصبحت تشكل ثاني أكبر وجهة استثمارية بالمغرب للرساميل العالمية. كما ساهم القطب المينائي طنجة المتوسطي في تحسين مرتبة المغرب ضمن شبكات الاتصال الدولية ، بعدما ارتفعت عدد خطوط الربط البحري بين ميناء طنجة المتوسطي والعالم من 176 بلداً وميناء سنة 2013 إلى 278 بلداً وميناء في منتصف سنة 2018.

إن استمرار القطب المينائي في التطور للتموقع التدريجي في مضيق جبل طارق ، يقتضي الرفع من جودة الخدمات المينائية على مستوى الزمن والتكلفة ، والقدرة على استقطاب الشركات العالمية الرائدة في النقل البحري ، للاستثمار في القطب المينائي ، كما أن عملية العبور في فترة الذروة الصيفية يجب أن يتم تسخير طاقم بشري ولوجستيكي ، قادر على تلبية حاجيات العابرين ، خاصة وأن ميناء سبتة المحتلة يبذل مجهوداً لاستقطاب العابرين من الضفتين ، من خلال خفض تذاكر العبور ، ومنح امتيازات للمسافرين من جهة ، وخفض زمن الرحلة ، وتوفير الخدمات الأساسية للمسافرين .

قائمة المراجع:

- أمين ، سمير ، ياشير ، فيصل ، 1988 ، البحر المتوسط في عالما المعاصر. ترجمة ظريف عبد الله. مركز دراسات الوحدة العربية.
- أريسون ، سارة ، 2005 ، الاكتشاف والملاحة البحرية في العصر الوسيط. سلسلة عالم المعرفة. العدد 314. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.
- أولوين (كارلين) (1996): اقتصاديات النقل البحري. دراسة تحليلية عن العلاقة بين النقل البحري والتجارة الخارجية. ترجمة (مختار السويدي). الطبعة الأولى. دار المصرية اللبنانية. بيروت
- آيت الهادي ، الحسين ، 1993 ، دور طنجة في المجال المتوسطي المغربي ومستقبل العلاقات المغربية المتوسطية. من كتاب: طنجة المجال والمجتمع. منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس. الرباط. الطبعة الأولى.
- بروديل (فرنان) (1993): المتوسط والعالم المتوسطي. تعريب مروان أبو سهر. الطبعة الأولى. دار المنتخب العربي. بيروت.
- دريوش (نبيل) (2015): الجوار الحذر. العلاقات المغربية الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي الملك خوان كارلوس. مطابع سليكي إخوان. طنجة. الطبعة الأولى.
- الدحاني ، عبد الإلاه ، 2004 ، المغرب ومضيق جبل طارق 1815-1864 محاولة لفهم المغرب بمجاله البحري. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط.
- البحاوي(يحيى) (1999): العولمة: اية عولمة. إفريقيا الشرق. الطبعة الأولى. الدار البيضاء.
- لبكر(رشيد) (2011): إعداد التراث ورهان التنمية الجهوية. مطبعة المعارف الجديدة. الطبعة الأولى. الدار البيضاء
- مساري (محمد العربي) (1999): المغرب ومحيطه. مطبعة الهلال. الرباط.
- عائشة الورد ، 2012 ، حصيلة العلاقات بين المغرب والإتحاد الأوروبي على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي منذ ابرام اتفاقية الشراكة. موقع العلوم القانونية.

http://www.marocdiot.com تاريخ الاطلاع 2017-04-20

وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء: الاستراتيجية الوطنية للموانئ في أفق سنة 2030.

وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء: مركز المراقبة الترايية البحرية بطنجة. التقرير السنوي

- Marei. Nora(2012), Le détroit de Gibraltar, porte du monde, frontière de l'Europe : analyse et perspective de territorialité d'un espace de transitMémoire présenté en vue de l'obtention du grade de Docteur en géographie de l'Université de Nantes
- Marei. Nora(2009), Le Detroit de Gibraltar sur le monde pour l'Espagne. Revue électronique: historiens ET géographes.N°408. . numéro special .année: 2009. In l'Espagne, les metamorphoses d'une puissance économique.
- Marei. Nora (2008), Enjeux maritime ET portuaires de Detroit de Gibraltar. Note de synthèse. n: 105 InstitutSpécial des Etudes Maritime. (Isemar) .Nante.france
- Tourret(P) (2008): L'Espagne maritime et portuaire. Note de synthèse. N : 107. Institut scientifique des études maritime(ISEMAR).Nantes .France .01
- Cherfaoui(Najib) 2005: Tanger Med versus isobathe.<https://dokumen.tips/documents/tanger-med-cherfaoui11.html> .
- Dévaillée (eric)(2011): Structures hybrides ou structures matricielles ?Consulté le : 2017-10-20<https://www.questions-de-management.com/structures-hybrides-ou-structures-> .
- Karen Hofman, Julie Dermine et autre (2014) : Les entreprises hybrides et leur (possible) contribution à l'innovation sociale. Consulté le : 15-12-2017http://crises.uqam.ca/upload/files/Colloque_international_2014/_Hofman_Raufflet .
- L'articulation entre le pole portuaire de Tanger et son contexte territoriale<http://www.tlte.paris-sorbonne.fr/wp-content//2012/07> . p: 10.consulté le 22-12-2017
- <http://www.apba.es/fr/estatique>.
- <http://www.tmpa.ma/connexions-maritimes/>
- <http://www.apba.es/fr/estatique>

دور السياسة النقدية في ضبط معدلات التضخم في الجزائر خلال الفترة 1990-2016
The role of monetary policy in controlling inflation rates in Algeria during the period
1990-2016

أ. كديدة امال ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر
د. سمير بوختالة ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر

مقدمة:

مشكلة الدراسة:

يعتبر التضخم ظاهرة نقدية من أهم الظواهر التي أثارت الجدل والنقاش حولها، تصيب العديد من اقتصاديات الدول سواء البلدان النامية أو المتقدمة، وهذا كلما توفرت أسباب نشوء هذه الظاهرة ولتحقيق الأهداف يتطلب سياسة اقتصادية التي تعبر عن السياسات والقوانين والتنظيمات المتبعة في المجال الاقتصادي بهدف المحافظة على التوازن العام للدولة وذلك بخفض التضخم والمحافظة على توازن ميزان المدفوعات وإستقرار العملة والبحث عن التوظيف الشامل إلا أن تحقيق هذه الأهداف لا يكون بالأمر السهل وذلك نظرا لتعارض أهداف السياسة الاقتصادية، وتعتبر السياسة النقدية من أهم السياسات الاقتصادية التي تعنى بتحقيق الإستقرار الاقتصادي والتوازن الاقتصادي العام، والتي أخذت مكانة هامة بين السياسات الاقتصادية الأخرى، لقدرتها على التأثير على مجموعة من المتغيرات الاقتصادية وعلى الأداء الاقتصادي ككل بغية تحقيق أهداف السياسة الاقتصادية الكلية والذي من بينها تحقيق استقرار في المستوى العام للأسعار من خلال خفض معدلات التضخم وهذا باستعمال الأدوات الكمية والكيفية للسياسة النقدية.

ويعتبر الجزائر ضمن الدول التي تسعى بكل الطرق لتحقيق تنمية شاملة في مختلف الميادين وذلك بتوظيفها لكل ما تتوفر عليه من إمكانيات، مؤهلات ومقومات، فالإقتصاد الجزائري شهد تقدم لظاهرة التضخم ومنه السعي إلى تخفيض حدة أثرها باستعمال كل الطرق والأساليب وخاصة أدوات السياسة النقدية حاولت الدولة منذ سنة 1990 معالجة هذه المشاكل، فاتبعت سياسة نقدية باعتبارها الوسيلة المزدوجة المبدولة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاتجاه نحو نظام يستند إلى ميكانزمات اقتصاد السوق باعتبار أن السياسة النقدية هي إحدى محاور الإصلاحات الاقتصادية وهي إحدى الركائز الأساسية للسياسات الاقتصادية التي تمكنها من مراقبة التضخم وتنظيم سوق الصرف وتحقيق الاستقرار النقدي وقد حدثت نقطة تحول على مستوى المنظومة المصرفية في عام 1990 بصور قانون النقد والقروض الذي حاول ارساء منظومة نقدية تعمل وفق متطلبات اقتصاد السوق أو محاولة وضع نظام نقدي حديث يخدم أهداف السياسة الاقتصادية والنمو الاقتصادي، وعلى ضوء ما تم طرحه وفي ظل الجدل القائم حول العلاقة بين السياسة النقدية في الجزائر ومعدلات التضخم تبرز لنا الإشكالية الرئيسية التالية: ما مدى فعالية السياسة النقدية في الجزائر في ضبط

معدلات التضخم خلا الفترة 1990-2016؟

أهداف الدراسة وأهميتها: تهدف هذه الورقة البحثية الى تبيان مدى اهمية السياسة النقدية في ضبط معدلات التضخم في الجزائر ما بين سنة 1990 وسنة 2016 خاصة في ظل دخول الإقتصاد الوطني في سلسلة إصلاحات تمهيدا لدخول إقتصاد السوق دون الدخول في مقارنة مع الفترة السابقة لفترة الدراسة. أما أهمية الموضوع فتنبع من الأهمية البالغة لمتغيرات الدراسة حيث أن السياسة النقدية عبر ادواتها تسعى إلى التحكم في عرض النقود وضبطه حتى لا يتجاوز معدل نمو الناتج . والتضخم من أحد أهم المؤشرات الرئيسية التي لها تأثير على القدرة الشرائية للمواطن ومنه تأثيره حتى على الإستقرار الإجتماعي والأمني فضلا على أن التضخم مؤشر عن مدى تحكم الدولة في أوضاع الإقتصاد الكلي. **فرضيات الدراسة:** ولمعالجة مشكلة الدراسة تم صياغة الفرضيات التي تخدم مشكلة البحث على النحو التالي: -فعالية السياسة النقدية في الجزائر في تحقيق استقرار في معدلات التضخم للاقتصاد الوطني خلال فترة الدراسة ؛

منهجية الدراسة: ولمعالجة مشكلة الدراسة سوف نقوم بتقسيم هذه الورقة البحثية وفق المنهجية التالية: **المحور الأول:** مفاهيم حول السياسة النقدية وظاهرة التضخم.

المحور الثاني: تحليل ظاهرة التضخم في الجزائر للفترة 1990-2016.

المحور الثالث: السياسة النقدية في الجزائر ودورها في ضبط معدلات التضخم.

الدراسات السابقة:

1-دراسة: العايبي منيرة، دراسة قياسية لبعض محددات التضخم في الجزائر دراسة قياسية للفترة (1980-2014)، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي ، الطور الثاني ، تخصص: اقتصاد قياسي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة 2015/2016. وقد عالجت هذه الدراسة الإشكالية التالية:

ما مدى تأثير معدلات التضخم بالمتغيرات الإقتصادية الكلية في الجزائر؟

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة تحليل واقع ظاهرة التضخم في الإقتصاد الجزائري بالإضافة إلى محاولة بناء نموذج يحاكي الإقتصاد الوطني لمعرفة أثر المتغيرات الإقتصادية على معدلات التضخم وتطبيقه على الإقتصاد الكلي للجزائر. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

-إن معدلات التضخم تتأثر بشكل كبير بمعدل سعر الصرف ، الناتج الإجمالي والكتلة النقدية ؛

تم التوصل إلى أن أفضل نموذج قياسي لمعدلات التضخم في الجزائر خلال الفترة 1980-2014 إنطلاقا من المعطيات الإحصائية الخاصة بالمتغيرات المفسرة للمتغير التابع نموذج . MA(1) للتنبؤ بمعدل التضخم المدى القصير ؛

-دالة الإنحدار الخطي اللوغارتمي هي الأكثر تمثيلا لدالة معدل التضخم في الجزائر.

2-دراسة: طيبة عبد العزيز ، سياسة إستهداف التضخم كأسلوب حديث للسياسة النقدية -دراسة حالة الجزائر للفترة (2003-1994)، مذكرة تدخل ضمن متطلبات تحضير شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية ، تخصص: نقود ومالية ، حسيبة بن بوعلي ، الشلف 2004/2005.

حاولت هذه الدراسة معالجة الإشكالية التالية: إلى أي حد يمكن ان تساهم السياسة النقدية المنتهجة في الجزائر للتحكم في ظاهرة التضخم ؟

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة تحليل مدى فعالية السياسة النقدية التقليدية وسياسة إستهداف التضخم في تحقيق الاستقرار في مستوى الاسعار مع إسقاطه على حالة الاقتصاد. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: -تعدد الاهداف المنشأة للتضخم في الجزائر من أسباب مؤسسية وهيكلية ونقدية ، حيث يمكن القضاء عل الأخيرة عن طريق السياسة النقدية ؛

-أدى تحرير الاسعار منذ 1989 بصفة تدريجية إلى إرتفاع الاسعار بعدما كانت تحدد اداريا لمدة ثلاثة عقود (التضخم المكبوت) ، كما عملت برامج الإصلاح الاقتصادي على تحرير اكثر للأسعار خلال الفترة 1994-1997 مما جعلها اكثر فعالية في تخفيض معدلات التضخم في الجزائر عن طريق تطبيق سياسة نقدية إنكماشية صارمة ابتداءا من 1994 ؛

- تعد بعض ادوات السياسة النقدية في الجزائر جد فعالة كالإحتياطي النقدي الإلزامي وسياسة مناقصات القروض ؛

-لا يمكن استخدام سياسة إستهداف التضخم في الجزائر لعدم استفاء الشروط العامة والشروط الأولية ، فإذا أرادت السلطة النقدية تطبيق هذا الاسلوب في المستقبل عليها أن تجعل إقتصادها يقوم كلية على مبادئ إقتصاد السوق من تحرير أسعار السلع والخدمات ، تحرير أسعار الفائدة ، تحرير سعر الصرف ، تحرير التجارة الخارجية وحرية حركة رؤوس الاموال.

3- دراسة: وجدي جميلة ، السياسة النقدية وسياسة استهداف التضخم — دراسة قياسية لحالة الجزائر خلال الفترة (2014/1990)- مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الاقتصادية تخصص: اقتصاد قياسي بنكي ومالي ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2016/2015.
قصد معالجة الإشكالية التالية :

هل تعتبر السياسة النقدية أداة فعالة لاستهداف التضخم في الجزائر ؟

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة إبراز دور السياسة النقدية في التأثير على الكتلة النقدية وتحليل فعالية السياسة النقدية المطبقة في الجزائر في مواجهة التضخم ، كم تهدف إلى دراسة ظاهرة استهداف التضخم بالجزائر والتعرف على أسبابه المنشئة إضافة إلى محاولة البحث عن الشروط الضرورية لتطبيق سياسة استهداف التضخم في الجزائر.وأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج وهي:

-أن هناك قدرة ضئيلة للسياسة النقدية في التحكم في معدلات التضخم في الجزائر وذلك لأن أسباب هذا الأخير ليست نقدية فقط وإنما هي هيكلية و المتمثلة في العوامل الخارجية كالتضخم المستورد ؛

- نجد أن الجزائر تبنت سياسة إستهداف التضخم إلا أنها لم تنجح إلى حد بعيد ، لذا يستوجب توفير بيئة مواتية لها ، كإعطاء استقلالية أكبر لبنك الجزائر عن طريق التشريعات القانونية ، أو من ناحية الممارسة الميدانية لتوفير كل الشروط العامة ؛

تتطلب سياسة استهداف التضخم أن يكون للبنك المركزي آليات فنية متقدمة للتنبؤ بمعدل التضخم ، لذا فإن ذلك يستدعي منه إنشاء بنك معلومات يحتوي على معطيات المتغيرات التي تمكنه من رصد معدل التضخم على المدى البعيد ؛

4- دراسة: (Anietie Vincent Essein) , An econometric Analysis of Monetary Policy and Inflation., the Nigerian Case 1970-2006, 2009.

تبحث هذه الدراسة عن فعالية السياسة النقدية في معالجة مشكلة التضخم بالاقتصاد النيجيري لفشلها في تحقيق

الأهداف الاقتصادية الكلية الأساسية بالإضافة إلى ما عانت منه البلاد في إطار الإصلاحات خصوصا ارتفاع معدلات التضخم ، و من أجل القيام بدراسة هذه الإشكالية تم تحديد نموذج اقتصادي قياسي للطلب على النقود و قد تم تقديره باستخدام طريقة المربعات الصغرى الاعتيادية على بيانات سلسلة زمنية للفترة الممتدة من 1970 إلى 2006 لتحديد طبيعة واتجاه العلاقة السببية بين الطلب على النقود و محداداته ، وقد اعتمد على النقود بمعناها الواسع ، نصيب الفرد الحقيقي من الناتج المحلي الإجمالي ، معدل الفائدة ومعدل التضخم ، إضافة إلى ذلك فقد تم اعتماد تقنيات ثابتة كاختبار التكامل المشترك لفحص البيانات من أجل تحديد ما إذا كانت هناك علاقة بين المتغيرات على المدى الطويل. وقد تم تقسيم فترة العينة إلى فترتين فرعيتين ، الأولى من 1970 إلى 1992 ، والثانية من 1993 إلى 2006 وذلك من أجل اختبار استقرار معامل الانحدار من خلال اختبار شو ، وخلصت هذه الدراسة إلى أن الاستهداف النقدي باعتباره إستراتيجية للسياسة النقدية ليس فعالا في السيطرة على التضخم في نيجيريا لأن هناك علاقة غير متوقعة وغير مستقرة بين الهدف النهائي و متغيرات وسيطة حسب ما تبين من خلال اختبار شو. وقد أشار الباحث من خلال ما توصل إليه من نتائج إلى ضرورة استهداف التضخم كبديل للاستهداف النقدي من اجل السيطرة على التضخم في نيجيريا وذلك لفشل الأهداف الوسيطة في معالجة مشكلة التضخم في نيجيريا حسب ما تبين من خلال الدراسة القياسية.

5- دراسة (Menai Ahmed) : L'inflation: causes, conséquences et remèdes, mémoire de magistère en science économique, université d'Alger, 2012.

تناول الباحث في دراسته للجانب النظري مفاهيم عامة حول التضخم ، كما تطرق أيضا إلى السياسات مكافحة التضخم سواء السياسة المالية او السياسة النقدية ، ثم اسقط تلك الدراسة على الاقتصاد الجزائري في الجانب التطبيقي مبينا أهم أسباب التضخم في الجزائر ومن بعدها الحلول أو السياسات العلاجية لظاهرة التضخم.

6- دراسة (Tor Jacobson, Per Jansson, Anders Warne and Anders Verdin) Monetary Policy analysis and-6- inflation Targeting in Small open Economy: A VAR Approach, 2001.

حيث قاموا بدراسة تجريبية حول السياسة النقدية و استخدام التضخم في السويد من خلال نموذج VAR لما له من خصائص جيدة في التنبؤ عندما يتعلق الأمر بالتضخم (مقارنة مع غيره من النماذج التطبيقية الأكثر شيوعا) ، علاوة على ذلك يسمح بالقيام بالعلاقات الديناميكية المعقدة التي تبدو مهمة تجريبيا ، كما يسمح باختبار القيود على المدى الطويل ومعرفة العلاقة بينها خصوصا تلك التي اقترحتها النظرية الاقتصادية ،

بالتالي يمكن للنموذج أن يكون بمثابة أداة إحصائية ، و في الوقت نفسه يقدم التفسير الاقتصادي ، وأعطيت مجموعة البيانات الفصلية الممتدة من 1972 إلى 1996 .

وقد أظهرت التحليلات التجريبية لهذه الدراسة بأن التضخم يرتبط بشكل كبير مع وجود فجوة الناتج التي يمكن حسابها باستخدام هذا النموذج ، كما يمكن تحديد سعر صرف التوازن الحقيقي الذي يمكن أن يساعد في التنبؤ بالتغيرات المستقبلية في سعر الصرف الاسمي ، كما تساعد التقلبات التي تحدث في سعر الصرف الاسمي على التنبؤ بمعدل التضخم في المستقبل ، كما أشار إلى تركيبات خطية من أسعار الصرف ومعدلات الفائدة ليست جيدة عند إشراكها مع بعضها ، كما توصلوا إلى عدة نتائج أخرى حيث أن حصة كبيرة من عدم اليقين في التنبؤ بالتضخم السويدي ينبع من الصدمات الخارجية .

وعموما وبناء على ما جاء في الدراسات السابقة في الموضوع فقد اجتمعت على ضرورة دور السياسة النقدية في مكافحة او في التحكم في معدلات التضخم ، وهذا ما سنحاول تأكيده في هذه الدراسة .

1- مفاهيم حول السياسة النقدية وظاهرة التضخم.

1-1- مفاهيم حول السياسة النقدية: تعتبر السياسات النقدية من أهم السياسات الاقتصادية التي تعنى بتحقيق الاستقرار الاقتصادي و التوازن الاقتصادي العام ، و نأخذ فيما يلي بعض المفاهيم المتعلقة بالسياسة النقدية:

تعريف السياسة النقدية. يقصد بالسياسة النقدية مجموعة الاجراءات والتدابير التي يقوم بها البنك المركزي بهدف التأثير على عرض النقود ، وبالتالي التأثير على الأداء الاقتصادي ككل بغية تحقيق أهداف السياسة الاقتصادية الكلية. ويندرج تحت ذلك تحقيق الأهداف التي يرمز لها عادة بالمرجع السحري أو الأهداف الذهبية والتي تشمل ما يلي:

- معدلات نمو اقتصادي مرتفعة (خفض معدلات الفقر).
- استقرار المستوي العام للأسعار(خفض معدلات التضخم).
- استخدام كامل أو توظيف كامل (خفض معدلات البطالة).
- توازن ميزان المدفوعات (الحفاظ على استقرار قيمة العملة الوطنية).

كما يعرفها George Pariente على أنها مجموع التدابير المتخذة من قبل السلطات النقدية قصد إحداث أثر على الاقتصاد ، و من أجل ضمان استقرار أسعار الصرف (عبد المجيد قدي ، 2006 ، ص 55).

أنواع السياسات النقدية: تتعدد السياسات النقدية المتبعة في كل دولة والهادفة للتأثير على عرض النقدي وهذا حسب حالة الاقتصاد او الدورة الاقتصادية الموجود فيها اي اقتصاد وعلى هذا الاساس يمكن التمييز بين طريقة التدخل من طرف البنك المركزي للتأثير على العرض النقدي على الشكل التالي:

السياسة النقدية الانكماشية: يلجأ البنك المركزي إلي اتباع سياسة نقدية انكماشية في حالة وجود تضخم في الاقتصاد ناتج عن فائض في الطلب الكلي عن العرض الكلي (فجوة تضخمية).

في مواجهة هذا الوضع ، يعمل البنك المركزي على كبح الطلب الكلي من خلال اتباع الاجراءات التالية:

- سحب أو امتصاص السيولة الفائضة (القوة الشرائية) من أيدي الأفراد ومن البنوك.

- يترتب على ذلك حدوث نقص في حجم النقد الموجود في التداول والحد من آلية خلق نقود الودائع التي تقوم بها البنوك التجارية.

- ينتج عن ذلك انخفاض في الطلب الكلي ومن ثم اقترابه أو تعادله مع العرض الكلي.

- المحصلة النهائية تكون انخفاض في المستوى العام للأسعار (مكافحة التضخم).

السياسة النقدية التوسعية: يلجأ البنك المركزي إلي اتباع سياسة نقدية توسعية في حالة وجود ركود في الاقتصاد ناتج عن قصور في الطلب الكلي عن العرض الكلي (فجوة انكماشية)، الأمر الذي يؤدي إلي انتشار ظاهرة البطالة بمختلف القطاعات الاقتصادية.

في مواجهة الوضع المشار إليه سابقا، يعمل البنك المركزي على تنشيط الطلب الكلي من خلال اتباع الاجراءات التالية:

- ضخ سيولة اضافية متاح للأفراد والبنوك.

- يترتب على ذلك حدوث زيادة في حجم النقد الموجود في التداول (القوة الشرائية) وزيادة قدرة البنوك التجارية على خلق نقود الودائع ومضاعفتها.

- ينتج عن ذلك زيادة في الطلب الكلي ومن ثم اقترابه أو تعادله مع العرض الكلي.

- المحصلة النهائية تكون ارتفاع في المستوى العام للأسعار ومن ثم تحفيز المنتجين على زيادة الانتاج فتدور حركة النمو، الأمر الذي يترتب عليه اتاحة المزيد من فرص العمل والتوظيف (مكافحة البطالة).

أدوات السياسة النقدية: هي الوسائل التي يستخدمها البنك المركزي لتحقيق الأهداف الاقتصادية الكلية من خلال التحكم في عرض النقود. ويمكن تقسيم هذه الأدوات إلي مجموعتين:

أ- الأدوات الكمية: هي أدوات قابلة للقياس الكمي وتستهدف بالدرجة الأولى التأثير في حجم أو كمية الاحتياطيات بالبنوك التجارية. ومن أهم هذه الأدوات ما يلي:

نسبة الاحتياطي القانوني: تعتبر نسبة الاحتياطي القانوني من أبرز وسائل السيطرة على قدرة البنوك التجارية في خلق الائتمان أو ما يعرف بنقود الودائع (توسيع أو تقليص الائتمان). حيث تقوم البنوك التجارية بالاحتفاظ بنسبة معينة من إجمالي ودائعها في شكل رصيد سائل لدى البنك المركزي.

سعر الخصم: تواجه البنوك التجارية في بعض الأحيان متطلبات لسحب السيولة بما يفوق امكانية تلبية هذه المتطلبات من الموارد المتاحة لديها. وفي الغالب يعزى ذلك لأحد الاعتبارات التالية:

- حدوث زيادات طارئة في متطلبات السحب من قبل أصحاب الودائع الجارية.

- حدوث زيادات موسمية في الطلب على الائتمان (الاقتراض).

في مثل هذه الظروف، تلجأ البنوك التجارية - عادة - إلي البنك المركزي للحصول على القروض أو السيولة عن طريق إعادة خصم ما لديها من أوراق تجارية مقابل دفع فوائد على خصم هذه الأوراق التجارية. ويستخدم البنك المركزي في هذه الحالة سعر الخصم للتأثير على قدرة البنوك التجارية في خلق الائتمان، وذلك حسب الظروف الاقتصادية السائدة في الدولة.

عمليات السوق المفتوحة: تعتبر عمليات السوق المفتوحة من أهم أدوات السياسة النقدية وتتمثل هذه العمليات في قيام البنك المركزي بالتأثير على عرض النقود من خلال القيام بشراء وبيع الأوراق المالية

الحكومية (السندات وأذون الخزانة). ويستخدم البنك المركزي عمليات السوق المفتوحة في التأثير على قدرة البنوك التجارية في خلق الائتمان ، وذلك حسب الظروف الاقتصادية السائدة في الدولة.

ب- الأدوات غير الكمية: أيضا تسمى بالأدوات الانتقائية وهي غير قابلة للقياس الكمي وتستهدف بالدرجة الأولى تشجيع البنوك التجارية لكي تقوم بتوجيه نشاطها في مجال منح التسهيلات الائتمانية والقروض لقطاعات معينة. ومن أهم هذه الأدوات ما يلي:

-سياسة الإقناع الأديي، وذلك من خلال اصدار التوجيهات والتعليمات للبنوك لكي تنفذ ما يريده البنك المركزي طوعا.

-سياسة العقوبات والجزاءات ، وذلك من خلال اصدار الغرامات أو قرارات المنع للبنوك التي لا تنصاح لسياسة الإقناع الأديي.

-سياسة الحوافز ، وذلك من خلال اعطاء البنوك المتميزة في الأداء والأكثر استجابة لموجهات البنك المركزي حوافز نقدية أو سعر خصم تمييزي.

-تحديد قطاعات ذات أولوية ، وذلك من خلال اصدار التعليمات للبنوك باعطاء أولوية لقطاع معين أو فئات معينة في المجتمع من حيث حجم التمويل أو تكلفة التمويل.

1-2- مفاهيم حول ظاهرة التضخم: حضي موضوع التضخم بالعديد من الأبحاث بإعتباره ظاهرة ديناميكية متشابكة ، حيث يعتبر التضخم من بين الظواهر الاقتصادية الأكثر شيوعا في عالمنا المعاصر نظرا لإنعكاساته السلبية على الهياكل الإقتصادية والاجتماعية للدولة ، وعلى الرغم من إرتباطه الوثيق بالنظام الرأسمالي إلا أن الدول النامية عانت منه بشكل أكثر حدة من الدول المتقدمة إقتصاديا.

تعريف التضخم: تختلف التعاريف الخاصة بالتضخم باختلاف أسبابه كونه ظاهرة ديناميكية متعددة الأبعاد قد تنجم عن الزيادة في كمية النقد المتداولة دون أن يقابلها عرض سلعي فيرتفع المستوى العام للأسعار ، أو عن الزيادة في الإتفاق الكلي الذي يرافقه زيادة في الإنتاج أو قد يرجع إلى إرتفاع تكاليف الإنتاج.

ومن بين التعاريف الأكثر شيوعا ربط التضخم بالإرتفاعات المستمرة في المستوى العام للأسعار خلال فترة زمنية معينة ، غير أن الإرتفاع المؤقت لأسعار بعض السلع نتيجة لظروف معينة كسوء الأحوال الجوية الذي يؤثر على المحاصيل الزراعية لا يعد تضخما حيث تعود الأسعار للإنخفاض بتحسن الظروف الجوية كما تتسبب الأزمات السياسية مثل الحروب الثورات والإضرابات العمالية في حدوث إرتفاع أسعار بعض المدخلات كأسعار الطاقة والأجور الأمر الذي يترتب عليه حدوث إرتفاع في أسعار المنتجات الصناعية إرتقاعا دائما ولمرة واحدة ، ثم تثبت بعد ذلك عند المستوى المرتفع فمثل هذا الإرتفاع في الأسعار لا يعتبر تضخما (عبد القادر محمد عبد القادر عطية ، 2005 ، ص 163).

يتضمن هذا التعريف للتضخم عدة نقائص ندرجها فيما يلي :

-لم يحدد التعريف طول المدة الزمنية التي يعتبر فيها إرتفاع الأسعار تضخما.

-لم يأخذ التعريف في الحسبان أثر التقدم التكنولوجي في تخفيض تكاليف الإنتاج حيث أن بقاء الأسعار ثابتة يعني أن أفراد المجتمع لم يستفيدوا من آثار التقدم التكنولوجي في تحسين قدرتهم الشرائية.

لم يحدد التعريف ما إذا كانت أسباب ارتفاع الأسعار تؤدي فعلا إلى التضخم أم أن ارتفاع سعر سلعة ما نتيجة تحسن النوعية يختلف عن ارتفاع سعر سلعة أخرى دون أن يصاحبه تحسن في نوعيتها ففي الحالة الأولى تزيد منفعة المستهلك الأمر الذي لا يتحقق في الحالة الثانية.

وكخلاصة لها سبق ذكره يمكننا القول أن تعدد التعاريف حول التضخم يدل على أنه ظاهرة إقتصادية متشعبة الجوانب تختلف أسبابها حسب خصوصية وطبيعة اقتصاد كل بلد.

أسباب التضخم: تعرضت العديد من المدارس الإقتصادية إلى تفسير أسباب التضخم معتمدة في ذلك على نظريتي العرض والطلب بإعتبار هذين الأخيرين المحددين الرئيسيين لميكانيكيزم الأسعار ثم التطرق الى النظرية المعاصرة لتفسير التضخم.

أولاً: نظريات الطلب: ترجع أسباب التضخم إلى وجود فائض في الطلب الكلي يختلف تفسير مصادره من مدرسة لأخرى. فحسب نظريات الطلب يتوقف على مدى مرونة العرض الكلي ودرجة إستجابته للطلب الكلي ويكون بذلك معدل التضخم مساويا للفرق بين معدل الزيادة في الطلب الكلي ومعدل نمو الناتج القومي الحقيقي.

ثانياً: نظريات العرض: تشير هذه النظريات إلى أن التضخم سببه قصور في العرض الكلي.

ثالثاً: النظرية المعاصرة لتفسير التضخم: أن مصدر الارتفاع التضخمي في النظرية المعاصرة لكمية النقود، يرجع الى زيادة الرصيد النقدي في المجتمع عن "الحجم الأمثل" الذي يحقق الاستقرار في المستوى العام للأسعار. ومنه فإن المعدل الأمثل للتغير في كمية النقود هو ذلك المعدل الذي يقابل التغير في كل من الناتج الوطني والتغير في سرعة دوران النقود.

أنواع التضخم: يتم تحديد أنواع التضخم إستناداً إلى عدة معايير يذكر منها:

أولاً - تحكم الدولة في جهاز الأثمان: يندرج تحت هذا المعيار ثلاث إتجاهات تضخمية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بمدى تحكم وتأثير الدولة في المستويات العامة للأسعار وتمثل هذه الإتجاهات فيما يلي:

التضخم الطليق: يتسم هذا النوع من التضخم بارتفاع سافر في الأسعار والأجور والنفقات الأخرى التي تتصف حركاتها بالمرونة وتجلى في ارتفاع عام في الدخول النقدية دون أي تدخل من السلطات الحكومية للحد من هذه الإرتفاعات (غازي حسين عناية، 2000، ص 57).

التضخم المكبوت: تتدخل الدولة في إحداث هذا النوع من التضخم من خلال منع الإرتفاع المستمر للأسعار بإتخاذ إجراءات مؤقتة تتمثل فيما يلي: تجميد الأسعار، الرقابة على الصرف وفرض حد أقصى للسعر؛

التضخم الكامن: يظهر هذا النوع من التضخم بشكل كبير خلال فترة الحروب حيث يزيد الطلب على السلع الإستهلاكية والغذائية بشكل كبير نتيجة إرتفاع الدخول النقدية للأفراد.

ثانياً- تعدد القطاعات الإقتصادية: يختلف التضخم في قطاع السلع عن ذلك الموجود في أسواق عوامل الإنتاج وفي هذا الصدد يقسم كينز هذه الأنواع إلى:

التضخم السلعي: يحصل في قطاع صناعات الإستهلاك ويعبر عن زيادة نفقة إنتاج سلع الإستثمار على الإدخار؛

التضخم الرأسمالي: وهو التضخم الذي يحدث في قطاع صناعات الإستثمار ويعبر عن إرتفاع قيمة سلع الإستثمار مقارنة مع نفقة إنتاجها فتتحقق أرباحا كبيرة في قطاعي الإستثمار والإستهلاك.

أما عن التضخم المتفشي في أسواق عوامل الإنتاج فيميز كينز بين نوعين:

التضخم الربحي: يحدث عندما يزيد الإستثمار عن الإدخار فتزيد الأرباح في قطاعي صناعات الإستهلاك والإستثمار؛

التضخم الدخلي يحدث هذا النوع من التضخم عندما ترتفع نفقات الإنتاج خاصة أجور العمال ويحصل ذلك من وجهة نظر الإقتصادي كينز إذا إنحرف التوازن في سوق الإستثمار لصالح نفقات الإنتاج وعلى حساب الإستثمار؛

ثالثا- مدى حدة الضغط التضخمي: يميز بالنظر إلى هذا المعيار بين:

التضخم الجامح: يعد من أشد أنواع التضخم إضرارا بالاقتصاد الوطني بالنظر إلى الآثار التي يخلفها فهو نتيجة حتمية الإرتفاعات شديدة والمستمرة في الأسعار يصعب على السلطات الحكومية التدخل للحد من تزايدها، وينجم عنه إنبهار النظام النقدي وتدهار معه قيمة الوحدة النقدية مثلما حدث في ألمانيا، وكما حدث في بغاريا عام 1945 بعد الحرب العالمية الثانية وهذه الحالات إقترنت بالحروب والهزائم والثورات وعدم الإستقرار السياسي والإقتصادي والإجتماعي (حربي محمد موسى عريقات، 2006، ص 163).

التضخم الزاحف: يستخدم هذا المصطلح للدلالة على إرتفاع المستوى العام للأسعار بمعدلات بسيطة خلال فترة زمنية طويلة نسبيا و تكمن خطورته في أثره النفسي الذي يدفع الأفراد إلى قبوله والتعايش معه بسبب الإرتفاعات الصغيرة والمتتالية في الأسعار (بسام الحجار، 2006، ص 282).

رابعا- التوازن بين كمية النقود وكمية الإنتاج: يندرج تحت هذا المعيار كل من:

تضخم جذب الطلب: ينجم هذا النوع من التضخم عن زيادة الطلب الكلي مقارنة بالطاقة الإنتاجية للاقتصاد القومي وفي هذه الحالة تؤدي الزيادة في الإتفاق الكلي إلى إرتفاع في الأسعار بدلا من إرتفاع الناتج الحقيقي؛ **تضخم جذب التكلفة:** يقصد به إرتفاع أسعار خدمات عناصر الإنتاج بنسبة أكبر من إرتفاع إنتاجياتهم الحدية؛ **التضخم المستورد:** يعبر عن الزيادة المتسارعة في أسعار السلع والخدمات النهائية المستوردة (نداء محمد الصوص، 2007، ص 67)، ويظهر هذا النوع من التضخم في الإقتصاديات النامية كونها أكثر انفتاحا على العالم الخارجي وإعتمادها الكبير على السلع المستوردة.

السياسات المنتهجة في مكافحة التضخم: تختلف السياسات المنتهجة في مكافحة التضخم من بلد إلى آخر تبعا لإختلاف مسبباته ويكمن في هذا الصدد أن يتم التفرقة بين نوعين من سياسات معالجة التضخم:

أولا: السياسة النقدية: تهدف السلطات النقدية من خلال تطبيق أدوات هذه السياسة إلى التحكم في عرض النقود وضبطه حتى لا يتجاوز معدل نمو الناتج الحقيقي وتمثل أدواتها فيما يلي:

التحكم في الإصدار النقدي: يمكن للسلطات النقدية المتمثلة بالبنك المركزي التحكم في الإصدار النقدي من خلال وضع خطة نقدية تلائم بين عرض النقد والطلب عليه للقيام بالنشاطات الإقتصادية وتوسيعها (فليح حسن خلف، 2006، ص 269)، حتى يكون معدل نمو الناتج القومي الحقيقي أكبر من معدل زيادة الإصدار النقدي؛

سعر الخصم: هو سعر الفائدة الذي يحصل عليه البنك المركزي من البنوك التجارية نظير إعادة خصم ما لديها من أوراق تجارية وأذونات الخزينة أو لقاء ما يقدم إليها من قروض مضمونة بهذه الأوراق (سوزي عدلي ناشد، 2006، ص: 272)، ففي حالات التضخم يقوم البنك المركزي برفع معدل الخصم قصد التقليل من مقدرة البنوك التجارية على الإقراض؛

عمليات السوق المفتوحة: يقوم البنك المركزي ببيع السندات الحكومية للبنوك التجارية في السوق المفتوحة بغرض التخفيض من احتياطياتها النقدية حيث تضعف قدرتها على الإقراض وينخفض حجم النقود في السوق. ثانيا: السياسة المالية: تتمثل أدوات السياسة المالية في مجموعة من الإجراءات التي تتخذها الدولة بهدف التأثير على النشاط الإقتصادي وذلك باستخدام أوعية الميزانية ونذكر منها:

الرقابة على الضريبة: إن قيام السلطات الحكومية برفع معدلات الضريبة على المداخيل يؤدي إلى إنخفاض الإنفاق الإستهلاكي للأفراد وعليه يحدث إنخفاض في الطلب الكلي الذي قد ينجم أيضا عن رفع معدلات الضريبة الخاصة بأرباح الشركات والرسوم الجمركية غير المباشرة على السلع المحلية والمستوردة إذا تعتبر الضريبة أداة فعالة للتقليل من التضخم من جهة ومن جهة ثانية يمكن تحويل محصلتها إلى إستثمارات؛

الرقابة على الإنفاق العام: الضغط على الإنفاق الحكومي يحد من الزيادة في الطلب الكلي حيث تسعى الحكومة من خلال إنتهاج هذه السياسة إلى ترشيد الإنفاق الإستهلاكي والإستثمائي ومن الملاحظ أن التقليل من حجم الإستهلاك يكون أكثر فاعلية من التأثير في حجم الإستثمار خاصة في الإقتصاديات النامية.

من خلال ما تقدم يستنتج أن ظاهرة التضخم ذات أبعاد إقتصادية وإجتماعية متعددة ومتداخلة كما تتداخل السياسات والأبعاد الزمنية لحلها ما بين الأجل القصير والطويل مما يتطلب من الحكومات الإهتمام بأسبابه وتجنب مخاطره وإيجاد البدائل الممكنة لمكافحته على المستوى الجزئي.

2- تحليل ظاهرة التضخم في الجزائر للفترة 1990-2016: في نهاية الثمانينات، دخلت الجزائر مرحلة انتقالية وأعلنت تبنيتها لاقتصاد السوق كمنهج جديد، فقامت بتحرير تجارتها الخارجية وبالانفتاح على العالم الخارجي وافتح عرض الاستثمار للأجانب، ورغم الإصلاحات الاقتصادية التي باشرت الجزائر في تنفيذها لم تستطع إيجاد حلول للاختلالات الاقتصادية وكان من أبرز المشاكل المسببة لهذه الاختلالات التضخم، إذ تعد هذه الظاهرة من أعقد الظواهر المسيرة لاقتصاديات الدول التي عانت من الانعكاسات الاقتصادية.

2-1- تغيرات معدلات التضخم في الجزائر لفترة الدراسة: ومما سبق فقد مر التضخم في الجزائر بعدة مراحل وهذا على حساب النظام السياسي والإقتصادي المتبع فكانت النتائج موضحة في الجدول التالي:

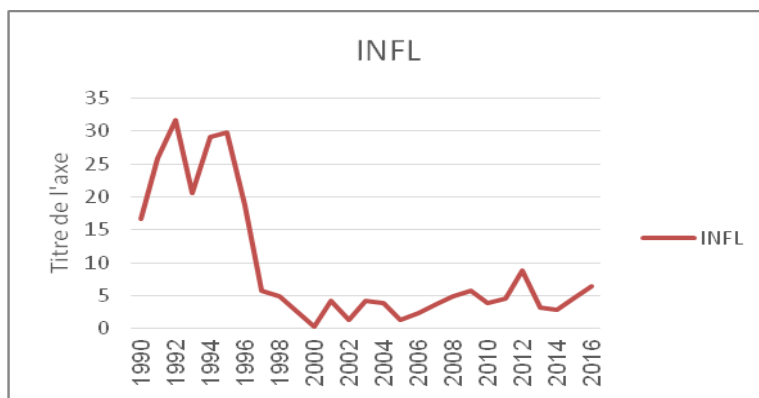
الجدول رقم (1): تغيرات معدلات التضخم في الجزائر للفترة (1990-2016).

1996	1995	1994	1993	1992	1991	1990	السنوات
18.679	29.779	29.047	20.540	31.669	25.886	16.652	معدل التضخم (سنويا %)
2003	2002	2001	2000	1999	1998	1997	السنوات
4.268	1.418	4.225	0.339	2.645	4.950	5.733	معدل التضخم (سنويا %)
2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	السنوات
3.913	5.734	4.862	3.673	2.314	1.382	3.961	معدل التضخم (سنويا %)
	2016	2015	2014	2013	2012	2011	السنوات
	6.397	4.784	2.916	3.253	8.894	4.521	معدل التضخم (سنويا %)

المصدر : معطيات البنك الدولي.

ومن خلال الجدول يظهر لنا المنحنى التوضيحي الموالي:

الشكل رقم(1): تغيرات معدلات التضخم في الجزائر خلال الفترة (1990-2016).



المصدر: من اعداد الباحثين اعتمادا على برنامج Excel.

من خلال الشكل أعلاه نلاحظ:

الفترة (1990-1996): أن معدلات التضخم في الجزائر كانت مرتفعة جدا في هذه الفترة ، حيث بلغ معدل التضخم 31.7 % سنة 1992 ، لعل السبب في هذا الارتفاع يرجع الى رفع دعم الحكومة عن الأسعار وإلى تحريرها ، حيث لجأت الجزائر الى تقليص الدعم الموجه للمواد الأساسية ، وهذا الاجراء اتخذته في اطار

الاستعداد الائتماني الثاني الذي وقعته مع صندوق النقد الدولي FMI، كما ارتفعت نسبة السلع المحررة الاسعار الى 84 % من اجمالي السلع كنتيجة لتطبيق إتفاق برنامج الإستقرار الإقتصادي في سنة 1994. الفترة (2000-1997): وبعد سنة 1996 بدأ معدل التضخم في الانخفاض ليصل الى 0.3% سنة 2000 وهذا دليل على نجاح السياسة النقدية في الجزائر في التحكم في هذا الهدف.

الفترة (2001-2012): ارتفعت معدلات التضخم سنة 2001 ليلعب 4.2 % وهذا راجع لنمو الكتلة النقدية M2 بنسبة 22.30 %، ثم انخفض سنة 2002 بفعل تراجع معدل نمو المجمع M2 إلى 17.30 %، وبما أن معدل التضخم المستهدف الذي حدده بنك الجزائر هو 3 % فيلاحظ أن معدل التضخم تجاوز هذا المعدل في سنة 2003، 2004 و2007 وهذا راجع لنمو فائض السيولة المصرفية، وقد استطاع بنك الجزائر التحكم في هذا المشكل باستعمال اداة استرجاع السيولة وتسهيله الوديعة المغلقة للفائدة، وعلى الرغم من ذلك ظل معدل التضخم مرتفعا في سنة 2008 و2009 مقارنة بالتضخم المستهدف (3 %) وهذا راجع لارتفاع معدلات التضخم المستورد نتيجة للالزمة المالية، حتى بلغ في سنة 2012 نسبة 8.9 % وهو أعلى معدل منذ سنة 2000 وهذا بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج والاستيراد (معمر ي ليلي، سعدون عائشة، 2016، ص 128).

الفترة (2013-2016): في هذه الفترة لوحظ تذبذبا بين الارتفاع والانخفاض بشكل قليل وهذا بسبب انتاج الدولة لبعض السياسات منها: زيادة في اجور القطاع العام دون مقابل انتاجي وكذا تطبيق الدولة لبرامج النمو والإنعاش الإقتصادي بالإضافة على استقرار نسبي لقيمة الدينار.

2-2- أسباب التضخم في الجزائر: تعدد أسباب التضخم في الجزائر وتختلف باختلاف وجهات نظر المحللين لهذه الظاهرة ويمكن إدراج أهم هذه الأسباب فيما يلي:

عدم التناسب بين الانفاق العام وآثاره الاقتصادية والاجتماعية: حيث نجد زيادة في الانفاق العام قابلتها آثار اقتصادية واجتماعية سيئة خاصة على معدل نمو الناتج المحلي، حيث قدر الانفاق العام للفترة (2004-2009) بـ 200 مليار دولار، وبالنسبة لبرنامج الاستثمار العام قدر الانفاق العام بـ 268 مليار دولار مقسم الى جزئين: 130 مليار دولار مخصصة لإكمال المشاريع الكبرى التي شرع فيها في الفترة (2004-2009)، اما مبلغ 156 مليار دولار فيوجه للإنفاق على المشاريع الجديدة للفترة (2010-2014)، مع ذلك فقد تحقق معدل نمو يتراوح بين 2 % و 3 % في الفترة 2004-2009، وبالتالي هذا له اثار سلبية على معدلات التضخم وارتفاع معدلات البطالة الحقيقية عن معدلات البطالة الرسمية، وقد اظهرت دراسة اجرتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD على بعض دول البحر الابيض المتوسط ان الجزائر تنفق مرتين اكثر من اجل نتائج اقل بهرتين بسبب: سوء استهداف المشاريع، سوء الادارة والفساد خاصة اجتماعيا. وعليه تؤدي الزيادة في الانفاق العام في حالة عدم تحقيق نتائج جيدة بالنسبة لمعدلات النمو إلى ارتفاع معدلات التضخم (معمر ي ليلي، 2016، ص 128).

الزيادة في التكاليف الانتاجية: من أهم أسباب ارتفاع التكاليف الانتاجية في الكثير من القطاعات الجزائرية انخفاض مستوى الانتاجية مما يدفع بالأسعار نحو الارتفاع هذا في ظل غياب القيود السعرية على المنتجات النهائية، حيث يقوم المنتج بنقل التكاليف الإضافية إلى المستهلك في شكل زيادات تراكمية واحتكارية على الأسعار (سعید هتهات، 2006، ص 239)، فالإقتصاد الجزائري هو إقتصاد ريعي حيث يتكون حوالي 83 %

من الاقتصاد من التجارة والخدمات الصغيرة ، فحسب ما يشير إليه آخر مسح أجراه الديوان الوطني للإحصاء (ONS) والوكالة الوطنية لتطوير الاستثمارات (ANDI) يتبين ان المشاريع المحلية هي التي تهيمن بنسبة 99 % من المشاريع المعلنة ، ويليه قطاع البناء والأشغال العامة والمياه بنسبة 16 % ، ثم قطاع الصناعة بنسبة 10 % ، ثم قطاع الزراعة بنسبة 2 % ، والاستثمارات الاجنبية المباشرة تكون فقط في قطاع المحروقات والبنوك والاتصالات السلكية واللاسلكية.(معمري ليلي ، 2016 ، ص 128).

وبالإضافة الى انخفاض مستوى الانتاجية يعتبر ارتفاع تكلفة الأجور أيضا من أهم العناصر المساهمة في زيادة التكاليف في الاقتصاد الجزائري ، حيث يشكل هذا العنصر نسبة مرتفعة من أرقام أعمال أعلى المؤسسات الاقتصادية العمومية في الجزائر ، كما أن الأجور باعتبارها جزءا من مكونات الدخل الوطني وبالتالي الطلب الكلي فأية محاولة للرفع منها يؤثر على تيار الانفاق الذي يشجع على بروز اتجاهات تضخمية جديدة(سعید هتهات ، 2006 ، ص 239).

سيطرة المجال غير الرسمي: المجال غير رسمي في الجزائر سيطر على اكثر من 65 % من اقسام المنتجات الضرورية ، حيث اكثر من 70 % من الاسر تنفق تقريبا كامل دخلها في سوق (الخضر والفاواكه ، للحوم الحمراء والبيض ، الجلد) ، وأكثر من 40 % من الكتلة النقدية المتداولة من الدولار تعرقل السياسة النقدية لبنك الجزائر من خلال الوساطة المالية غير الرسمية ، وهذا المجال يؤدي الى انتشار البيروقراطية ، الخلل الوظيفي لأجهزة الدولة الذي يؤدي الى ازدواجية الاقتصاد ، ولا يمكن نزع العلاقة بين المجال الذي يحكمه قانون الدولة والمجال غير الرسمي ، ووجود هذا الاخير في الجزائر يؤدي الى انخفاض قيمة الدينار ، والتهرب الضريبي مما يولد الضغوط التضخمية(معمري ليلي ، سعدون عائشة ، 2016 ، ص 128).

التضخم المستورد: يعتبر هذا العامل من المصادر الخارجية للتضخم في الجزائر ، وهو انعكاس للتطور الذي يحدث في حجم التجارة الخارجية ، ودرجة الانفتاح الاقتصادي في الجزائر ، مما جعل السياسة الاقتصادية الجزائرية تتأثر بالتطورات الاقتصادية الدولية عبر قنوات التجارة الخارجية(سعید هتهات ، 2006 ، ص 242) فالإقتصاد الجزائري يعتمد على الواردات بدرجة كبيرة حيث تتمثل تقريبا 75 % من الواردات في المعدات والمواد الأولية ، في حين تتمثل 98 % من الصادرات في المحروقات كما أن 80 % من المؤسسات الخاصة والعامة تعمل بالاعتماد على مدخلات مستوردة ، والسلع النهائية المستوردة تمثل ما بين سنة 2009 و2010 ما بين 70 % و 75 % من احتياجاتنا.وكما رأينا سابقا ارتفاع معدلات التضخم خاصة في الفترة 1990-2000 فنجد أن مؤشر أسعار الواردات خلال الفترة 1988-1998 قد ارتفع من 60 إلى 760.

3- السياسة النقدية في الجزائر ودورها في ضبط معدلات التضخم: سوف نحاول إلقاء نظرة على السياسة النقدية المنتهجة في الجزائر من قبل السلطات النقدية والممثلة في البنك المركزي وما مدى فعالية هذه السياسة في ضبط معدلات التضخم ، حيث سنقدم قراءة للمسار السياسة النقدية خلال ثلاث السنوات الاخيرة 2015 ، 2016 و2017 وما مدى فعاليتها في التحكم في معدلات التضخم وهذا على النحو التالي:

سنة 2015: في هذه السنة وحسب معطيات البنك المركزي من خلال التقرير السنوي للسنة 2015 ، حيث حاول البنك الجزائر في هذه الفترة إدارة السياسة النقدية بصفة مرنة مستعملا الأدوات الجديدة المخصصة للمتمصاص ، للتحكم في التضخم ، في وقت تزايدت فيه الموارد في الاقتصاد الكلي. رغم تزايد ، خاصة بين

2004 و 2008 ، وقد سمحت إدارة السياسة النقدية بالامتصاص الفعلي لهذا الفائض في السيولة في السوق النقدية وهذا حسب خبراء البنك المركزي، وقد سمحت هذه الاجراءات في التحكم في معدل التضخم المستهدف حيث بلغ متوسط حوالي 4 % خلال الفترة 2002-2014. (بنك الجزائر ، 2015 ، ص 140). ولتحقيق أهداف السياسة النقدية يقترح البنك المركزي على مجلس النقد والقرض في بداية كل سنة التنبؤات المتعلقة بالمعدلات المستهدفة ، كما يقترح بنك الجزائر وسائل السياسة النقدية التي تسمح بتحقيق الهدف المسطر بالنسبة للمتغيرات الوسيطة وبلوغ الهدف النهائي للسياسة النقدية ، والذي يتمثل في استقرار الأسعار.

ومن بين أهم الإجراءات المتعلقة بتنفيذ السياسة النقدية قام بنك الجزائر برفع قيمة المبلغ الاجمالي لامتصاص السيولة الفائضة تدريجيا ليبلغ 1350 مليار دينار ، وقد ادت هذه الإجراءات بالإضافة إلى تراجع أسعار البترول في هذه الفترة وتزامن ذلك مع عجز في ميزان المدفوعات الى تراجع السيولة المصرفية من 2730,9مليار دينار في نهاية 2014 الى 1832,6 مليار دينار في نهاية 2015 أي انخفاض بنسبة 33%. ونتيجة لهذه المعطيات أعاد البنك المركزي تعديل عتبات السيولة المصرفية بخفضها حيث انتقلت هذه العتبة من 1350 مليار دينار في نهاية سنة 2014 الى 700 مليار دينار في منتصف سنة 2015 ثم الى 500 مليار دينار مع نهاية سنة 2015.

وهو ما يعكس ارتفاع معدلات التضخم مقارنة مع سنة 2014 حيث سجلنا معدل تضخم قدره 4.8 في نهاية سنة 2015.

سنة 2016: مع استمرار انخفاض فائض السيولة في سنة 2015 واستمرار ذلك في سنة 2016 ، غير البنك المركزي في سياستها النقدية تغيرا جذريا ، حيث اتجهت السياسة النقدية في السنوات السابقة نحو امتصاص فائض السيولة المصرفية من خلال أدوات الامتصاص و تسهيلات الودائع ، ثم اتجهت ابتداء من شهر أوت من سنة 2016 نحو استعمال أدوات لضخ السيولة لضمان إعادة تمويل النظام المصرفي. ولتحقيق هذه السياسة التوسعية للبنك المركزي قام بمجموعة من الاجراءات تمثلت في النقاط التالية(بنك الجزائر ، 2016 ، ص 137):

- وقف عمليات استرجاع السيولة ، بعد قيامه بالتخفيض التدريجي لعتبات الامتصاص ، بإلغاء تسعيرة عمليات تسهيلة الإيداع مما حفز المصارف بطرح فوائضها من الموارد في السوق النقدية ما بين المصارف ، - تخفيض معدل الاحتياطي الإجباري من 12% إلى 8% في 2016.

-إعادة تنشيط عمليات إعادة خصم السندات الخاصة والعمومية وخفض معدلها من 4% إلى 3.5% مع الاستعداد للمباشرة في عمليات السوق المفتوحة في بداية سنة 2017.

وفيما يخص التضخم لهذه الفترة فقد شهد ارتفاعا مقارنة بالسنوات الماضية ليبلغ حوالي 6.4 % وقد فسر هذا الارتفاع الى اسباب هيكلية أي ام التضخم يكتسي طابع هيكلية وليس بسبب السياسة النقدية التوسعية لبنك الجزائر حيث تشير الاحصائيات المتعلقة بنمو الكتلة النقدية M2 انها لم ترتفع اي وسائل الدفع التي يمتلكها المتعاملين غير المالىين الا بواقع 0.79 % (13,0) في 2015.

سنة 2017: مع بداية سنة 2017 اتجه البنك المركزي نحو تطبيق إجراءات جديدة في إدارة السياسة النقدية وهذا من خلال وضع قيد التنفيذ أدوات السوق لضخ السيولة ابتداءً من مارس 2017، أو ما يعرف بتطبيق سياسة السوق المفتوحة بالإضافة إلى تفعيل السوق النقدية ما بين البنوك وإرساء معدلات فائدة وفق معدل توجيهي من بنك الجزائر(بنك الجزائر ، 2017 ، ص 145).

حيث بلغت السيولة المصرفية 4,482 مليار دينار في نهاية شهر أكتوبر 2017، ونتيجة للسياسة البنك المركزي المتمثلة في استئناف عمليات إعادة التمويل ، ابتداءً من شهر مارس 2017 بتطبيق الية التمويل غير التقليدي منذ نوفمبر 2017 ، ارتفع مستوى السيولة ليبلغ 1380،6 مليار دينار في نهاية سنة 2017 ، أي بنسبة نمو قدرها 77٪ مقارنة بمستواها المسجل في السداسي الأول من سنة 2017 ، و 68,2٪ مقارنة بنهاية 2016. وقد سمحت هذه السياسة في ضخ السيولة والتي بلغت ما مقداره 595,6 مليار دينار في أكتوبر بإعادة رفع هذه السيولة المصرفية والحفاظ على مستوياتها بعد الانخفاض الذي عرفته في الفترة السابقة ، وقد وصلت إلى مستوى يتلاءم مع نمو القروض الموجهة للاقتصاد الذي بلغ 12,3٪ في 2017 ، مقابل 8,7٪ في 2016. وقد سمحت هذه السياسة النقدية المتبعة من طرف السلطات النقدية الى استقرار في الاحتياطات الحرة للمصارف ، التي انتقلت من 221,9 مليار دينار في نهاية 2016 إلى 233,6 مليار دينار في نهاية أكتوبر 2017. وكل هذه الإجراءات المتعلقة بالسياسة النقدية يتمثل هدفها في تحقيق استقرار في الاسعار وقد استهدف بنك الجزائر معدل تضخم قدره 4٪ يتماشى مع هذه السياسة النقدية ، غير ان معدل المسجل فاق المعدل المتوقع حيث سجل ما مقداره 7,1٪ في نهاية الثلاثي الاول من سنة 2017 وليواصل الانخفاض مع نهاية السنة مسجل معدل قدره 5,6٪.

خاتمة:

يمكن القول أن معظم الظواهر الاقتصادية تنشأ نتيجة عدة عوامل لها تأثير متبادل فيما بينها ، وقد تكون متداخلة ، ومن بين هذه الظواهر نجد التضخم حيث يعتبر من بين المشاكل التي تعاني منها اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية ومن بينها الجزائر ، لها لها من أثر سلبي على تقدم الدول وتطورها.وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على ظاهرة التضخم في الجزائر وكذلك السياسة النقدية المتبعة من طرف السلطات النقدية وما مدى قدرتها على ضبط والتحكم في معدلات التضخم خلال الفترة (2016-1990)، من خلال التطرق للمعدلات التضخم في الجزائر وتحليل أسبابها بالإضافة إلى الأدوات والوسائل التي تستخدمها السياسة النقدية في إدارة السيولة لتحقيق الاستقرار النقدي و الاقتصادي وقبل ذلك وتماشيا مع طبيعة الموضوع تم التطرق للجانب النظري من خلال اعطاء تعريفات للظاهرة التضخم والسياسة النقدية ، وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج والتوصيات نوجزها فيما يلي:

نتائج الدراسة:-يؤدي التضخم إلى تناقص القيمة الشرائية للنقود حيث ان الدول التي لديها معدلات تضخم منخفضة بشكل مستمر تقدم قيمة متزايدة لعملة حيث ان قوتها الشرائية تزداد مقارنة بالعملات الأخرى ؛

إن التضخم الحالي في الجزائر يستجيب وبشكل كبير لمعدلات التضخم لسنوات سابقة ؛

إن هذه التفسيرات الاقتصادية تعبر جزئيا عن معدلات التضخم في الجزائر لوجود عامل هام وهو تدخل الدولة في الاقتصاد ، فهو له علاقة أكبر من عاملي العرض والطلب.

- خلال الثلاث السنوات الاخيرة من الدراسة فشل السلطات النقدية الى الوصول الى المعدلات التضخم المستهدفة.

التوصيات: بناء على النتائج المتوصل اليها يمكن الخروج بمجموعة من التوصيات التالية:

1-حتى تلعب السياسة النقدية دورها كقناة لضبط الضغوط التضخيمية يقترح يلي:

يجب أن تحظى السياسة النقدية بالهرونة اللازمة حتى يتمكن من خلالها ضبط الضغوط التضخيمية ؛

-الابد من التحكم في كل العوامل المسببة للتضخم كالعوامل النقدية والهيكلية (السوق الموازية)؛

-لا بد من وجود تكامل وتنسيق ما بينا ادوات السياسة النقدية والسياسات الاقتصادية الأخرى ؛

-تطبيق سياسة نقدية تماشى والظروف الاقتصادية للبلد ؛

-التوقف عن أي إصدار للنقود بدون مقابل.

2-من أجل التقليل من حدة معدلات التضخم في الجزائر يتقدم بالاقتراحات التالية:

-تقليل فاتورة الاستيراد لمعالجة التضخم المتسرب من الاسواق الخارجية حيث يجب ان يتجاوز المقياس

الكمي المقياس المحاسبي عبر الاخذ بعين الاعتبار تقلبات الصرف بين الدولار الامريكي والبيورو والين ؛

-التحكم في الانفاق الحكومي من خلال محاسبة اكثر شفافية عند تنفيذ المخططات لتحقيق توازن بين عرض

النقود والطلب على الاستثمار الحقيقي ؛

-ادارة متطورة للاسواق وخاصة اسواق الجملة ووضع سياسة اكثر فعالية لمحاربة الاحتكار في مجال السلع

ذات الاستهلاك الواسع.

3-زيادة الاهتمام بالتنمية المحلية لتقليل حجم السلع المستوردة والتي تعمل على خروج العملة الصعبة ؛

4-تنويع الصادرات خارج المحرقات من اجل اعطاء بدائل اكثر للدولة للتحكم في الميزان التجاري.

قائمة المراجع:

عبد القادر محمد عبد القادر عطية. رمضان محمد أحمد مقلد ، النظرية الاقتصادية الكلية ، قسم الاقتصاد ، كلية التجارة ، الإسكندرية ، 2004-2005.

غازي حسين عناية ، التضخم المالي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000.

-حربي محمد موسى عريقات ، مبادئ الاقتصاد (التحليل الكلي)، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، 2006.

-بسام الحجار ، الاقتصاد النقدي والمصرفي ، دار منهل اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2006.

-نداء محمد الصوص ، الاقتصاد الكلي ، دار إنجادين للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، 2007.

-فليح حسن خلف ، التنمية والتخطيط الاقتصادي ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2006.

-سوزي عدلي ناشد ، مقدمة في الاقتصاد النقدي والمصرفي ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2006.

-معمر ليلي ، سعدون عائشة ، فعالية السياسة النقدية في محاربة التضخم في الجزائر ، مجلة الاقتصاد والتنمية -مخبر التنمية المستدامة- جامعة يحي فارس المدينة ، العدد 06 ، جوان 2016.

-سعید هتهات ، دراسة اقتصادية وقياسية لظاهرة التضخم في الجزائر ، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية ، جامعة ورقة ، 2006.

-بنك الجزائر ، التطورات الاقتصادية والنقدية للجزائر ، تقرير السنوي ، 2015..

-بنك الجزائر ، التطورات الاقتصادية والنقدية للجزائر ، تقرير السنوي ، 2016.

-بنك الجزائر ، التطورات الاقتصادية والنقدية للجزائر ، تقرير السنوي ، 2017.

التراث الإنساني أهم مصادر تنمية السياحة بمختلف أشكالها بالجزائر " السياحة الثقافية و الرياضية في

ولاية سوق أهراس أنموذجا "

The most important sources of tourism development in Algeria

"Cultural and sporting tourism in the state of Souk Ahras model"

د. منماني نادية ، جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس- الجزائر

د. بوغالية فايزة ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر

ط.د. دلهوم عماد ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر

مقدمة:

لم تعد السياحة ترفيها فقط ، بل أصبحت صناعة اقتصادية تهتم بها الدول وتنفق عليها الملايين وذلك لمرادوها الاقتصادي والاستثماري الكبير ، ولأن السياحة أصبحت خيارا اقتصاديا واجتماعيا مهما فقد أصبح من المهم أن تواكبه الثقافة والوعي السياحي لدى المجتمع بما يساهم في نجاح المشروع السياحي وتطوره . مع تجاوز عدد السياح الذين يعبرون الحدود الدولية المليار سائح سنوياً ، تمثل السياحة إمكانات هائلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية ، في المقاصد في كافة أنحاء العالم ، ولقد ثبت أن السياحة الثقافية و الرياضية ترفع القدرة التنافسية وتخلق فرص العمل وتحّد من الهجرة من الأرياف وتدرّ الدخل القابل للتوظيف في الحفاظ على التراث وتعزّز الإحساس بالفخر والاعتزاز بالنفس لدى المجتمعات المضيفة ، وحرصاً على تعزيز وصون التراث الذي تركز عليه السياحة الثقافية و الرياضية ، لا بدّ من نهج مستدام وتكاتف الجهود بين كل الأطراف المعنية ووضع إستراتيجية واضحة لتحقيق الأهداف المسطرة و المرجوة .

أولاً: السياحة

1. تعريف السياحة: السياحة مجموعة من الأنشطة الحضارية والثقافية والاقتصادية والتي يقوم بها الفرد الذي ينتقل من بلد إلى بلد آخر ويستمر وجوده بها إلى أكثر من يوم على الأقل ، وتتعدد الأغراض التي سافر من أجلها إلا أنها لا تشمل العمل.

إن السياحة من الأنشطة الهامة والتي يقوم بها الكثير من الأفراد بكل أنحاء العالم فيسافرون وينتقلون من مكان إلى آخر بما يعود على أنفسهم بالبهجة والاستمتاع ، والشعور بالراحة والاسترخاء ، كما تساعدهم على التخلص من التوتر والقلق النفسي ، والحصول على فرص للترفيه والترويح عن النفس.

2. أنواع السياحة:

السياحة الداخلية: هذا النوع يقوم به أهل البلاد أنفسهم بزيارتهم معالم بلادهم والسفر داخلها للتعرف على مختلف مدنها.

السياحة الخارجية: من خلال هذا النوع يسافر الفرد إلى خارج حدود دولته ليزور دولة أو دولاً أخرى.

3. أشكال السياحة: للسياحة أنواع كثيرة ، حيث لا يسافر الكثير من السائحين من بلد إلى آخر لنفس الهدف ، إنما تختلف أغراض السياحة من سائح إلى آخر ، وتتعدد أشكالها فمن السياح من يسافر إلى أغراض علاجية وآخر للترفيه وآخر يسافر للتعرف على ثقافة الدولة وغيرهم الكثير .

السياحة العلاجية: وهي السياحة بغرض العلاج والترويح عن النفس في آنٍ واحد ، وقد تكون من خلال السفر للعلاج بالمستشفيات الخاصة أو العلاج بالطبيعة ، من خلال ينابيع المياه المعدنية والمياه الكبريتية والرمال والتعرض للشمس ، بهدف علاج بعض الأمراض الجلدية والآلام الروماتيزمية ومن أمثلة تلك الأماكن البحر الميت بالأردن وواحة سيوة بمصر .

السياحة الاجتماعية: تسمى السياحة الاجتماعية بـ " سياحة الإجازات " وأصبحت من أنواع السياحة المنتشرة بالوقت الحالي ، حيث يتم تنظيم الكثير من الرحلات المخفضة الثمن وتوفير أماكن إقامة ذات أسعار مناسبة أو إقامة المعسكرات الشبابية والتي لا تتكلف الكثير من المال .

السياحة الثقافية: هي السياحة التي تقوم بغرض التعرف على ثقافة الدولة ومعالها الأثرية ، وتبلغ نسبة السياحة لهذا الغرض نسبة 10% .

السياحة الدينية: هي السياحة التي تهدف إلى زيارة المعالم الأثرية الدينية بالبلاد بغرض التأمل الروحي والفكري والتعرف على الديانات الأخرى ، أو بهدف الدعوة إلى دين آخر ، أو القيام بأعمال خيرية وإقامة ندوات تطوعية وتعريفية لدين معين ، ومن أمثلة تلك الأماكن مجمع الأديان بمصر القديمة والذي يضم مسجد عمرو بن العاص والكنيسة المعلقة والمعبد اليهودي .

السياحة الرياضية: وهي السفر من بلد إلى أخرى بهدف المشاركة بالدورات والبطولات الرياضية المختلفة ، أو من أجل الاستمتاع بممارسة بعض الأنشطة الرياضية كالغوص والصيد والتزحلق على الجليد .

السياحة البيئية: وتعد من أنواع السياحة الحديثة ، وهي السفر للتعرف على المواقع الطبيعية بهدف الاستمتاع بالطبيعة وبدافع من المسؤولية للحفاظ على المعالم البيئية المختلفة وعدم المساس بها .

سياحة المهرجانات: هي السياحة التي يسافر فيها الشخص للانضمام إلى المهرجانات أو السباقات المختلفة والتي قد تكون مهرجانات رياضية أو سينمائية وفنية ، كسباقات الهجن بسياء مصر أو كمهرجانات الأزياء والفنون الشعبية .

السياحة الترفيهية: هي أكثر أنواع السياحة انتشاراً حيث تبلغ نسبتها 80% من نسبة عدد السائحين ، وفيها يسافر السائح بغرض الترفيه والاستمتاع والحصول على الراحة وممارسة العديد من الأنشطة الترفيهية والاستجمام (<https://scth.gov.sa/Programs>)

4. تعريف السياحة الثقافية: لكي تحافظ السياحة على طبيعتها وتبقى عاملاً اقتصادياً يساهم في التنمية المحلية ، لا بد أن تعود لكي ترتبط بالعنصر الثقافي وأن تلعب دوراً حضارياً كشكل من أشكال الحوار والاحتكاك الثقافي ، فالنشاط السياحي يربط بين الأجيال والحضارات ويدعم العلاقات البشرية والتأزر بين الشعوب وإذا فقد هذا الدور أصبح وسيلة من وسائل الهيمنة واستنزاف الثروات .

والسياحة الثقافية تفهم أنها محاولة للوصل بين طرفين السائح والمضيف ، وإقامة اتصال فكري أو مادي أو روحي أو عاطفي بينهما ، ما ينتج عن هذا الاتصال من تأثير على الطرفين ، فهي تجسيد فعلي للبعد الإنساني

والاجتماعي الذي يتمثل في معرفة ثقافات أخرى مختلفة عن ثقافة السائح والأساس فيها الحاجة المتزايدة إلى الاطلاع الثقافي والحضاري المقترنين بالمشاهد الطبيعية ونشوة الاستمتاع بجمالها. واعتمادا على هذه الأبعاد المفاهيمية ، تكون السياحة ظاهرة ثقافية ، يتمكن الإنسان عن طريقها من تلبية حاجاته الثقافية والترفيهية معا ، وتتجاوز مجرد التنقل والتجوال ، فلا يمكن الفصل اليوم بين ظاهرتي الثقافة والسياحة ، خاصة إذا اعتمدنا التعريف العالمي للثقافة: " بأنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة بعينها ، وهي تشمل التقاليد والمؤسسات الاجتماعية و العمرانية و التراث الذي تحفظه الأجيال عبر الزمن".

فأي خطة للسياحة الثقافية يجب أن تركز على:

-تعميق المعرفة بأهمية السياحة وآثارها الايجابية على مجمل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية.

-ضرورة الحفاظ على الموارد الأثرية والسياحية والحضارية كثروة وطنية وقومية وعالمية إنسانية.

-تعريف المواطن بمعالم وطنه الأثرية والسياحية ، و تنشيط حركة السياحة الداخلية.

-التركيز على أهمية التراث و المكان والهوية الثقافية.

إن الثقافة هي تلك التقاليد واللغات والآثار والموسيقى والحرف اليدوية والفنون المنتشرة في جميع أنحاء العالم ، والتي لها لدى مجتمعاتها قيمة لا تقدر ولا تحصى. وفي نفس الوقت ، تعتبر الثقافة جزءا من الممتلكات السياحية الرئيسية التي تستدعي الملايين من السياح لزيارة وجهات جديدة كل عام ، يمكن للسياحة إن سيرت على نحو مستدام أن تكون قوة كبيرة تساهم في تعزيز وصون التراث الهادي وغير الهادي الذي يؤسسها ، مع تشجيع عملية تطوير الفنون والحرف والأنشطة الإبداعية الأخرى.

5. مفهوم السياحة الثقافية: السياحة الثقافية هي التي يكون الباعث الأساسي عليها الثقافة وزيارة المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف والتعرف على الصناعات التقليدية أو أي شكل من أشكال التعبير الفني والحضور في بعض الفعاليات الثقافية مثل المعارض أو المهرجانات. وتظل السياحة الثقافية هي المقوم السياحي غير المتكرر أو المتشابه أو القابل للمنافسة.

إن المحتوى الثقافي المميز الموجه للسياح لا يمكن أن تكون الغاية منه إلا غاية إنمائية للقطاع السياحي وتحقيقاً للتنمية الشاملة للبلاد ، ولتحقيق ذلك لابد أن تتوفر مجموعة من الأطر ، التي يمكن من خلالها تقديم النشاطات الثقافية المختلفة التي تساعد على تشجيع السياحة الثقافية(محمد عبد السميع ، 2015).

6.التعريف القانوني للسياحة الثقافية: هو كل نشاط استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة من خلال اكتشاف تراث مثل المدن والمعالم التاريخية والحدائق والمباني الدينية أو تراث روحي مثل الحفلات التقليدية و التقاليد الوطنية أو المحلية.

تعريف المنظمة العالمية للسياحة: تتمثل في تنقلات الأشخاص المحفزة بالدوافع الثقافية مثل:الدراسات ، الدورات الفنية التنقلات من أجل المشاركة في التظاهرات الثقافية و زيارة المواقع و المعالم

الأثرية(https://ar.wikipedia.org)

7. مكانة السياحة الثقافية بين أنواع السياحة الأخرى: تعد السياحة الثقافية أقدم أنواع السياحة ، حيث ظهرت في أوروبا في القرن 19م في أوساط الطبقة الأرستقراطية ثم أصبحت تتمثل في الحج و لقد تراجعت أهميتها بعد ذلك نوعا ما بسبب تعقد الحياة الاجتماعية والاقتصادية وظهور أنواع السياحة الأخرى ، فأصبحت للسائح عموما رغبة كبيرة في الراحة والاسترخاء و زيارة المعالم الأثرية الموجودة في المنطقة التي يكون فيها بمناسبة تواجد هناك و ليس التنقل من أجل زيارة تلك المواقع خاصة في البلدان التي تنعدم فيها إستراتيجية معينة لترقية هذا النوع من السياحة مثل: الجزائر ، التي تعد بلدا تعاقبت عليه أعظم الحضارات التي عرفتها الإنسانية و تركت آثارا من وراءها تشهد على ذلك مثل الآثار الرومانية التي تتناثر في عدة ولايات من الوطن و تسعى اليوم كل من منظمة اليونسكو و منظمة السياحة العالمية إلى إعادة الاعتبار لهذا النوع من السياحة نظرا لما له من آثار إيجابية في ميادين شتى إذا ما أحكم استغلاله.

8. أهمية السياحة الثقافية: يمكن تلخيصها في ثلاثة أبعاد أساسية: اقتصادية واجتماعية ، وبيئية: الفوائد الاقتصادية:-تنويع الاقتصاد المحلي من خلال إنشاء مواطن الشغل والمؤسسات ومعالج الجذب السياحي.

-استقطاب الأموال وتوفير مداخل جيائية.

-دعم المؤسسات الصغيرة وتوفير إمكانات التوسع.

-التشجيع على حماية الموارد المحلية.

-تدعيم الروابط بين المناطق وداخل المنطقة الواحدة.

-التحفيز على إنشاء المرافق العمومية وتعهدتها وصيانتها المستمرة.

الفوائد الاجتماعية:-تحسين الصورة العامة لأهل المنطقة ، وتنمية شعورها بالاعتزاز و الفخر و الرضا.

-التشجيع على تجميل المناطق.

-توفير أطر ومناسبات لخلق روابط وشراكات إيجابية بين الأطراف المحلية.

-توفير تجارب تربط الزوار بتاريخ المنطقة ، مما يساعد أيضا في ربط أهالي المنطقة في الارتباط أكثر بتاريخهم وتراثهم.

-حماية العادات والتقاليد والثقافة المحلية.

-توفير فرص التعلم ، والبحث العلمي للطلبة.

-تحقيق استثمار محلي في الموارد المحلية والخدمات السياحية الداعمة لها.

الفوائد البيئية:-المساهمة في خلق ثقافة حماية للموارد المحلية

-تشجيع الأهالي والزوار على الوعي بتأثير السلوكيات في حماية البيئة أو الإضرار بها.

-تنمية الشعور بأهمية المناطق والمحليات.

9. جهود منظمة السياحة العالمية لترقية السياحة الثقافية: ساهمت منظمة السياحة العالمية واليونسكو منذ سنوات عديدة في العمل معا لرفع مستوى الوعي حول الارتباط القوي بين السياحة والثقافة ، مع التأكيد على الحاجة إلى وضع نماذج شراكة مفيدة لكلا الطرفين ، ولتحقيق النجاح يتعين على أصحاب مصلحة

السياحة و الثقافة العمل معا على جميع المستويات لمعالجة تحديات ومسؤوليات تخص كلا الطرفين في مجالات مثل الحكم و المشاركة المجتمعية ، والابتكار والتكنولوجيا والمسؤولية الاجتماعية للشركات .
ولقد جمع المؤتمر العالمي الأول لمنظمة السياحة العالمية واليونسكو حول السياحة والثقافة ، على مدار يومين ، وزراء وخبراء بارزين وأصحاب مصلحة معنيين بهذين القطاعين من أجل تسليط الضوء على ضرورة بلورة إطار جديد للتعاون بين السياحة والثقافة ينطوي على مشاركة فاعلة من جانب المجتمعات المضيفة والزوار والقطاعين العام والخاص .

حيث إجتمع ما يربو على 900 مشارك ، بما في ذلك أكثر من 45 وزيراً ونائب وزير للسياحة والثقافة و قطاعات أخرى من بينها مسؤولون على قطاع الرياضة ، إضافةً إلى خبراء دوليين ومتحدثين وضيوف من 100 دولة ، في المؤتمر العالمي لمنظمة السياحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) حول السياحة والثقافة في سيام ريب ، كمبوديا ، وذلك بغرض سبر وتطوير نماذج جديدة للشراكة ما بين السياحة والثقافة (4-6 شباط / فبراير 2015) . (منظمة السياحة العالمية: <http://media.unwto.org/ar/press-release>)

وقالت المنظمة عبر موقعها ، إنه في عام 2017 ، سافر ما يقارب 1.2 مليار سائح دولي في العالم ، واستمرار توقعات منظمة السياحة العالمية النمو في السنوات المقبلة.

10. مفهوم السياحة الرياضية: هي نوع جديد ينحدر من كلا الناحيتين الناحية السياحية و الناحية الرياضية ، بالنسبة للناحية السياحية فهو طريقة جديدة لجدولة السياحة و لكن بشكل رياضي فبالنسبة للسياحة الرياضية فهي تعني الذهاب إلى بلد ما للقيام بممارسة نوع معين من الرياضة ، إما أنها موجودة فقط في ذلك البلد أو من يشابهه أو بسبب الرغبة في الذهاب إلى هذا البلد أولاً بسبب أنه هو البلد المختار للسياحة وثانياً للعب و ممارسة الرياضة المطلوبة في نفس البلد ، و كمثال عليها فمن يذهب إلى بلاد الثلج القارص من السياحة أن يذهب للتزلج على الجليد أو التزلج على الثلج ولا تقتصر السياحة الرياضية على ممارسة الرياضة فقط ، فهناك من يهوى المشاهدة مثلا السفر لبلد ما لحضور مقابلة أو مباراة في رياضة معينة وبالتالي تعتبر سياحة. (<https://ar.wikipedia.org>)

11. أشكال السياحة الرياضية:

السياحة الرياضية الحركية **Sport tourisme d'action**: و تشمل النشاط الأكبر من طرف الأفراد والجماعات فاغلب الأفراد يمارسون على الأقل نوعا من الرياضة مثل المشي و سميت حركية لاعتمادها على الحركة و من وجهة نظر تصورية فان كل الأنشطة الرياضية يمكن أن تدرج في إطار السياحة الرياضية الحركية ، ولكن من حيث المشاركة فان الأمر يختلف تماما من حيث التنافسية.

السياحة الرياضية الخاصة بالمتفرجين **Le tourisms portif de spectacle**: السياحة الرياضية الخاصة بالمتفرجين تدرج ضمن السياحة الرياضية التنافسية ، لأنه بدونها لا وجود للمتفرجين سواء في جمال الأنشطة التنافسية أو الأنشطة الاستعراضية ، إلا أن المستهلك الرياضي يمكن أن يكون متفرج للحدث خلف شاشة التلفاز ، كما يمكن أن تكون مشاهدته في وقت آخر غير وقت إقامة الحدث ، أما في جمال السياحة

الرياضية للمتفرجين فيشترط التنقل إلى مكان الحدث ومشاهدته مباشرة وبالتالي يعتبر مشارك في الحدث الرياضي وعنصر فعال فيه.

السياحة الرياضية الثقافية **Le tourisme sportif de culture**: ويقصد بها جموع الوجهات والأماكن التي لها قيمة ثقافية تاريخية رياضية ، حيث يمكن أن يكون ذو علاقة تاريخية رياضية كالمتاحف الرياضية والمعامل التاريخية ، كما يمكن أن تكون ذات صلة حالة بثقافة رياضية كالمؤتمرات والملتقيات الرياضية ، كما يمكن أن يكون بهدف مشاركة فعالة في ثقافة رياضية مثل: تكوين رياضي.

السياحة الرياضية الفاعلية **Tourisme sportif d'activisme**: يقصد بها النشاط التطوعي و التساهمي والمبين على أساس المشاركة في جمال الرياضة والترفيه الرياضي والذي يندرج في إطار السياحة ، بمعنى نشاط مندرج ضمن إدارة الرياضة عموماً على مدار السنة والذي يتبعه تنقل وسفر ، مثال ذلك مرافقة فريق كرة قدم أثناء ممارسة نشاطاته في مختلف الأماكن..الخ ، والعامل المشترك هنا هو امتلاك ثقافة تقنية رياضية بمعنى امتلاك الفرد المشارك خبرة تساعد وتساهم في إدارة الرياضة (Charles pegeassou , 2006).

12. منتجات سياحة الرياضة و المغامرات

الرياضات و المغامرات الصحراوية: سياحة الصحراء هي سياحة شتوية بامتياز لها تحتويه البيئة البكر للصحارى من مميزات ، سواء كان بتنوع التضاريس فيها أو تنوع حياتها الفطرية.

ومن ضمن النشاطات التي تقام في الصحراء: إقامة رحلات التخيم بالبر في قلب الصحراء للاستمتاع بالجو الأصيل والدافئ ، بالإضافة إلى ممارسة النشاطات و الرياضات المختلفة كرياضة التطلعيس بسيارات الدفع الرباعي والدبابات الصحراوية ، والتزلج على جبال الرمال ، بالإضافة إلى أنواع الصيد في البر عبر الكلاب السلوقية و الصقور المدربة و البنادق الهوائية.

الرياضات و المغامرات الجبلية: ونظراً لتوفر الثروات السياحية الطبيعية كالجبال ذات الارتفاعات المختلفة والغنية بالتركيبات الصخرية الجميلة التي تجعل منها المكان المناسب لممارسة الرياضات والهوايات الجبلية كتسلق الجبال وقيادة الدراجات الهوائية على الجبال ، بالإضافة إلى الطيران الشراعي من أعالي قمم الجبال ، حيث تعتبر هذه الرياضات وما تتضمنه من تحديات ومغامرات من أمتع الرياضات التي يمارسها الهاوي أو المحترف معاً.

الرياضات و المغامرات الشاطئية: الشواطئ البحرية ذات الطبيعة المتنوعة والتي تختلف من منطقة لأخرى و تزين أغلب الشواطئ الممتدة على طول الساحل ، حيث أن الكثبان الرملية التي تشكل ستارة خلفية رائعة للفعاليات الترويحية على الشاطئ ، مثل كرة القدم الشاطئية وكرة الطاائرة الشاطئية ورياضة المشي على الشاطئ ومسابقات الطائرات الورقية...الخ .

الرياضات و المغامرات البحرية: تمثل الرياضات البحرية جزءاً هاماً من الإرث الحضاري الغني للدول ، وتُذكر الأجيال الحاضرة بوقت كان البحر فيه أحد العوامل الأساسية التي شكلت نمط الحياة في الماضي ، ومن الفعاليات الجاذبة للشباب مثل: التجديف و ركوب المراكب الشراعية ، إضافة إلى رياضة الغطس وسباقات الزوارق السريعة.

الرياضات و المغامرات الجوية: دخل الطيران الشراعي اهتمام الشباب في العالم ، بوصفها رياضة ومغامرات جوية ذات متعة لا توصف ، مما دفع إلى تأسيس مدارس وأندية للطيران الشراعي لممارسة الطيران على سبيل الهواية والرياضة ، كالتيران الشراعي والتخليق بالمناطيد والقفز الحر والمظلي والقيام بالألعاب البهلوانية وتطير الطائرات الورقية وطائرات التحكم عن بعد ، وأيضاً تقديم رحلات سياحية جوية على معالم المدن (Christiane fontugne , 2004).

13. أهداف السياحة الرياضية:(justyna mokras-grabowska,2016)

- تقديم منتجات سياحية رياضية تلبية متطلبات السائح وتجذب الاستثمار السياحي.
- تطوير الفعاليات والبرامج السياحية الرياضية.
- التعاون مع الشركاء وفروع الهيئة وتمكينها.
- رفع كفاءة وقدرات مقدمي البرامج والمنتجات السياحية.
- تطوير بيئة محفزة للقطاع الخاص للمشاركة والاستثمار.
- رفع جودة تقديم البرامج والمنتجات السياحية الرياضية.

ثانيا: واقع السياحة الثقافية و الرياضية في ولاية سوق أهراس: تتمتع ولاية سوق أهراس بموقع جغرافي هام ، وتعتبر المقومات الطبيعية بها من أهم المقومات السياحية التي أعطت لها وزنا سياحيا ، حيث تكثر فيها الجبال كما تتميز بغطاء نباتي كثيف وتنوع مناخها ، فبين سلسلة من الجبال التلية والغابات العذراء تقع ولاية سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري ، متاخمة للجمهورية التونسية ، تبعد بمسافة 640 كلم عن العاصمة الجزائر ، تعتبر من أهم الولايات الحدودية لأنها شرفة للجزائر على الدول الشرقية للمغرب الكبير وكذا الدول العربية.

ارتقت مدينة سوق أهراس إلى مصاف الولايات بموجب التقسيم الإداري لسنة 1984 بعدما شقت من ولايتي تبسة وقالة ، يحدها من الشمال الشرقي ولاية الطارف ، ومن الشمال الغربي ولاية قالة ، ومن الجنوب ولاية تبسة ، ومن الجنوب الغربي ولاية أم البواقي ، ومن الشرق الجمهورية التونسية وترجع ولاية سوق أهراس على مساحة قدرها 4360 كلم² ، تنقسم إلى 10 دوائر و26 بلدية ، تقدر الكثافة السكانية بها 453.917 نسمة ، تتوفر ولاية سوق أهراس على هياكل قاعدية تخدم قطاع السياحة ، فبالإضافة إلى شبكة الطرقات الهامة التي تمتلكها ، فهي تبعد عن المطار الدولي وميناء عنابة بمسافة 97 كم ولا يفصلها عن الجمهورية التونسية سوى 40 كم عبر بلدية الحدادة.

1. **مقومات السياحة الحضارية والتاريخية:** سوق أهراس مدينة ارتبط اسمها بالأسطورة والحقيقة ، بالحضارة والثقافة وبالوسائل والأمجاد ، من يزورها يشعر بأنه في متحف ضخم على الهواء الطلق ، لان كل زاوية من زواياها تحتفظ لك بشيء ثمين لتكتشفه ، هو بريق من ذكرياتها وكيانها الأزلي بل شظايا أنوار تشع من كل معلم ، فتتمثل في مقومات نذكرها:

كاف المصورة: يعد كاف المصورة الذي يعرف أيضا بمغارة الأسود لوحة باهرة من الفنون الصخرية التي تحتفظ بها سوق أهراس بكل فخر واعتزاز ، تنتظركم هذه التحفة الحجرية لاكتشافها ببلدية الزواي على بعد 60 كم غربي سوق أهراس.

تتألف من نقوش صخرية ترجع إلى حقتين مختلفتين من فترات ما قبل التاريخ ، تعود إلى سنة 7000 قبل الميلاد ، تتكون من صورة تعبيرية عملاقة لمشهد صيد ، ترجم الفنان الحجري فيها أسودا اصطادات فريسة تتمثل في خنزير و بجاورها أشبالها ، يقابلها ثعالب وضباع تنتظر دورها مما يتركه ملوك الغابة .. الخ .
اكتشف كاف المصورة لأول مرة الباحث الفرنسي بارنال (Barnelle) سنة 1882م ، ثم درسه العديد من الباحثين الأثريين ، الذين اعتبروه من أجمل النقوش الصخرية لفترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا ، نظرا لضخامتها ودلالاتها التصويرية .

خميسة: على بعد 37 كم غرب سوق أهراس ، ترحب بكم مدينة خميسة الأثرية ، في الأصل هي مدينة نوميدية شيدها البربر تحت إسم " تبرسق " على منطقة ترتفع 960 م عن مستوى البحر تعايشت المدينة مع الحضارة القرطاجية وهذا ما تؤكد شواهد قبور تحمل كتابات بونيقية ، كما تم اكتشاف نقوشات تحمل اسم الإلهة " تانيت القرطاجية " .

عندما استقر الرومان في المنطقة أخذت تسمية تبرسق النوميدية ، إذ استمر الحكم النوميدي نظرا لكثرة السكان المحليين إلى جانب الحكم الروماني .

أجريت الحفريات بخميسة سنة 1902م لترى المدينة النور بعدما كانت ركاما تحت التراب ، وصنفت بعدها آثارها ضمن التراث الوطني المحفوظ سنة 1968م .

تتمثل أهم المعالم الأثرية لخميسة في: فوروم نوفوم ، المسرح ، المعبد ، الأروقة ، البازيليك قاعة المجلس ، القلعة البيزنطية ، المقابر ، الكنيسة الصغيرة ، الصهاريج و الخزانات ، معبد نيتون .



مادور: على بعد 45 كم جنوب طاغست ، تنتظركم مدينة مادور أو مادوروس أو مادوروش بتحفها الأثرية ذات البعد التاريخي اللامع والتراث الثقافي القيم .

اقترن اسم مدينة مادوروش منذ القدم بعناوين الحضارات والأسماء التاريخية اللامعة ، وبالفتون والعلوم ، فبين جدرانها ولد وعاش " لوكيوس أبوليوس " أشهر الروائيين الأفارقة في الأدب اللاتيني وهي العاصمة الفكرية لنوميديا العتيقة ومركز حضاري شائع بين مدن الجنوب التي عرفت بمنطقة الجيتول ومدن نوميديا شمالا .

اشتهرت بمدارسها التي كانت مقصدا للطلبة من مختلف الأقطار للدراسة بها ، ومن أشهرهم " القديس اوغستين " ، واضع أسس التفكير الكاثوليكي ، و النحوي " ماكسيموس " وغيرهم كثيرون .

تهدي مادور تحفة أثرية متميزة لاكتشافها ، هي الموقع الأثري لمدينة مادور ، حيث تحتفظ الصخور بالفكر الراقى الذي ميزها ، وترتل الأزقة أبرز الأحداث التي شهدتها فتحن من الحين إلى الآخر إلى أبنائها أمثال: " لوكيوس أبوليوس " أول روائي في الأدب اللاتيني ، وأعلامها مثل " القديس أوغستين " و " ماكسيموس النحوي " صنفت آثار مادور في التراث الوطني سنة 1968 م ، أهم محطات هذا الموقع الأثري: محول المياه ، المباني المسيحية ، القلعة البيزنطية ، الفوروم ، المسرح الروماني .



المنزل البلدي: شيد المنزل البلدي سنة 1886م ويتوسط المدينة ، يتميز بطابع هندسي رائع التصميم ، حيث زاوج بين الطراز الأوربي والبيزنطي بالنظر إلى الأعمدة العملاقة والقبة النصف دائرية ، يحمل المنزل في القمة ساعة و تزيينات غاية في الروعة والجمال ، حول اليوم إلى قاعة عرض ويتضمن تماثيل ورثت عن طاغست ، كما زينت جدرانه ببعض القطع الفسيفسائية الجميلة ، يعد من أجمل المعالم التاريخية لمدينة سوق أهراس و يعد تحفة هندسية رائعة تلفت انتباه كل زائر للمدينة.



2. مقومات السياحة الدينية:

زيتونة القديس أوغستين: تعتبر رمزا لمدينة سوق أهراس وأصبحت ذات شهرة عالمية لارتباطها بشخصية أوغستين واضع أسس التفكير الكاثوليكي ، توسطت هذه الشجرة مدينة طاغست ، وكانت أفضل و أجمل مكان يقصده أوغستين من أجل التأمل والتفكير ، خاصة لوقوعها في تل يتميز بهدوء روحاني ملهم ، غير بعيد عن الزيتونة يتواجد منزل القديس ، حيث بني به ضريح الولي الصالح سيدي مسعود بالرغم من مرور القرون

والسنين ما تزال تتمتع بالقيم التي تحملها ، فالسنين تمر والزيتونة تبقى خضراء بل عذراء اخترقت الأزمان و احتفظت بذاكرتها وذكرياتهما قربانا لمدينة سوق أهراس .
يشهد الموقع زيارة السياح ، كما حظي بتهيئة محيطها ليحفظ قيمته الحضارية والإنسانية ، بجوار الزيتون يتواجد متحف أوغستين الذي تعرض به لوحات نحاسية أنجزت بطريقة رائعة الإتقان تترجم مساره ورحلته الدينية والفلسفية الزاخرة .

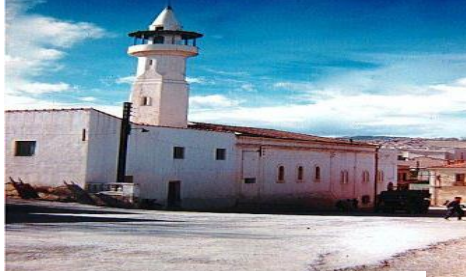


ضريح سيدي مسعود: من بين المعالم المقدسة في المدينة ضريح سيدي مسعود بن بوبكر شيخ الزاوية القادرية بهذه المنطقة و الذي يعتبر الأب الروحي لمدينة سوق أهراس ، لعبت الزاوية دورا كبيرا حيث كانت منارة للأخلاق الفاضلة والعلوم الإسلامية ، حيث توفي هذا الأخير حوالي 1770م ودفن فيه ، تظهر على الضريح آثار العمارة العثمانية ، زين من الداخل بالخزف ومختلف أنواع الزرابي ، يعتبر اليوم مزارا يتوافد عليه الكثير من الناس توخيا للبركة .



المسجد العتيق: بني المسجد العتيق سنة 1857م ، ويعتبر أول معلم ديني شيد في سوق أهراس بتبرع من السكان المحليين ، يتوسط منازل قليلة العدد ويتميز بهندسة معمارية بسيطة واستعملت في بنائه حجارة وأعمدة المدينة الرومانية .

في سنة 1927م شهد المسجد توسيعا لاستقبال الكم المتزايد من المصلين ، ليأخذ شكلا مستطيلا بعدما حذفت السلالمة و السطحة ، استبدلت المنارة القديمة بأخرى أكثر حداثة وأجمل تصميم ، يعتبر المسجد العتيق من المعالم الدينية التي تصنع فخر سوق أهراس ، كما يمنح طابع العراقة للمدينة العتيقة .



3. **مقومات السياحة الرياضية:** سوق أهراس ، التي تعتبر احد رموز السياحة الرياضية بالجزائر ، تقع جبالها على ارتفاع 1400 مترا عن سطح البحر ، تمتاز ببرد قارس وثلوج تغطي سفوح جبالها في الخريف و الشتاء وباعتدال الجو في الصيف والربيع ، تجذب المدينة الزوار بشلالاتها المائية وطبيعتها التي لا تفقد اخضرارها ، وبالمناظر الطبيعية المحيطة بها التي يسهل بلوغها ، فخورة بطابعها المتميز الذي يضفي رونقا خاصا على المدينة ويمنحها شكلا أنيقا ، زائر المدينة لا يجد صعوبات في بلوغ أماكن الترفيه ، فالمدينة محاطة بالغابات التي يقصدها الزوار للاستمتاع بالجو اللطيف والمعتدل ، وأصبحت منتزها للعديد من الأسر السوق أهراسية وحتى سائحون يأتيون إليها من خارج البلاد لقضاء العطلة وتمتع بالطبيعة الخلابة و ركوب الدراجات الجبلية ، تسلق الجبال ، العدو الريفي ، الماراطون ، الرياضات القتالية.....الخ. و تزخر ولاية سوق أهراس بالعديد من المنشآت و المرافق الرياضية كمقومات لنجاح السياحة الرياضية و ازدهارها نذكر منها:

ملاعب كرة القدم: يوجد في المدينة ثلاثة ملاعب لكرة القدم:

- المركب الرياضي ملعب باجي مختار مغطى بالعشب الطبيعي يتسع لـ 15.000 متفرج ، قاعة متعددة الرياضات ، مسبح نصف أولمبي.

- الملعب البلدي الكائن بحي الطقطقية مغطى بالعشب الاصطناعي.

- ملعب حي حمة لولو مغطى بالعشب الاصطناعي (الجيل الثالث).

مركب الرياضات القتالية: مركب الرياضات القتالية صرحا لتدريب الفرق المحلية والوطنية ، هذا المركب يضم قاعة بـ 1500 متر مربع كمساحة للتدريب بها (06) أسطحة و قاعة لكمال الأجسام و ملعبين لكرة القدم بالعشب الاصطناعي ، فضلا عن غرف لتبديل الملابس و كافيتيريا..الخ.

مسبح نصف أولمبي: ويقع ببلدية تاورة شرق مدينة سوق أهراس ، وهي منشآت رياضية حديثة ، ساهمت في النهوض برياضة السباحة على مستوى الولاية ، ويحمل كافة المواصفات الدولية لاحتضان المنافسات الوطنية و القارية و الدولية.

طواف سوق أهراس: سباق طواف سوق أهراس أو دورة سوق أهراس الوطنية للدراجات الهوائية ، هي منافسة رياضية للدراجات أو سباق دراجات مكون من عدة مراحل يعد أشهر وأصعب طواف في الجزائر في اختصاص رياضة الدراجات الهوائية يجرى كل سنة بمناسبة أحداث ساقية سيدي يوسف ، تحت رعاية ولاية ومديرية الشباب والرياضة لولاية سوق أهراس.

نادي رياضة الكرة الحديدية: تعرف رياضة الكرة الحديدية انتشارا واسعا في أوساط سكان مدينة سوق أهراس لدرجة أنها أصبحت تصنف منذ عدة سنوات كرياضة ثانية من حيث الممارسة والإقبال بعد كرة القدم ، ومع عشية كل يوم تتوافد عدد كبير من الممارسين من مختلف الأعمار وشرائح المجتمع على الملاعب المخصصة للكرة الحديدية من أجل التنافس وقضاء أوقات الفراغ ، وللإشارة تشتهر رياضة الكرة الحديدية السوقهراسية منذ الاستعمار الفرنسي ، حيث فازت بالبطولة الوطنية عدة مرات.

نادي كرة المضرب: هذا النادي العريق (TCSA) الذي تأسس سنة 1938 إبان الحقبة الاستعمارية ، يملك النادي أكبر مركب في الشرق الجزائري من حيث عدد الملاعب ، (04) ملاعب بأرضية ترابية ، غرفة تغير الملابس ، مقهى.

بيت الشباب: لا تختلف هذه المؤسسة عن غيرها من المؤسسات الشبانية الأخرى ، فهي ذات طابع اجتماعي تربوي ، حيث تعمل على ترقية السياحة التربوية والرياضية اللتان تعتبران وسيلة اجتماعية ثقافية للاتصال وهي كذلك نشاط ترويحي ينمي حركة تبادلات و تنقلات الشباب ، و تتوفر ولاية سوق أهراس على بيت شباب واحد طاقة استيعاب هذه المؤسسة: 50 سرير و بها 09 غرف.

الخدمات و المرافق التي يتوفر عليها:

قاعة الاستقبال

قاعة الاجتماعات.

قاعة الانترنت.

النادي. (<https://ar.wikipedia.org/wiki>)

4. واقع الاتصال السياحي بولاية سوق أهراس:

إنشاء خلية الإعلام و الاتصال لمديرية السياحة: تم إنشاء هذه الخلية سنة 2012 تتولى المهام المتعلقة بالإعلام والاتصال ، وتتمثل وظائفه الإدارية في المساعدة على تكوين وبناء ودعم وبقاء الاتصال الفعال والتعاون المشترك بين المديرية و جماهيرها الداخلية والخارجية ، كما تعمل على مواجهة المشكلات التي تواجه المديرية واقتراح الحلول المناسبة لها وإمدادها بتيار مستمر من المعلومات والبيانات مما يجعلها متجاوبة مع الرأي العام.

مجلة واحة طاغست: أطلقت مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس العدد الأول من مجلة " واحة طاغست " في فيفري 2013 ، كمنبر إعلامي قصد تثمين الإنجازات وترقية السياحة.

الموقع الالكتروني لمديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس: يحل اسم بوابة السياحة لولاية سوق أهراس ويتضمن دليلا سياحيا متكاملا عن المؤهلات السياحية للولاية في شتى المجالات. تواجد المديرية على شبكات الاجتماعية.

إحياء المديرية للأيام والتظاهرات والمناسبات الخاصة السياحة.

5. عوائق السياحة الثقافية والرياضية بولاية سوق أهراس:

ضعف الهياكل السياحية و البنى التحتية: إن تنمية القطاع السياحي بشكل عام تقتضي تطوير الهياكل السياحية و البنى التحتية ، والتي تعرف ضعفا وعجزا كبيرا على مستوى ولاية سوق أهراس ما يؤثر سلبا على المنتج السياحي .

جدول (01): يوضح المؤسسات الفندقية النشطة بولاية سوق أهراس

اسم الفندق	عدد الغرف	عدد الأسرة	درجة التصنيف	العنوان
أم الخير	54	100	03 نجوم	سوق أهراس
مجردة	16	32	بدون نجوم	سوق أهراس
المشرق	26	35	هيكل معد للفندقة	سوق أهراس
طاغست	17	30	هيكل معد للفندقة	سوق أهراس
ملحقة قصر الحمراء	25	35	هيكل معد للفندقة	سوق أهراس
المائدة	45	90	بدون نجوم	سدراتة
الطاسيلي	13	24	بدون نجوم	سدراتة
المجموع	196	346		

المصدر: مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس

من الجدول أعلاه ، نلاحظ أن طاقة الإيواء بولاية سوق أهراس تعد كارثية إذ تعاني من قلة الهياكل من حيث الكم والنوع ، حيث لا يزيد عدد الفنادق عن (07) سبع فنادق غير مصنفة ، بالرغم من توافر عناصر الجذب السياحي ، كما يلاحظ تركيز الهياكل في مركز الولاية وتكاد تنعدم بالبلديات الأخرى على عكس المناطق السياحية ، التي تتوزع على كامل تراب الولاية ، وهو ما يجبر ضيوف الولاية وزوارها للتوجه إلى الولايات المجاورة .

جدول (02): يوضح الوكالات السياحة والأسفار المعتمدة إلى غاية 2016

اسم الوكالة	الصف	العنوان
زاما ترافل	A	سوق أهراس
بابل لسياحة	B	سوق أهراس
مسلم تور	A	سوق أهراس
الشرق للسياحة	B	سدراتة
مجردة ترافل	B	سوق أهراس
المياسين ترافل	A	سدراتة
السنايل تور	B	سوق أهراس
الأهراس تور	A	سوق أهراس
فرع النجاح أجنبي	A	سوق أهراس
مادور ترافل	B	سدراتة
فرع بن عامر للسياحة والأسفار	A	سوق أهراس

المصدر: مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس

الصف A:الوكالات السياحية التي تنشط بصفة رئيسية في السياحة الوطنية والسياحة الاستقبالية.

الصف B:الوكالات التي تنشط بصفة رئيسية في السياحة الموفدة للسواح.

تتوفر الولاية على 11 وكالة سياحة وأسفار ، حيث تنشط 06 وكالات منها في السياحة الوطنية والسياحة الاستقبالية ، أم البقية فتنشط في السياحة الموفدة للسواح ، كما تتمركز هذه الوكالات في عاصمة الولاية وبلدية سدراتة.

الملاحظ أن عدد الوكالات السياحية غير كاف لتنشيط السياحة وتطويرها ، كما أن أغلبها يتجاهل مهمة الترويج للسياحي للمنطقة ، بل تقتصر أعمالها على أسفار الحج و العمرة.

تدهور التراث الثقافي: من الطبيعي أن يكون للنمو الديمغرافي ، والتعمير الفوضوي ، والمشاكل البيئية ، وعدم تطبيق القوانين المتعلقة بالحفاظ على المناطق والمعالم التاريخية ، ونقص الوسائل البشرية والمادية لحماية المعالم التاريخية وإعادة ترميمها دور في إتلاف جزء كبير من الآثار التاريخية. كما أن هناك أسباب طبيعية مثل انزلاق التربة والزلازل وهشاشة الآثار المتواجدة فيها بسبب قدمها باعتبارها تعود إلى ما قبل التاريخ.

قلة الاستثمارات المحلية في المجال الرياضي: خاصة بالمناطق السياحية التي تستقبل البطولات الرياضية أهم التحديات التي تواجه هذا النوع من السياحة ، ويؤكد ذلك قلة المنتجعات والقرى الرياضية لهذا الغرض ، والمزاخمة بين القطاعين العام والخاص فلا توجد شراكة حقيقية بينهما في تدعيم منتج السياحة الرياضية -عدم استغلال المناطق الأثرية ذائعة الصيت عالمياً و إنشاء عدد من الملاعب والمنشآت الرياضية بها وتأهيلها لاستضافة مختلف البطولات الرياضية الدولية و العربية و القارية.

أسباب أخرى: وهي عديدة يعتبر الإنسان السبب المباشر لها وهي كالتالي:

- التدهور الناجم عن اللامبالاة و الاستغلال الغير عقلاني للمواقع.

- ضعف الرقابة داخل المرافق ، حيث أنه غير مسيجة بطريقة شاملة و كاملة ، مما صعب كثيرا من رقابة جميع أجزاء المواقع.

- تواجد مساكن بطريقة غير شرعية داخل المواقع بذاته وما ترتب عنها من مضر سلبية : حيث تم البناء فوق بقايا أثرية و باستعمال المواد المكونة للآثار كالحجارة و الأعمدة الحجرية .

- التلوث البيئي المختلف الأشكال الذي يتسبب به المقيمون داخل الموقع والمتوافدون عليه ، مما ساعد على تقليص الزيارات إلى الموقع سواء من طرف المحليين ، الوطنيين والأجانب.

- عدم وجود نشاطات تثقيفية و تربية و رياضية تساهم في تنمية الضمير والوعي الثقافي والرياضي للسكان المحليين والمتسببين في التدهور للمواقع و عدم المحافظة عليه.

تردد القطاع الخاص إزاء الاستثمار: يتبين من خلال التجربة على الصعيد الاقتصادي تردد القطاع الخاص الوطني والأجنبي للاستثمار في القطاع السياحي ، حيث لا يزال الاستثمار في هذا القطاع مغامرة في الجزائر خصوصا وأنه يعتبر مكلفا في المدى القصير و لا تظهر إيجابياته إلا على المدى الطويل ، مما يتسبب في مخاوف القطاع الخاص منه و كانت النتيجة هو قلة الاستثمار الخاص و السياحة الثقافية و الرياضية بدورها تعاني من قلة الاستثمار الخاص الذي يوفر مرافق سياحية تتجاوب و هذا النوع من السياحة.

ضعف نظام الإعلام والاتصال و التروي : من البديهي أن يكون للإعلام دور استراتيجي في تطوير السياحة ، وهو يتميز بتعدد وسائله بدءا بالبطاقات البريدية ، حتى الصحافة المكتوبة أو الناطقة أو السمعية البصرية ،

حيث تلعب الدور الهام في تعزيز مكانة البلاد وتعريف المنتج السياحي المحلي ، غير أن المنتج في الجزائر لم يتم التعريف به والترويج له كما ينبغي عن طريق نظام ملائم للاتصال والإعلام ، حيث تعتبر المنافسة صعبة جدا في هذا المجال خاصة بالنسبة للبلدان التي لا تتوفر على إستراتيجية متطورة فيه ، وهذا ما يؤثر سلبا على قطاع السياحة في الظروف الحالية لاستمرار غياب سياسة في مجال الاتصال إذ لا يمكن المنافسة ولا جلب السياح إلا بتوفير بعض الشروط (الإعلام ، الحصول على التأشيرة ، الحجز ، النقل ، التنشيط ... الخ.)
ضعف نظام الرقابة و المتابعة و قلة المرشدين السياحيين: عدم توافر نظام رقابة صارم يترتب عنه عدم تطبيق الإجراءات الجزائية على المتسببين في التدهور و الذي ساهم في تقادم درجة تدهور التراث الثقافي و الرياضي والرقابة في هذه الحالة لا تتوقف على رقابة المواقع و إنما تتعدى ذلك لتصل إلى رقابة نوعية و نظافة المرافق السياحية المستقبلية للسياح ، و قد تظافر ذلك مع نقص الجمعيات التي تنادي بحماية التراث الثقافي و المحافظة عليه مما جعل نشاطها محدودا في مجال التوعية و التحسيس بالإضافة إلى انعدام نشاط الدواوين السياحية في هذا المجال.

كما أن قلة المرشدين السياحيين داخل المواقع يصعب من مهمة السائح الأجنبي عند الزيارة و هذا يعتبر عاملا سلبيا.

6. آفاق السياحة الثقافية في ولاية سوق أهراس:

مناطق التوسع السياحي بولاية سوق أهراس: تعد المؤهلات السالفة الذكر عوامل جذب للاستثمار السياحي ، كما تضع السلطات المحلية ومديرية السياحة كل الإمكانيات المتاحة تحت تصرف المستثمرين ، وكذا تسهيلات لإرساء إستراتيجية سياحية على أسس المرافقة والتعاون المثمر لتحقيق مشاريع واعدة ونتائج نوعية لخلق جو سياحي دائم في هذه المنطقة.
حيث تم اقتراح سبعة مناطق للتوسع السياحي ، تم الموافقة على خمسة منها من طرف الوزارة الوصية ، تتوزع كما يلي:

جدول (03): مشاريع مناطق التوسع السياحي بولاية سوق أهراس.

مناطق التوسع	المساحة (هكتار)	ملاحظة
الماء الأبيض ، عين الزانة	187	05 مناطق للتوسع السياحي تم الموافقة
الفحيص ، عين الزانة	340	عليها وتم إعداد مشروع مرسوم لتنفيذها
الخروبة ، أولاد مومن	320	وتحديدتها
المغاسل ، المشروحة	400	
مادور ، مداوروش	264	
البطوم ، تاورة	140	مشروعين في طور الدراسة واستكمال
خميسة ، سدراتة	270	الخرايط

المصدر: مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس

الاستثمار السياحي بالولاية: يشهد قطاع السياحة بالولاية تطورا ملحوظا جراء استفادته من الكثير من المشاريع القاعدية التي تسهم بدور كبير في التنمية ، بالإضافة إلى تعزيز القطاع بالعديد من الهياكل القاعدية التي تهدف إلى تطوير وتنمية السياحة بالولاية ، وكذا خلق ظروف محفزة لتحقيق استثمار سياحي متميز (مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس ، 2019)

جدول (04):المشاريع السياحية الخاصة بولاية سوق أهراس لسنة 2018.

الموقع	نوع المشروع
أولاد إدريس	مركب حموي
واد الكبريت	موتيل (فندق توقف على طريق السفر)
سوق أهراس	تهيئة منزل عائلي إلى فندق
سدراتة	فندق
سوق أهراس	فندق و حضيرة تسلية
تاورة	مركب حموي

المصدر: مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس

خاتمة:

أصبحت السياحة الثقافية و السياحة الرياضية اليوم الرهان الحقيقي التي تتبناه الجزائر ، لها تمتلكه من مؤهلات ومقومات سياحية ثقافية و رياضية هامة لا نظير له ، ولن تكون هذه السياحة فعالة إلا إذا استغلت هذا المخزون الثقافي والحضاري بصورة مدروسة من أجل حمايته والحفاظ عليه للأجيال القادمة ، هذا يعني تبني الاستدامة كشرط أساسي لديمومة هذه المؤهلات في ظل تبني خطط وسياسات أو استراتيجيات سياحية في حجم وأهمية هذه الإمكانيات.

قائمة المراجع:

- محمد عبد السميع ، الثقافة السياحية تنبع من جمالية المكان والزمان ، جريدة الاتحاد ، تاريخ النشر: الخميس 28 افريل 2015.
- منظمة السياحة العالمية: <http://media.unwto.org/ar/press-release> ، تاريخ الاطلاع: 2019/02/27.
- مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية سوق أهراس ، 2019.
- Charles pegeassou, le tourisme sportif - sous la direction de Claud Sobry septentrion, sport et science social, 2006.
- christiane fontugne, les sports de nature un outil de structuration de l'offre touristique, sport de nature ;des territoires et des hommes, juillet 2004.
- <https://ar.wikipedia.org/05/27> ، تاريخ الاطلاع: 2019.
- <https://ar.wikipedia.org> ، تاريخ الاطلاع: 28/05/2019.
- <https://ar.wikipedia.org> ، تاريخ الاطلاع: 2019.05.27.
- <https://scth.gov.sa/Programs> . 2019.05.26:تاريخ الاطلاع
- justyna mokras-grabowska, sports tourism: terminological discussion, tourism 2016, 26/1, issn 0867-5856, article received: 17 May 2016- vu: 29.02.2019.

" دور السياحة الدينية في نشر وترسيخ ثقافة الحوار "

أ. محمد أرازو

جامعة عبد المالك السعدي كلية أصول الدين وحوار الحضارات تطوان / المغرب.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين ، وبعد:
إن الدين الإسلامي هو دين يدعو إلى السلم والسلام ، والأمن والأمان ، كما يدعو إلى ترسيخ قيم التعايش والتسامح ، ولا شك أن ثقافة السياحة الدينية تعتبر من أهم الوسائل التي تساهم في نشر وترسيخ ثقافة الحوار ، لأننا الآن في أمس الحاجة للانتقال من صراع الحضارات إلى حوار الحضارات.
إن صناعة السياحة على جميع المستويات التجارية والترفيهية والثقافية والدينية.. يعتبر أمراً غاية في الأهمية وبالأخص السياحة الدينية ، لأنها تساعد في التعرف على ثقافات الآخرين ومد جسور الحوار معهم ، وهذا ما يحتاجه عالمنا الحاضر ، وينشده مستقبلنا الآتي.

فالدين الإسلامي فيه الكثير من السعة والفسحة والتسامح ، والدعوة إلى التعارف قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

والسياحة الدينية تساهم من جانب أول في التعرف على المعالم الأثرية والخصوصيات الدينية للمجتمعات الأخرى ، ومن جانب ثان تساعد بشكل فعال في ترسيخ ثقافة الحوار الذي يعتبر من أهم أسس نشر السلم والتعايش بين كل الشعوب على اختلاف مشاربهم العلمية وثقافتهم الفكرية.

وفي هذه الورقة المقترحة لهذا المؤتمر سأحاول الحديث وفق المحاور التالية:

المحور الأول – الإطار النظري : مفهوم السياحة الدينية.

المحور الثاني – السياحة الدينية في المنظور الإسلامي.

المحور الثالث - أثر السياحة الدينية في ترسيخ قيم الحوار والتسامح.

وفق الله المنظمين لهذا المؤتمر العلمي القيم وبلغهم المقصد المأمول.

المحور الأول – الإطار النظري : مفهوم السياحة الدينية :

وردت عديد النصوص الشرعية للحث على السير في الأرض والتأمل في ملكوت السماوات والأرض ، والنظر في عظمة هذا الكون الفسيح الذي يعتبر كل ما فيه من إبداع متقن وصنعة محكمة دليل على خالقه ، وآثار من آثار قدرته ، وآية دالة على وحدانيته. لذا أمرنا عز وجل بالسير في الأرض والتفكير في مكنون مصنوعاته تعالت قدرته وجلت عظمته. قال الله تعالى: ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20].

إن مفهوم السياحة من المنظور الإسلامي اعتماداً على الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المتضمنة لكلمة السياحة بجميع مشتقاتها أو ما يشير إلى هذا المعنى ، تعني التنقل والترحال من

مكان إلى مكان ، لأهداف محددة ومقاصد معينة ، منها ما يرتبط بأداء بعض العبادات كما هو الأمر في الحج والعمرة.. أو ما يعادل ذلك في الديانات اليهودية والمسيحية فلهم عدة أماكن يعتبرونها مقدسة يحجون إليها على مدار السنة ، وكذلك بعض الطقوس التي تقوم بها بعض التوجهات الإسلامية من زيارة لبعض الأماكن والأضرحة كما هو الحال في المذهب الشيعي.. وثمت أنواع وأشكال أخرى للسياحة الدينية منها ما هو اقتصادي تجاري ، ومنها ما هو علمي ثقافي ، إلى غير ذلك مما سيأتي الحديث عنه أثناء هذا البحث.

ولما كانت الألفاظ الواردة المرادفة للفظ السياحة أو المشاركة له في المعنى قد وردت بكثرة في القرآن الكريم أو السنة النبوية ، فإنه ينبغي الوقوف معها بالشرح والتحليل مع استعراض آراء المفسرين حولها ؛ كي يتضح معناها وضوحا لا يبقى معه أي لبس أو خفاء.

ذلك ؛ "لأن السياحة التي بمعنى التنقل في الأرض أصبحت متطورة ومتجددة ومتغيرة في وسائلها وأهدافها ، وعلى مر الزمان تبلورت عملية السياحة حتى أصبحت علما له استقلالته ومواده التي تدرس في الجامعات وصار هناك أقساما وكليات متخصصة في السياحة وما يستلزم منها كالفندقية والخدمات السياحية ، كما أنها تعتبر موردا اقتصاديا مهما لكثير من الدول خاصة الدول التي مقومات السياحة الطبيعية والمكتسبة من التطوير والتجهيز. وقد كان التنقل في الأمم السابقة شائعا ، بل إن الإنسان بطبعه لا يعيش لوحده وإنما في الجماعة ، ومن هنا كان البحث عن الجماعة التي يتوفر عندها أو معها أسباب العيش داعيا للتنقل". (الشبانة ، (2015) مفهوم السياحة في الإسلام: <https://kha1330.blogspot.com/>).

ولابد في البداية من تحديد مفهوم السياحة لما للمصطلح من أهمية بالغة وقيمة علمية عالية ، فهو أحد أركان العلم الأساسية ، لذا سأبين معنى كلمة السياحة من جهة اللغة والاصطلاح المتعارف عليه بين أهل الشأن ، وما يمكن أن يندرج تحته من مفاهيم ذات صلة بالموضوع.

1. مفهوم السياحة في اللغة العربية: السين والياء والحاء أصل صحيح ، يقال: ساح الماء يسبح سباحاً وسباحاً إذا جرى على وجه الأرض ، والسياحة الضرب في الأرض والتنقل من مكان إلى آخر ، يقال للرجل ساح في الأرض يسبح سباحاً إذا ذهب ، قال تعالى: ﴿ قَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة: 2] (ابن فارس ، (1979) 125/3). ابن منظور ، (2004) ، (493/2).

وأما السُّيُوح والسَّيْحَان والسَّيْح فقالوا: إنه مطلق الذهاب في الأرض ، سواء كان للعبادة أو غيرها. وفي الحديث: "لا سياحة في الإسلام". أورده الجوهري ، وأراد مفارقة الأمصار ، والذهاب في الأرض ، وأصله من سبح الماء الجاري ، فهو مجاز. ومنه المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام. وفي بعض الأقاويل ، كان يذهب في الأرض ، فأينما أدركه الليل صف قدميه وصلّى حتى الصباح. (الزبيدي ، (د. خ) ، (491/6).

وبالمعنى المختصر والجامع لكلمة السياحة فهي تعني: التنقل من بلد إلى بلد طلباً للتنزه أو الاستطلاع والكشف" (إبراهيم مصطفى وآخرون ، (د. خ) ، (467/1-2).

وبهذا يتبين أن معاني السياحة في اللغة هي مطلق الذهاب في الأرض والتنقل من مكان إلى آخر ؛ للعبادة أو للعمل والتجارة ، أو لطلب العلم ، أو للاستطلاع ، ومن أهم معاني السياحة المعاصرة السفر للترفيه والتنزه وزيارة الأماكن الجميلة والجذابة لتغيير الأجواء والاستجمام.

2. مفهوم السياحة من المنظور الإسلامي: إنه من خلال النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية نجد الكثير من النصوص الدالة على معنى السياحة بمفهومها الشامل، فهي تعني السير في الأرض، والتنقل من مكان إلى آخر، سواء تعلق الأمر بالسفر للدراسة وطلب العلم، أو أداء بعض القربات كالحج والعمرة، أو صلة الأرحام وزيارة الأقارب، أو للعمل والتجارة وطلب الرزق..

ومن جملة الآيات التي تشير إلى هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109]. والسير في الأرض هو للسياحة فيها، والسياحة في الأرض نوعان: سياحة اعتبار، وسياحة استثمار. ويعبر الحق سبحانه عن سياحة الاعتبار بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: 9]. ويعبر سبحانه عن سياحة الاستثمار بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20]. إذن: فسياحة الاعتبار هي التي تلفتك لقدرة الله سبحانه، وسياحة الاستثمار هي من عمارة الأرض، يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: 100]. وأنت مكلف بهذه المهمة، بل إن ضاق عليك مكان في الأرض فابحث عن مكان آخر، بحسب قول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: 97]. ولك أن تستثمر كما تريد، شرط ألا يلهيك الاستثمار عن الاعتبار. (الشعراوي (د. خ) 7132/13).

3. مفهوم السياحة المتعارف عليه في عالمنا المعاصر: تعرف منظمة السياحة العالمية UNWTO التابعة للأمم المتحدة، السياحة بأنها؛ نشاط السفر بهدف الترفيه، وتوفير الخدمات المتعلقة لهذا النشاط. والسائح هو ذلك الشخص الذي يقوم بالانتقال لغرض السياحة لمسافة ثمانية كيلومترا على الأقل من منزله. فالسياحة نشاط بشري يتضمن سفر الإنسان أو ترحاله أو قيامه برحلة للإقامة مؤقتاً ولفترة محدودة في مكان آخر بعيد عن مكان إقامته الأصلي سواء في بلده أو في بلد أجنبي، بغرض الترويح الذهني والجسماني، وهي تتأثر بعدة عوامل كالمواصلات، ودخل الفرد وثقافته ودرجة تحضره، والموقع والبيئة، وتوافر المعالم السياحية. والسياحة تمثل جميع أشكال السفر والإقامة للسكان غير المحليين، وانتقال الأفراد خارج الحدود السياسية للدولة التي يعيشون فيها مدة تزيد على أربع وعشرين ساعة وتقل عن عام واحد، على أن لا يكون الهدف من وراء ذلك الإقامة الدائمة أو العمل أو الدراسة أو مجرد العبور للدولة الأخرى. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون السياحة عبارة عن استخدام محدد لوقت الفراغ ولكل أشكال الاستجمام، وأنها تشمل معظم أشكال السفر، وما هي إلا حركة مؤقتة للسكان أو للناس إلى مناطق معينة خارج مناطق سكنهم وإقامتهم الدائمة، بحيث تشمل جميع النشاطات التي تمارس في المناطق المستهدفة وكذلك جميع الخدمات والتسهيلات التي تم توفيرها لممارسة هذه النشاطات. (صلاح زين الدين، (2016م): 6).

المحور الثاني – السياحة الدينية في المنظور الإسلامي: جاءت مشتقات مادة السياحة في القرآن الكريم في ثلاث مواضع، بصيغ مختلفة لمعان جليظة وأهداف سامية:

1. الآية الأولى جاءت فيها كلمة السياحة بصيغة الأمر قال الله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: 1-2]؛ والمعنى: "قل لهم سيحوا أي سيروا

في الأرض مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا أسر" ،
(القرطبي ، (1964) 8 / 64).

وفي عبارات بعض المفسرين أن قوله تعالى: (فسبحوا في الأرض) ، يعني اذهبوا فيها كيف شئتم وليس ذلك من باب الأمر ، بل المقصود الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف ؛ يعني أنتم آمنين من القتل والقتال في هذه الهدية. (الرازي ، (2000) 15 / 524).

فهذا أمر منه سبحانه بالسياحة بعد الإخبار بتلك البراءة والسياسة: السير ، يقال: ساح فلان في الأرض يسبح سياحة وسيوحاً وسيحاناً. (الشوكاني ، (2004) 2/380).

2. الآية الثانية وردت فيها لفظة السياحة بصيغة اسم الفاعل للمذكر ، وذلك في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112].

وقد استعرض الإمام فخر الدين الرازي كلام المفسرين في معنى لفظة السائحين مورداً عدة أقوال:
أ. القول الأول: قول عامة المفسرين: أن السائحين ؛ هم الصائمون. وقال ابن عباس: كل ما ذكر في القرآن من السياحة ، فهو الصيام. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "سياحة أمتي الصيام" ، وعن الحسن: أن هذا صوم الفرض. وقيل هم الذين يديمون الصيام.

وقد بين الفخر الرازي وجاهة هذا الرأي بقوله: وفي المعنى الذي لأجله حسن تفسير السائح بالصائم ، وجهان: الأول: قال الأزهري: قيل للصائم سائح ، لأن الذي يسبح في الأرض متعبداً لا زاد معه ، كان ممسكاً عن الأكل ، والصائم يمسك عن الأكل ، فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحاً. الثاني: أن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسبح والصائم يستمر على فعل الطاعة ، وترك المشتهي ، وهو الأكل والشرب والوقاع ، وعندني فيه وجه آخر ، وهو أن الإنسان إذا امتنع من الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات ، انفتحت عليه أبواب الحكمة ، وتجلت له أنوار عالم الجلال ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "من أخلص لله أربعين صباحاً ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه" فيصير من السائحين في عالم جلال الله المنتقلين من مقام إلى مقام ، ومن درجة إلى درجة ، فيحصل له سياحة في عالم الروحانيات .

ج. القول الثاني: أن المراد من السائحين طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم ، وهو قول عكرمة ، وعن وهب بن منبه: كانت السياحة في بني إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله .

ثم بين أثر السياحة بقوله: للسياحة أثر عظيم في تكميل النفس لأنه يلقاه أنواع من الضر والبؤس ، فلا بد له من الصبر عليها ، وقد ينقطع زاده ، فيحتاج إلى التوكل على الله ، وقد يلقى أفاضل مختلفين ، فيستفيد من كل أحد فائدة مخصوصة ، وقد يلقى الأكابر من الناس ، فيستحقر نفسه في مقابلتهم ، وقد يصل إلى المراتب الكثيرة ، فينتفع بها وقد يشاهد اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الأحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته ، وبالجملة فالسياحة لها آثار قوية في الدين .

د. القول الثالث: قال أبو مسلم: السائحون السائرون في الأرض ، وهو مأخوذ من السيح ، سيح الماء الجاري ، والمراد به من خرج مجاهدا مهاجرا ، وتقديره أنه تعالى حث المؤمنين في الآية الأولى على الجهاد ، ثم ذكر هذه الآية في بيان صفات المجاهدين ، فينبغي أن يكونوا موصوفين بجموع هذه الصفات. (الرازي: 154/16).

3. الآية الثالثة وردت أيضا بصيغة اسم الفاعل لكن للمؤنث وذلك في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُمْلِهَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ فَاِتِّمَاتٍ تَأْتِيْنَ غَائِبَاتٍ عَائِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: 5].

ذكر الإمام القرطبي: أن معنى (سائحات) صائحات ، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير. وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: مهاجرات. قال زيد: وليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة إلا الهجرة.

والسياحة الجولان في الأرض. وقال الفراء والقشيري وغيرهما: سمي الصائم سائحا لأن السائح لا زاد معه ، وإنما يأكل من حيث يجد الطعام. وقيل: ذاهبات في طاعة الله عز وجل ، من ساح الماء إذا ذهب. (القرطبي: 194/18).

وللسياحة في الإسلام أهداف جلية ومقاصد سامية أذكر جملة منها كالآتي:

-السياحة بمعنى السير في الأرض: وردت عدة نصوص وأثار تدل على هذا المهني منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كُتَابِ الناس فإذا وجدوا قواماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلي بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله: أي شيء تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك..." الحديث.. (ابن حنبل ، (2001) (د. خ): 389/12).

وفي القرآن الكريم الكثير مما يدل على معنى السير في الأرض للتأمل والاعتبار بخلق الله والتفكر في ملكوته ، فالإنسان يعيش على كوكب الأرض ويسير فيه معتبرا بعظيم صنع من دانت له السماوات والأرض سبحانه من حكيم خبير.

-السياحة من أجل الاستجمام وتغيير الجو : قال الله تعالى: ﴿إِلَّا لَفِ قُرَيْشٍ إِبِلًا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَأَمْتَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش: 4/1]. يقول الإمام القرطبي: "والرحلة: الارتحال ، وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء لأنها بلاد حامية ، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانوا يشتون بمكة لدفتها ، ويصيفون في الطائف لهوائها ، وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف ، فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة". (القرطبي: 206/20).

ويقول ابن العربي: "لما امتن الله على قريش برحلتين رحلة الشتاء والصيف ، رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ، ورحلة الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ، وقيل تنتقلها بين الشتاء والصيف إلى مكة والطائف ، كان هذا دليلاً على تصرف الرجل في الزمانين بين محلين ، يكون حالهما كل زمان أنعم من الآخر ، كالجلوس في المجلس البحري في الصيف وفي القبلي في الشتاء". (ابن العربي ، (2003): 4 / 451).

وهذا النوع من السياحة الذي يقصد الناس فيه جهة معينة وبلدا آخر غير الذي يقطنون فيه من أجل الاستجمام وتغيير الأجواء ، هو الوجه الأكثر انتشارا من أوجه السياحة المعاصرة ، حتى أصبحت الرحلات تسمى برحلات سياحية ترفيهية أو استجمامية. أو ما شاكل هذه العناوين. وأصبح اقتصاد كثير من الدول يرتكز عليه ، لأنه يحدث روجا واسعا ويشكل مصدرا أساسا لانتعاش كثير من القطاعات ، كوسائل النقل الجوي

والبحري والبري ، والخدمة الفندقية ، والمنتجات السياحية المعروفة عالميا ، وأصبحت الدول تتسارع في تهيئة أماكن ومساحات خاصة وأجهزة مناسبة لاستقبال أكبر عدد من السياح ، ومن الدول الأكثر استقطابا للسياح تركيا وماليزيا وقطر والإمارات والمغرب بالإضافة إلى عدد من الدول الأوروبية ودول شرق آسيا.

-السياحة لأجل طلب الرزق: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]. فالآية تحث الناس على السير في الأرض من أجل طلب الرزق ، فأرض الله واسعة من لم يجد العمل في مكان فليطلبه في مكان آخر.

-السياحة الثقافية ؛ لطلب العلم والمعرفة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" ، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه. (الترمذي ، (1998): 325/4).

-السياحة للطاعة وأداء بعض العبادات الشعائرية: وهي التنقل من بلد السائح إلى مكة لأداء الحج والعمرة بالنسبة للمسلمين. قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

هذه جملة من الأهداف التي تقصد من السياحة في الإسلام ، ويمكن إرجاعها إلى أربعة أغراض أساسية ، وهي: الغرض الاقتصادي: كالسفر للتجارة والعمل في بلدان أخرى غير البلد الأصلي للمسافر.

-الغرض الثقافي: كالسفر للدراسة وطلب العلم.

-الغرض التعبدي: كالسفر لأداء بعض العبادات مثل الحج والعمرة.

-الغرض الترفيهي: كالسفر للتنزه والاستجمام وتغيير الأجواء.

المحور الثالث - أثر السياحة الدينية في ترسيخ قيم الحوار:

تعد السياحة من أهم وسائل التعارف الإنساني ، ونشر قيم التسامح والتعايش بين بني الإنسان ، مهما اختلفت ألوانهم وأشكالهم ، وتناعت بلدانهم ، وتنوعت ديانتهم وتقاليدهم ، وتعددت ثقافتهم ، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]. فهذا النص القرآني الكريم واضح في الدعوة إلى التعارف الإنساني ، فالله تعالى هنا خاطب الإنسانية جمعاء ودعاها إلى التعارف ، فعلة كونهم شعوبا وقبائل هو التعارف ، والتعارف وسيلة للتعايش والتسامح ، والسياحة تعتبر من أهم وسائل التعارف ونشر قيم الحوار والتسامح والتعايش.. فالإسلام يكرم الإنسان مهما كان لونه أو شكله أو ثقافته وحتى ديانته وتقاليدته.

ويجربنا الحديث عن أثر السياحة في ترسيخ قيم الحوار والتسامح إلى الرجوع للسيرة النبوية الشريفة التي تعتبر التطبيق العملي للقرآن الكريم والسنة القولية الصحيحة ، فعند ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، - وهذا يعد نوعا من السياحة الدينية على اعتبار أن الباعث لهذه الهجرة ، هو الفرار من بلد أؤذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم إلى بلد ينعمون فيه بالحرية ،

ويتمكنون فيه من أداء شعائرهم في أمن وطمانينة-، فأقام النبي عليه الصلاة والسلام أسس المجتمع الجديد على ثقافة الحوار والتعايش السلمي الذي يضمن حرية جميع الطوائف .
فمن جانب ؛ المسلمون من مهاجرين وأنصار ، ومن جانب آخر اليهود والنصارى ، وقد كانت هناك حروب دامت لسنين طوالا بين قبائل العرب وبالأخص قبيلتي الأوس والخزرج في الجاهلية منها يوم بعاث ، ويوم الدرك . (كحالة ، (1994): 50/1).

وكانت إذا وقعت الحرب بينهما "خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم ، (اليوسفي ، (2000): 79/2).
فألف النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وأخى بين الأنصار فيما بينهم ثم بينهم وبين المهاجرين ، ثم وضع دستورا للتعايش بين المسلمين فيما بينهم ، إضافة إلى من يشاركهم العيش في نفس البقعة من غيرهم ، كقبائل اليهود المشهورة كبنو قينقاع وقريظة والنضير ، أو النصارى كنصارى نجران ، وقد قام هذا الدستور على ترسيخ قيم الحوار والتسامح والتعايش السلمي ، فكل من آذى شخصا ينتمي إلى عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة (يثرب = المدينة المنورة) أيا كانت ديانته ، فكأنما اعتدى على الجميع .

وكي تتجلى لنا أهمية الدستور الجديد الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم قصد تنظيم المجتمع الجديد ، أورد أهم البنود التي تضمنها هذا الدستور وهي ترتبط بترسيخ ثقافة الحوار والتعايش بين المسلمين وغيرهم:
1. يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ «بهلك» إلا نفسه وأهل بيته.

2. إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

3. من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن ، إلا من ظلم وأثم.

4. إن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره ، وإن الله جار لمن برّ واتقى. (البوطي ، (2006): 150).

والدارس لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد فيها الكثير من الوقائع التي تدعو إلى نشر ثقافة الحوار والتعايش ، ومما له علاقة وطيدة بموضوعنا مما يرتبط بالسياحة والانتقال من بلد إلى آخر وهو متضمن لثقافة الاعتراف بالآخر ، ونشر قيم التسامح ، وكمثال لذلك أذكر نموذجا من النماذج المشرقة التي رسخت هذا المعنى ؛ هجرة المسلمين إلى الحبشة ، فلما اشتد الأذى بالمسلمين من قريش أمر النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بالهجرة إلى الحبشة ، وما اختيار الحبشة إلا لوجود ملك فيها لا يظلم عنده أحد ، هذه هي الهجرة الأولى للمسلمين خارج مكة في فجر الإسلام ، والهجرة سفر وانتقال من بلد إلى بلد فرارا من الجور والظلم ، من أجل البحث عن الاطمئنان والاستقرار والعيش الآمن ، وما ذاك إلا نوع من أنواع السياحة الدينية ، بل هو من أعظم مقاصدها وأهدافها.

وما كاد المسلمون يصلون إلى أرض الحبشة حتى كانت قريش قد وصلها الخبر ، فقرر زعمائها الوشاية بهؤلاء الهاربين كما سموهم ، وهم في الحقيقة فارون من جحيم الظلم والجور إلى البحث عن السلم والأمان. "وقد اختارت قريش رجلين جلدلين لببيين ، وهما: عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة - قبل أن يسلموا- وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقه ، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة ، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون ، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يسيروا على النجاشي

ياقصاصهم ، حضرا إلى النجاشي ، وقدمنا له الهدايا ثم كلمناه ، فقالا له: أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم ، لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه . وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك! فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم .

ولكن رأى النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية ، وسماع أطرافها جميعا ، فأرسل إلى المسلمين ، ودعاهم ، فحضروا ، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنا ما كان . فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟

قال جعفر بن أبي طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين -: أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل منا القوي الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه ، وأما به ، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمانا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدنا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشي: فأقرأه عليّ. فقرأ عليه صدرا من كهيعص ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون- يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه- فخرجا ، وقال عمرو بن العاص لعبد الله بن ربيعة: والله لآتينهم غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن ربيعة: لا تفعل ، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا ، ولكن أصر عمرو على رأيه .

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ، ففزعوا ، ولكن أجمعوا على الصدق ، كائنا ما كان ، فلما دخلوا عليه ، وسألهم قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشي عودا من الأرض ، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقتة ، فقال: وإن نخرتم والله .

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي- والشيوم: الأمنون بلسان الحبشة- من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبرا من ذهب وأني أذيت رجلا منكم- والدبر الجبل بلسان الحبشة .

ثم قال لحاشيته: ردّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . قالت أم سلمة التي تروي هذه القصة: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاؤوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار . (المباركفوري ، (بلا. ط): 83).

وإذا تأملنا سيرة الأنبياء والمرسلين نجد أن غالبهم خرج سائحا في الأرض وهاجروا من بلد إلى آخر ، فهاهو سيدنا إبراهيم هاجر من بابل بأرض العراق إلى فلسطين ثم مصر برفقة زوجته سارة وابن أخيه نبي الله لوط عليهم السلام.

وها هو سيدنا موسى عليه السلام يهاجر هربا من فرعون وجنوده إلى أرض مدين والتقى نبي الله شعيبا عليه السلام ، كما أن نبينا أمر أصحابه بالهجرة للحبشة وخرج هو من مكة إلى الطائف ولقي من أهلها ما لقي ، ثم يهاجر الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة.

كما أن بعثه للرسول إلى الملوك والقيصرة والزعماء والأكاسرة ليعتبر صورة من صور السياحة الدينية في الإسلام ، كما أن استقباله للوفود وبعثه للدعاة والمعلمين إلى القبائل والأقاليم لهو في حد ذاته نموذج من نماذج السياحة في الإسلام.

وبالجملة فإن السياحة الدينية لها أثر كبير في ترسيخ قيم الحوار والتسامح ، ونشر ثقافة التعايش السلمي بين سائر المجتمعات ، فالإنسان عند ما يحتك بالآخر ويعيش معه في نفس البلد يعرف ثقافته وخصوصياته ، ذلك لأن لكل بلد تقاليده الدينية والثقافية.

وما زيارة البابا فرنسيس للمغرب إلا نوع من أنواع السياحة الدينية ، ومما يؤكد هذا المعطى أن زيارته لم تقتصر على الجانب السياسي فحسب ، بل برمج له في هذه الزيارة لقاء في معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات ، لأن هؤلاء الأئمة المكونين الذين سيصبحون سفراء بلدهم في العالم.

إننا اليوم أصبحنا مطالبين أكثر من أي وقت مضى بنشر ثقافة الحوار وترسيخ قيم التعايش والتسامح بين بني الإنسان ، خصوصا وأن العالم أصبح عبارة عن قرية صغيرة لها شهده من تقدم تكنولوجي هائل ، أصبح الإنسان يحمل في جيبه أو حقيبته آلة يشاهد من خلاله العالم كله بمجرد الجر بأنمولة أصعب على زجاجة هاتف ، ويمكنه الاطلاع على ثقافة الآخرين من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.

ووسائل السفر أصبحت في متناول غالب الناس ، كما أن هناك جهات متعددة يختارها معظم المسافرين كل حسب قصده سواء كان دينيا ، أو ثقافيا ، أو اقتصاديا ، أو ترفيهيا.. وهذا كله يدعو إلى تثقيف الناس وتوعيتهم بأهمية الحوار ومساهمته الفعالة في نشر قيم التعايش والتسامح..

قائمة المراجع:

- ابن العربي المعافري. أبو بكر محمد بن عبد الله. (2003م). أحكام القرآن. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط: 2. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد. (2001). مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط. 1. مؤسسة الرسالة: بيروت.
- ابن فارس. أبو الحسن الرازي القزويني. (1979). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر: دمشق.
- ابن منظور. أبو الفضل محمد بن مكرم. (2004). لسان العرب. (ط: 3) دار صادر: بيروت.
- البوطي. محمد سعيد رمضان. (2006). فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. ط. 25. دار الفكر: دمشق.
- الترمذي. محمد بن عيسى. (1998). سنن الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي: بيروت. (بلا. ط).

- الرازي. محمد بن عمر فخر الدين الرازي. (2000). مفاتيح الغيب. ط: 2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
-الزيدي. محمد بن عبد الرزاق. (د. خ). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.
-الشبابة. خالد بن محمد. (2015). مفهوم السياحة في الإسلام. مدونة الكاتب خالد الشبابة:
<https://kha1330.blogspot.com/>
-الشعراوي. محمد متولي. (د. خ) الخواطر تفسير الشعراوي. ط: مطابع أخبار اليوم.
-صلاح زين الدين. (2016م). دراسة لفرض وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر. مقال مقدم للمؤتمر العلمي الدولي
الثالث: القانون والسياحة. المنعقد بتاريخ: 26-27 أبريل 2016م.
-القرطبي. أبو عبد الله محمد بن فرح. (1964). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط: 2. دار
الكتب المصرية: القاهرة.
-كحالة. عمر بن رضا. (1994). معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ط: 7. مؤسسة الرسالة: بيروت.
-المباركفوري. صفي الرحمن. (بلا. ط) الرحيق المختوم. ط: 1. دار الهلال: بيروت.
-مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إبراهيم مصطفى. وآخرون.. (د. خ) المعجم الوسيط.
-اليوسفي. محمد هادي. (2000). موسوعة التاريخ الإسلامي. ط: 1. مطبعة: باقري.

التعليم العالي في الجزائر: بين طموحات الجودة وقنوات الفساد

The higher education in algeria: Between the Quality Ambitions and Corruption Channels

د. آمال بنون

كلية العلوم الاقتصادية ، التجارية وعلوم التسيير - جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل - الجزائر

مقدمة:

أخذت جودة التعليم العالي في الجزائر تطفو على السطح في الأعوام الأخيرة مع تذييل مؤسسات التعليم العالي الترتيب في كل التصنيفات العالمية المعنية بالجودة ، والأداء الجامعي المتميز. في وقت ، كرسست وزارة التعليم العالي عددا لا بأس به من المخابر والبرامج البحثية التي ضمت آلاف الأساتذة الباحثين من مختلف التخصصات. من جهة أخرى ، واكب هذه الموجة ارتفاعا كبيرا في عدد المقاعد البيداغوجية التي ميزها عدد مؤسسات التعليم العالي الذي ارتفع إلى 106 مؤسسة بتعداد طلابي تجاوز المليون و700 ألف طالب. في خضم هذه الأرقام ، وجدت الهيئة التدريسية نفسها أمام زحف طلابي بمواصفات علمية متباينة كرسستها إستراتيجية التعليم المتبعة من قبل وزارة التربية الوطنية.

مشكلة الدراسة:

بين رهان الجودة الذي تنشده مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ، وتحدي الممارسات اللامسؤولة التي صارت تميز أروقة هذه المؤسسات من قبل الكوادر البشرية العاملة إن كانوا أساتذة أو إداريين ، يطرح التساؤل التالي:

هل تراجع مستوى التعليم العالي في الجزائر نتيجة ضعف قنوات الجودة على مستوى الجامعات أم أن الممارسات اللامسؤولة هي السبب في ذلك؟

أهداف البحث:

-تسليط الضوء على واقع التعليم العالي في الجزائر ؛

-إبراز قنوات الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ؛

-توضيح الممارسات اللامسؤولة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ؛

أهمية البحث: تميز العقد الثاني من بداية الألفية الثالثة في الجزائر ، بتركيز الجهود على ضمان الجودة في مختلف القطاعات الاقتصادية ومنظمات الأعمال التي تقود ركب الاقتصاد في الجزائر. ولأن مخرجات التعليم العالي ، تمثل المورد الاستراتيجي الذي يعول عليه في قيادة قاطرة البناء والتشييد في اقتصاد يتوفر على كافة الإمكانيات التي تسمح بتحقيق أفضل أداء للاقتصاد الجزائري لا على المستوى العربي والإفريقي فقط ، وإنما على المستوى العالمي. لكن هذه الجودة في مؤسسات التعليم في الجزائر تواجه العديد من التحديات والرهانات المرتبطة بتوفير بيئة تعليم عالي خالية من الممارسات اللامسؤولة ، والضغط القسرية من قبل بعض المحسوبين على تيارات فكرية حتى لا نقول سياسية بعينها أفرز شرخا في الأهداف المسطرة والأهداف

المحقق في مؤسسات جامعية عرفت كيف تزيد من الكم البشري والبنى التحتية مع إنقاص الكم النوعي بشكل فاق التوقعات.

1. إحصاءات عامة حول قطاع التعليم العالي في الجزائر: تمكن قطاع التعليم العالي في الجزائر من تحقيق إنجازات كمية معتبرة منذ فجر الاستقلال وإلى يومنا هذا. وربما بداية الألفية الثالثة، كانت بوصلة مهمة لهذه الإنجازات التي ارتكزت على بعدين رئيسيين: زيادة عدد الطلبة وعدد مؤسسات التعليم العالي، وما تعلق بهما من بنى تحتية مكتملة. وشهد عدد الطلبة ومؤسسات التعليم العالي في الجزائر نموا ملحوظا وتغيرا واضحا من حيث الجندر.

الجدول رقم (1.1): عدد الطلبة تبعا لأعوام مختارة

2375	1962
407,995	2000
1,730,000	2018

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على: <http://www.el-massa.com/dz/index.php/Component>

من الجدول، نلاحظ أن عدد الطلبة تضاعف بحوالي 172 مرة العام 2000 مقارنة بعام 1962، وبحوالي 728 مرة العام 2018 مقارنة بذات العام أي 1962. وترجع الزيادة الملحوظة في عدد الطلبة خاصة مطلع الألفية الثالثة لتحسن مؤشرات الأداء الاقتصادي، وتوجيه الدولة جهودها نحو النهوض بهذا القطاع خاصة مع الانفتاح الذي شهدته الجزائر على الاقتصاد العالمي وانحراطها في الفعاليات المعنية بتطوير التعليم بمختلف أطواره. وهذا ما حاولت تجسيده ضمن مخططات التنمية الأربعة، التي عكست لحد ما ذلك المنحى التصاعدي نحو التركيز على بناء اقتصاد قائم على المعرفة.

الجدول رقم (2.1): عدد مؤسسات التعليم العالي

جامعة واحدة ومدرستين	1962
53 مؤسسة جامعية (منها 18 جامعة)	2000
106 مؤسسة جامعية (50 جامعة، 13 مركزا جامعيًا، 32 مدرسة عليا و 11 مدرسة عليا للأساتذة)	2018

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، تاريخ التصفح: 2019/07/01، متوفر على الرابط: www.mesrs.dz

يلاحظ من الجدول، ارتفاع عدد المؤسسات الجامعية في الجزائر من ثلاث مؤسسات عام 1962 إلى 53 مؤسسة عام 2000، ليصل العدد لـ 106 مؤسسة جامعية عام 2018. وبلا حظ، تنوع المؤسسات الجامعية ما بين جامعة، ومراكز ومدارس الذي كان نتيجة منطقية لمسار التغيير الذي شهده القطاع سواء من حيث طبيعة التخصصات المدرجة أو من حيث الأهداف التي تسعى إليها الوزارة في مجال التحسين المستمر لمناهج التعليم وتخريج كوادر بشرية قادرة على المنافسة ليس فقط في الجزائر، ولكن في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء بالإضافة إلى ارتفاع حجم الإنفاق على البنى التحتية التي تكون القطاع.

الجدول رقم (3.1): مؤشر الجندر في التعليم العالي لعامي 2000 و2018

النسبة المئوية	2018	النسبة المئوية	2000	
62.50	1,081,250	51.11	208,523	عدد الإناث
37.50	648,750	48.89	199,472	عدد الذكور
100	1,730,000	100	407,995	المجموع

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على: <http://www.el-massa.com/dz/index.php/Component>

يلاحظ من خلال الجدول ، سيطرة عنصر الإناث على المقاعد البيداغوجية في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر وقد ارتفعت النسبة عام 2018 بشكل لافت لتصل بـ 62.50 % مقارنة بـ 51.11 % عام 2000. وتعددت التفسيرات التي قدمت لارتفاع نسبة الإناث مقارنة بالذكور حيث أرجعها البعض للظروف الاقتصادية السائدة ، والتي جعلت العديد من الذكور يبحثون عن العمل بعيدا عن إكمال دراستهم. فيما يرى طرف آخر ، أن السبب راجع لتفوق الإناث على الذكور في مراحل التعليم الثانوي وقدرتهن على الاستيعاب والحفظ مقارنة بالذكور ،... الخ.

الجدول رقم (4.1): إحصاءات حول الخدمات الجامعية المقدمة للطلبة

960,958	عدد الطلبة المستفيدين من المنحة
492,457	عدد الطلبة المستفيدين من الإيواء
963,480	عدد الطلبة المستفيدين من النقل الجامعي
1,115,900	عدد الطلبة المستفيدين من الإطعام الجامعي

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على إحصاءات الديوان الوطني للخدمات الجامعية ، تاريخ التصفح:

www.onou.dz ، متوفر على الرابط: 2019/07/02

تبرز معطيات الجدول ، حجم الخدمات الجامعية التي يستفيد منها الطلبة والتي تتنوع بين الإيواء ، النقل ، الإطعام والحصول على المنحة. وتعد هذه الخدمات (باستثناء المنحة) ، خدمات شبه مجانية توفرها الجزائر للطلبة بغض النظر عن التساؤلات التي تطرح بشأن جودتها ومدى مطابقتها للمعايير المعمول بها عالميا التي يفسرها البعض بضرورة التخلي على مجانية التعليم لتكون الخدمة ذات جودة. والارتفاع الملاحظ في المؤشرات الأربعة مرتبط بعدد الطلبة الذين استقبلتهم المؤسسات الجامعية في الأعوام الأخيرة.

2. دواليب الفساد في مؤسسات التعليم العالي: لم يكن الفساد في قطاع التعليم العالي مجرد فقاعة إعلامية أطلقتها الأبواق المحسوبة على تيارات معينة في الجزائر ، بل كان حقيقة أثبتتها الدراسات الميدانية التي أجريت من قبل العديد من الباحثين في مختلف مؤسسات التعليم العالي أكانت جامعات ، مراكز جامعية أو مدارس عليا وسواء كانوا منضوين تحت لواء الهيئة التدريسية أو الإدارية ، أو ذي صلة بالخلايا المسؤولة عن ذلك.

1.2 السرقة العلمية: من أخطر الجرائم العلمية التي يشهدها التعليم العالي في الجزائر. هذه الجريمة ، تقوض أسس المعرفة وبناء المورد البشري وتفرغ العملية التعليمية من محتواها بشكل كلي. لم تكن السرقة العلمية

محل جدل أو ذكر في العقود الماضية، خاصة مع غياب قانون واضح يحدد حيثيات هذه الجريمة وتفاصيلها والعقوبات الناتجة عن ارتكابها.

لكن مع التطور الذي عرفته الجامعة الجزائرية، وتزايد عدد الأساتذة الباحثين فضلا عن الطلبة ظهرت مشكلة التراكم الكمي في البحوث العلمية، وتكرار المواضيع بمحتواها من مؤسسة جامعية إلى أخرى دون أن يكون هناك إدارة مستقلة لهذه البحوث وتنقيح محتوياتها أو لجنة رقابية تشرف على متابعة الإنتاج العلمي (قياسا على أطروحات الدكتوراه ومذكرات الماجستير لها بعد التدرج)، ما وفر البيئة الملائمة للممارسات غير المسؤولة من قبل بعض الباحثين سواء كانت ممارسات مقصودة (سرقة عنوان أو محتوى لباحث أجنبي وإسناده لشخصه، أو تغيير في معطيات متعلقة بدولة لحساب دولة أخرى أو شركة لحساب شركة أخرى)، أو غير مقصودة (عدم المعرفة بأبجديات التهميش، ضعف الإلهام بالجوانب المنهجية في كتابة عمل بحثي، الاستعانة بآراء باحثين والتصرف في ذلك دون الإشارة إليهم،...الخ).

2.2 الأعمال البيداغوجية والمناصب الإدارية: تزخر مؤسسات التعليم العالي بكم هائل من المناصب الإدارية والبيداغوجية ذات الشأن المرتبط بالأساتذة والطلبة على حد سواء، والذي كان مجالاً خصبا للعديد من التصرفات والأفعال غير النزيهة وغير المسؤولة من قبل البعض الذين انعدمت عندهم القيم الأخلاقية. وصار تغليب المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة أولوية تقتضي التضحية بالقوانين وأخلاقيات المهنة أيا كانت النتائج المترتبة عن تلك الأفعال.

رؤساء الأقسام واللجان العلمية والمجالس العلمية، من بين المناصب التي تحظى باهتمام كبير من قبل شريحة عريضة من الأساتذة باعتبارها تمنحهم مزايا تفضيلية وحصانة علمية إن صح التعبير، وتمكنهم من تمرير بعض الأمور المتعلقة بمجالس: الإشراف العلمي، تقييم ملفات التأهيل، وتعيين لجان الخبرة لملفات التأهيل والمطبوعات فضلا عن لجان الخبرة لمناقشات الدكتوراه. وإن تعالت الأصوات، بأن عمليات الانتخاب تشوبها النزاهة والشفافية، وأن عملية الاختيار للمحكمين،...الخ تتم بشكل شفاف وبمصادقية ودون محاباة إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك حيث تراعى المصالح الشخصية على حساب المصلحة العلمية، وتمنح الأفضلية وفقا لحسابات مدروسة.

رؤساء الملتقيات واللجان العلمية للملتقيات، تنظم مؤسسات التعليم العالي في الجزائر سنويا عشرات الملتقيات والمؤتمرات العلمية التي تتنوع بين الدولية والوطنية، وتحظى بمشاركة من قبل جميع الأساتذة من مختلف الأصناف فضلا عن طلبة الدكتوراه.

ومن الناحية النظرية، فإن هذه الملتقيات تمثل دفعة قوية نحو البحث العلمي وتعزيز الاقتصاد المبني على المعرفة خاصة مع تعدد اختصاصاتها والأهداف التي تسعى لتحقيقها. لكن للأسف الشديد، صارت هذه الملتقيات بمثابة خزان لاستيعاب العديد من البحوث التي لا ترقى لأي مستوى، ولا تحظى بأي أهمية ولا تضيف أي قيمة أو إسهام في البحث العلمي حيث قسم كبير من البحوث يتم قبولها من قبل اللجان العلمية بناء على توصيات دون الاهتمام بفحواها ولا دلالتها العلمية وبعضها لا يستوفي حتى معايير البحث العلمي لكنها تمر مقابل مصالح شخصية بعيدة كل البعد عن المصلحة العلمية وتغليب الموضوعية على الذاتية.

من ناحية أخرى ، صارت العديد من الملتقيات متشابهة والاختلاف بسيط سواء في مفردة أو مفردتين ، أو في الصياغة لكن المحتوى هو نفسه. وهذا ما مهد الطريق أمام العديد من الباحثين لتكرار نفس البحث بتغيير طفيف خاصة مع غياب رقابة للمعروض العلمي أو وجود منصة الكترونية تستوفي جل الفعاليات العلمية التي تنظمها الجامعات ، وهذا ما أسهم في تدهور جودة مخرجات هذه المؤتمرات .

3.2 سوء إدارة الموارد المالية: ليس من السهل تناول هذا الجانب أو الخوض فيه بالنظر لحساسيته ، وتعبده خاصة ما يطرح من قضايا متشابكة مرتبطة بمختلف المجالات التي تكون الجامعة الجزائرية سواء العلمية منها أو المادية. ومن بين المجالات التي يمكن أن يلحظ فيها سوء إدارة الأموال ، واستخدامها بطريقة غير عقلانية ، أو استغلال الثغرات الموجودة على مستوى طرق العمل ، نجد:

تضم الجامعة الجزائرية عشرات مخابر البحث موزعة عبر كل التخصصات بفرق بحث ذات تركيبة بشرية يفترض فيها مراعاة الخصوصية العلمية ، والتوجه العلمي للأستاذ الباحث أو الباحث الدائم أو طالب الدكتوراه. هذه المخابر ، تكلف الخزينة سنويا ملايين الدينارات توزع تبعاً للتظاهرات العلمية التي يجريها المخبر ، حتى لا نتحدث عن الراتب الذي يتقاضاه الباحث الدائم ضمن المخبر (وهذا ليس موضوع حديثنا).

من أهداف المخابر ، تنظيم البحث العلمي وتوسيع دائرة التعاون في شتى المجالات العلمية التي تسهم في تطوير شبكة المعارف لدى المؤسسة الجامعية ، والإسهام في معالجة القضايا التي تؤثر في الاقتصاد الوطني بحكم الأعمال المنجزة من قبل كل فريق فضلا عن المؤتمرات العلمية والأيام الدراسية التي تنظم تحت لواء المخبر ، وتحظى بدعم لا مشروط يضاف إليها استفادة الباحثين المصنوعين تحت لواء المخبر من مكافآت مالية لتأدية مهامهم وإجراء بحوث خارج الوطن .

بيد أن الواقع ، يثبت أن قسم كبير من هذه المخابر لم يحقق الحد الأدنى من أهدافه ، وأن ما ينفق على التظاهرات العلمية التي تنظم ضمن هذا المخبر أكثر بكثير من المتوقع والمنجز كما أن إدارة الموارد المالية لهذه المخابر تحظى بتكتم وسرية من قبل المسؤولين على هذه المخابر مع أن الأمر يقتضي شفافية في إقرار مصدر كل دينار تم إنفاقه ، وكل دينار تم تحصيله وأي القنوت كانت سببا في ذلك. من ناحية أخرى ، يحصل بعض أعضاء فرق البحث سنويا مكافآت مالية نظير انجازاتهم العلمية ، وإسهاماتهم في بلورة حلول لقضايا تم طرحها ضمن فرقهم. لكن ذلك ، ليس واردا لدى الغالبية وحتى لا يكون التعميم هو الفيصل ، فنحن نقيس على تخصص العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير الذي صار تخصصا بمخابر متشابهة في محتوياتها ، والأهداف المسطرة من وراء إنشائها.

مشاريع البحث التي تقرها الوزارة كل عام ، والتي تدوم مدة 04 سنوات ، وهي نافذة إستراتيجية لتطوير البحث العلمي وترقية العمل الأكاديمي في المؤسسات الجامعية ، والإسهام في تقديم إنتاج علمي قادر على معالجة مختلف القضايا التي تمس قطاعات الاقتصاد الوطني في ظل تنوع هذه المشاريع.

وتحظى هذه المشاريع بميزانية كبيرة من قبل الوزارة موجهة لدعم جهود الباحثين في انجاز مشاريعهم ، لكن بين الموارد المالية والمشاريع البحثية ثمة هوة سحيقة تعكس حجم التحديات التي تواجه الوزارة في ضبط هذه الموارد وجعلها تصرف تبعاً للأهداف الفعلية من كل مشروع بحثي ، وليس فقط مرتبطة بالعضوية في المشروع البحثي.

وإذا أخذنا مختلف مؤسسات التعليم العالي في الجزائر حينها لا يمكن معرفة الرقم الحقيقي للموارد المالية الموجهة لمشاريع البحث ، وإذا ما كانت فعلا الوزارة الوصية تعتمد مخطط العمل الذي أعدته في تعاملها مع المشاريع البحثية.

ميزانية التسيير والتجهيز، يحظى هذا الجانب بأهمية إستراتيجية لإنجاح العملية التعليمية، العلمية والإدارية في الجامعة الجزائرية. وتعد الموارد المالية المخصصة لتجهيز المؤسسات الجامعية بمختلف التجهيزات الالكترونية والعتاد المادي مهمة بشكل رئيسي. ورغم أن ميزانية وزارة التعليم العالي ، تعتبر ميزانية متواضعة مقارنة بنظيرتها في الدول النامية حتى لا نقول المتقدمة إلا أن ذلك لا يمنع من حقيقة سوء إدارة هذه الموارد من ناحية التجهيز أين يتم التركيز على اقتناء التجهيزات ذات الجودة المتوسطة ، والتي تمتاز بأعمارها الضعيفة وتعرضها للأعطاب باستمرار مما يستدعي الصيانة المستمرة ، وبالتالي ، تكبد مبالغ إضافية فيما لو تم شراء أجهزة ذات جودة مرتفعة وبأعمار طويلة وأسعار مرتفعة سيكون هناك ضمان أكبر لعملها ، ومن ثم ، إدارة جيدة للموارد المالية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، في الامتحانات الدورية التي تجرى يتم استهلاك آلاف الأوراق ، جزءا منها يصير هباء منثورا في دلالة صارخة لسوء التسيير وضبط الاستخدام. وربما وجه التناقض ، أن الاستهلاك مرتفع من أوراق الامتحانات في وقت بعض الأوراق التي تستخدم كرديف للورقة الرئيسة ذات نوعية سيئة جدا. وهذا ما يطرح التساؤل بشأن كيفية إدارة الموارد المالية في هذا المنحى.

4.2 غياب الرقابة بأنواعها وعدم تطبيق القوانين: تعد الرقابة الإدارية والمالية وما تبعها مهمة جدا في تحقيق الجودة على مستوى المؤسسة الجامعية ، ومحاربة مختلف القضايا التي تؤثر في سير العملية العلمية والبيداغوجية داخل أسوار المؤسسة الجامعية: هل تتوفر الجامعة الجزائرية على لجان للرقابة المالية والإدارية ، تقوم بمهامها وتحدد الأخطاء وتصوبها أم أنها رقابة اسمية أكثر منها عملية ؟

ليس سهلا الحكم بغياب الرقابة ، لأن ذلك سيكون حكما معهما وغير أخلاقيا بسبب أن الواقع يثبت أن بعض المؤسسات الجامعية في الجزائر تمكنت من تكريس قدر كبير من هذا الجانب بشكل جيد ، وتمكنت من ضبط أمور عديدة متعلقة بتوجيه هذه الأموال توجيها صحيحا ، وإلى المجالات المحددة لها ، والإشراف المستمر على تتبع كيفية استخدام هذه الأموال بشكل كفاء وفعال.

ولا تنحصر الرقابة في الجانب المالي فقط ، وإنما الرقابة الإدارية لها دورا محوريا في اكتشاف الأخطاء والانحرافات التي يمكن أن يقوم بها الموظف ضمن وظيفته ، والتي يمكن أن تكون لها آثارا وخيمة على سير العمل الإداري برمته ، البيداغوجي والعلمي. وفي هذا المنحى ، يمثل عدم احترام الوقت والالتزام بالمواعيد أثناء التدريس خصيصة متعارف عليها في المؤسسات الجامعية الجزائرية ، وإن اختلفت حدتها من مؤسسة إلى أخرى إلا أن ذلك أمرا واقعا له انعكاسات متعددة على المسار العلمي للطالب ، وعلى إنهاء المقررات الدراسية. والأهم ، تصدير قيم سلبية للطالب تتم عن عدم الانضباط والالتزام وتحمل المسؤولية من قبل الأستاذ الجامعي الذي من المفروض أن يكون قدوة ليس في جانبه العلمي ولكن في سلوكياته وتحضره.

تزخر الجامعة الجزائرية بترسانة من القوانين واللوائح التنظيمية لسير العمل البيداغوجي ، والعلمي والإداري. وتقر بجملته من العقوبات التي ترتكب على مستوى المؤسسات الجامعية سواء كانت متعلقة بمخالفات ، جنح

أو جرائم. وكل عام تقريبا، ترسي الوزارة قواعد جديدة مرتبطة بالبحث العلمي والتكوين الجامعي سواء للأستاذ أو الطالب؛ هذه القواعد، باتت تشكل مادة دسمة في يوميات الأستاذ الجامعي تحديدا.

من قوانين متعلقة بالتوظيف وصولا إلى التأهيل الجامعي إلى قوانين متعلقة بتنظيم عملية انتقاء الطلبة وإجراء الامتحانات والمداولات. ورغم أن القوانين واضحة ومحددة إلا أن تطبيقها وتفعيلها أحيانا يغيب بشكل كلي أو تطبق وتنفذ في حالات معينة، وعلى أشخاص معينين دون سواهم. وهذه الحالة ليست عامة، وإنما تحدث أحيانا في بعض المؤسسات الجامعية حتى لا نقول في سائر المؤسسات أين ينتفي تطبيق القوانين في مخالفات تقتضي فعلا العقاب أيا كان نوعه. وفي أحيان أخرى، تطبق القوانين في مواقف معينة دون سواها، وهذا ما أبطل مصداقية العديد من القوانين واللوائح التنظيمية.

3. مجالات ضمان الجودة في الجامعة الجزائرية: يعد مفهوم الجودة، من المفاهيم المتشعبة والتي تتخذ أبعادا عديدة في دلالتها والتعبير عن مضامينها. ولأن الجودة، تعبر في الغالب عن النوعية الجيدة، والاختيار الأمثل والتحسين المستمر فإنها في الجامعة، تعد بمثابة تأشيرة مهمة لتحقيق أفضل النتائج، وابتكار منتجات متميزة.

1.3 التوجيه المدروس للطلبة: يعد اختيار الطالب (ة) للتخصص المراد دراسته من القنوات المهمة في ضمان جودة التعليم العالي لأن التلاؤم بين رغبة الطالب، والتخصص شرط أساسي لقدرة هذا الطالب على تقديم أفضل النتائج، والإسهام في التحصيل العلمي الجيد، وتحفيز الهمة التدريسية على تقديم أفضل ما لديها مما يعد قوة محرّكة لتنشيط عجلة البحث العلمي، وتوسيع دائرة المعارف لدى الأستاذ والطالب على حد سواء.

إذا أخذنا الجامعة الجزائرية نموذجا، سنجد أن نسبة معتبرة من الطلبة توجه إلى تخصصات لا تتلاءم مع رغباتهم، ويجبرون على دراستها وهذا الأمر مرتبط بالشروط التوجيهية لكل تخصص والتي ترتكز أساسا حول:
-نوع الشعبة التي تم دراستها في المرحلة الثانوية؛
-معدل البكالوريا الذي تم الحصول عليه؛
-المعدل الأدنى للقبول في التخصص الجامعي،... الخ.

ورغم منطقية الشروط من وجهة نظر البعض إلا أنها لا تحظى بالقبول من قبل الجميع، حيث أن تخصصات عديدة في الجامعة تستدعي توجيه طلبة ذوي معدلات جيدة على غرار: تخصص العلوم الاقتصادية، إلا أن الملاحظ هو توجيه الطلبة ذوي المعدلات الضعيفة إلى هذا التخصص من مختلف الشعب في المرحلة الثانوية. وهذا ما كان له تأثير عكسي وسلب على تراجع مردودية الكليات في هذا التخصص على المستوى الوطني.

2.3 جودة معايير توظيف الأساتذة: يعد توظيف الأساتذة المرتكز الرئيسي الذي يقوم عليه أداء الجامعة الجزائرية والعالمية على حد سواء. الأستاذ الجامعي، الذي يعتبر نواة العملية التدريسية والمفتاح السحري الذي يعول عليه في بناء كوادر بشرية وتقديم مخرجات جامعية قادرة على الإسهام في توظيف مختلف المعارف والعلوم، وفي جل القطاعات الاقتصادية، وبناء مجتمع قادر على مواكبة مختلف المجتمعات

المتقدمة في مجال التكنولوجيا والعلوم الدقيقة ، وكل المجالات العلمية التي تسهم في تحقيق التنمية البشرية المستدامة ، والتنمية المستدامة بشكل عام.

وتخضع عملية توظيف الأساتذة الجامعيين لمجموعة من المعايير الانتقائية المحددة من قبل وزارة التعليم العالي ؛ هذه المعايير ، تم تحديدها وفقا لسلم تنقيطي قائم بدرجة كبيرة على الأعمال المنجزة من قبل المتقدم للوظيفة مع إجراء مقابلة شفوية مع لجنة أساتذة في معظم الأحيان تكون مقابلة شكلية لا أقل ولا أكثر. إن القدرة على التوفيق بين اختيار الأساتذة الملائم والتخصص المراد دراسته أمرا بالغ الأهمية في تحقيق جودة العملية التدريسية ، وجودة المقررات الدراسية وما تبعها. إن التلاؤم بين تخصص الأساتذة الجامعي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه وقس على مرحلة الليسانس مع الوظيفة المراد الحصول عليها ، أمرا مهما في توفير البيئة التمكينية للطلاب والأساتذة على حد سواء لتقديم المادة العلمية بشكل كفاء وسلس والقدرة على تجديد محتوياتها انطلاقا من الحقبة العلمية التي تم ملؤها خلال سنوات التحصيل العلمي للأستاذ ؛ وهذه العلاقة بين تخصص الأستاذ والوظيفة المشغولة لها تأثير بين في الوصول بالعملية التدريسية إلى بر الأمان ، وتقديم مادة علمية مرنة للطلاب وتوطيد المعلومة وجعلها متاحة وسهلة الاستيعاب من قبل الطالب يوفر المناخ الملائم للتطور والتحسين المستمر لمستوى الطالب.

3.3 تحسين المقررات الدراسية، واختيار مواد تدريسية تتماشى وكل تخصص ومتطلبات السوق: يعد تحيين محتويات المواد التي تم تدريسها لمختلف المستويات من أهم القنوات لتحقيق الجودة في العملية التدريسية ، وعاملا رئيسا لمتطلبات السوق والاندماج في سوق المعلومة العالمية والاستفادة من كل ما توصل إليه سوق المعرفة في مختلف التخصصات وشتى المجالات.

إن قدرة الأستاذ الجامعي على تقديم إضافات في المادة التدريسية التي يقدمها الطالب ، وتجديد المعلومات الواردة في المادة بغض النظر عن رؤية الجهات المسؤولة عن تحيين ذلك يعد ضمانا رئيسا لبلورة بيئة ذات جودة ومصداقية قادرة على نقل الجامعة الجزائرية إلى مصاف الجامعات العالمية. إن تحيين أو تغيير محتويات المواد التدريسية متوقف على تخصص الأستاذ ، وإلمامه بالمادة المدرسة ، وتمكنه من كل دلالاتها ما يمنحه كفاءة في التدريس وقدرات إضافية على الإبداع.

4. مؤشر الأداء الجامعي من منظور الإنتاج والبحث العلمي: ينعكس الأداء الجامعي لمؤسسات التعليم العالي في مجموعة من المؤشرات التي تختزل حصيلة الإنتاج والبحث العلمي ، الذي تجر به مخابر البحث وكل الوحدات البحثية التابعة لهذه المؤسسات أو بالشراكة مع مؤسسات خارجية. وأصبح ترتيب الجامعات على المستوى العالمي ، من بين المؤشرات التي تسهم في الدلالة على جودة الأداء البحثي ، ومدى قدرة المؤسسة الجامعية على أن تكون شريكا فعالا في التنمية.

1.4. مؤشر مخابر البحث: تعد مخابر البحث من الهياكل المؤسسية التي تسهم في تطوير البحث العلمي ، ومعالجة مختلف القضايا التي تواجه الاقتصاد الوطني. وتزخر مؤسسات التعليم العالي في الجزائر بمئات المخابر في مختلف التخصصات.

الجدول رقم (5.1): عدد مخابر البحث في مؤسسات التعليم العالي تبعا لأعوام مختارة

عدد المخابر	العام
262	2000
133	2001
72	2002
57	2010
90	2015
07	2016
01	2017
89	2018
16	2019
1471	المجموع

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على: بيانات المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي ، تاريخ التصفح:

2019/07/02 ، متوفر على الرابط: dalilab.dgrsdt.dz/site/index.php

من خلال قراءة الجدول ، نلاحظ أن عام 2000 شهد إنشاء أكبر عدد من مخابر البحث بـ 262 مخبرا يليه عام 2001 بـ 133 مخبرا ، ليشهد العام 2017 إنشاء مخبر واحد ليرتفع مجددا عام 2018 بمجموع 89 مخبرا. وبحلول عام 2019 ، بلغ عدد مخابر البحث المنجزة على مستوى مؤسسات التعليم العالي 1471 مخبرا. لقد كان انجاز مخابر البحث من المتطلبات والضرورات التي فرضتها المرحلة التي شهدتها الاقتصاد الجزائري في ظل توجهه نحو السوق العالمي ، وحاجته لتقوية البحث العلمي والإنتاج المعرفي الذي يساعد على تذليل الصعوبات ، وتيسير المسار نحو الانخراط في اقتصاد قائم على الابتكار. وعكست مختلف المجالات التي عملت عليها هذه المخابر ذلك الإدراك والاستشراف للمستقبل.

الجدول رقم (6.1): توزيع المخابر حسب بعض المجالات والجامعات

عدد المخابر	المؤسسة الجامعية	النسبة إلى الإجمالي	العدد	المجال
89	جامعة عنابة	14.61	215	الهندسة
75	جامعة تلمسان	13.60	200	الفنون والعلوم الإنسانية
69	جامعة هواري بومدين	10.47	154	العلوم الاجتماعية
67	جامعة وهران 1	06.39	94	الكيمياء
64	جامعة قسنطينة	05.79	85	علوم المادة
48	جامعة سيدي بلعباس	04.96	73	الاقتصاد ، الاقتصاد القياسي والمالية
40	جامعة سطيف 1	4.76	70	الزراعة والبيولوجيا
29	جامعة جيجل	03.53	52	الطب
01	المدرسة الوطنية العليا للإدارة	02.79	41	علوم البيئة
01	المدرسة الوطنية العليا للتكنولوجيا	02.10	31	الطاقة
.....	01.63	24	التجارة ، التسيير والمحاسبة
.....
1471	المجموع	100	1471	المجموع

المصدر: إعداد الباحثة اعتمادا على: بيانات المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي ، تاريخ التصفح:
2019/07/02 ، متوفر على الرابط: dalilab.dgrsdz.dz/site/index.php

من خلال الجدول ، نلاحظ تنوع مجالات المخابر عبر مؤسسات التعليم العالي وشموليتها لجميع التخصصات النظرية منها والتطبيقية بما يتلاءم مع ما تتطلبه الاقتصادات الحديثة حيث سيطر قطاع الهندسة على نسبة استحواذ 14.61 % ، يليه مجال الفنون والعلوم الإنسانية بـ 13.60 % لتكون مجالات الاقتصاد ، الاقتصاد القياسي والمالية فضلا عن التجارة ، التسيير والمحاسبة بنسب ضعيفة 04.96 و 01.63 % على التوالي مع أنها تمثل عصب البناء الاقتصادي .

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لهذه المخابر ، فتستحوذ جامعة عنابة على النسبة الأعلى بمجموع 89 مخبرا ، تليها جامعة تلمسان بعدد 75 مخبرا ثم جامعة هواري بومدين لمجموع 69 مخبرا لتكون المدرستين الوطنيتين للإدارة والتكنولوجيا هي الأضعف من حيث عدد المخابر بمخبر واحد لكل منهما .

وضمن مخابر البحث ، يتم تشكيل فرق بحث تعنى بالمواضيع التي يعمل عليها المخبر والتي تقدم حصيلة إنجازاتها سنويا كما يضاف إلى المخابر مشاريع البحث (PRFU) ، التي تستغرق 04 سنوات وهي عديدة عبر الجامعة الجزائرية بالإضافة إلى صيغ أخرى تكمل السابقة. ومن الناحية المؤسساتية ، توجد عدة كيانات معنية بالبحث العلمي على غرار: المجلس الوطني للبحث العلمي والتقني ؛ المجلس الوطني لتقييم البحث العلمي والتطوير التكنولوجي ؛ اللجان القطاعية الدائمة ؛ اللجان القطاعية المشتركة لترقية وتقييم البحث العلمي والتقني .

كما يوجد 12 مركزا بحثيا تابعا لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ويتوفر حاليا 2,731 برنامجا وطنيا للبحث (PNR) في معظم التخصصات على غرار: البيئة وترقية التنمية المستدامة ، المحروقات ، السكن ، البناء وال عمران ، الصيد البحري وتربية المائبات ، الموارد المائية ، الصحة ، ... الخ .

2.4. مؤشر تصنيف مؤسسات التعليم العالي: تعد التصنيفات العالمية للجامعات من أهم المؤشرات التي يستدل بها على جودة البحث العلمي وترقية البرامج العلمية والعملية التدريسية ، ومن وراءها جودة الجامعة ومدى قدرتها على أن تكون شريكا استراتيجيا في العملية التنموية للاقتصاد الوطني والعالمي في ذات الوقت .

الجدول رقم (7.1): مؤشر Webmetrics تبعا للجامعات العربية عالميا لعام 2019

الجامعة	الرتبة عربيا	الرتبة عالميا
جامعة الملك سعود	01	432
جامعة الملك عبد العزيز	02	477
جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا	03	535
جامعة القاهرة	04	691
الجامعة الأمريكية – بيروت-	05	768
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	06	828
جامعة قطر	07	1090
جامعة الإسكندرية	08	1129
جامعة الإمارات العربية المتحدة	09	1170
.....
جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1-	25	1932

2428	46	جامعة أبوبكر بلقايد- تلمسان-
------	----	------------------------------

Source: Arab World, available at: www.webometrics.info/en/aw.january2019.

تعكس معطيات الجدول ، التأخر الذي تشهده الجامعات الجزائرية ضمن المؤشر أعلاه حيث أحسن جامعة جاءت في المرتبة 932 بعد الألف ممثلة بجامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1- ، ولم تكن النتيجة عربيا مرضية حيث جاءت في المرتبة 25 في دلالة واضحة حول تراجع مستوى البحث العلمي والأداء الجامعي لمؤسسات التعليم العالي في الجزائر.

الجدول رقم (8.1): أحسن الجامعات العربية

البلد	الجامعة	الرتبة لعام 2018	الرتبة لعام 2019
العربية السعودية	جامعة الملك عبد العزيز	01	01
الإمارات العربية المتحدة	جامعة خليفة	02	02
العربية السعودية	جامعة الفيصل	07	03
الأردن	الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا	04	04
الإمارات العربية المتحدة	جامعة الإمارات العربية المتحدة	05	05
قطر	جامعة قطر	03	06
لبنان	الجامعة الأمريكية-بيروت-	06	07
العربية السعودية	جامعة الملك سعود بن عبد العزيز لعلوم الصحة	NR	08
.....
مصر	جامعة قناة السويس	16	11
الجزائر	جامعة بجاية	NR	18
الجزائر	جامعة فرحات عباس-سطيف1-	NR	29

Source: www.timeshighereducation.com/student/Best-universities-in-the-Arab-World, April 5 2019.

تبرز معطيات الجدول ، التأخر الملحوظ في ترتيب الجامعة الجزائرية عربيا وليس فقط عالميا حيث للعام 2019 ، أتت أحسن جامعة جزائرية في المرتبة 18 ممثلة بجامعة بجاية لتكون ثاني جامعة في المرتبة 29 ممثلة بجامعة فرحات عباس – سطيف 1-. في وقت ، حافظت جامعتي الملك عبد العزيز (العربية السعودية) وجامعة خليفة (الإمارات العربية المتحدة) على المرتبتين الأولى والثانية لعامي 2018 و2019 على التوالي.

الجدول رقم (10.1): تصنيف شنغهاي لأفضل الجامعات لعام 2017

البلد	Top20	Top10	Top200	Top300	Top400	Top50	501-1000
الولايات المتحدة الأمريكية	16	48	70	99	119	135	55
المملكة المتحدة	03	09	20	28	34	38	12
سويسرا	01	05	07	07	07	08	02
العربية السعودية	-	-	02	03	03	04	-
تركيا	-	-	-	-	-	01	06
مصر	-	-	-	-	-	01	02
قطر	-	-	-	-	-	-	01

Source: Statistics Country, Academic Rankings of World Universitis ARWU 2017, available at : www.shanghairanking.com/ARWU-Statistics-2017.html.

الجدول رقم (11.1): تصنيف شنغهاي لأفضل الجامعات لعام 2018

501-1000	Top50 0	Top400	Top300	Top2 00	Top100	Top20	البلد
55	135	119	99	70	48	16	الولايات المتحدة الأمريكية
12	38	34	28	20	09	03	المملكة المتحدة
-	04	04	03	02	-	-	العربية السعودية
04	01	-	-	-	-	-	مصر
01	-	-	-	-	-	-	لبنان
01	-	-	-	-	-	-	قطر

Source: Statistics Country, Academic Rankings of World Universitis ARWU 2018, available at :

www.shanghairanking.com/ARWU-Statistics-2018.html.

من خلال قراءة الجدولين ، يلاحظ :

حافظت و.م. أ على نفس عدد الجامعات ضمن أفضل عشرين جامعة عالميا ، حيث أتت 16 جامعة أمريكية ضمن أفضل عشرين جامعة للعامين 2017 و2018 على التوالي ، فيما المملكة المتحدة ثانيا ، بمجموع 03 جامعات لتأتي سويسرا بجامعة واحدة للعام 2017 ، ليبقى التفوق واضحا بالنسبة لجامعات و.م.أ في باقي المراتب (أفضل الجامعات) ؛

عربيا وخلال عام 2017 ، كانت هناك جامعة مصرية ضمن أفضل 500 جامعة حول العالم ، وجامعتين ضمن المرتبة (501-1000) بالإضافة إلى جامعة من قطر ضمن نفس الرتبة فيما لم يسجل ظهور أي جامعة جزائرية. وفي العام 2018 ، تحسن ترتيب الجامعات العربية أين سجلت العربية السعودية 09 جامعات ضمن أفضل الجامعات 200 و300 و400 و500 على التوالي ، ليرتفع عدد الجامعات المصرية إلى 04 جامعات ضمن رتبة (501-1000).

لم تسجل أي جامعة جزائرية وجودها ضمن أفضل الجامعات 1000 عالميا ، في دلالة واضحة للتراجع الكبير في مستوى الجامعة الجزائرية عربيا وعالميا.

تحظى التصنيفات أعلاه بمصدقية كبيرة في أوساط الأكاديميين والباحثين والعارفين بقضايا التعليم العالي وجودته ، وإسهامه في تقديم ما يفيد المجتمعات المحلية والعالمية في معالجة مختلف القضايا المرتبطة بحياة الفرد. ومن ثم ، فإن التأخر الذي تشهده مؤسسات التعليم العالي في الجزائر وفق هذه التصنيفات صحيحا إلى حد كبير.

وقياسا على الجزائر ، وباعتماد مؤشرين من تصنيف التايمز للتعليم العالي ، وبالمثل تصنيف شنغهاي.. يمكن تحليل وضعية الجامعة الجزائرية:

مؤشر التدريس (30%): لم تتمكن معظم مؤسسات التعليم العالي في الجزائر من تحقيق التوازن بين نسبة الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية خاصة في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تشهد ارتفاعا كبيرا للطلبة مقابل انخفاض في أعضاء الهيئة التدريسية ، كما أن نسبة الطلبة إلى عموم الكادر الجامعي مرتفعة جدا

فضلا عن ارتفاع عدد طلبة المراحل الجامعية الأولى إلى الدراسات العليا ما أوجد فجوة كبيرة ، وأثر على جودة العملية التدريسية.

مؤشر الاقتباس العلمي (30%): تنتج مؤسسات التعليم العالي سنويا مئات الأبحاث في مختلف التخصصات موزعة على رسائل وأطروحات جامعية ، أبحاث منشورة في مجلات علمية وطنية ودولية فضلا عن أبحاث مقدمة لمؤتمرات دولية ووطنية سواء داخل أو خارج الوطن. لكن الاقتباس من هذه الأبحاث ضعيف بشكل كبير جدا خاصة بالنسبة للأبحاث باللغة العربية التي جزء كبير منها مقتبس من أبحاث أجانب. كما أن نشرها ضمن مجلات غير معروفة عالميا ، الاستثناء فقط للأبحاث باللغة الإنجليزية التي تعد لغة العلوم ، والتي لا تكتسي أهمية كبيرة وسط الباحثين الجزائريين الذين تركيزهم الأكبر على النشر باللغة الفرنسية.

مؤشر الإنتاج البحثي (40%): تعد البحوث المنشورة في مجالات العلوم والطبيعة ضعيفة جدا من قبل مؤسسات التعليم العالي في الجزائر خاصة ، وأن هذا الجانب مرتبط بتخصصات بعينها ، يضاف إلى ذلك أن الأوراق العلمية المعدة من قبل باحثين جزائريين ، والتي تشكل مرجعا اقتباسيا في البحوث العلمية عالميا ضعيفة جدا بحكم اللغة المعتمدة في النشر وطبيعة التخصص ، وهذا أفرز تأثيرا سلبيا على العديد من الأبحاث رغم قيمتها العلمية المتميزة.

مؤشر قدرة الهيئة التدريسية (40%): تعد الجوائز التي تحصلها الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ضعيفة جدا حتى أنها منعدمة تماما بالنسبة لكل مؤسسة منفردة ، والجوائز التي يتم تحصيلها في الغالب جوائز في تخصصات العلوم التقنية التي تعتمد على التجربة والدراسات المعمقة ، يضاف إلى ذلك ضعف الاقتباس من الإنتاج العلمي لمؤسسات التعليم العالي في 21 تخصصا علميا.

كل المعطيات أعلاه ، جعلت مؤسسات التعليم العالي في الجزائر تنذيل ترتيب جميع التصنيفات حتى أنها ضمن بعض التصنيفات لم تظهر بالكامل. وإعطاء تفسير للنتائج أعلاه له عدة جوانب ، وتبعا للمؤشرات السابقة الذكر يتضح:

تركيز مؤسسات التعليم العالي في الجزائر على الكم (زيادة عدد الطلبة دون زيادة عدد أعضاء الهيئة التدريسية ، زيادة عدد الأبحاث المنشورة سواء كانت مكررة أو غير مكررة ، لها تأثير أو عديمة التأثير ، تسهم في معالجة قضية أم لا ،...) جعل جودة هذه الأبحاث منعدمة ، واعتمادها كمرجع يستدل عليه أضعف بكثير رغم الأغلفة المالية الموجهة للإنتاج العلمي ، والتي تحيد عن مسارها في أحيان كثيرة ؛

عجز القسم الأكبر من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر على بناء شراكات تعاون علمي ومذكرات تفاهم حول تبادل الخبرات في جميع التخصصات بما يسهم في تحسين المادة العلمية المقدمة للطلاب ، ومواكبة التطور الحاصل في حقل العلوم بمختلف مجالاتها. ولهذا الجانب تأثير كبير على تصنيف الجامعات عالميا ، بدليل التقدم الذي أحرزته الجامعات السعودية على حساب جامعات في دول متقدمة بحكم اعتمادها على خبرات أجنبية ؛

غياب قاعدة بيانات وطنية موحدة بمجمل الأعمال البحثية والمنتجات العلمية المقدمة من قبل الباحثين في مختلف مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ، وهذا ما يسر عملية السرقة العلمية وجعلها متاحة في ظل غياب هذه القاعدة التي تسهل عملية التعاون بين الباحثين من جهة ، وتكشف نوعية المنتجات العلمية المقدمة من

قبل كل مؤسسة تعليم عالي بما يؤثر في جودة الأبحاث ويرسي أرضية تعاون بين الباحثين تحسن من الأداء الجامعي وتقلص حجم الاقتباس من الآخر.

خاتمة:

رغم تبني الجزائر لإستراتيجية وطنية شاملة للنهوض بقطاع التعليم العالي، وجعل المؤسسات الجامعية بجميع أشكالها النواة الأساسية لتحقيق التنمية الشاملة، وبناء اقتصاد مستدام قائم على المعرفة وتوطين العلوم الدقيقة وكل ما له علاقة ببناء رأس مال فكري وتقديم نموذج يحتذى به عربيا وأفريقيا ولما لا عالميا في مجال التوظيف الأمثل للموارد المالية والبشرية والتقنية لتحقيق ذلك. لكن هذه الإستراتيجية لم تتخذ المسار الصحيح نحو التنفيذ، وبقيت حبيسة طموحات ضمان الجودة في مؤسسات جامعية راهنت على الكم بدل الكيف، وعلى التواجد المحلي بدل الإقليمي والعالمي، وبين رهانات تغفل الفساد في دواليب العملية التعليمية، الإدارية والمالية في هذه المؤسسات ليبقى الحلم يراود الجامعة الجزائرية في أن تكون ذات يوم ضمن تصنيف 1000 جامعة أولى على المستوى العالمي حتى لا نقول 500 جامعة عالميا.

نتائج الدراسة: خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي:

- تراجع مستوى جودة التعليم العالي في الجزائر نتيجة ضعف تكوين الأستاذ الجامعي في السنوات الأخيرة، وعدم تحكمه في أبعديات البحث العلمي وتخلفه عن ركب العلوم الجديدة في تخصصه؛
- تركيز إستراتيجية وزارة التعليم العالي في الجزائر على زيادة الكم في جميع المجالات (عدد الطلبة، عدد الإقامات الجامعية، عدد الجامعات،...)، وإهمالها لدور البحث العلمي، وكل ما يرتبط بتطوير القدرات البحثية للأستاذ الجامعي والطالب على حد سواء.

- احتكار المناصب المحسوبة على البحث العلمي وتطوير أداء الجامعة الجزائرية سواء تعلق الأمر برئاسة مخابر البحث، عمداء الكليات ولجان تحرير المجلات،... الخ. وفر طرق معبدة لأساتذة لتمير ممارساتهم الفاسدة في شتى المجالات ما كان له تأثير سلبي على جودة مخرجات التعليم العالي.

- البيروقراطية في التوظيف، وتولي المناصب الإدارية والبيداغوجية في الجامعات الجزائرية بمعايير المحسوبية والواسطة، وما تبعهما أفرز تضاربا في المصالح بين من يسمون بكفاءات جامعية فانعكس ذلك على جودة التعليم العالي.

- استفادة قطاع التعليم العالي من إيجابيات التغير الذي شهده الاقتصاد الجزائري مطلع الألفية الثالثة خاصة مع برامج التنمية التي حددت بشكل ملائم المسار، والنهج الذي تتطلبه الفترة القادمة بالنسبة لقطاع التعليم العالي.

- وجود فجوة عميقة بين مدخلات قطاع التعليم العالي ومخرجاته؛ هذه الفجوة، كانت وليدة رؤية وغاية قائمة على جعل الجامعة الجزائرية ملاذا متاحا لآلاف الطلبة بتحقيق أحلامهم في تحصيل شهادة جامعية، دون مراعاة الاعتبارات البحثية أو متطلبات السوق الوطني.

- التركيز على التلقين في أداء المهمة التدريسية بالنسبة للأستاذ الجامعي خاصة في تخصصات العلوم الاجتماعية، والعمل على زيادة المعارف النظرية دون أن يكون لها أساس تطبيقي أو عملي ما وسع من دائرة الشك حول المعلومات والمعارف التي يتلقاها الطالب الجامعي في مؤسسات التعليم العالي.

- دخول مؤسسات التعليم العالي في متاهات ودوائر الفساد بشتى أنواعه خاصة العلمي ، الإداري والمالي مما أفرغ العملية التعليمية والبحثية من محتواها وبدد المصداقية في الأداء الوظيفي لقسم كبير من الأساتذة ، وشكك في أبحاثهم العلمية التي صارت مجرد نسخ ولصق لأبحاث الغير دون إضافة أو مساهمة تذكر.

- عدم تطبيق اللوائح التنظيمية والقوانين والمقررات الوزارية المنظمة لسير الأداء الوظيفي للأستاذ أو الموظف على حد سواء ، والعمل على التطبيق الجزئي لها في حالات قليلة فقط فضلا عن المعاملة التفضيلية والمحاباة في تطبيقها.

- غياب الشفافية والإفصاح عن المعلومات المرتبطة بالعملية التدريسية ، البحث العلمي وكل ما يمكن أن يسهم في إيجاد بيئة تمكينية مساعدة على تحسين الأداء العلمي والتعليمي للأستاذ والطالب على حد سواء.

- الإبقاء على الهياكل المؤسسية التي أقرتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لأجل الرقابة وسير العمل الجامعي ، بشكل كفاء وفعال وبناء نموذج قيمي يحترم القيم والسلوكيات الأخلاقية رهن التنفيذ الاختياري غالبا والإجباري أحيانا حسب ما يقتضيه الوضع ، وتتطلبه الإجراءات.

اقتراحات الدراسة:

- تحديد المهام بدقة ، وتوزيع المسؤوليات بحسب الكفاءة والقدرات المعرفية والعلمية هو الحل الأمثل لمعالجة الإختلالات لردم الفجوة المتزايدة بين الأساتذة ، الإداريين والطلبة.

- تطبيق القوانين المنظمة للبحث العلمي ، وتولي المناصب الإدارية والبيداغوجية بحذاقها دون اجتهادات شخصية أو تأويل لهذه القوانين وفق أهواء ورغبات البعض مع تفعيل كل اللوائح التنظيمية والإجراءات المنصوص عليها من قبل وزارة التعليم العالي فيما يرتبط بالمجالات العلمية ، والتأديبية واللجان العلمية وغيرها.

- توحيد الإجراءات المعمول بها في مجال التقييم العلمي لملفات الأساتذة بالترقيات الوطنية فضلا عن ضبط أجندة الوقت والمتابعة الإدارية والقانونية في حالة الإخلال بذلك ، وتوحيد المعايير عبر الجامعات دون ترك الحرية لكل مؤسسة جامعية لوضع قوانين خاصة بها.

- الانتقال من لغة الزجر والوعيد التي تميز العلاقات القائمة في مؤسسات التعليم العالي سواء بين الأساتذة والطلبة ، أو بين الأساتذة والإداريين وبين الأساتذة والمسؤولين إلى لغة تحكمها مبادئ أخلاقية مرتكزة على الاحترام والنزاهة والصدق.

- توطين المعارف الجديدة في جل التخصصات اعتمادا على التطبيق وليس التلقين لأساتذة يمتازون بالكفاءة ، ولديهم المرونة الكافية لاستيعاب كل ما هو جديد في حقل المعرفة والعلوم ، ولديهم القدرة على الإبداع في عملهم.

- العمل على عقد دورات تدريبية وموائد مستديرة بين الأساتذة من الجامعات الجزائرية بين الفينة والأخرى لتبادل المعارف وتجديدها ، والاستفادة من المنتج العلمي لكل جامعة ولما التبادل العلمي الداخلي بين الجامعات سواء في تنقل أساتذة من جامعة لجامعة أو تنظيم مؤتمرات مشتركة تركز مبادئ التعاون والاندماج وتلغي روح الاستفراد بالوظيفة والأنانية العلمية إن جاز التعبير.

قائمة المراجع:

- Arab World, available at: www.webometrics.info/en/aw.january2019.
- dalilab.dgrsdz.dz/site/index.php
- <http://www.el-massa.com/dz/index.php/Component>
- Statistics Country, Academic Rankings of World Universitis ARWU 2017, available at :
www.shanghairanking.com/ARWU-Statistics-2017.html
- www.mesrs.dz
- www.onou.dz
- www.timeshighereducation.com/student Best universities in the Arab World, April 5 2019.

المقاولاتية عند خريجي الجامعة ما بين التكوين وواقع الممارسة (دراسة ميدانية بمدينة وهران).
The entrepreneurial of the university graduates between the training and the reality of
practice, (field study in the city of Oran).

د.لوسداد زين الشرف ، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC بوهران- الجزائر

مقدمة

للمجال المقاولاتي أهمية كبيرة في تحقيق التطور والنمو الفردي والجماعي على مستوى الاقتصاد والمجتمع ، من توفير لمناصب عمل وتقليص من نسبة البطالة ، وتأمين العائد المادي للأفراد ، وخلق روح المنافسة وروح الإبداع والابتكار ، كما أن نشاطاته مُمارسة من طرف أفراد لهم مستويات علمية مختلفة ، تتوفر فيهم خصائص ومميزات تساعد على توجيههم نحو هذا المجال قد تكون مكتسبة أو معاشة ، والذين نجد من بينهم فئة خريجي الجامعة الذين يتميزون بالتكوين العلمي العالي والحاملين للشهادات الجامعية. هذه الفئة لها مردودية إيجابية على الاقتصاد والمجتمع إذا ما تم تكوينها بطريقة جيدة وإذا ما تم استثمار طاقاتها في مجالات تساهم في التنمية المحلية الاقتصادية والاجتماعية. وقد شهدت الجزائر ارتفاع نسبة خريجها حيث بلغ عددهم 65192 طالب جامعي سنة 2001/2000 ليصل إلى 246743 سنة 2011/2010 (WWW.ONS.DZ) ثم إلى 324000 سنة 2016 (Mourad ZEMALI, 2017, P03)، غير أن ارتفاع هذا العدد شكّل صعوبات حول إمكانية ولوجهم إلى سوق العمل ، فالخريجون " يواجهون صعوبات جدية للإدماج في عالم الشغل خاصة الخريجين حاملي شهادات العلوم الإنسانية" (Mourad ZEMALI, 2017, P03). وعليه يُعتبر المجال المقاولاتي مهما في استقطاب نسبة مهمة من هذه الفئة إذا ما تم تكوينها وتحفيزها وتوجيهها إليه ، فبالرغم من المبادرات والمجهودات التي قامت بها السلطات العمومية الجزائرية للنهوض بهذا القطاع عن طريق خلق برامج تشغيلية مقاولاتية ودعم الشباب لإنشاء مؤسسات ومشاريع مصغرة ، إلا أن عدد المتوجهين إليه يعتبر ضئيلا خصوصا فئة المتخرجين من الجامعة حيث لم تتعدى نسبتهم 4,76% من بين 841 شابا جامعيًا مستجوبا حسب نتائج الدراسة الكمية المنجزة على مستوى المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (دراس عمر ، 2017/2014). ومنه نتساءل عن دور الجامعة في التوجيه لهذا المجال باعتبارها المرحلة التحضيرية التي تسبق مرحلة الالتحاق بالشغل والتي يتلقّى فيها الفرد تكوينًا يتماشى ومتطلبات سوق العمل ، يكتسب من خلاله المعرفة والثقافة المهنية ، وعليه طرحنا الإشكال التالي: هل يحفز التكوين الجامعي الذي يتلقاه خريجي الجامعة على التوجه نحو المجال المقاولاتي؟ ، وما دور الجامعة في إكساب خريجها ثقافة المقاول؟. للإجابة على إشكاليتنا افترضنا أن:

- دور التكوين الجامعي ضعيف جدا في التحفيز على ممارسة المهن المقاولاتية ، وفي توجيه الطلبة إلى المجال المقاولاتي.

- دور الجامعة يكاد ينعهد في تلقين خريجها ثقافة المقاول وفي الحث على ممارستها حيث أن هناك عوامل أخرى تساهم في ذلك.

تهدف دراستنا إلى إبراز علاقة فئة خريجي الجامعة بالمجال المقاولاتي، ما بين التكوين الجامعي الذي حصلوا عليه وواقع ممارستهم للنشاطات المهنية المقاولاتية، وما مدى مساهمة هذا التكوين في تعزيز الروح المقاولاتية وإكساب ثقافتها لممارسيها. كما توضح أهمية تلقين حاملي الشهادات الجامعية المهارات المقاولاتية عن طريق إدماج مقاييس خاصة بالمقاولاتية ضمن تكوينهم الجامعي واستثمار تعليمهم في إنشاء مؤسسات مصغرة ومشاريع تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك التطرق إلى طبيعة التكوين الجامعي ومدى تلاؤمه ومتطلبات سوق العمل.

منهجية الدراسة: اعتمدنا في دراستنا على المقاربة الكيفية من أجل إبراز علاقة خريجي الجامعة بالمجال المقاولاتي، والدور الذي تلعبه الجامعة من خلال تكوينها في توجيههم نحو هذا المجال، عن طريق تلقين مهارات الممارسة المقاولاتية واكتساب ثقافتها والتحلي بروحها. وقد استعملنا في دراستنا الميدانية تقنية المقابلة نصف الموجهة مع عينة من المقاولين الحاملين للشهادات الجامعية من تخصصات مختلفة تمثل عددهم في 12 فردا ما بين ذكور وإناث، تراوح سنهم ما بين 27 و 46 سنة، تنوعت طبيعة نشاطاتهم المقاولاتية ما بين خدماتية، إنتاجية، تجارية وحرفية بمدينة وهران. وقد تم إجراء المقابلات معهم في الفترة ما بين جانفي وأفريل 2017. كما نشير إلى أن دراستنا الميدانية قد أنجزت في إطار التحضير لأطروحة الدكتوراه (لوسداد زين الشرف، 2018)، وفي إطار الدراسة الميدانية ضمن محور البحث الذي قمنا بإنجازه حول "الإدماج السوسيو مهني لحاملي الشهادات الجامعية، حالة الشباب المقاول بمدينة وهران". هذا الأخير يندرج ضمن مشروع الشراكة ما بين مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC وجامعة تونس (9 أفريل)، والمعنون بـ "السياسة العمومية للتشغيل والإدماج السوسيو- مهني لحاملي الشهادات الجامعية" تحت رئاسة عمر دراس، والذي تم إنجازه في الفترة ما بين سنة 2014 و 2017.

الممارسة المقاولاتية: الممارسة المقاولاتية هي ممارسة مهنة المقاول بكل أنواعها سواء كانت تجارية، خدماتية، إنتاجية أو غيرها، ضمن مشروع أو مؤسسة صغيرة كانت أو متوسطة، "وهي فعل المقاول، يمكن أن تمارس في سياقات مختلفة، أين تختلف أشكالها حيث يمكن أن تكون تجسيدا لمنظمة جديدة، كما يمكن أن تكون عبارة عن تطوير لنشاط جديد داخل منظمة موجودة، ولكن في كل الحالات المقاولاتية هي حقيقة اجتماعية كلية في معنى (Emili-Michel HERNANDEZ, 2001, " Marcel Mauss (1923-1924) P13)، كما أنها عبارة عن "خلق نشاط اقتصادي جديد، يعتمد على قدرة الإبداع والابتكار" (Pierre-Marie CHAUVIN et autres, 2014, P 203). أما المقاول فـ "هو المبادر لعملية معقدة تعمل في سياق اقتصادي، تاريخي، سوسيوثقافي وتكنولوجي" (Pierre-Marie CHAUVIN et autres, 2014, P13) حيث يعتبره Mark casson بأنه قلب الفعل من خلال تدخله في المسائل المتعلقة بالقرارات (مهام عوامل الإنتاج، خلق الأسواق، الخ)، فالمقاول هو فرد يتميز بقدرته على اتخاذ القرارات المتعلقة بتنسيق الموارد النادرة (Sophie BOUTILIER et Dimitri UZUNIDIS, 2017, P87). فالممارسة المقاولاتية هي ما يجسده الفرد المقاول من مشروع يكون من ابتكاره ومبادرته من خلال ممارسته لمهنة معينة بهدف تحقيق عدة أهداف قد تكون اقتصادية، اجتماعية وغيرها، ويكون حاملا لخصائص ومميزات معينة تساهم وتساعد على النجاح والسير الحسن للمشروع.

التكوين الجامعي: هو التكوين الذي يلي مرحلة التعليم الثانوي ، يتحصل عليه الفرد بعد نجاحه في امتحان البكالوريا ، والذي يؤهله لأن يصبح فردا متعلما واعيا جاهزا للإدماج في الحياة الاجتماعية والعملية. كما " يجب أن يسعى التكوين إلى البناء وإلى تحليل المواقف البيداغوجية وإلى توضيح المكتسب المعرفي وامتلاك المهارات والكفاءات البيداغوجية مع إمكان استثمارها من جديد في التكوين وفي السلوك وفي تحليل المواقف البيداغوجية المختلفة بقدر الإمكان" (برغل سعيد ، 1998 ، ص 78) ، فهدفه التقدم والتطور في جميع المجالات ومواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة ودعم التنمية الوطنية.

الثقافة المقاولاتية: هي مجموع القيم والمعتقدات والتوقعات المشتركة والتي تُعد كدليل للأفراد ، ينتج من خلالها معايير تؤثر بشكل كبير على سلوكيات الأفراد والمجموعات بإيجاد أفكار مبتكرة ، إبداع في مجمل القطاعات ومحاولة تطبيقها في مجال الاستثمار في رؤوس الأموال " (أشواق بن قدور ، محمد بالخير ، 2017 ، ص 55 (بتصرف)) ، كما تُعتبر الثقافة المقاولاتية موجِّهاً أساسيا للفرد نحو المجال المقاولاتي ومحفزاً على ممارسته للنشاطات والمهن المقاولاتية ، وربما تكون وليدة ظروف معينة ، كما قد يكتسبها الفرد من خلال عدة عوامل وتأثيرات ووسائل من بينها التعليم المقاولاتي وما توفره المؤسسات التعليمية من تلقين للأسس المقاولاتية وبالأخص الجامعة التي لها دور مهم في توجيه الفرد نحو مجال معين وفي تكوين وبناء فكرة عن مستقبله المهني.

التنشئة المهنية: وهي تقوم على اكتساب الفرد للثقافة المقاولاتية وتعلّمها من خلال التنشئة المهنية التي يقدمها له والداه والمحيطين به من أفراد عائلة ، أصدقاء ومقربين. فالتنشئة المقاولاتية تقوم على أسس معينة ومميزات يكتسبها الفرد المفاوض ولا تتوفر في جميع باقي الأفراد ، تتمثل في " المخاطرة ، التجديد ، الإبداع والابتكار وحب المبادرة..." (HISRICH (R.O), PITERS (M.P), 1991) ، كما له مهام يقوم بها في مجال عمله يحددها شومبيتر جوزيف [SCHUMPETER joseph](#) في النقاط التالية (عدمان رقية ، 2014/2013):

-إنتاج سلعة جديدة غير مألوفة في دائرة المستهلكين والزبائن الذين يوجه لهم المنتج.

-تقديم طريقة جديدة غير معروفة في الفروع الصناعية والاقتصادية المماثلة.

-الانفتاح على مخارج (منافذ ، أسواق) جديدة قبل أن يدخل في المشروع المرغوب فيه سواء كان المشروع موجودا من قبل أو لم يكن موجود ، يكفي أن الصناعة لم تتوغل بعد في الأسواق.

-الانفتاح على مصادر جديدة للتأمين بالمواد الأولية.

-تحقيق تنظيم جديد للإنتاج وذلك بخلق ثقة للأفراد بالصناعة الجديدة المنتجة من قبل المفاوض.

واقع الممارسة المقاولاتية عند خريجي الجامعة: انطلاقا من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع أهمية التكوين الجامعي وعلاقته بالممارسة المقاولاتية ، هناك دراسة حول "البرامج التكوينية وأهميتها في تعزيز روح المقاولاتية" التي تجسدت مشكلتها في مدى مساهمة البرامج التكوينية الجامعية الحالية في تعزيز روح المقاولاتية عند عينة من طلبة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير بجامعة بسكرة ، والتي استنتجت بان " البرامج التكوينية الحالية لا تساهم إلا بنسبة 10,8% فقط في تعزيز الروح المقاولاتية عند الطالب والباقي يمكن أن يعزى لعوامل أخرى خارج الدراسة...وبقدر هذه المساهمة المتواضعة إلا أن هذه الروح المقاولاتية عند الطالب تعترضها الكثير من العقبات ، الشيء الذي قد يؤدي إلى تلاشي أو ضعف قدرة الطالب

من التوجه الحقيقي نحو إنشاء مشاريع مصغرة ناجحة بفعل تأثير الكثير من العوائق " (اليمين فالتة ، لطيفة برني ، 2010 ، ص 27) ، وعليه فإن إدماج مقاييس خاصة بتلقين ثقافة المقالة أثناء فترة التكوين الجامعي مهم جدا في إنشاء فكر قائم على بناء مشروع مقاولاتي خاص مستقبلا ، وقد يكون أفضل لو تم ذلك في مراحل ما قبل الوصول إلى الجامعة أي في المراحل التعليمية والتكوينية التي تسبق مرحلة الدراسة بالجامعة ، وهو الأمر الذي تطرق إليه محمد قوجيل في دراسته حيث يشير إلى أن " الوسط التربوي يجب أن يدمج التعليم المقاولاتي في المناهج الدراسية للنظام التعليمي من الابتدائي إلى الجامعي لأن ذلك يسمح حسب الكاتبين بشكل دائم ببروز مجتمع أكثر مقاولاتية على أسس جد صحيحة أكثر من أي وقت مضى " (محمد قوجيل ، 2016/2015 ، ص 78) ، كما يرى " كل من " (Pillis (1998) و Saporta et verstracte (2000) بأنه للوصول إلى نظام تعليم يتمحور حول المقاولاتية ويشجع حالة روحية موجهة نحو تحمل المخاطرة ، من الضروري اعتماد استراتيجيات عامة متعلقة بكل مستويات التعليم ، من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة ، يشارك كل الفاعلين في الوسط (المدرسين) المؤسسات (التلاميذ والطلبة) واعتبار روح المؤسسة كمهارة أساسية يجب غرسها في كل مسار الحياة " (محمد قوجيل ، 2016/2015 ، ص 83).

آخر الدراسات التي أجريت في مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC حول " السياسة العمومية للتشغيل والإدماج السوسيو- مهني لحاملي الشهادات الجامعية" (دراس عمر ، 2017/2014) استنتجت بأن تحفيز التكوين الجامعي لخريجي الجامعة على امتحان المقالة يُعتبر ضعيفا ، وأن لا علاقة له بالمشروع المقاولاتي ، كما أن دوره يكاد ينعدم في اكتساب الثقافة المقاولاتية ، فمن أصل 841 شاب جامعي مستجوب تمثل عدد الممارسين للمقالة في % 4,76 ، وهو ما يمثل انخفاضا حادا في نسبة الممارسة المقاولاتية لدى المتخرجين من الجامعة. كما أن أغلبية هؤلاء المقاولين قد درسوا تخصص آداب وفلسفة ، هذا الأخير لا علاقة له بالمجال المقاولاتي وهو ما يعكس حقيقة ابتعاد التخصصات التكوينية الجامعية للمقاولين عن مجال عملهم.

نتائج الدراسة

1. علاقة التكوين الجامعي بالمقاولاتية: أثبتت دراستنا الميدانية صحة فرضيتنا الأولى وهي أن دور التكوين الجامعي ضعيف جدا في التحفيز على ممارسة المهن المقاولاتية ، وفي توجيه الطلبة إلى المجال المقاولاتي ، كما أجمع المبحوثون على أن محتوى تكوينهم الجامعي لم تكن له علاقة بمجال المقالة ولا بطرق ممارستهم لعملهم ، بل أن تكوينهم قد تميز بأنه:

1.1 مميزات التكوين الجامعي لا توافي متطلبات سوق العمل: فقد طغى على التكوين الجامعي سياسة إلقاء المحاضرات والتلقين بطريقة نظرية دون النزول إلى الميدان واكتساب الطرق العملية التطبيقية في كيفية تسيير العمل والتعامل مع منصبه وهو الأمر الذي لا يوافي متطلبات سوق الشغل ويبقى بعيدا عن واقع العمل فيه ، كما اتضح لنا من خلال المقابلات مع مبحوثينا بأن التكوين الذي تحصلوا عليه لم يساعدهم في عملهم ولم يوجههم إليه ، بل كان له مردودية في تكوين شخصيتهم وتنمية فكرهم وإثرائه بالعلم والمعارف ، فأكسبهم رأسمالا ثقافيا ومرتبنة علمية وثقافية معينة ومرتبهم على سرعة استقبال المعلومات ، كما أصبح تفكيرهم منطقيا أكثر في التعامل مع أمور العمل وفي طرق التعامل كذلك مع الأفراد مثل الزبائن من حيث

اللباقة والاحترام ، وأهلتهم مكانتهم العلمية بأن يصبحوا مقاولين يملكون مشاريعهم الخاصة ، فقد أشار رايح تركي إلى أن " التعليم الجامعي وفي كل مستوياته لا يمكن أن يعد عملية تلقين وإنما عملية تكوين ، هذا الأخير الذي ينبغي أن يهتم بالقدرة وتقديم تعليم له أهداف لتنمية المهارات المعرفية وغير المعرفية " (رايح تركي ، 1990، ص 153). غير أن ثقافة المقاول قد تحصل عليها المبحوثين من خلال عوامل أخرى لا علاقة لها بالتكوين الجامعي الذي كان دوره ضعيفا في توجيههم وتحفيزهم على الممارسة المقاولاتية ، وهو ما تؤكدته الدراسة التي قام بها صندوق النقد الدولي حول أن مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي بالجزائر تعتبر ضعيفة (آمال قاسمي ، اسمهان تمغارت وآخرون ، 2013 ، ص 52). لكن ذلك لا ينكر بأن الشهادة الجامعية تُعتبر مساعدة في بعض الأحيان ويكون لها دور فعال في تسهيل عملية تجسيد المشروع المقاولاتي إداريا وذلك بالموافقة عليه نظرا لتطابق تخصصها مع طبيعة المشروع المزمع تحقيقه .

يعتمد البعض من المقاولين بعد تخرجهم من الجامعة على إعادة التسجيل للدراسة في مراكز التكوين المهني من أجل الحصول على التأهيل المهني الذي يساعدهم في تجسيد مشروعهم المقاولاتي ، كون أن هذه المراكز توفر تكوينا مهنيا وتربصات تماشي مع ما يتطلبه سوق العمل ، فهم يرون بأن التكوين المهني أحسن وأفضل من التكوين الأكاديمي إذا ما كان الهدف منه الانضمام والعمل في المجال المقاولاتي. وعليه من المستحب أن تدرج الجامعة تخصصات مهنية أو على الأقل مقاييس يتضمن محتواها كل ما يتعلق بالتسيير المهني والتلقين على كيفية بناء المشاريع المقاولاتية وتعزيز فكرتها وممارستها لدى الطلبة .

تقتصر التخصصات التي يستطيع أصحابها التوجه إلى مجال المقاولاتية على التخصصات العلمية ، التقنية ، الإعلام الآلي... فيما نجد تخصصات بعيدة كل البعد عنها كالتخصصات الأدبية مثلا والإنسانية والاجتماعية على سبيل المثال الأدب العربي ، الجغرافيا ، التاريخ ، الفلسفة ، هذه التخصصات لا علاقة لها بالمقاولاتية ولا يمكن لأصحابها التوجه إلى هذا المجال إلا إذا قاموا بتكوين مهني ثان ، وبالفعل غالبا ما يتوجه أصحاب هذه التخصصات إلى مراكز التكوين المهني من أجل القيام بتكوين يتماشى وطبيعة المشروع الذي يريدون تحقيقه ، وعليه من المستحب إدراج مقاييس مهنية مقاولاتية في جميع التخصصات حتى تتسنى للجميع فرصة النشاط في المجال المقاولاتي إذا ما كانت لديهم رغبة في ذلك ، فالتخصص الجامعي أحيانا يقف عائقا أمام تحقيق المشروع المهني .

2.1 غياب الوسائل التكنولوجية وضعف إتقان اللغات في التكوين الجامعي: يؤثر غياب الوسائل التكنولوجية في التلقين على طريقة استيعاب الطلبة للمعلومات ، الذين يرون بأن " التكوين الجامعي يخلو من الأدوات التكنولوجية الحديثة التي تضي عليه نوعا من النشاط والحيوية في استيعاب المعلومات كالمحاضرات التي تعتمد على السمع البصري وعلى التجربة الميدانية " (لوسداد زين الشرف ، 2018/2017 ، ص 126)، فوجودها ضروري في ظل العصر التكنولوجي الحديث ، واعتماد الطالب على مثل هذه الوسائل سيسهل من عملية تعامله مع وسائل العمل التكنولوجية مستقبلا ، خاصة لدى فئة التخصصات التقنية والعلمية والتخصصات التي لها علاقة بالمجال الاقتصادي والإنتاجي الذي يعتمد على استعمال الآلات والأدوات التقنية التي يجب على مستعملها أن يكون مؤهلا لتسييرها والتعامل معها ، خاصة وأن أغلبية هذه الوسائل أصبحت رقمية تحتاج إلى تكوين وإتقان في التسيير ، فالمقاول أثناء مرحلة تكوينه الجامعي لم

يتعامل مع هذا النوع من الوسائل ولم يُكوّن فكرة حولها بل حتى أن أبسطها كان غائبا، وهو الأمر الذي جعله يجد صعوبة في بادئ الأمر في كيفية تسييرها غير أن واقع عمله فرض عليه أن يكتسب تكوينا حولها، من خلال التبرصات التي قام بها خارج إطار التكوين الجامعي وكذلك من خلال التجربة والخبرة في إطار ممارسته لعمله المقاولاتي.

كما وجدنا أن مشكل ضعف التكوين في اللغات موجود عند المبحوثين خاصة على مستوى اللغة الانجليزية التي تعتبر اللغة الأولى المستعملة عالميا، فالتكوين الجامعي لا يساعد على إثراء اللغات ولا يحفز على تعلمها، وهو الأمر الذي جعل البعض من المبحوثين يقوم بتكوينات في اللغات الأجنبية لتسهيل عملية تعاملهم مع العملاء الأجانب ومع أنظمة وتقنيات ووسائل العمل في إطار مهنتهم المقاولاتية، ولتحكمهم في تسيير الإجراءات الإدارية التي تحتوي على وثائق باللغات الأجنبية، كما نجد كذلك مشكلة عدم إتقان اللغة الفرنسية لدى عينة الطلبة ذوي تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية الممارسين للمقاولات مقارنة بطلبة العلوم التقنية والعلوم الدقيقة، ذلك قد أثر على تعاملاتهم المهنية اليومية في مجال عملهم، وهم يُرجعون سبب هذا الضعف إلى دراستهم باللغة العربية طوال مشوارهم الدراسي، حتى أنه يمثل عائقا أثناء عملية التوظيف بصفة عامة، وهو ما تطرقت إليه خولة طالب الإبراهيمي التي تعتبر أن " هذه الازدواجية في التكوين باللغتين مصدرا لمشاكل متعددة في المتوسطة والثانوية ولا تخلو كذلك في الجامعة، بسبب تقادم التمييز ما بين العلوم الاجتماعية والعلوم الدقيقة بتعزيز صورة اللغة الفرنسية على أنها لغة العلوم التقنية على حساب اللغة العربية المرتبطة بالعلوم الإنسانية والأدب، وهي دائما تنتج التفاضل الاجتماعي والتفاوت ما بين الطلبة في الحصول على فرص العمل عند خروجهم من الجامعة، فالمتخرجين المعريين لديهم أكبر الصعوبات في إيجاد فرص العمل في عالم شغل مفرنس ومسير من طرف تقنيين مفرنسين " (Khaoula TALEB IBRAHIM , 1995, P 195- 196).

غياب استعمال الوسائل التكنولوجية وضعف تلقين اللغات يؤثر على مردودية مخرجات الجامعة، فوجودها ضروري لتطوير المهارات لدى الطالب والتي سيستثمرها مستقبلا سواء في عمله في إطار المجال المقاولاتي أو في أي مجال آخر، فمحتويات التدريس ومضمون التكوين الجامعي يجب أن يتماشى وحاجات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وأن يتماشى كذلك مع ما تتضمنه التكنولوجيا المتطورة الحديثة.

3.1 انعدام مرافقة الجامعة لخريجها: بما أن الخريج الجامعي هو نتاج عملية تكوين قامت بها الجامعة والتي يُعتبر أنها مسؤولة عنه، فمن واجبه معرفة مصيره بعد تخرجه عن طريق مرافقته وتوجيهه نحو سوق العمل وتسهيل عملية إدماجه فيه، وذلك من خلال التنسيق بينهما، خاصة أمام الاكتظاظ الذي يشهده بسبب ارتفاع عدد الملتحقين به، فانعدام الدراسات الاستشرافية وسوء التخطيط جعل هناك اختلال في التناسق ما بين مخرجات الجامعة ومتطلبات سوق العمل، كما جعل توزيع المشاريع المقاولاتية عشوائيا من حيث نوعية النشاطات وتوزيعها الجغرافي، وجعل بعض التخصصات تشهد ارتفاعا كبيرا لخريجها بالرغم من أن سوق العمل لا يحتاج إلى توظيفهم، هنا نجد بأن دور الجامعة يقتصر على التكوين فقط وليس على التوجيه، هذا الأخير له دور كبير في خلق التوازن الوظيفي والاقتصادي على مستوى سوق العمل كما له دور كذلك في عملية الإدماج المهني الذي يتوافق مع مخطط التنمية الاقتصادية ويساهم في تطويرها من خلال تنشيط

المجالات التي لها مردودية اقتصادية ، كما يمكن للجامعة أن تلعب دورا هاما في المساعدة والمساهمة في توزيع المشاريع المقاولاتية الممارسة من طرف خريجها وتحفيزهم وتوجيههم نحو هذا المجال ، فحسب بن عيسى علال: "خريجي الجامعة بمجرد تخرجهم وحصولهم على الشهادة ودخولهم في محيط اجتماعي جديد تزول تلك العلاقة والتي تربطهم بجامعتهم ، فجامعتهم لا تهتم بمصيرهم بل لا تريد أن تعرف كيف أصبحوا وكيف اندمجوا ، وهل السنوات التي قضونها في التعليم والبحث قد استفادوا منها في حياتهم اليومية ، وهل معلوماتهم وشهاداتهم لاقت ترحابا وتألقا ووجدت من يهتم بها ويطورها لتصبح أداة فعالة للتقدم والرقى الاجتماعي" (بن عيسى علال ، 2008 ، ص 125، 126)، ، فالتشجيع على تنمية المجال المقاولاتي يعتمد بالدرجة الأولى على تعزيز دور الجامعة في التوجيه إليه وتكوين مقاولين ناجحين وذوي كفاءات مهنية قادرين على خلق فرصة عملهم وتجسيدها وإدارتها بمهارة ومواجهة المخاطر والتخلص من خوف الفشل.

2. دار المقاولاتية: دار المقاولاتية عبارة عن مكتب تابع لوكالات التشغيل المتضمنة برامج التشغيل المقاولاتية المدعمة كبرنامج دعم تشغيل الشباب ANSEJ والصندوق الوطني للتأمين عن البطالة CNAC ، وهو موجود على مستوى الجامعات ، دوره تحفيز وتوجيه الطلبة الذين هم في طور التخرج من أجل توجيههم إلى المجال المقاولاتي والتشجيع على خلق مشاريع مقاولاتية ، فهدفه تحسيسي توجيهي استفساري ، يقوم بتنظيم أيام تحسبسية ودراسية ويعرض مداخلات حول تجارب المقاولين الجامعيين الذين نجحوا في خلق مشاريعهم وتسييرها ، مع تقديم شرح مفصل لكيفية بناء فكرة مؤسسة مصفرة وطريقة تحقيقها وإدارتها ، والهدف من ذلك توجيه أكبر عدد ممكن من الجامعيين نحو هذا المجال ، خاصة وأن عدد الجامعيين المستفيدين من برامج التشغيل المقاولاتية يُعتبر ضئيلا وذلك حسب تصريح أحد المسؤولين بالوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب بمدينة وهران. وقد كان لدار المقاولاتية تأثير على عدد من الطلبة الجامعيين الذين توجهوا بالفعل بعد تخرجهم نحو المجال المقاولاتي بفضل التوجيهات والتفسيرات التي تحصلوا عليها ، غير أن الثقافة المقاولاتية تكتسب في بداية المشوار الدراسي وليس في نهايته ، فهي عبارة عن تنشئة متواصلة وسلوك مكتسب كلما تحصل عليها الفرد مبكرا كلما اكتسب روحها ، حتى ينشأ على حب المهنة القاولاتية ويتعلم أساسياتها بطريقة تدريجية ، كما تتطلب الممارسة والتطبيق ولا تقتصر على التحسيس والتوجيه اللفظي أو المدعم ، بل تحتاج إلى التوجيه من خلال سيورة التكوين التعليمي ، " فالتكوين المقاولاتي يهدف إلى تزويد الأفراد بالمعرفة وإكسابهم المهارات اللازمة من أجل تشجيعهم على العمل المقاولاتي على نطاق واسع ومستويات متعددة...فمنهجية التعليم المقاولاتي تركز في محتواها على استراتيجيات التعليم الإبداعية المختلفة كدراسة الحالة ، التعليم بالتجربة ، التعليم التعاوني...كما أن بناء برامج للتعليم المقاولاتي يجب أن يمر على مراحل علمية مدروسة تتكيف واحتياجات الأفراد لتعزيز سلوكهم المقاولاتي" (أيوب صكري ، سمبر حلاب ، 2017 ، ص 20).

التكوين الجامعي ليس دليل ولا مفتاح نجاح المشروع المقاولاتي ، بل المحتوى الجيد هو الذي يكسب صاحبه الخصائص والمميزات التي تساعد على النجاح كالصبر ، المغامرة ، الطموح ، حب الابتكار ، الاستعداد للعمل في أي وقت ، هذه الصفات يستطيع الفرد اكتسابها من خلال التلقين الجامعي مثلما يكتسبها من خلال التنشئة الاجتماعية والمهنية التي يحصل عليها من طرف عائلته.

كما نجد من الخريجين من يحد فكرة المقاوله ويطمح إلى تحقيقها ، غير أنه يرى بان تكوينه الجامعي لم يؤهله لذلك ، ما يجعله يعمل في القطاع العام أو الخاص كخطوة سابقة لتحقيق مشروعه من اجل الحصول على التجربة المهنية والخبرة في العمل أو في تسيير المشاريع.

أثبتت دراستنا الميدانية صحة فرضيتنا الثانية وهي أن دور الجامعة يكاد ينعدم في تلقين خريجها ثقافة المقاوله وفي الحث على ممارستها وهذا ما تأكد لنا أيضا في محور بحثنا الذي أنجزناه تحت عنوان "سيرورة الاندماج السوسيو مهني للشباب حاملي شهادات التعليم الجامعي: حالة الشباب المقاول"، في إطار انتمائنا لفريق البحث حول مشروع " الاندماج السوسيو مهني للشباب حاملي الشهادات الجامعية والسياسات العمومية للتشغيل في الجزائر"، للأستاذ دراس عمر المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، للفترة الممتدة ما بين سنة 2014-2017، حيث أن هناك عوامل أخرى تساهم في ذلك والتي تتمثل أهمها في:

-التنشئة المهنية المقاولاتية العائلية، التي تقوم على مبدأ توارث المهن والعمل ضمن مشروع عائلي متوارث بين أفرادها، أو توسيع مهنة عائلية ممارسة ما بين أفرادها، وقد تكون أحيانا طبيعة الأنشطة مختلفة، غير أن العمل في المجال المقاولاتي هو مشترك فيما بينهم، وذلك بدافع أسباب ولتحقيق أهداف معينة.

-عودة المهاجرين إلى أرض الوطن محملين بتجارب وأفكار ورأسمال مادي يجعلهم يتوجهون إلى النشاط المقاولاتي، بعد أن كانت لديهم عدة تجارب في بلاد المهجر واستطاعوا تكوين رصيد هام من المهارات وطرق العمل والتسيير وفق نظام اقتصادي معين.

-هناك من يتوجه إلى المقاوله بعد أن عمل في مشروع مقاولاتي سابق كعامل أجير أو مساعد اكتسب الخبرة منه وكانت له تجربة ميدانية ساعدته في تحقيق مشروعه وتسييره.

-التوجه إلى المقاوله يكون أحيانا بدافع البحث عن الاستقلالية في الشغل والتحسين من العائد المادي، فمن دوافع التوجه المقاولاتي في بعض دول العالم الثالث تشير بعض الدراسات إلى أن أهم الأسباب التي تدفع إلى المقاولاتية تتمثل في الرغبة في الاستقلالية، التحدي، الخلفية العائلية، فرصة الأعمال، الثروة... الخ (بدر اوي سفيان، 2014، 2015، ص 129).

-تأثير المحيط والعلاقات الاجتماعية على فكر الفرد له أهمية كبيرة في اكتسابه لثقافة المقاوله والتوجه إليها والاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

-تؤدي الظروف الاجتماعية والاقتصادية الهشة إلى توجه الفرد نحو المجال المقاولاتي كحتمية اجتماعية من أجل الحصول على عمل والإدماج في الحياة المهنية، هروبا من البطالة والعوز والفقر والظروف المادية الصعبة والتسريح من العمل وغيرها.

-كما تلعب التسهيلات والدعم الذي تقدمه برامج التشغيل المقاولاتية العمومية دور المحفز والموجه لخريجي الجامعة نحو المجال المقاولاتي وتجسيد فكرة مشروعهم المهني.

خاتمة:

يُعتبر التكوين والتعليم المقاولاتي ركيزة أساسية لتلقين ونشر الثقافة المقاولاتية، وبناء المشروع الاقتصادي المقاولاتي على أساس بناء فكري قائم على المرافقة والتوجيه لضمان السير الحسن للمشروع. والجزائر بالرغم

من المجهودات التي بذلتها لتشجيع الممارسة في هذا القطاع من خلال برامج التشغيل ودعمها للشباب المتوجه إلى المجال المقاولاتي وتحفيزه ومساعدته ماديا على تجسيد فكرة مشروعه، إلا أن غياب دور التعليم في بناء الفكر المقاولاتي وتلقين الثقافة المقاولاتية جعل دور مؤسساته التعليمية ضعيف في المساهمة في تنمية هذا القطاع وفي تعزيز نشاطاته، فلا يزال التعليم أكاديميا يفتقر إلى التربية المهنية والتطبيقية التي يتطلبها واقع سوق العمل بصفة عامة وواقع الممارسة المقاولاتية بصفة خاصة، كما ينحصر دور الحملات التحسيسية والندوات المقاولاتية على توجيه الطلبة إلى المجال المقاولاتي وتحفيزهم على النشاط فيه بفعل المساعدات والتسهيلات المقدمة لهم، غير أن ثقافة المقاولاتية وروحها تبقى عموما غائبة وهو الأمر الذي لا يتحقق إلا من خلال التنشئة والتعليم المقاولاتي، ذلك له تأثير كذلك على مستقبل المشروع المقاولاتي من ناحية صعوبة التسيير والتعامل مع منصب العمل لأن صاحبه لم يتكون فيه ويمكن اعتباره جاهلا للأساسيات العمل المقاولاتي.

التوصيات: من خلال الدراسة التي قمنا بها استخلصنا مجموعة من التوصيات التي تعزز ممارسة المقاولاتية وتساهم في تطويرها وتنشيط مجالها والتي تمثل في:

-على الجامعة جعل تكوينها يتماشى ومتطلبات سوق العمل وأن تجعل تخصصاتها تتوافق مع طبيعة المناصب الموجودة في السوق مع إدراج تخصصات وتكوينات مهنية مقاولاتية.

-يجب وضع مقاييس لإثراء برامج التكوين الجامعي بثقافة المقاولاتية وأساسياتها ومرافقة الطلاب ومساعدتهم في بناء فكرتهم حول مشروعهم المقاولاتي و تجسيده وتوجيههم منذ بداية التكوين الجامعي.

-وضع اتفاقيات مع معاهد أوروبية للاستفادة من تجربة البلدان المتطورة في المجال المقاولاتي وتلقين الفئة الشابة من المقاولين طرق العمل المبتكرة بهدف خلق وتسيير مشاريعهم طبقا للمعايير العالمية.

-يجب توفير فرصة الممارسة والمرافقة والتوجيه في المجال المقاولاتي لطلبة الجامعة وتقديم كذلك فرصة الحصول على الخبرة والتجربة في ميدان العمل سواء من خلال التربصات المهنية المكثفة أو من خلال مرافقتهم من طرف مسيري المشاريع المقاولاتية ذوي الخبرة في تسيير مشروعهم .

قائمة المراجع

-دراس عمر (2014/ 2017)، السياسة العمومية للتشغيل والإدماج السوسيو- مهني لحاملي الشهادات الجامعية، مشروع شراكة ما بين المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC وجامعة تونس (9 أبريل)، أعضاء فريق البحث:

دراس عمر، نوار فؤاد، لوسداد زين الشرف، هند بوعقادة، عرقوب محمد، لحر ميلود

-برغل سعيد (1998)، تقويم العملية التكوينية بالجامعة: دراسة ميدانية ببعض معاهد المركز الجامعي بمستغانم، أعمال ندوة الجامعة اليوم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، الجزائر.

-أشواق بن قدور، محمد بالخير (جانفي 2017)، أهمية نشر ثقافة المقاولاتية وإنعاش الحس المقاولاتي في الجامعة، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، عدد 11، المركز الجامعي لتامنغاست، عن زين الدين بروش ولحسن هدار(2007)، دور الثقافة التنظيمية في إدارة التغيير في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، مجلة أبحاث اجتماعية وإدارية، العدد 1، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

-آمال قاسيمي، اسمهان تمغارت وآخرون (2013)، الجزائر- إشكاليات الواقع ورؤى المستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

-أيوب صكري، سمير حلاب (ديسمبر 2017)، واقع التعليم المقاولاتي في الجزائر، الانجازات والطموحات، مجلة اقتصاديات المال والأعمال JFBE، عدد 4، المركز الجامعي لميلة.

جدراوي سفيان (2015/2014)، ثقافة المقاومة لدى الشباب الجزائري- دراسة ميدانية بولاية تلمسان، رسالة دكتوراه، علم الاجتماع التنمية البشرية، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر عن

entrepreneurship in India, National Knowledge Commission, 2008 (Report of national knowledge commission Commission, India

بن عيسى علال (جوان 2008)، الجامعة الجزائرية في ظل التحولات السياسية والاقتصادية الوطنية والدولية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد 03، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

رابح تركي (1990)، أصول التربية والتعليم لطلبة الجامعات والمعلمين والمفتشين بالتربية والتعليم في مختلف المراحل التعليمية، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.

لوسداد زين الشرف، (2018/2017)، تمثيلات خريجي الجامعة حول برامج التشغيل، أطروحة دكتوراه، علم الاجتماع العمل والتنظيم، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر.

ليمين فالتة، لطيفة برني (2010)، البرامج التكوينية وأهميتها في تعزيز الروح المقاولاتي دراسة استطلاعية عند طلاب كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير بجامعة محمد خيضر بسكرة، ورقة مقدمة للملتقى الدولي حول المقاولاتية وفرص الأعمال، يوم 8/7/6 أفريل، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

محمد قوجيل (2016/2015)، دراسة وتحليل سياسات دعم المقاولاتية في الجزائر دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه، تخصص المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، قسم علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

-Emili-Michel HERNANDEZ (2001), l'entrepreneuriat Approche théorique, l'harmattan, France.

-Khaoula TALEB IBRAHIM (1995), Les Algériens et leur langue, Les éditions El Hikma, Alger.

-Mourad ZEMALI (26 Novembre 2017), De l'université au monde du travail, Communication du ministre du travail de l'emploi et de la sécurité sociale, Alger. Disponible sur le site <http://www.mtess.gov.dz/wp-content/uploads/2017/11/commun-mtess-26-11-2017.pdf>, (Consulté le 19/08/2018).

-Pierre-Marie CHAUVIN, Michel GROSSETTI, Pierre-Paul ZALIO (2014), Dictionnaire Sociologique de l'entrepreneuriat, sciencespo, Les presses, Paris.

-Sophie BOUTILLIER et Dimitri UZUNIDIS (2017), l'entrepreneur la fonction économique de la libre entreprise, Vol 8, Editions ISTE, Royaume-Uni de Grande-Bretagne et d'Irlande du Nord.

-WWW.ONS.DZ

أخلاقه العمل في الصحافة وتحقيق الأمن المجتمعي قراءة في البيئة الإعلامية الجزائرية بين الواقع والمأمول
Ethics of work in journalism and community safety the Algerian Media environment
between Reality and Hope

د. بغداد باي عبد القادر ، المركز الجامعي غليزان- الجزائر
د. رايح هوادف ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

مقدمة:

الحياة المجتمعية للأفراد على مدار العقب التاريخية مبنية على أخلاقه الصلات الاجتماعية لضمان العيش الكريم في ظل الانفتاح والتواصل والتطور ، ولا بد أن الصلات الاجتماعية لا يحددها المبدأ الأخلاقي فقط بل الذوق الفطري يجعلها صورة معينة ، تتدخل فيها الاعتبارات الشكلية ، فالمبدأ الأخلاقي هو إذا يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات ، بينما ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته ، و هنا وجه الفرق بين العلم و الثقافة ، فإن الأول تنتهي عملياته عند إنشاء الأشياء فهمها ، بينما الثانية تستمر في تجميل الأشياء و تحسينها (مالك بن نبي ، 1991)

وإن التطور الهائل الذي يشهده قطاع الصحافة والإعلام حديثا بوسائله المتطورة والمختلفة ذات الحركية التقنية باتجاه تصاعدي ، قد قلبت ليس فقط علاقة الإنسان بالزمان و المكان ، و لكن غيرت أيضا من رؤيته للعالم. فهذه الرؤية التي كانت "فلسفة تأملية" أصبحت "تكنولوجية تقنية" ، بكل ما يعني ذلك من انحصار بعض الأبعاد المكونة لكل رؤية و ظهور بعض الأبعاد الأخرى.

لقد أدت هذه التكنولوجيا الرهيبة فعلا إلى الكثير من الوسائل الإعلامية ذات التركيبة الهرمية التقليدية ، فأعادت بعثها من جديد لتتوافق مع متطلبات الألفية القادمة في مجال الأدائية و الفاعلية. و قد مس هذا "التثوير" أحد الوسائل الإعلامية الجماهيرية ، التي تربعت و منذ ظهورها على عرش الإعلام ، و التي يبدو أنها ستواصل دور "الملك" في الألفية القادمة ، و تعني بذلك التكنولوجيات الرقمية الحديثة ، والتي ينبغي أن نتعامل معها بحس مهرف و ثقافة تعاملية عالية و تحضر ، و بالتركيز على هذا الأخير فالإنسان الذي لا يكون مجتمعه مجتمع حضارة ، معرض للحرمان من الضمانات الاجتماعية ، فأنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل فكأنني أحاول تحديد أسلوب حضارة ، إذ أنني حينما أحقق الحضارة ، أحقق جميع شروط الحياة ، و الأسباب التي تأتي بمتوسط الدخل المرتفع ، بمعنى أنني أحقق الخريطة الاقتصادية ، و نتائجها الاجتماعية و الثقافية أيضاً (مالك بن نبي ، 1992)

أولاً: المنظومة الأخلاقية و المجتمع:

يشغل العنصر الأخلاقي باعتباره عنصر محوري ذو دور رئيسي من خلال استراتيجيات كثيرة و متنشعبه باعتباره صورة مبادئ موجبة تنطبع في ذاتية (الأنا) لتصبح دوافع و قواعد للسلوك فحسب ، و لكن لأنها تستطيع أن تتجلى في صورة التحريم مانع في بعض الظروف غير السوية ، كما في حالة العنف. فتأثير الدين على (الأنا) هو إذن تأثير عام سواء كان ذلك لتحديد عناصر الشخصية الأساسية ، أم كان لأنه في بعض

الحالات الشاذة يؤدي إلى نشأة جوانب مرضية، إذا بدأ هذا التأثير في صورة يتحلل فيها العنصر الديني أو يفسد، فالعنصر الديني عامة فضلاً على أنه يغذي الجذور النفسية العامة كما يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون (الأنا) الواعية في الفرد، و في تنظيم الطاقة الحيوية الخام التي تضعها الغرائز في خدمة الأنا، فقد بين هدفيلد أن الطاقة الحيوية الموضوعة تحت تصرف الأنا، هي في نهاية الأمر في ظل مراقبة ما أسماه أخلاقياً بالمثل الأعلى في إطارها الاجتماعي باعتبارها أقوى عامل في تقرير خلق الإنسان (مالك بن نبي، 1991).

وإذا ما تعننا بنظرة تأملية تشريحية في واقع المجتمعات الراهنة، لوجدناها تختلف في نواح عدة و تتشابه في نواح أخرى، والاختلاف الذي يلفت نظرنا يتمثل في جانب أصيل من جوانب المجتمع، ألا وهو ما يطبع نشاطه من فاعلية تتفاوت درجتها من مجتمع إلى آخر هذا العنصر أصبح أساس في فلسفة العصر، التي تعنى بتقدير الكم فتجعله فوق القيم الأخرى و هو يختلف باختلاف المجتمعات حتى يمكن أن نتخذه مقياساً خاصاً لقياس المستوى التاريخي لهذه المجتمعات، فهناك مجتمعات أكثر فاعلية من مجتمعات أخرى، و إذا تقرر هذا في ذهننا، و قد يتقرر بمجرد النظرة إلى قائمة الإنتاج في العالم، و قد ذهب الفيلسوف بتفسير ذلك إلى تمذهب الآراء التي كانت سائدة في سياسة (هتلر)، أو نقول إنها تصل بناحية اقتصادية كما تفسرها مدرسة (ماركس)، و رغم تعدد الأسباب الكائنة وراءه الظاهرة الاجتماعية فإنه يمكن حصرها في سبب عام نصلح عليه بالفاعلي، بحيث يرى جان ستوتزل و الآن جيراران هناك عدة عوامل أساسية تؤثر في تكوين الرأي العام من أهمها: الثقافة، الأحداث، الريادة، الاتصال، والشائعات (صالح خليل أبو صعب، 2010)

ثانياً: مكانة وسائل الإعلام في المجتمع: تحتل وسائل الإعلام مرتبة مهمة في المجتمع و تخترق جميع مجالات الحياة اليومية بمختلف أنواعها تقريباً و تستحوذ على جزء كبير من أوقات فراغ الناس، و كان لازويل Lasswell قد نشر في عام 1948 مقالته حول الاتصال في المجتمع و حدد أهميته و هي:

أ- مراقبة البيئة و حراسة المحيط: بمعنى أن وسائل الإعلام تقوم بوظيفة مراقبة ما يجري على الساحة من أحداث سياسية و اجتماعية و اقتصادية، و تقوم بنقلها إلى الجمهور العريض من ناحية و من ناحية أخرى تدق ناقوس الخطر كلما كانت هناك تجاوزات أو نقائص على مستوى المؤسسات المختلفة.

ب- ربط المجتمع بالبيئة المحيطة به: و هي وظيفة تحقق الانسجام و الاندماج في المجتمع و يمكن الأفراد و المجتمعات من الشعور بالانتماء إلى مجتمع واحد، و بذلك يتحقق الاجتماع و الاتفاق بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الافناع و ليس العنف (جهاد أبو غرام، 2008)

ج- نقل التراث الاجتماعي: و هذا له صلة بدور التنشئة الاجتماعية الذي تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع من خلال نقل التقاليد و القيم و المعايير من جيل إلى آخر، و هي وظيفة تحقق انسجام المجتمع و تماسكه (محمود حسن إسماعيل، 2003).

د- وظيفة المنفعة: حيث أن اتجاه الفرد إلى وسيلة معينة أو مضمون معين يتحدد في ضوء المنفع العائد عليه من هذه الوسيلة أو هذا المضمون.

هـ- وظيفة الدفاع عن الذات: و تعكس هذه الوظيفة رأي الفرد في الدفاع عن الصورة التي شكلها عن نفسه و رفض ما عداها.

و- **وظيفة التعبير عن القيم:** فكلما دعمت وسائل الإعلام القيم السائدة في المجتمع شعر الفرد بالرضا عن هذه الوسائل ، وهذا يفسر قدرة وسائل الإعلام على دعم القيم السائدة في مقابل ضعف قدرتها على تغيير الاتجاهات السائدة.

ي- **الوظيفة المعرفية:** و تتمثل في حاجة الفرد إلى المعرفة التي تساعد على بناء إدراكه ، تلك المعرفة أو المعلومات التي تساعد الفرد على فهم ما يحيط به من ظواهر و أحداث لكي يستطيع التعامل معها و التي تتيح له إضافة حقائق جديدة.

ويرى دينيس ماكويل **D Macquial** أن الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام توجد حاجات و دوافع لم تكن موجودة من قبل تدفع الجمهور إلى هذه الوسائل فيسعى إلى إشباع تلك الحاجات من خلال التعرض لها ، وهذه الوظائف هي:

وظيفة الإعلام: و هي رغبة الفرد في معرفة ما يدور حوله من أحداث في المجتمع و العالم.
وظيفة تحويل الهوية: و تتمثل في حاجة الفرد إلى دعم القيم الشخصية و التوحد مع الآخرين في قيمهم.
وظيفة التفاعل الاجتماعي: و تتركز هذه الوظيفة في حاجة الفرد إلى الانتماء و الحوار و التواصل مع الآخرين.
وظيفة الترفيه: وهي رغبة الفرد في الهروب من المشكلات و لخلود إلى الراحة و ملء الفراغ ، و الترفيه ليس شيئاً ثانوياً في حياة الأفراد و إنما أصبح ضروريا خاصة في العصر الحالي الذي يتسم بالقلق و التوتر(محمود حسن إسماعيل ، 2003).

ومن خلا ما سبق يمكن حصر الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام و التي تحقق مجموعة من التأثيرات المتنوعة و البعيدة سواء على الفرد أو المجتمع فيما يلي(صالح خليل أبو أصعب ، 2010):

-وظيفة نقل الأخبار: وهي وظيفة تتمثل في نقل الأخبار سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية ، و مهما كان نوعها سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية و ذلك لمتابعة ما يجري حول المرء في عالمه الصغير و الكبير ، و تهدف الأخبار إلى وصل الإنسان بالعالم الخارجي و تزيده بما يستجد من أخبار.

-وظيفة الإعلام و التعليم: الإعلام و التعليم وظيفتان تكمل كل منهما الآخر فبينما تقدم وظيفة الإعلام للمرء المعلومات التي يستفيد منها ماديا أو فكريا ، فإن التعليم في حقيقته وظيفة تقدم له نوعا من المعلومات المنهجية التي تستخدم إما لتدعيم عملية التعلم الرسمي أو تقدم معلوما تكسب المرء مهارات جديدة في إطار التعليم غير الرسمي.

-وظيفة ترابط المجتمع و نقل تراثه: الإعلام هو السبيل الوحيد إلى ترابط المجتمع فهو الذي يربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض الآخر و يوثق العلاقة بين الشعب و حكومته ، و من خلال نقل تراث الشعب لغته و قيمه و عاداته و تقاليدهم يستمر ترابط المجتمع و الحفاظ على كيانه و معتقداته و توحيد أفراد المجتمع.

-وظيفة الترفيه: لا تقل الوظيفة الترفيهية للاتصال أهمية عن الوظائف الأخرى ، و هي وظيفة أساسية لتحقيق بعض الإشباع النفسية و الاجتماعية و لإزالة التوتر الإنساني على مستوى الأفراد و الجماعات.

-وظيفة الرقابة أو الرقيب العمومي: تمثل هذه الوظيفة أحد الدروع الأساسية لحماية المجتمع و صيانتها من الفساد و المخالفات و إساءة استخدام السلطة ، و لذلك فقد أطلق على الصحافة اسم السلطة السادسة فهي تلهب دورا أساسيا في الدفاع عن مصالح الناس.

تكوين الآراء والاتجاهات:

تعريف الاتجاهات: يمكن تعريف الاتجاه "على أنه استعداد مكتسب ثابت نسبياً يحدد استجابات الفرد حيال الأشخاص أو المبادئ أو الأفكار" (شحاته، ربيع محمد، 2004)، كما أن الاتجاه يتعلق بموضوع معين من حيث رفض الشخص لهذا الموضوع أو قبوله ودرجة هذا الرفض أو هذا القبول. من الوظائف العامة و الرئيسية لوسائل الإعلام تكوين الآراء والاتجاهات لدى الأفراد والجماعات والشعوب حيث تقوم بتقديم المعلومات والحقائق والأفكار والآراء حول موضوع الاتجاه وهذا يساعد بطريقة مباشرة على تغيير الاتجاه، إما إلى الإيجاب أو السلب.

الإعلان والدعاية: وهو الإظهار والنشر والوضوح، وعبارة عم مجموعة من الرسائل الفنية المتنوعة المستخدمة بقصد تعريف الجمهور بسلمة أو بفكرة أو خدمة بالشكل والمضمون الذي يؤثر في معلوماته وميوله وسلوكه الاستهلاكي وأفعاله وسائر المقومات الثقافية الأخرى (منى الحديدي، 2002)، فكل إعلان له هدف محدد بالمجتمع وتجلي في:

-تقديم المعلومات كافية لجمهور المستهلكين حول أيسر السبل في الحصول على المنتج المعلن عنه وبأقل جهد وفي أقصر وقت وبأقل التكاليف الممكنة.

-تقوية وتعزيز صورة سلعة معينة في أذهان الناس وزيادة ثقتهم بها، أو بالشركة التي تنتجها، حتى تصل إلى درجة الشهرة بين جمهور المستهلكين، و يصبح المستهلك يقبل على منتجاتها دون تردد نتيجة الثقة التي بناها الإعلان الإعلامي في نفسيته نحو هذه الشركة. (عامر مصباح، 2005).

ثالثاً. المنظومة الأخلاقية والميديا الجديدة:

لعل التأثيرات السلبية والمباشرة التي يتعايش وفقها المسلمون عبر ربوع العالم جراء استخداماتهم اليومية للوسائل الإعلامية والتواصلية الكثيرة تذكر محاولات التشويه والتحريف لدين الإسلام، من طرف أشخاص، جمعيات، ومنظمات، والتي تستغل قلة أو غياب الوجود الإسلامي على شبكة الانترنت، وقلة المواقع الداعية إلى الإسلام (بالمقارنة مع تلك المشوهة له)، والتي تذب عنه أمام هذه الحملات المعادية؛ "ويتعرض المسلمون والإسلام لمحاولات متعددة ومتكررة، لتحريف عقيدتهم وزعزعتها، مثل ما حدث في صيف 1998م، قامت إحدى المنظمات المشبوهة من خلال شبكة الانترنت بمحاولة تشويه القرآن الكريم.

حيث طالبت المنظمة من زوار موقعها على الانترنت بتأليف سور تحاكي السور القرآنية، في محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن ليس معجزة إلهية من عند الله، بل هو من صنع البشر (...). وفي أواخر 1998م عادت محاولات تحريف القرآن الكريم على شبكة الانترنت، ولكن في موقع جديد يثبت نصوصاً تشبه بسور القرآن الكريم، من حيث الشكل والمحاكاة اللغوية، من خلال أربع سور مزعومة أطلقت عليها أسماء "المسلمون، الإيمان والوصايا والتجسيد وتتهم هذه النصوص المحرفة المسلمين بأنهم في ضلال مبين، وتلق على لسان الرسول صل الله عليه وسلم أقوالاً مكذوبة". وبرأي سفيان الذي ساعد اللعبة الإعلامية هو سيادة التقنية وما نجم عن ذلك من خلط كامل بين المرسل والمتلقي في عالم كل واحد فيه يتصل من دون أن يعرف مصدر الرسالة، على الرغم من أننا نعلم جيداً أن التقنيات والأجهزة المعقدة تربطنا

بالمرسل البعيد فان الوسيط التقني بدل أن يعطينا شعورًا بالمصطنع يقدمه إلينا على انه تلقائي وطبيعي (Lucien Sfez, 1992).

فالاتصال الكلامي مثلاً حسب بعض الدارسين هو إرسال أكثر منه استقبالياً، و هذا كونه يخلق تعاملاً مع الأطراف بتشكيل محتوى بسلوك معين حسب اللفظ الذي يعتبر المكون لأخلاق معينة. (Dominique Neiryneck, 2003)، و هناك عدة استخدامات سلبية أخرى لشبكة الانترنت، كالترويج لاستهلاك و تجارة المخدرات، و الدعاية للأفكار و الإيديولوجيات الهدامة إلى غير ذلك، من الاستخدامات السلبية، التي جعلت منظومة القيم تنهاوى "و العادات و التقاليد الاجتماعية تنزعزع أيضاً، نظراً لتوغل و تجذر وسائل الاتصال في حياة الناس" (فلاح كاظم المحنة، 2001)، و قد أدت كل هذه الاستعمالات غير المرغوبة إلى معارضة الانترنت من طرف عدة مجتمعات محافظة، و جمعيات و منظمات مختلفة بل و حتى من طرف الحكومات. يقال أنّ الصحافة صادقة دائماً، حتى ولو كانت كاذبة فهي تعبّر عن كذبة في المجتمع، بمعنى أنّ ما تقدّمه من مضامين هو نتاج تفاعلات إجتماعية تعكس على وسائل الإعلام، و يمكن تفسير هذه العلاقة التفاعلية من خلال بنية المؤسسة الإعلامية التي تتموقع إجتماعياً وبنية المجتمع الذي تنشط فيه، إذ لا يمكن أن تعبّر وسائل الإعلام الفرنسية مثلاً إلا على المجتمع الذي تنشط فيه و يختلف الأمر بالنسبة لوسائل الإعلام المصرية أو التونسية أو الجزائرية، ذلك أنّها تتغذّى على مخرجات المجتمع ومختلف التفاعلات الثقافية والأثروبولوجية فيه، من خلال تغطية الأحداث اليومية أو نقل الوقائع ومعالجة مختلف القضايا والمواضيع المطروحة على الساحة السياسية والإقتصادية والإجتماعية، كما تغذّي الثقافة السائدة في المجتمع أيضاً مضامين وسائل الإعلام وتكون نتاجاً منطلقاً لها سواء من حيث الإنتاج أو الإستهلاك، أي أنّ وسائل الإعلام تنهل من المجتمع لتفرغ فيه مجدداً في حلقة مغلقة حبلية بمختلف التفاعلات والتجاذبات مثل يشير إليه نموذج التبعية سنة 1976 لروكيش وديفلر من خلال التطرق للعلاقة التفاعلية ما بين النظام الإجتماعي والنظام الإعلامي ونسبة التبعية لمضامين وسائل الإعلام ومعلوماتها التي تنعكس في شكل معارف وثقافة وسلوكات (Judith Lazar, 1993)

رابعاً: تراجع المنظومة الأخلاقية في وسائل الإعلام: تتخبّط وسائل الإعلام في الجزائر تحديداً منها الخاصة في جملة من التجاوزات التي تخرجها عن إطار دورها الوظيفي الهادف في حين يشير مفهوم الوظيفية إلى "مدى مساهمة شكل معيّن من الأنشطة المتكرّرة في استقرار المجتمع" (ملفين ديفلورساندرا بول، روكيتش، 1993)، حيث تسجّل يوماً بعد يوم من الأمثلة عن إنحرافات أخلاقية سواء عن طريق ملاحظات و انتقادات أكاديميين ومهنيين متخصصين أو عن طريق هيئات قانونية وتنظيمية مثل سلطة ضبط السمعي البصري التي وجّهت عدّة إنذارات لقنوات تلفزيونية خاصة بسبب إرتكابها لأخطاء تضرّ بالمشاهدين وبالأمّن الإجتماعي، وتكاد هذه الإنزلاقات تكون الومس الذي يميّز به مسار الصحافة الخاصة في الجزائر منذ الدخول في التعددية الإعلامية بداية الستينيات، إذ تشير مختلف الدراسات والمعطيات التاريخية إلى وجود تجاوزات بالجملة في تناول مختلف القضايا والأحداث، ويظهر ذلك في الممارسة الإعلامية في الميدان وفي المخرجات التي يتلقاها الجمهور، كما تفسد هذه الإنحرافات الأخلاقية البعيدة عن مفهوم المسؤولية، العلاقات ما بين الأطراف الخمسة الذين تشملهم مدونات أخلاقيات المهنة وتضمن تنظيم العلاقات بينهم، من خلال منظومة الحقوق

والواجبات وهم الصحفي والمصدر والناشر أو المالك للوسيلة الإعلامية والمعلن والجمهور (Judith Lazar, 1993).

ويذكر الدكتور والصحفي صالح فلاق شبرة في مقاله العلمي (الأمن الاجتماعي والمسؤولية الأخلاقية لوسائل الاعلام) أن الإعلام العمومي في الجزائر يبدو ممثلاً في التلفزيون والإذاعة ووكالة الأنباء وبعض الجرائد الورقية والإلكترونية، على الرغم من الانتقادات الوجهة إليه أكثر إلزاماً بمفهوم المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية سواء من حيث تقديم المعلومات الرسمية والصادقة إلى حد ما أو نوعية المضامين المقترحة للقراءة والإستماع والمشاهدة والإستخدام، وذلك نظراً لخضوعه لرقابة صارمة من قبل مختلف الهيئات التنظيمية في أجهزة الدولة، إضافة إلى تكوين الصحفيين في هذا القطاع على نمط من التحرير ومعالجة الأخبار وتغطية مختلف الأحداث، بحيث تظهر المضامين المقدمة أقل جدلاً في الساحة الإعلامية مقارنة بتلك التي تقدمها وسائل الإعلام الخاصة، إذ رغم هامش الحرية الذي تتمتع به إلا أنها لا تزال تقع في الأخطاء التي توحى بانهيار في المنظومة القيمة الإعلامية وتجعل وسائل مجموعة الجرائد والقنوات التلفزيونية وسائط تنقل المحتويات التحريضية والمشحجة على تفسخ المجتمع أكثر من تماسكه، وقد يكون ذلك نابعا عن حادثة التجربة الإعلامية الخاصة في الجزائر وعدم إكتسابها تقاليد حقيقية تجعلها واعية بدورها في العملية الإتصالية والحراك الاجتماعي.

وإن دور وسائل الإعلام يظهر في كونها ناقلاً للرسائل والمضامين من عمق المجتمع وصانعي الأفكار والمعاني فيه، نحو الطرف الثاني المستهلك أو الثانوي أو الجماعات التابعة التي تعترف بهذه الوظيفة للنخبة وتستسلم لها طوعاً. وذلك ما تشير إليه نظرية النسق الاجتماعي التي تعتبر أنّ الفرد موجه نحو هدف معين في أي عمل يؤديه، ويكون هذا "التوجيه عن طريق القيم والأعراف والبيئة الاجتماعية. (عثمان الصديقي، 1999) خامساً: التربية التكنولوجية والاستراتيجيات الوقائية: تتعامل مختلف الأجهزة والمؤسسات الأمنية مع تداعيات الجرائم الإلكترونية، وتحاول أن تحين أساليبها في المجابهة والردع موازاة مع التطور الذي تعرفه جراء تسارع تطور التكنولوجيات، حيث تعتمد مختلف المؤسسات الأمنية اليقظة على تطوير أساليبها ووسائلها ومحاربة الجريمة الإلكترونية بما هو إلكتروني ومتطور، وتتبع في هذا الصدد تكنولوجيات التتبع (technologie de suivisme) أو التعقب على مستوى شبكة الأنترنت من خلال سلوكات المستخدم والآثار التي يتركه من خلال تردده على مختلف المواقع باستعمال البريد الإلكتروني أو مواقع التواصل الاجتماعي أو يوتيوب أو تويتر، وبالتالي فإنّ أساليب التدخل تكون سهلة في مثل هذه الحالات خصوصاً إذا كان المستخدم مكشوف الهوية ويتعامل بهويته الحقيقية، فيما يمكن الاستعانة بآليات التحديد الجغرافي والعنوان الإلكتروني لشبكة الأنترنت التي يستخدم منه المستخدم الجهاز (IP)، بحيث يمكن للمختصين في مجالات الأمن التعرف على المكان الذي يتواجد فيه المستخدم ومن أي نقطة يتصل وبالتالي يسهل عملية توقيفه، ويتم اتخاذ هذه الإجراءات بناء على السند القانوني الذي يحدد حالات التدخل والتي تكون غالباً بذريعة وجود شكوى، ليتم الشروع في مراقبة السلوكات على شبكة الأنترنت وفقاً لمقتضيات التحقيق، بينما يمكن أن يتم تحريك بعض القضايا المتعلقة بالأمن العام بأمر من وكيل الجمهورية من دون الحاجة إلى تقديم شكوى من طرف مدني، وتنظم النصوص القانونية في قانون العقوبات كلّ ما يتعلّق بالجريمة الحديثة ولحماية الحريات

الفردية والحياة الخاصة من خلال مختلف الاستخدامات على شبكة الأنترنت ، من دون المساس بالحق في الإعلام والوصول إلى المعلومة: "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية إعتناق الأفكار وتلقيها ونشرها بدون تدخل وبأي وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية" (علي كسابسية ، 2011)

على ضوء ذلك فإن الحاجة ملحة من أجل تطوير المنظومة التشريعية القانونية وتكييفها مع المستجدات التكنولوجية وإفرازاتها على المجتمع. وبعدّ التكوين المتواصل والتدريب من أهم متطلبات محاربة الجريمة الإلكترونية بشتى مجالاتها، حيث تخصص الأجهزة الأمنية خلايا لمراقبة ومحاربة هذا النوع من الجريمة (cybersurte)، لكن الاستراتيجيات الوقائية التي تقوم على الاتصال تبقى أفضل طريقة من أجل محاربة الجريمة الإلكترونية، حيث تعدّ الخطط الوقائية أفضل بكثير من الخطط العلاجية، لذلك تركز المؤسسات الأمنية الذكية على مفهوم التربية التكنولوجية وإرساء الوعي التكنولوجي والاجتماعي لدى المستخدمين من خلال عمليات التوجيه والتعريف بمخاطر الاستخدامات غير العقلانية أو النتائج غير المقصودة والتي تعرّض صاحبها للمسائل القانونية لوجود قرينة الجريمة وعدم تعامل النصوص القانونية مع المقاصد والنوايا، وقد أتاحت الثورة الرقمية والشاشات المتصلة بشبكة الأنترنت فرصا اتصالية فعالة من خلال قوة التواجد في كل مكان عن طريق المنصات الإلكترونية أي توجّه المؤسسة الأمنية لاستعمال مواقع التواصل الاجتماعي أو الشبكات الاجتماعية التي يرى الصادق رابع أنّها أصبحت تمثّل "المورفولوجيا الاجتماعية الجديدة لمجتمعاتنا" (الصادق رابع، 2010)، مثل فايسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات والمنتديات والحرص على الظهور في الصفحات الأولى للبحث على محرك البحث "قوقل" واستخدام المواقع المتخصصة في الصور وعرض البيانات والشرائح السمعية البصرية، والبريد الإلكتروني والرسائل القصيرة عبر شبكات الهاتف النقال، وهي وسائط اتصالية تستقطب عددا كبيرا من المستخدمين، فيكون محاصرتهم بالمحتوى الأمني الوقائي ناجعا على الأقل فيما يتعلّق بمرحلة وصول المحتوى إلى الجمهور المستهدف، كما يمكن الاعتماد على الدردشة في الزمن الحقيقي وهي بمثابة اتصال شخصي باستعمال الوسيط التكنولوجي، وأيضا التطبيقات التكنولوجية التي تساعد على المشاركة في إنتاج المعنى، أي إشراك المستخدمين في الحملات الاتصالية الوقائية وتجنيدهم في أدوار نقل المحتوى ما بين المنظومات الإلكترونية الفردية والجماعية، إذ يقول في هذا الصدد ابراهيم انتصار عبد الرزاق أنّ "إنبثاق المنظومة التفاعلية الإلكترونية يعني نهاية الجمهور وولادة الذات الجماعية" (ابراهيم انتصار عبد الرزاق، 2012). وبالتالي تكون الاستفادة من قوة الاقتراح لدى المجموعة والذكاء الجمعي أو واستغلال ذكاء الحشد (Jeab Paul Lafrance, 2013) من خلال تطبيقات مثل الويكي (وهي "موسوعة على الخط" أين يمكن للجميع أن يكتب فيها ويمكن للجميع أن يصحّح هذه المعلومات أو يعدّل فيها، أو هي مصادر ذات مساهمات مفتوحة أو صفحات قابلة للتعديل من قبل الزوّار أو المستخدمين أو الجماعة المؤلفة)، و crowdsourcing والمصادر المفتوحة open source، ومواقع التواصل الاجتماعي (ظهر مفهوم التعاون الجماعي في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي مثل (Pierre Jean Benghozi, 2014) الذي ظهر سنة 2010 الذي يدمج أو يشارك المستهلكين في تطوير المنتج)، واستغلال مختلف قنوات جمع المعلومات التي تمثّل "مصدرا للإنتاج والسلطة". (Jeab Paul Lafrance, 2009) لا سيما وأنّه قد تغيّرت

مختلف الأبعاد المتعلقة بإنتاج الأخبار ، حيث يقول جمال الزرن أننا " أمام مشهد صحفي جديد...وانفجار كبير لمنظومة الخبر وصناعته " (جمال الزرن ، 2009).

ويعتبر تركيز الاستراتيجيات الاتصالية الوقائية على التربية التكنولوجية داعما لأهداف المؤسسات الأمنية ومساعدة على تحقيقها ، لأنّ "الترسانة التكنولوجية المتجددة والمتطورة تملك قوة التغيير في الواقع الاجتماعي" (نصر الدين العياضي ، 2009) حسب نصر الدين عياضي ، كما أنّ "ما كان في السابق يتم تحقيقه بالعنف والقهر ، فإنه الآن يمكن أن يتم عن طريق الجدل والإقناع" (صالح خليل أبو أصعب ، 2006) حسب هارولد لازويل. إذ يكون للتوعية حول استخدامات الأدوات التكنولوجية والجريمة الإلكترونية والمنظومة التشريعية القانونية والعقوبات المترتبة عن سوء استعمال النشر والاستخدام ، إيجابيا في التقليل من انتشار الظواهر السلبية للمستحدثات التكنولوجية إضافة إلى توجيه نحو الاستعمالات الإيجابية لها ويندرج ذلك في إطار تسيير العلاقة مع المواطنين أو جمهور وسائل الإعلام والاتصال حيث يشير ريجيس دوبري أنّ العملية الاتصالية لا تهتم بالمعنى فقط أو المحتوى وإنما كذلك بالعلاقة (Regis Debras, 2000).

خاتمة:

تعتبر القيم الأخلاقية قاطرة النجاح في قطاع الصحافة والإعلام ، ولا بد أن سر وتقوى نجاح القائمين بالإعلام في المجالات الصحفية هم أولئك الذين يشتغلون في أرياحية أخلاقية تغنيهم عن الخروج منها ، وبالتالي تحقيق التطوير الصحفي في شتى صورته وأشكاله. ولا بد أن الجهات الأمنية في المجتمع باختلاف أجهزتها عكفت ولا تزال ضمن منظومتها العملية الاستراتيجية على حماية المواطن والسهر على أمنه وأمانه ، وبذلك فهي تسعى إلى تحقيق الأمن الاجتماعي من خلال تسخير القطاع الإعلامي ، وعلى إثر ذلك ظهر الإعلام الأمني كإعلام متخصص يسهر على إيصال أفكار ومستجدات الجهات الأمنية وتطبيق برامجها ، الموجهة خصيصا إلى الجمهور على غرار البرامج التوعوية والإرشادية والحملات الإعلامية في إطار الصالح العام.

قائمة الهوامش:

1. مالك بن نبي ، مشكلات حضارة ، دار الفكر ، الجزائر- سوريا ط1991 ، 5 ، في محور سادتي : ما هي الثقافة ص ص 148-150.
2. مالك بن نبي ، فكرة الإفريقية الآسيوية ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط 3 ، دار الفكر الجزائر ، دار الفكر سوريا 1992 ، ص164.
3. مالك بن نبي ، مشكلات حضارة ، مرجع سبق ذكره ، ص 151.
4. صالح خليل أبو أصعب ، الاتصال و الإعلام في المجتمعات المعاصرة ، جامعة فيلادلفيا ، دار البركة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2010 ، ص02.
5. محمود حسن إسماعيل ، مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير ، الدار العالمية للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، مصر ، 2003 ، ص 101.
6. نفس المرجع ، ص102
7. صالح خليل أبو أصعب ، مرجع سبق ذكره ، ص03.
8. شحاته ، ربيع محمد ، قياس الشخصية ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية . 2004 ، ص 24.
9. منى الحديد ، الإعلان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 2 ، 2002 ، ص 52.
10. عامر مصباح ، الإقناع الاجتماعي(خلفية النظرية و آلياته العملية) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005 ، ص 75.
11. Lucien Sfez " La communication " ، Que Sais Je , PUF , Paris 1992 , p.88.

12. Dominique neiryck , tout savoir sur la communication orale , éditions d'organisation ,paris 2003, p264.
13. فلاح كاظم المحنة ، علم الاتصال بالجماهير ، الأفكار ، النظريات ، الأنماط ، عمان: مؤسسة الوراق ، 2001م ، ص 420
14. Judith Lazar, « la science de la communication », 2 e édition, France, Dahlab, 1993, p 120
15. ملفين ديفلور ، ساندرا بول ، روكيتش ، "نظريات وسائل الإعلام" ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة 1993 ، ص 12.
16. Judith Lazar, opcit, p122.
17. عثمان الصديقي سلوى ، حافظ هناء بدوي ، "أبعاد العملية الاتصالية: رؤية نظرية وعملية وواقعية" ، مصر ، الأزارطة المكتب الجامعي الحديث ، سنة 1999 ، ص 80.
18. علي كسايسية ، "التوجهات الجديدة في التشريعات الإعلامية الحديثة" ، مجلّة الاتصال والتنمية ، ع 2 ، بيروت ، دار النهضة العربية ، سنة 2011 ، ص 36.
19. الصادق رابع ، "مجتمع المعلومات: في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم" ، مجلة عالم الفكر ، جامعة الشارقة ، كلية الاتصال ، سنة 2010 ، ص 11.
20. إبراهيم انتصار عبد الرزاق ، صفد حسام الساموك ، "الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة" ، ط1 بغداد ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، سنة 2011 ، ص 24.
21. Jean Paul Lafrance, « la civilisation du clic : la vie moderne sous l'emprise des nouveaux medias », Paris, l'harmattan, 2013, p 149
22. Pierre jean Benghozi, Michelle Bergadaa, Fatima Gueroui, « les temporalité du web », 1 ère édition, Belgique, DEBOECK, 2014, p 37
23. Jean Paul Lafrance, ebis, p151.
24. جمال الزن ، "صحافة المواطن: المتلقي عندما يصبح مرسلًا" ، المجلة التونسية لعلوم الاتصال ، ع 52/51 ، سنة 2009 ، ص 73.
25. نصر الدين لعباضي ، "الرهانات الاستيمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي ، نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية" ، أبحاث المؤتمر الدولي ، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد" ، جامعة البحرين ، 7-9 أبريل 2009 ، منشورات جامعة البحرين ، طبعة 2009 ، ص 18.
26. صالح خليل أبو الأصعب ، مرجع سبق ذكره ، ص 26.
27. Regis Debray, « introduction a la médiologie », 1 ère édition, Paris, Presse universitaire de France, 2000, p 69.

قائمة المراجع:

- الصادق رابع ، "مجتمع المعلومات: في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم" ، مجلة عالم الفكر ، جامعة الشارقة ، كلية الاتصال ، 2010.
- الزن جمال ، "صحافة المواطن: المتلقي عندما يصبح مرسلًا" ، المجلة التونسية لعلوم الاتصال ، ع 52/51 ، سنة 2009.
- أبو أصعب صالح خليل ، الاتصال و الإعلام في المجتمعات المعاصرة ، جامعة فيلادلفيا ، دار البركة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2010.
- الحديدي منى: الإعلان ، الدار المصرية اللبنانية . القاهرة ، ط2 ، 2002.
- الصديقي عثمان سلوى ، حافظ هناء بدوي: "أبعاد العملية الاتصالية: رؤية نظرية وعملية وواقعية" ، مصر ، الأزارطة المكتب الجامعي الحديث ، سنة 1999.
- إسماعيل محمود حسن: مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير ، الدار العالمية للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، مصر ، 2003.
- المحنة فلاح كاظم: علم الاتصال بالجماهير ، الأفكار ، النظريات ، الأنماط ، عمان: مؤسسة الوراق ، 2001.
- العباضي نصر الدين ، "الرهانات الاستيمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي ، نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية" ، أبحاث المؤتمر الدولي ، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد" ، جامعة البحرين ، 7-9 أبريل 2009 ، منشورات جامعة البحرين ، طبعة 01 ، 2009.

- عبد الرزاق إبراهيم انتصار ، صفد حسام الساموك ، "الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة" ، ط1 بغداد ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، سنة 2011.
- مالك بن نبي ، فكرة الإفريقية الآسيوية ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط3 ، دار الفكر الجزائر ، دار الفكر سوريا 1992.
- مالك بن نبي ، مشكلات حضارة (في محور سادتي : ما هي الثقافة) ، دار الفكر ، الجزائر - سوريا ط5 ، 1991.
- ملفين ديفلور ، ساندرا بول ، روكيتش ، "نظريات وسائل الإعلام" ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993.
- مصباح عامر: الإقناع الاجتماعي(خلفية النظرية وآلياته العملية) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005.
- كسايسية علي ، "التوجهات الجديدة في التشريعات الإعلامية الحديثة" ، مجلة الاتصال والتنمية ، ع 2 ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 2011.
- شحاته ، ربيع محمد: قياس الشخصية ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية ، 2004.
- Dominique neirynek , tout savoir sur la communication orale , éditions d'organisation ,paris 2003.
- Lucien Sfez " La communication " , Que Sais Je, PUF , Paris 1992.
- Judith Lazar, « la science de la communication » , 2 e édition, France, Dahlab, 1993.
- Jean Paul Lafrance, « la civilisation du clic : la vie moderne sous l'emprise des nouveaux medias » , Paris, l'harmattan, 2013.
- Pierre jean Benghozi, Michelle Bergadaa, Fatima Gueroui, « les temporalité du web » , 1 ère édition, Belgique, DEBOECK, 2014.
- Coordonne par Jean Paul Lafrance, « critique de la sociétés de l'information » , Paris, CNRS édition, HERMES, 2009.
- Regis Debray, « introduction a la médiologie » , 1 ère édition, Paris, Presse universitaire de France, 2000.

المخيل التكنولوجي وإعادة بناء الهوية الفرد.

Technological imagination and identity reconstruction:

د. خن جمال

د. بن علي محمد

د. يحيى زهير.

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان-الجزائر

مقدمة:

إن الوضع الدولي الراهن وما تشهده الدول والمجتمعات من تطور معرفي، والثورة العلمية التي تحدث في مجال المعلوماتية وتكنولوجياها هي أكبر ثورة عرفتتها المجتمعات المعاصرة وهي ما ندعوه بالمخيل التكنولوجي، قد غيرت من علاقاتنا المختلفة بالمحيط وبالمعلومات المتعددة حول الإنسان والطبيعة مما أثر في سلوكياتنا اليومية وفي علاقاتنا بالمحيط والمجتمع إضافة إلى العديد من الأوضاع الأخرى حتم علينا التساؤل من جديد عن مفهوم الهوية وعن المعايير الجديدة التي توحد بيننا وتسطر الخط الفاصل مع الآخرين؟ وهل هذا الخط الفاصل مازال يكمن في الوطن أو في الحدود الجغرافية أو اللغوية؟ وإلى أي مدى أصبحت تعتمد هذه المعايير الخصوصيات الثقافية والمعرفية في ظل التطور العلمي والتكنولوجي؟

لقد لخص رورتي كل هذه التساؤلات في سؤال واحد "ما هو الهدف الأسمى (Ideale) الموحد الذي يجب علينا أن نتطلع إليه لكي تصبح جماعاتنا تختلف في وجودها عن العصابة؟" (A-Triki Fathi i, 1998, p10) وبهذا المعنى يكون خطاب الهوية هو تعيين الآخر والغير كخصم، أو خصم ممكن، وفي هذا الإطار يذهب فراند براندل Frand Brandel إلى اعتبار "إن الأمة لا يكون لها اعتبار إلا من خلال ما تسعى فيه إلى البحث المتواصل عن نفسها ومن خلال التغيير الذي لها في خصم التطور المنطقي، ومن خلال الإعتراض على الآخر (الغير) من غير ضرر ولا ضرار، ومن خلال التمسك بما هو أفضل و ضروري لها في ذاتها" (A-Triki Fathi i, 1998, p10). إن الغاية من صياغة هذه الأسئلة تكمن في تقادي السقوط في الفلكلورية أو الثقافية التي قد تؤدي إما إلى النرجسية الفارغة أو إلى التعصب والعنصرية، والهوية التي نحتاجها للتصدي للهيمنة الإمبريالية في صورتها الجديدة، لا بد أن تتعالى عن هذه الثقافية الضيقة ولا بد أن تكون منفتحة وحركية ولا تستبعد الآخر، ولشرح فكرة الهوية وتبسيطها وربطها بالواقع لا بأس أن نعرض وضعية العالم الذي نعيش فيه أو ما أصبح يسمى بمجتمع المعرفة، حيث هناك ثلاث عوامل: في المقام الأول العالم الرأسمالي وهو عالم يمتلك العلم والتكنولوجيا ثم يأتي العالم الثاني الذي يسعى إلى التأقلم مع كل تغيير يطرأ على العالم الأول أما العالم الثالث فيتشكل من دول هي تابعة وهشة إقتصاديا وسياسيا، والعلاقة بين هذه العوالم أحيانا تكون حسنة أحيانا وأخرى تكون علاقات مشحونة وغير متكافئة، وعلاقات صراع، وإستراتيجية الهوية تعتبر كسلاح يقينا من الأخطار المرتقبة لمجتمع المعرفة وكطريقة ذكية للمحافظة على الذات من غير التوقع داخلها أو الإنغلاق على النفس، حيث تستفهم هذه المحاولة المفاهيم المختلفة أي يجعلها موضع سؤال والمتعلقة بالثقافة، والتحويلية، والغيرية والإيديولوجية والعنصرية، والحرية، ومن خلال هذه الإستفهامية

لهوية سنتمكن من التمتع بصفة ذكية في الحركة العالمية. اننا لا ندعي في هذا التحديد للهوية أننا وجدنا الحل لهذه الإشكالية. وإنما نحاول إبراز تجلياتها، فالهوية تعني وعي الكائن بكليته وبمركزيته وهي في نفس الوقت تمدد وثبات مع الذات والتحولية، كما أنها لا تعني الإنكفاء والإنغلاق على الذات ولكنها تعني التفتح والفهم والتواصل فتواصلية الإنسان سواء مع الطبيعة والحياة أم مع بني جنسه يكون في هذا الحال العنصر المركزي لهويته وهذا ما يعبر عنه بول ريكورب " الكائن هنا مع أو بصحبة فهو يوجد بمحاذات أشياء العالم و يوجد رفقة غيره " (بول ريكور ، 2006 ، ص125)

فالهوية في المجتمع التكنولوجي يجب أن لا تستبعد الآخر بل تجعل منه شرط ضروري لحركة الكائن وممارساته وفعالياته، فهي إذن لا بد أن تكون منفتحة على الآخر، وكل تأكيد للهوية هو تأكيد على الغيرية، ومن ثم فإن كل إقصاء للغيرية هو إنغلاق للهوية، وبهذا التحديد الجديد تبعد الهوية عن الماضي وتثبت الاختلاف والغيرية، لأنها ليست إنكفاء على الذات أو إقصاء للآخر. كما لا يوجد هوية واحدة. بل هناك هويات عديدة، والهدف من نقد الطرف الواحد هو إبتعاد الإنسان عن نرجسيته الخاصة والتركيز على ما هو خاص بماهيته أي يكون إنسان الإمكانية والنهاية، وبهذا نكون قد أعطينا لمفهومي الهوية والاختلاف وظائفهما الخاصة في مجتمع المعرفة والتكنولوجيا.

أولاً. إستراتيجية الهوية:

1. في هوية الفلسفة: إن الوضع الدولي الراهن، وما آلت إليه الإنسانية من صراع و حروب و توترات، وماترب عن تطبيق العولمة كنظام يحاول القبض بكلالكله على الإنسان أينما وجد، كان نتيجة التطور الذي عرفته البشرية في جميع المجالات التقنية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والعسكرية إلخ. كل هذا جعل ضرورة إعادة التساؤل حول الدور الذي بإمكان الفلسفة أن تلعبه من أجل تقليص حدة العنف وإرساء قواعد السلم الدائم، فهل ستوفق الفلسفة في رحلتها هاته؟ وما هي المفاهيم الجديدة التي تستطيع الفلسفة حملها خلال هذه الرحلة؟

إن الفلسفة تستطيع أن تشارك بصفة أنطولوجية في إرساء هوية متعددة بإمكانها أن تستوعب الإنسان المعاصر، هذه الهوية يحددها المفكر التونسي فتحي التريكي في الإنفتاح والغيرية، ومن ثم يستطيع الإنسان أن يكون "مواطناً" في مجتمع تكون فيه الهوية تنبذ مبدئياً العنف. وبالتالي ضرورة البحث عن ميلاد جديد للفلسفة التي تقوم بزوال الأنسقة والمذاهب الشمولية الكبرى، حيث تبدأ في الظهور الإشكالية الجديدة للفلسفة من خلال رحلتها الجديدة. إنها تكمن في إبراز الروابط بين مختلف الخطابات وفي مختلف أنماط التفكير بعيداً عن الشمولية مما يجعل قابلية التواصل المحترمة لكل ثقافة تنبذ الإستبدادية والإمبريالية ومنه التطلع إلى الهدف الأسمى المتعلق ب"السلام الدائم". إن الفلسفة لكي تكون فاعلة وفعالة في ضوء الأحداث و التطورات الجديدة لا بد أن تخرج عن طورها لتفكك الرؤى الشمولية للعالم لتجربها على تغيير هيئتها، ولعل هذا ما أراد أن يقوله مرلوبونتي "أصبحت الفلسفة تسعى إلى أن تكون فلسفة في ثوب لا فلسفة " (F. Gonsete,1960,p267) والفلسفة بهذا الشكل سوف لن تكون إلا فلسفة منفتحة والتي في إطارها نستطيع فهم الوظيفة الجديدة التي تضطلع إليها فهي " تجازف في التفكير المخالف إنها تصبو إلى قول الحق. وفي هذا المعطي تتجلى الفلسفة لتؤكد نفسها على أنها تفكير حر، خطة تديرية (إستراتيجية) ومصارعة من

أجل الحياة ومن أجل الإنسان كإنسان فرد ومن ثم يجب على كل عمل فلسفي أن يتحاشى التصديق على ما هو حاصل في المعرفة، وأن يتحاشى كل تأريخية مفرطة لتدريس الفلسفة " (B-Triki Fathi , 1998, p16).
فالفلسفة ظلت إلى وقت ليس ببعيد تكرر لهاضيها وغير قادرة على الإضطلاع بحاضرها وتضيي القداسة والمهابة والجلال على ماضيها النظري ولهذا أصبح ماضيها موضوعا لها ، وعليه فقد تختلط الفلسفة بماضيها ، فتاريخ الفلسفة مهم كما يؤكد على ذلك العديد من المفكرين وهذا فتحي التريكي يقول : " إن إرجاع القيمة الحقيقية للفلسفة يمكننا أن نميزه كلية عن تاريخ العلوم ومن وجهة النظر هذه فإن إستقلالية الفلسفة عن باقي الخطابات تتجلي في القيمة الفلسفية " (B-Triki Fathi , 1998, p15). ولكن من جهة أخرى قد يكون تاريخ الفلسفة عامل تسلط فيها على حد تعبير دولاز ، ولقد عمل مجموعة من الفلاسفة على فك الحصار الذي يفرضه مجتمع المعرفة ورفع الإقليمية و فك الحدود عن الفلسفة و فتح لها السبل التي تمكنها من الإفتتاح على التفاوتات وعلى الإختلافات التي خلفها مجتمع المعرفة وتأخذ هذه الفلسفات على العقل في مجتمع المعرفة بأنه أصبح تقنيا وأصبح يتجلى في الغرب بأنه عقل تميزي وعرفي منغلق خاضع للتقنية ، كما سعت هذه الفلسفات كذلك في بحثها لإعادة تشكيل فكرة الإنسان ، مدافعة عن حيويته بتقريب الليبرالية و بإدخال الإفتتاح والإختلاف والتنوع في العقلانية وهذا ما نعثر عليه في العقلانية النقدية لبوبر وفي النظرية النقدية لهابرماس أو في أركولوجية المعرفة لدى فوكو أو في تفكيكية دريدا. حيث تشكل هذه الفلسفات إحدى الخصائص الجديدة للفلسفة الأ وهي الفلسفة النقدية. فكيف يمكن للنقدية أن تثور ضد الأنساق المغلقة التي قد يخلفها مجتمع المعرفة ؟.

الفلسفة النقدية: إن الفلسفة المفتوحة المبنية على قوة النقد التي تؤكد على ضرورة الحرية لإعادة الإعتبار للإنسان وهي الوحيدة التي من خلال سفرها المستمر تستطيع أن تقتحم إستراتيجية عادتنا العقلية كالتفكير والعمل في مواضيع الحرية ، المرأة ، الجنسية ، الأقلية ، السجون ، حقوق الإنسان ، ومشاكل أخرى ، تلم بأحداثنا ، ومن ثم تصبح الفلسفة عند أصحاب النظرية النقدية ، لا تخضع لمفاهيم النسقية و الهوية بل تقوم على هدم النسق لذا كانت بحق ثورة حقيقية على كل نسق فلسفي مغلق. و لقد وضنا سابقا أن النظريات النقدية قامت على أنقاض سيطرت المجتمع الرأسمالي الصناعي على الأفراد ، و سيطرت التقنية على المواقف والأراء والأفكار ومن بين النظريات النقدية التي ميزت هذا العصر مدرسة فرانكفورت وهي مدرسة نقدية تحاول كبح جماح هذه السيطرة واختراق هذا الإنغلاق ، ومن أبرز رواد هذه المدرسة هاربرت ماركوز الذي يعد كتابه " الإنسان ذو البعد الواحد " محاولة فريدة من نوعها حول إيدولوجيا المجتمع الصناعي الأكثر تقدما وهذا ما يظهره في قوله " لقد حلت في هذا الكتاب بعض نزعات الرأسمالية الأمريكية التي أدت إلى مجتمع مغلق ، مغلق لأنه يتحكم في كل أبعاد الوجود الخاص والعام " (عمر مهيبيل ، 2005 ، ص326).

فماركيوز يرى أن التقدم التقني في المجتمعات المعاصرة عزز السيطرة المفروضة على الأفراد والعمال تحديدا ، كما أن التقنية تسعى إلى خلق إنسان من نوع خاص أحادي الفكر والسلوك هو " إنسان ذو البعد الواحد" ، إنسان يمتلك الإستهلاك حده الأقصى بل إنه يصير مسألة أنطولوجية يتحدد وجوده بمقتضاها "أنا أستهلك إذن أنا موجود" ، فالمجتمع الصناعي عامة والأمريكي خاصة مجتمع قائم على الإقصاء والإستبعاد الأمر الذي جعل ماركيز يشعر ويحس بأنه فيلسوف أولئك الذين لم يعودو يحسون بأية صلة بالمجتمع الذي

يعيشون فيه ، والذي يراقبهم ويحاصرهم بشدة. وبهذا يكون كتاب ماركيز كتاب نقدي يسعى إلى الكشف عن الشبكة الكثيفة والمعقدة من الهمنة الرسمية ، المؤسساتية التي تهدد مسار التاريخ و تتحكم فيه .

وفي نفس السياق نجد ممثل آخر لمدسة فرانكفورت النقدية هو يورغن هابرماس الذي يخلص إلى أن الدعاية مبدأ لسيطرة البرجوازية خصيصا للأفراد المتعلمين والقادرين على التفكير حتى يكون وسيلة لطرق سياق منظم ومقبول يسمح للدولة بممارسة سياستها وأهدافها وبخلق محيطا متسعا له قدرة كبيرة على كسب آراء الآخرين والتحكم فيهم ، ولتفكيك هذه النظرية يقترح هابرماس مشروعه الكامن في التواصل الذي يتجاوز إرتكاسات العقل الأداتي ليحل محله العقل التواصللي على إقامة حوار مكثف مع نتائج التحديث التي أشار إليها ماركيز ، فالعقل عند هابرماس يجب أن يكون متوصلا مع غيره ، مرتبطا مع ممارساته ، يتجاوز العقلانية الغربية التي أعطت أولوية مطلقة للعقل الغائي ومن ثم فإن التواصل الذي يدعو إليه هابرماس هو عبارة عن علاقة حوارية حرة بين فئات المجتمع المتعددة والمتباينة ، علاقة يتم بناءها بعيدا عن المؤسسات والإيديولوجيات من أجل أن تزيح التزييف الإعلامي والفكري وتجعل التقدم التقني والمعرفي في خدمة الإنسان ومن ثم يكون التواصل أساسا لتفكير عقلي يقوم على نسق الإتصال بديلا عن نسق الإنعزال .

ولقد توجه دريدا في دعوته للإختلاف إلى نقد المقولات الفكرية التقليدية وقد إكتشف أن الحضارة الغربية نهضت حول العقل والمنطق وهو ما كان يحاول برنامج دريدا التفكيكي نقده وتقويمه أي نقد سلطة العقل والمنطق في مجتمع المعرفة الغربي. ذلك من أجل فحص الميتافيزيقا الغربية ، و تعد مقولة الإختلاف difference إحدى المرتكزات الأساسية لمنهجية التفكيك التي يقوم عليها برنامج دريدا النقدي ، ولقد بدأ هذا البرنامج النقدي ضد المركزية لأنه وجد الفكر الغربي. يقوم دائما بالمماثلة ، ثم كشف أن المماثلة إنمائي نتاج الميتافيزيقا التي أقصت كل شيئا إلا ما يتصل بالعقل ، فتمركزت الرؤى والتصورات حول هذه الركيزة وعندما بحث دريدا عن الظروف والأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا التمرکز العقلي وجد أن الأمر قد تم بناءه على تمرکز آخر هو التمرکز حول الصوت أو الكلام فيكشف دريدا من خلال ذلك فشل الفلسفات البنيوية. وهو فشل في تحقيق المعني إذ يرى أن اللغة هي التي تجعل النسق مغلقا ، وحتى يفتح النسق لابد أن تخرج الكلمة عنه ، وبذلك يحاول دريدا الخروج عن قواعد الكتابة الأمر الذي يتيح خروج الكلمة عن النسق العام للغة حيث تصبح غير منتمية إلى هذا النسق ويقول دريدا في هذا الصدد: " الإختلاف المرجأ ليس فكرة وليس كلمة وهو ليس مفهوم " (جاك دريدا ، 1996 ، ص58) ، وفي هذا المستوى من البحث في نقدية دريدا يمكننا إستخلاص مجموعة من النتائج:

-يسعى دريدا من خلال طرحه لمفهوم " علم الكتابة " لإمتصاص شحنة التمرکز والدعوة إلى خطاب خال من المركزية.

-نقدية دريدا تدعو إلى تفكيك العقل المتمركز حول نفسه .

-هذا العقل المتمركز أنتجته الميتافيزيقا الفلسفية والدينية ذات الجذر العميق في تاريخ الفكر الغربي .

-دعوة دريدا إلى غراماتولوجيا غايتها إرساء عقلانية جديدة لا هيمنة فيها لأنها تجعل من الخطاب مساحة مشبعة بالدلالات .

-لنقد الذي يوحه دريدا للعقل هو نقد حول العقل بمعناه الفلسفي الميتافيزيقي Logos .

وفي نفس السياق دائماً نجد فلسفة نقدية هامة ، تلك الفلسفة التي نادى بها ميشال فوكو من خلال مؤلفه الشهير " الكلمات والأشياء " إذ يقوم فوكو في هذا الكتاب بنقد العقلانية الكلاسيكية معتمداً على منهجه الأركيولوجي فيعيد النظر بالنقد والتمحيص في أهم المسائل المطروحة في هذه الفترة. وهو ما اعترف به فوكو صراحة في إحدى الحوارات حيث يصرح أنه بحث في مؤلفه عن لا شعور الحضارة الغربية وذلك عندما سئل عن كيف يحدد عمله اليوم ، يجيب فوكو " إنه عمل محدود جداً. ويمكنني القول بشكل خاطئ ، إنني أحاول الكشف داخل تاريخ العلم وتاريخ المعارف والمعرفة الإنسانية عن شيء ما يكون بمثابة لا وعي " (ميشال فوكو ، 1986 ، ص58).

وما يفهم من هذا أن فوكو يحاول إستنتاج لغة ذلك العصر وعلومه ومعارفه وعلاقتها مع بعضها البعض ، مركزاً في ذلك على القرنين السادس والسابع عشر ميلادي وخاصة من خلال اللغة ومقارنتها بمختلف شاراتها ، النحو والإعراب والرياضيات والإقتصاد السياسي وكل ما تكوّن منه المجتمع الغربي في ذلك العصر. ولقد عرض فوكو هذا المؤلف الذي يعبر بحق عن توجهات الفكر القائم على النقد ، ومختلف المناهج الكلاسيكية ويتوقف عند نقائصها وعميوبها فينتقدها بشدة وخاصة في فصله المخصص لما يقوله المؤرخون حيث يقول في ذلك "فالحفاظة المتزايدة على المكتوب إنشاء مصالح لخزن الوثائق وترتيبها ، وإعادة تنظيم خزانات الكتب ووضع الفهارس وعمليات الجرد ، كانت تمثل في نهاية العصر الكلاسيكي شيئاً أكثر من مجرد إحساس جديد بالزمن وماضيه وبتقل التاريخ. بل كانت تمثل طريقة لإدخال نظام شبيه بذلك الذي تم إضفاؤه على الكائنات الحية في لغة قائمة ومسلم بها ، وفي آثار المتبقية منها وأخيراً ضمن هذا الزمن المرتب والمصنف داخل هذه الصورة المحددة والمحصورة بالمكان سيشرع مؤرخو القرن التاسع عشر أخيراً في كتابة تاريخ " حقيقي " أي تاريخ متحرر من المعقولية الكلاسيكية ومن أحكامها ومن لاهوتيتها تاريخ يرد إلى العنف المبالغت للزمن " (ميشال فوكو ، 1990 ، ص125). أما عن العودة التي نادى بها نيتشه فهي إكتشاف يعبر عن نهاية الفلسفة " فنهاية الفلسفة هي بدورها عودة بداية الفلسفة فلم يعد يمكن اليوم التفكير إلا داخل الفراغ الذي يتركه وراءه الإنسان المندثر ذلك أن الفراغ لا يشكل نقصاً ، فليس هو أكثر أو أقل من إعادة إنتشار لفسحة يتسنى فيها التفكير مجدداً " (ميشال فوكو ، 1990 ، ص281). فهذا النص ما هو إلا محاولة من فوكو لإعطاء نفساً جديداً لعمل الفلسفة ووظيفتها ذلك أن الفلسفة هي التي تسد الفراغ الذي تتركه الشعوب المندثرة. وهكذا يتبين أن فوكو يعرّج في مؤلفه السابق الذكر وفي مؤلفات أخرى على أكبر النظريات في الفلسفة الغربية مستعملاً طريقته الأركيولوجية في المعرفة القائمة على الحفريات وتفكيك الرمز وغيرها من الوسائل والأدوات الأخرى مبرزا التناقضات وفي نفس الوقت العلاقة الموجودة بينهما كعلاقة التاريخية وتحليلية التناهي. وما كانت مفاهيم الأنثروبولوجيا ، الأثرولوجيا ، البيولوجيا ، الإبتستمية ، التاريخانية ، الأركيولوجيا ، الأثنولوجيا ، السيكلوجيا ، السوسيولوجيا ، اللسانيات ، البيولوجيا ، فقه اللغة ، إلا مفاهيم يبحث فوكو من خلالها على كل المكبوتات في الحضارة. إن هذه الفلسفات النقدية الثلاث ، هي فلسفات ترفض الإنغلاق وتؤمن بنقد وتفكيك كل ما هو سائد ، ويمكن عملها في إعادة مساءلة البديهيات والمسلّمات وزعزعت العادات وطرق العمل والتفكير وإعادة النظر في القواعد والمؤسسات ، وطبعاً فهذه الفلسفات ليست هي وحدها التي تميزت بطابع النقد ، حيث هناك فلسفات أخرى عرفت بدعوتها إلى النقد وإعادة النظر في كل المسائل المطروحة في ظل اجتياح مجتمع

المعرفة للحياة الإنسانية منها نقدية بوبر وهي نقدية تقوم على منهجية " الدحض " أو التكذيب وظهرت في صورتين صورة إبستمولوجية و صورة فلسفية إجتماعية تجسدت في عمله " المجتمع المفتوح وأعداءه " .

2. المجتمع التكنولوجي وإعادة بناء الهوية: نتيجة الانتصار الساحق الذي أحرزته مجتمعات المعرفة الغربية علينا جعل من الضروري أن نتساءل من نكون نحن؟ فقد تكون الإجابة نحن عرب ومسلمون ، ولكن السؤال يمكن أن يتحول فيصبح ماذا يعني أن تكون عربيا؟ وماذا يعني أن تكون مسلما؟ و إيجاد الإجابة الصحيحة سيؤدي حتما إلى فهم دقيق ومحدد لمفهوم الهوية ، ولكن ماهي المعايير الجديدة التي توحد بيننا وتسطر الخط الفاصل مع الآخرين؟ وهل هذا الخط الفاصل ما زال يكمن في الوطن أو في الحدود الجغرافية أو اللغوية؟ وهل تعتمد هذه المعايير الخصوصيات الثقافية أم الدينية أم التاريخية؟ .

وما دمنا بصدد الحديث عن مجتمع المعرفة والبحث عن مفهوم جديد للهوية وتجسيده في الواقع لابد من الثقافة النقدية كمدخلا، ذلك أن الثقافة هي العنصر الأساسي لتعريف الهوية كإتماء الفرد إلى جماعة معينة وبالتالي تأخذ الثقافة وظيفة إستراتيجية. فماذا نعني بالثقافة وما هي صالحيته؟ .

لقد ميز الأستاذ فتحي التريكي بين ثلاثة معاني للثقافة ، يتعلق الأول بالأنثروبولوجيا والثاني متعلق بـهاو روي وفكري والثالث سياسي ، أما الأول فهو كلي والثاني يحيلنا إلى التفكير الفردي الحر أما الثالث فهو يجمع معطيات المعنى الأول ووسائل المعنى الثاني لكي يجعلها ضمن هيئات وقنوات. ومن ثم يكون المعنى الأول للثقافة تنظيمي يعمل على إدراج الفرد داخل الجماعة ويكون المعنى الثاني نقدي يعمل على تحرير الفرد من العيب الإجتماعي ويكون المعنى الثالث وظيفي بواسطة النفوذ الإيديولوجي ، والتفرقة بين هذه المعاني الثلاث تمكنا من فهم دياكتيكية الثقافة والمؤسسة. ومن خلال هذا التحديد للثقافة يرى التريكي أن هناك توجه في العالم يسعى إلى فرض المعنى الأول كأنه الوحيد للثقافة ويجعل من المعنى الثاني إستعدادا لخدمة الأول حيث شرعت السلطات السياسية في منتصف القرن العشرين في عملية كبرى لمؤسسية الثقافات وحرمان الثقافة من طابعها النقدي وتثبيتها بإحكام داخل أجهزة محكمة التنظيم.

فالسبب أصبحت تمنح لكل النشاطات الثقافية "محلا" وتكلفها بوظائف وتؤطرها بإختيار إيديولوجي ، وهذا ما أصبحنا نعرف عليه اليوم ونسميه بمسميات مختلفة ، المتحف ، دار الثقافة ، مكتبة ، دار المسرح ، والهدف دائما واحد هو إعطاء الثقافة توظيف حكومي ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه " إسم إحتضان الثقافة " وقد يصبح هذا الإحتضان للثقافات شكل آخر من أشكال الهيمنة والغطرسة لأن المحتضن سيظل يراقب كل الأعمال والنشاطات الأشد هدما للنظام عن طريق أجهزته التي تحتضن الثقافة. ومن هنا يصبح هناك فرق هام بين الثقافة والثقافة النقدية وهذا الإختلاف يكمن في ما يمكن تسميته بـ " تعميمية " المنتوجات الثقافية على حساب النوعية والإبداع والسبب الرئيسي في ذلك هو إعطاء نزعة إقتصادية للثقافة في إطار مايسمى بالتسويق وكذلك الدور الذي أصبح يلعبه الإعلام.

وهناك طبقة أخرى وهم أهل الثقافة والمختصون المتخرجون من المدارس الكبيرة تريد أن تتميز بأسلوبها الخاص عن طريق الإبداع ولكن سرعان ما تحتضن السياسة هذا الإتجاه وفي هذا المجال تصبح الثقافة مجهزة و لها رجالها الذين يؤطرونها ويحددونها ويوزعون جوائز الثناء حسب معايير علمية وغير موضوعية. ولتحتظيم هذا النمط لا بد من الثقافة النقدية كمدخلا. فالنقد هو عملية فحص المنتوج الفكري والإبداع لكي يتبين

الصواب من الخطأ، والحسن من السيء وهذه الثقافة هي ما يجب تطويرها وتمهيتها حتى نستطيع أن نتأقلم وأن نشارك بصفة فعالة في حركة العولمة. "ومن ثم فإن الثقافة النقدية تمكننا من التأقلم بسهولة مع مقتضيات العولمة الاقتصادية والسياسية وتمكننا من التحكم في تدفق المعلومات والمعارف والعلوم التي تصنع العالم الحالي، إنها تشارك في تغيير هويتنا أو تكيف هويتنا لتتقدها من الإنطواء التعريفي إنها تسعى لتطبيق حقيقة الإنسان أي حرية الحكم وحرية التفكير ومن دون قوة النقد فإن الشعوب تفقد هويتها وتنبه في المذهبية والتطرف" (A-TRIKI Fathi,1998,p124).

من التحليل السابق يتبين لنا أن التريكي يتصور أن الحل يكمن في الثقافة النقدية. بمعنى أنها هي التي تمكن أي شعب من أن يعيش هويته بدون إنغلاق ومن دون إنطواء وإنكفاء على الذات وهي التي تمكنه من الإنفتاح على الآخر خشية من أن يستهلك وهي التي تمنح تهدئة وسلام في العلاقات بين الحضارات وتمنح نوع من التبادل الثقافي أين تسود فقط الإنسانية. إلا أن يجب أن نحذر هنا من تلك الإنزلاقات التي يمكن أن تقع فيها الهوية لأنه ليس هناك شيء يمكن أن يكون قطعياً في مجتمع المعرفة.

ولكن بالنقد ويمكن تجنب خطر الإنزلاقات التي تضر الهوية. وهذا ما يؤكد الأستاذ التريكي عندما يقول " فالمجتمع الذي لا يمنح ظروف النقد نظرياً وتطبيقياً هو مجتمع معرض للغلو والتطرف ولهذا من الضروري تطوير مفاهيم الحرية، الثقافة النقدية، العقلانية العقل لنتسطيع أن نحافظ على مكاننا داخل الحداثة، وبدون حداثة وديمقراطية وبدون قوة العقل النقدي، ومن دون تعقلية فالهوية ستصير تعريفية، والإسلام يصير إسلاموية، والإيديولوجية تصير شمولية، بواسطة هذا العقل النقدي يمكننا بلوغ الكوني وبهذا الحال سنتنبق بالضرورة هوية ديناميكية مبنية على الثبات على الذات وعلى التغييرية وإحترام الآخر " (A- Triki Fathi,1998,p136).

خاتمة:

هكذا فإن إعادة صياغة التساؤلات الخاصة بالهوية تصبح ضرورة أدت إليها المعقولة المرتبطة بمجتمع المعرفة التي حاولت إقرار كونية تتجاوز الهوية ولا تخدم مصالح الإنسان حيث لا بد من ربط الجسور مجدداً مع الآخر وهذا هو التصور الصحيح والمجدي لخطاب الهوية، إنه خطاب يعترف بالكثرة والتنوع في الثقافة والأفكار في نمط العيش الاجتماعي للأفراد والمجتمعات ومن ثم يتم إلغاء معقولة الغلبة وإحياء معقولة الحوار. وهذا لا يتم إلا بإقرار أرضية للحوار الكوني الذي يحترم الهويات الشخصية للأفراد والمجتمعات والشعوب ويبني جسور الالتقاء ليصبح العيش سوياً بينهما ممكناً.

قائمة المراجع:

- بول ريكور(2006)، الإنسان الخاطئ، تر: عدنان نجيب، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- دريدا جاك(2004)، الإختلاف المبرجأ، ت هدى شكري عياد، مجلة النقد الأدبي، العدد 3، أبريل-ماي، الهيئة العامة للكتاب.
- مهيبيل عمر(2005)، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- فوكو ميشال(1986)، مجلة بيت الحكمة، ملف حول ميشال فوكو وعبد الله العروي، العدد الأول، السنة الأولى، أبريل مجلة مغربية للترجمة في العلوم الإنسانية.
- فوكو ميشال(1990)، الكلمات والأشياء، ترمطاع صفدي وآخرون، بيروت، مركز الإنماء القومي.

-gonsette Ferdinand(1960), lamétaphisique et louverture al'expérien, paris, press univers itaires de France , germain.

-Triki Fathi(1998), philosoper Le vivre ensemble, tunis, l'or du temps.

-Triki Fathi(1998), la stratégie de lidentité, editoin arsanteres essays.

آفة المخدرات واستغلال وقت الفراغ كآلية للوقاية منها
أ.عروسي حميد ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر
د.الماحي ليلي ، جامعة ابن خلدون تيارت- الجزائر

مقدمة:

إذا كان وقت الإنسان يتألف من وقت العمل الضروري ووقت الراحة ، فوقت الفراغ ، من نفسه يمثل جزءا من منظومة الوقت الكلية ويفرض نفسه على أجزاء الوقت الأخرى بحيث لا تصح تلك الأجزاء دونه ، فوقت الفراغ يمنح تلك الأجزاء مضمونها ويعطي منظومة الوقت كليتها(عزيزوكاظم ، 2009 ، 269). ولأهمية الوقت فقد اقسم الله سبحانه وتعالى بمفردات الوقت وقد وردت الكثير من الآيات التي تتناول الوقت وتؤكد أهميته في حياة الإنسان.

وتُعد مشكلة وقت الفراغ من أكثر المشكلات التي تواجه شباب دول العالم حديثًا بسبب الثورة الصناعية الهائلة التي أصبحت تسيطر على حياة الشعوب ، حيث أدت إلى وصف هذا العصر بعصر الأرزار ، ولعل ما أنتجته الحضارة المدنية الحديثة هو زيادة أوقات الفراغ لدى شبابها دونما إيجاد طرق بناءة وفاعلة في استثمار هذه الأوقات المهدورة بما يعود بالنفع والفائدة على المجتمع والفرد على حد سواء ، كما أن ثورة التقدم الصناعي والعلمي غيرت حياة الإنسان من باحث عن وقت فراغ إلى باحث عما يشغل وقت فراغه لكثرة العطل الأسبوعية بسبب سيطرة الآلة على حياة البشر ، إن توافر أوقات فراغ طويلة لدى الإنسان ترهقه أكثر مما ترهقه أوقات العمل المتواصلة ، إذ يبعث الفراغ في النفس الضجر والملل والشعور بالكآبة والحزن والهم والاهتمام بأشياء ليس لها معنى أو ذات جدوى .

وتمثل مرحلة الشباب أكثر المراحل العمرية تأثرًا بأوقات الفراغ لخصوصية هذه المرحلة ، التي تتميز بالحساسية والروح الثورية على الأوضاع السائدة وميلها الأكيد إلى التغيير تزيد من تأثرها بوقت الفراغ. ولعل الأمر يزداد سوءًا إن اجتمع الشباب والفراغ والمال في آن واحد.

ومن هنا فإن الدول المتقدمة لا تهتم بتوفير أوقات الفراغ لأبنائها فحسب بل تهتم بتوفير آليات ووسائل لاستثمار هذه الأوقات بما يضمن عدم تحول وقت الفراغ إلى وقت ضائع أو غير مستفاد منه أو وقت ترتكب فيه الجرائم والانحرافات(عبد الحافظ ، وخصاونة ، وبني سلامة ، 2008 ، 621-622).

تعد المخدرات من أبرز هذه الانحرافات التي يقع فيها الشباب وهي قد تدمر حياة الفرد والمجتمع على حد سواء. ومن هنا فإنه على الجميع الوقوف في وجه مثل هذه الآفات ، وهذا يبدأ في وقت مبكر لدى الأطفال ، بتوفير كل طرق الوقاية ؛ باستخدام كل الآليات والوسائل الكفيلة باستثمار أوقات الفراغ والتوعية ، التي تمنع الوقوع في هذه الآفة ، فكيف يكون استثمار وقت الفراغ كطريقة للوقاية من الوقوع في آفة المخدرات لدى الشباب ؟

وقبل الحديث عن طرق استثمار أوقات الفراغ كطرق للوقاية نسأل من يقوم بالوقاية ؟

1-من يقوم بالوقاية ؟ لقد كان الاعتقاد السائد ومازالت آثاره موجودة حتى الآن أن الدولة هي الأساس لأنها هي القادرة على كل شيء وما على أفراد المجتمع إلا الانصياع للقوانين والنظم وعدم مخالفتها ... والحقيقة غير ذلك

لأن المجتمع ككل بكل وجدانه ومكوناته هو المسؤول عن الظروف والعوامل المؤدية إلي تعاطي المخدرات وهو المسؤول عن القيام بمهام الوقاية من المخدرات. كما أن المساهمة المقدمة من منظمات المجتمع المدني لا بد أن تكون مبنية على دراسة ومعرفة مكونات المجتمع وكذلك موضوعه على أساس دراسة علمية منظمة وعلى متخصصين وعلماء لهم خبرة ومهارة في مجال الوقاية من المخدرات بمختلف أنواعها.

ولنذكر ما أشار إليه الباحث الهولندي هانس ويليم Hans W أنه قد شب حريق مهول في مدينة لندن عام 1665م وانتهى بتدمير 5/4 المدينة وبعدها شب حريق مماثل في مدينة أمستردام الهولندية وأدى إلى وقوع نفس الخسائر.... إلا أنه في الوقت الحاضر لا يمكن أن يقع حريق في مدينة حديثة ويسفر عن نفس الخسائر. ليس ذلك نتيجة الزيادة في عدد رجال الإطفاء وإنما لما حدث من تقدم في أساليب الوقاية من الحرائق وكذلك أساليب البناء، لذلك يمكن استخدام الأساليب الوقائية في كافة مناحي الحياة ومواجهة المشكلات التي تعترض الإنسان والمجتمع ومنها مشكلة تعاطي المخدرات (عبد اللطيف، 2007، 2-1).

2- مفهوم الوقاية

في اللغة: (وقى) الفرس من الحفى- (يقي) وقيا، ووقاية، وواقية: صانه عن الأذى وحماه. ويقال وقاه الله من السوء، ووقاه السوء، أي كلاه منه وفي التنزيل: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) و-الأمر وقيا، ووقياً: أصلحه. (وقأه) توقية: حفظه وصانه. (مجمع اللغة العربية، 2004، 1052)، وهي معاني تتضمن الصون والحفظ. اصطلاحاً: تعرف الوقاية بـ "مختلف الجهود المجتمعية التي تهدف إلى الحيولة دون توفر عوامل وظروف الجريمة أصلاً" (طالب، 1997، 12)

وتعرف الوقاية بأنها: "محاولة التغلب على الشروط والظروف التي تؤدي بالأفراد إلى إتباع سلوكيات منحرفة أو القيام بأعمال تعد قانونياً (جرائم أو سلوكيات شاذة)" (أبو حسان، 126، 1978) ويقصد بها كذلك "أي فعل مخطط تقوم به تحسباً لظهور مشكلة معينة، أو مضاعفات لمشكلة كانت قائمة أصلاً بما يؤدي إلى الإعاقة الكاملة أو الجزئية للمشكلة أو المضاعفات المترتبة عليها (سويف، 1996، 170) ونحن نعرف أن الوقية تغني عن العلاج، وأن غرام وقاية خير من طن علاج، وأن الطن من الوقاية يكلف المجتمع أقل مما يكلفه غرام واحد من العلاج، فضلاً عن أن حصيلته تشمل المجتمع بأسره (زهران، 2005، 46).

3- المقصود بالوقاية من المخدرات: من الموضوعات الحيوية المعروفة على ساحة البحث العلمي... وبالرغم من أهميته إلا أنه ما زال أقل فهماً ويتناول بمعانٍ مختلفة تخلق بين مناهج أخرى مثل المواجهة والعلاج والتخفيف أو التقليل... كما قد يؤخذ أحياناً بمعنى شهولي "أي كل أنواع المكافحة ضد الجنوح أو الجريمة. كما يؤخذ بمعنى جزئي يتعد عن مثلث العمل مع مشكلة تعاطي المخدرات أو ما يسمى بمثلث الحلقة المفرغة وهم (رجال الشرطة - العدالة الجنائية - السجون) ليؤكد على الوقاية التي ترتبط بالجانب الاجتماعي، والتدابير المجتمعية، ومشاركة أفراد المجتمع للتعامل مع مشكلة تعاطي المخدرات، كما أن هذا المفهوم كان في الماضي يقوم على أساس حصر الأسباب المؤدية إلى الجريمة أولاً ثم وضع البرامج التي يمكن أن تواجه تلك الأسباب وتمنع تأثيرها ثانياً ورغم أن هذا المفهوم له وجاهته إلا أنه ينظر إلى الوقاية من جانبها السلبي فقط. أما

الاتجاه الحديث فإنه ينظر إلى الوقاية من خلال إيجاد الظروف الإيجابية التي تتيح للناس فرص الحياة السوية الصحية في إطار التشريع والنظم القانونية القائمة ... لذلك تعتمد الوقاية على:

تجديد الخصائص المؤسسية والعمليات الاجتماعية التي تؤدي إلى إيجاد مواطنين صالحين ملتزمين. وإعادة تشكيل النظم والمؤسسات القائمة أو إنشاء المؤسسات الجديدة وفقا للخطوط التي تتمشى مع تلك المواصفات والخصائص، ومحاولة اقتلاع السمات والأوضاع التي يترتب على وجودها ظهور سلوكيات انحرافية (تعاطي المخدرات مثلاً) (عبد اللطيف ، 2007، 2).

إن التخطيط والإعداد المؤسسي للمدروس للمرافق والإدارات والأجهزة المتخصصة في الرعاية الاجتماعية والرياضية لفئات الشباب على مختلف الأعمار والأوضاع ، كنتاج للوعي المعرفي المتزايد على مستوى عصرنا هذا ومستحدثاته بالشباب وقضاياهم وبوجه عام ، وبالمخاطر الكبرى التي يشكلها وقت الفراغ الذي يقضيه الشباب في التسكع والتسكع وأنواع الزيف والانزلاق والانحراف والضياع كمتربب طبيعي للفراغ النفسي والعقلي وعندها تكون الطاقات البشرية ، خاصة في مرحلة الشباب معطلة ، فيحدث عندئذ ذلك الضياع ، والخطر الذي نطلق عليه الفراغ. (محمد خليل ، 2001 ، 14)

4- وقت الفراغ وظهور السلوكيات المنحرفة:

4-1 مفهوم وقت الفراغ: ومن تعريفات وقت الفراغ أنه: الوقت الفائض عن العمل وواجبات الحياة الأخرى مثل النوم ، الأكل ، وتحقيق الحاجات الفسيولوجية.

وهو أيضا: فترة من الوقت يتم فيه النشاط الذي يستمتع به الشخص

كما أنه: الوقت الذي يكون فيه الفرد حرا من العسل والواجبات الأخرى ، والذي يكون مفيدا للاسترخاء والتسلية والتكوين الاجتماعي أو النمو الشخصي.

ونقصد بـ«الفراغ» الخلو من المشاغل والمعوقات الدنيوية ، المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخروية. ووقت الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق عمله الوظيفي الذي يعتمد عليه في معيشته ، وتكون ممارسة هذه النشاطات اختيارية ومنطبقة مع أحواله المعاشية والاجتماعية وأذواقه وقيمه ومواقفه وفتته العمرية والثقافية (محمد خليل ، 2001 ، 32)

مما سبق يتضح أن وقت الفراغ هو الوقت الخارج عن الوقت المخصص للإنسان للقيام بواجباته اليومية المختلفة طيلة أيام الأسبوع.

4-2 وقت الفراغ وظهور السلوكيات المنحرفة: إن وقت الفراغ الذي يقضيه الشباب كفترات زمنية خارج إطار الدراسة والعمل لا تشكل خطورة في حد ذاتها للفرد والمجتمع ، وخاصة الشباب إذ تكمن المشكلة الحقيقية في طرق استغلال الشباب لأوقات فراغهم ، فتلك الطرق ليست وليدة أوقات الفراغ ، نفسها كما يعتقد كثير من الباحثين والمسؤولين ، بل نتاج تضافر العديد من العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر على مستوى يفوق قدرة الشباب على السيطرة، إن من بين مظاهر تحول الأوقات الأخرى في حياة الشباب اليومية إلى مشكلة في الأسرة ، في عدم الانسجام مع النظام الداخلي للقاء أفراد الأسرة يوميا على مائدة الطعام ، أو في الأمسيات لمناقشة أوضاعهم الأسرية ، وما لأفرادها من واجبات ومسؤوليات ، وما عليهم من حقوق ، ومن بينها كذلك النفور من الالتزام بأوقات الراحة والنوم والاستيقاظ ، والهيل إلى إضاعة الوقت نهارا بدون هدف ، والسهر إلى

وقت متأخر ليلاً في ما لا طائل وراءه أيضاً، ومن مظاهر تحول أوقات الشباب إلى مشكلة في مكان الدراسة، إهدار الزمن المحسوب عليه للانتفاع فيه تحصيلاً واستزادة من العلم، في صحبة رفاق السوء، وتكوين مجموعات نافرة مشاغلة لا ترغب في الدراسة، وتفسد على المجتهدين من أقرانهم جديتهم في النبوغ والتفوق (محمد خليل، 2001، 15).

أما مظاهر تحول الأوقات إلى مشكلة في مكان العمل، تتضح فيعدم الالتزام بمواعيد القدوم إلى العمل والانصراف منه، والتهاون في الأداء المنتج، والتخريب، وإضاعة ساعات العمل في أمور هامشية بعيدة تماماً عن الأداء المنتج البناء، بالتالي فإن أوقاته مع نفسه ورفاقه تتحول إلى سلسلة من المشكلات بسبب ضياع الهدف والقوة والمثلى وبروز هم أكبر وحيد هو: كيفية قضاء الفراغ العريض الذي يكتنف كل أوقاته، فيلجأ إلى ممارسات لا تراعى الدين ولا العرف ولا القانون، تتمثل في التسكع في الطرقات، ومعاكسة النساء والمهارة، وتناول المنبهات والمخدرات والمسكرات وارتكاب الفواحش، والاهتمام بالمظهر واهمال الجوهر وعدم احترام الوالدين وكبار السن، والاستهتار بالقيم والأخلاق والأعراض، وغير ذلك من السلوك الناشئ المنحرف (محمد خليل، 2001، 15).

ويذكر العنزي عن مشكلة وقت الفراغ لدى الشباب الكويتي بقوله: تعتبر مشكلة قضاء وقت الفراغ من أكثر المشكلات الملحة التي يواجهها الشباب في الكويت فنظراً للنقص الشديد في وسائل التسلية والترفيه أمام الشباب فقد اتجهوا إلى تضيئة أوقات فراغهم في أمور قد تشكل ضرراً على المجتمع وعلى أنفسهم، ومثال ذلك شلل الشوارع والسرقة وتحطيم المصاييح وأكشاك التليفون وظاهرة (التفحيط) بالسيارات وإزعاج المرور والمواطنين، والانغماس في مشاهدة الفيديو واستنشاق الصمغ (الباتكس) والبنزين والممارسات الشاذة التي في مقدمتها تعاطي وإدمان المخدرات (العنزي، 2014، 28).

مما سبق يتضح أن الشباب ونظراً لبعدهم عن الوالدين عنهم والتكفل باحتياجاتهم النفسية والتربوية ونظراً للفراغ والنوازع النفسية والاجتماعية التي تتجاذب الشاب وتجعله غير قادر على إيجاد الحلول التي تجعله يفكر في حل يساعده على استثمار واستغلال وقت فراغه فيما يفيد، فيقع فريسة للانحرافات كسهر المسكرات والمخدرات، وارتكاب الجرائم والأعمال السيئة.

5- طرق استثمار أوقات الفراغ لدى الشباب: تكمن في إمكانية تحقيق: الاحتياجات الأساسية للفرد من حيث إشباع:

حاجاته الجسمية وذلك بإزالة التوترات العضلية وتنشيط الدورة الدموية
حاجاته الاجتماعية من خلال التخلص من الانطواء والعزلة الاجتماعية
حاجاته العقلية عن طريق كسب المزيد من الخبرة والمعرفة والمهارة
حاجاته الانفعالية التي قد تدفعه إلى سلوكيات منحرفة إذا تم كبتها.

توجيه الشباب إلى النشاطات والهوايات التي يمكن عن طريقها توجيه الشباب إلى الاستثمار المثل لأوقات الفراغ وهي على سبيل المثال لا الحصر:

1-النشاط الإبتكاري الإبداعي ويشمل: الحرف اليدوية، الرسم، إعداد نماذج صناعية كالسيارات، الزخرفة، أعمال. الميكانيك، فلاحه البساتين. وكذا البنات: الطهو، تنسيق الورود...

2-النشاطات التربوية والتعليمية وتشمل: عالم الحيوان ، التجارب الكيميائية ، إصلاح الآلات ، قراءة قصص السيرة ، والروايات ، والنشاطات الدينية.

3-جمع المقتنيات: الكتب ، الخزف ، العملات ، الأصداف ، الحشرات ، اللوحات الفنية ، الخرائط والصور (الحيوانات الطيور الأسماك).

4-الألعاب التنافسية كالرياضة والشطرنج ، والصيد.

5-نشاطات الاستماع أو المشاهدة وتشمل: التمثيل المسرحي الهادف ، الحفلات الهادفة ، المديع ، التسجيلات الصوتية والفيديو ، التلفزيون

6-نشاطات المشاركة في الخدمات الاجتماعية: كالكشفة ، خدمة البيئة ، التطوع ، التمريض والإسعاف والإنقاذ .

7-التدريب المهني: إتقان مهنة تدر عليه مالا مثل: أعمال البناء ، الحدادة ، السباكة ، التجارة ، صناعة البلاستيك والتغليف ، أعمال الفنادق ، البيع في المحلات التجارية ، الخدمات الطبية.

8-الكمبيوتر والتدريب عليه وبما يحتويه من برامج تعليمية ، والتدريب على البرمجة. (محمد خليل ، 2001 ، 122)

للسرة دور كبير في تنشئة وتربية أبنائها بتعويدهم على الاهتمام بالوقت وتنظيمه منذ الصغر ، إذا عودتهم الاستيقاظ في مواعيد محددة ، وعودتهم الالتزام بما قطعوه على أنفسهم من مواعيد وموائق ، ورسمت لهم كيفية تنظيم الوقت وحسن إدارته ؛ باعتدال بين القراءة وحل الواجبات ، والاستفادة من التقنيات الحديثة ؛ كالكمبيوتر والإنترنت في إثراء المعارف ، وتعويدهم الاستفادة من أوقات الفراغ بالقراءة والاطلاع ، وبخاصة في أوقات الانتظار في مواقف السيارات ، أو عيادات الأطباء ، أو في الدوائر الرسمية وغيرها. ولذلك لا بد من التخطيط الجيد لهذه المرحلة ، ولا بد من مراعاة الآتي:

1-المرحلة العمرية التي يعيشها الابن ومعرفة طبيعتها.

2-معرفة اهتمامات الابن وجوانب الذكاء فيه ، ويمكن الاستفادة من مقاييس الذكاء في هذه النقطة.

3-معرفة واقع البرامج المطروحة والقائمين عليها.

بعد ذلك تخطط العائلة مع إشراك الابن للاستفادة من أوقات الفراغ ، من خلال كتابة خطة سنوية وشهرية ويومية ، والالتزام بها وتحفيزه على التمسك بها ، ومعاقبته في حال التقصير في ذلك ، من خلال كتابة أهداف يجب إنجازها وفق جدول معد لذلك ، ويستفاد من الكتب التي تحدثت عن التخطيط الجيد (الحارثي ، 2018).

6-أهمية النشاطات الترويحية: هنالك العديد من النشاطات البناءة خاصة الرياضية-التي تستغل أوقات فراغ الشباب عن طريقها في أوجه مثمرة ويعتبر الترويح أحد وظائف الفراغ ، لأن نشاطات وقت الفراغ ليست كلها ترويحية... فللنشاط الترويحي خصائص تميزه عن غيره من النشاطات الأخرى:

1-الهادفية: أي أن يكون النشاط هادفا يساهم في إكساب الفرد المهارات والقيم والاتجاهات التربوية ، وفي تنمية وتطوير شخصية الفرد.

2-تحقيق الدافعية: يتم الإقبال على ممارسة النشاط الترويحي وفقا لرغبات الممارس ، وبدافع من ذاته.

- 3-الاختيارية: يختار الممارس نوعية النشاط الذي يفضله عن غيره من النشاطات الترويحية التي تتميز بتنوع مجالاتها ما بين ثقافية ، فنية ، اجتماعية ، ورياضية ، كما يتميز كل مجال بوفرة نشاطاته أيضاً .
- 4-الارتباط الوثيق بوقت الفراغ: يتم النشاط الترويحي في وقت الفراغ لذا فالترويح يعد أحد الأهداف الأساسية لوظائف وقت الفراغ .
- 5-التوازن النفسي: يحقق الترويح للفرد التوازن النفسي باعتبار أن الأعمال الخاصة أو الرسمية أو الدراسية التي يؤديها الإنسان في حياته 82اليومية ، لا تكون كافية لإشباع ميوله المتعددة ، لذا تبقى لديه ميول أخرى يمكن إشباعها في وقت الفراغ
- 6-تحقيق الاتزان الانفعالي: يجلب النشاط الترويحي السرور والمرح والبهجة إلى نفوس ممارسيه ، وبذلك يكونون في حالة اتزان انفعالي وسرور زائد أثناء النشاط الترويحي(محمد خليل ، 2001 ، 82-83).
- كما الانسى دور لشباب والمراكز الثقافية لما لها من أثر في احتضان الشباب لقضاء وقت فراغهم فيم يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع
- 7-مراكز الشباب واستثمار الفراغ: تتوافر للشباب في المجتمعات المعاصرة طاقات زائدة ، وأوقات فراغ عريضة ، مما يجعلهم في أمس الحاجة إلى النشاطات الترويحية الموجهة لاستثمار أوقات فراغهم ، لذا كان لا بد من قيام مؤسسات تربية واجتماعية بأداء هذه المهمة ، لعدم تمكن مرافق التعليم والعمل وحدها من تحمل مسؤولية تربية الشباب ، في ظل التطور السريع للحياة ، فظهرت دور الشباب ، والمراكز الثقافية ، في صورتها الحديثة كمؤسسات تربية اجتماعية تؤدي رسالة حيوية ، وتشارك في مسؤولية تربية الشباب بما يفيد ومجتمعه ، وتقوم بالدور الترويحي المرشد للنشاطات الشبابية وتنميتها ، خاصة وأن الشباب يعتمدون على النشاطات الترويحية خارج البيت بصفة أساسية ، لا سيما الطلاب منهم في العطلات الأسبوعية والفصلية والسنوية التي تنسم بتزايد أوقات الفراغ ، وتزايد الحاجة بالتالي إلى استثمارها بطريقة إيجابية ، كما تقوم مراكز الشباب بالاستغلال الأمثل لأوقات فراغ الفئات المهنية والعمالية من الشباب ، بما يناسب تنشيط قواهم الذهنية ، وتجديد نشاطاتهم الجسمانية ، وترشيد سلوكهم الترويحي ، وتنمية قدراتهم ، ويساعد على تدريبهم اجتماعيا للتفاعل مع مختلف الجماعات الأخرى ، الأمر الذي ينمي مهاراتهم الاجتماعية وشخصياتهم ويكملها (محمد خليل ، 2001 ، 83).
- خلاصة: إن الشباب والمراهقين قوة فعالة وطاقه جبارة يجب على الكل المحافظة عليها ، بالتحلي بالمسؤولية في إرشادهم إلى طريقة التصرف واستغلال طاقاتهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع ، لأن ذلك التمرد والاندفاع الذي يدفعهم وافتقارهم إلى الخبرة الكافية هو الذي يؤدي بهم إلى ارتكاب الحماقات والوقوع في المشاكل ، وإن استثمار أوقاتهم ربما يكون يدا تساعدهم على اكتساب مهارات ومعارف ، تنقذهم من الوقوع في الرذيلة وتناول المسكرات والمخدرات ، إن إرشاد الشباب ومساعدتهم على تخطي عقبة المراهقة هو من مسؤولية الجميع من أسرة ومدرسة وجامعة ووسائل إعلام مكتوبة ومرئية ومسموعة ، وكل الخيرين في المجتمع وكل والمؤسسات الأخرى ذات الصلة ، وذلك لأن قوة الأمة من قوة شبابها.

قائمة المراجع:

- أبو حسان ، محمد(1978) ، أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية ، مكتبة المنابر ، الزرقاء الأردن .
- خليل ، عثمان سيد أحمد محمد(2001) الشباب وأوقات الفراغ: دور التربية ووسائل الإعلام من المنظورين الإسلامي والوطني ، ط1 ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
- زهران ، حامد عبد السلام ، (2005) ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ، القاهرة .
- سوييف ، مصطفى(1996) ، المخدرات والمجتمع ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت .
- طالب ، أحسن(1997) ، الوقاية من الجريمة... نماذج تطبيقية ناجحة ، مجلة الفكر الشرطي ، الشارقة ، مجلد(6) ، عدد(3).
- عبد الحافظ ، عبد الباسط مبارك ، وخصاونة ، أمان صالح ، وبنو سلامة ، إبراهيم عبد الغني(2008) ، استثمار أوقات الفراغ لدى طلبة الجامعة الهاشمية دراسة مقارنة ، مجلة دراسات ، العلوم التربوية ، الجامعة الأردنية الهاشمية ، المجلد 35 ، (ملحق).
- عبد اللطيف ، رشاد أحمد(2007) ، الأساليب الوقائية لمواجهة مشكلة تعاطي المخدرات ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، قسم الندوات واللقاءات العلمية.
- عزيز ، حاتم جاسم وكاظم ، حيدر طارق(2009) استثمار أوقات الفراغ لدى طلبة الجامعة ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، جامعة القادسية . جمهورية العراق المجلد(8) ، العدد2.
- العنزي ، حامد خزعل ظايف ، (أكتوبر - ديسمبر 2014) ، ظاهرة تعاطي وإدمان المخدرات في المجتمع الكويتي ، العوامل المؤثرة والتأثيرات الناجمة وأليات الوقاية (تحليل سسيولوجي) ، مجلة حوليات آداب عين شمس ، المجلد42.
- مجمع اللغة العربية(2004) ، المعجم الوسيط ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية.